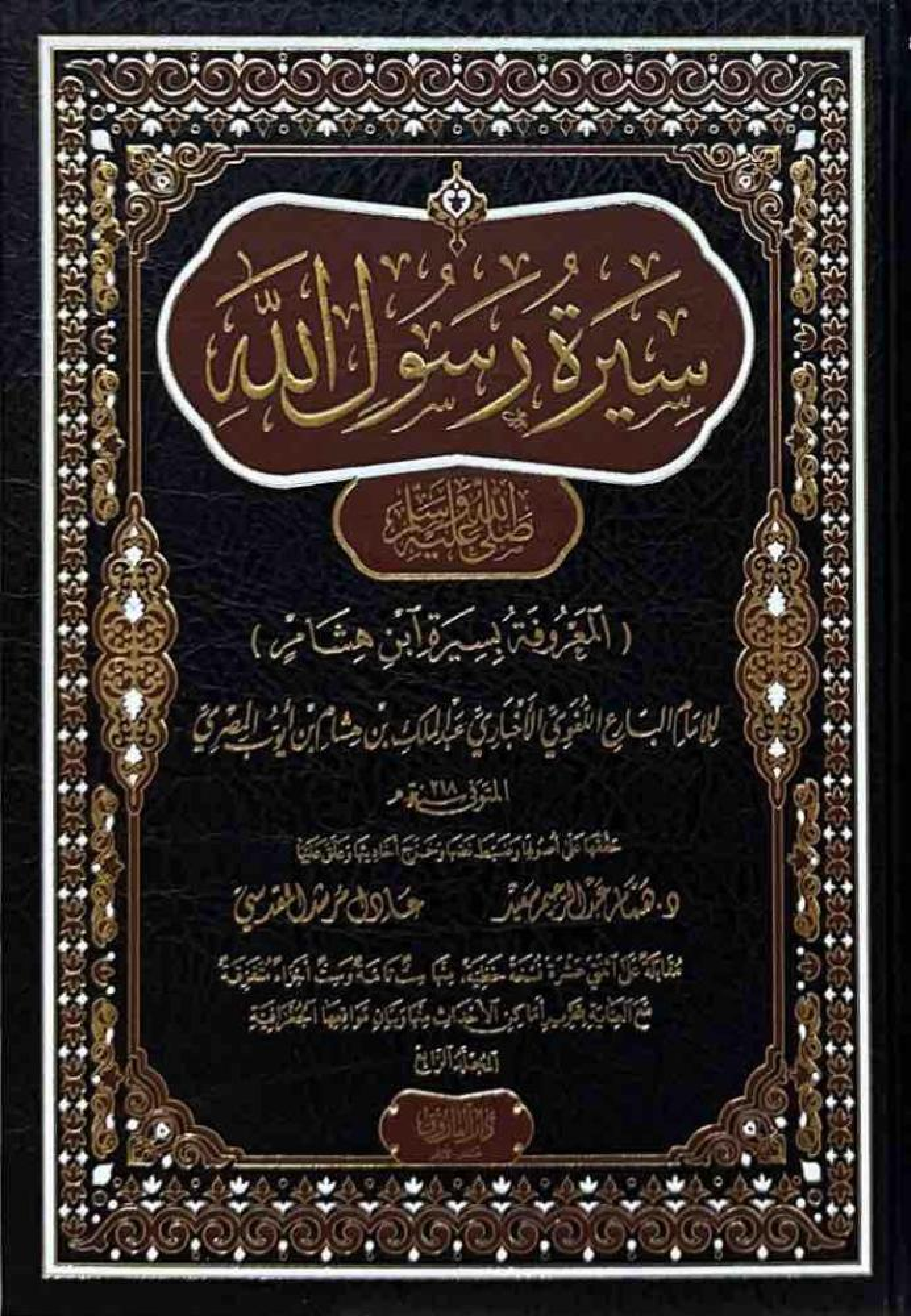
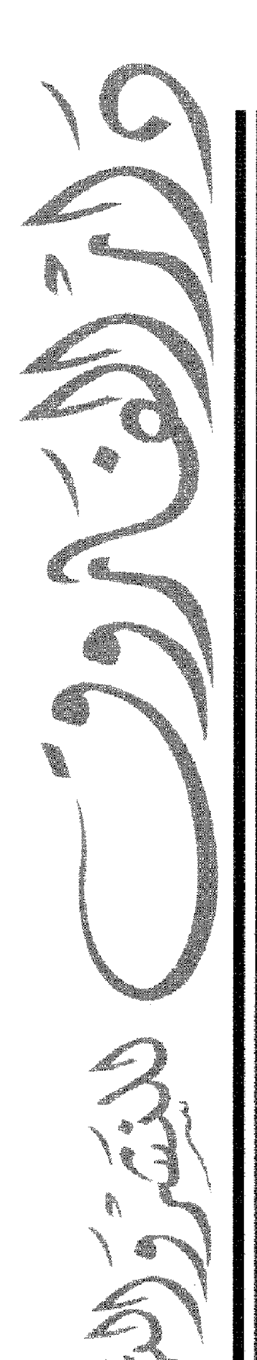

سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
(المعروفة بسيرة ابن هشام)
للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام ابن أيوب المصري
المتوفى سنة ٢١٨ هـ
د. همام عبد الرحيم سعيد



الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

المملكة الأردنية الهاشمية

٢٣٩

- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٢٢/٧/٣٤٨٥)
- المصري ، عبد الملك بن هشام بن ايوب . تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، عادل مرشد المقدسي .
- دار الفاروق للنشر والتوزيع
- الواصفات: /حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم //آل البيت//السيرة النبوية
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

- يتحمل المحقق كامل المسؤولية القانونية والعلمية عن محتوى هذا الكتاب.
- الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها.



دار الفاروق للنشر والتوزيع

الأردن ـ عمان ـ العبدلي ـ عمارة جوهرة القدس

تلفون: ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٠٠٦٤

E- mail: daralfarouq@yahoo.com



سيرة رسول الله ﷺ

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المصري

المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد — عادل مرشد القدسي

مقابلة على اثنتي عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة

مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مواقعها الجغرافية

المجلد الأول

دار الفاروق

عمان - الأردن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ ٱبْنُ عدِيٍّ: لَوْ لَمْ يكُنْ لِٱبْنِ إِسْحَاقَ مِنَ ٱلفضْلِ إِلَّا أَنَّهُ صرَفَ ٱلْمُلُوكَ عَنِ ٱلاشْتِغَالِ بِكُتُبٍ لَا يُحصَّلُ مِنْهَا شيْءٌ، إِلَى ٱلاشْتِغَالِ بِمَغَازِي رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَمَبْعَثِهِ وَمُبتدَإِ ٱلخَلْقِ، لكَانَتْ هٰذِهِ فَضِيلَةً سَبَقَ بِهَا، ثُمَّ مِنْ بعْدِهِ صنَّفهَا قومٌ آخرُونَ، فلَمْ يبلُغُوا مَبْلغَ ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْهَا.



مقدمة التحقيق

إنّ الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، ونشهد أنّ محمّداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمّة، وتركها على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلّا هالك، ولا يتنكّبها إلّا ضالّ، فصلوات الله وسلامه على هذا النّبيّ الكريم وعلى آله وأصحابه.

أمّا بعدُ، فهذا كتاب «سيرة ابن هشام»، قد منَّ الله سبحانه وتعالى علينا فوفَّقَنا إلى خدمته بتحقيق نصوصه وضبط ألفاظه وعباراته، وتخريج أحاديثه وآثاره وبيان صحيحها من ضعيفها، والراجح فيها من مرجوحها، والعناية بشرحه والتعليق عليه بما يناسب كلَّ موضع فيه من البيان والتنقيد والترجيح، فإن أصبنا، فذلك من فضل الله وحده، وإن أخطأنا وجانبنا الصواب، فذلك من تقصيرنا وقلّة بضاعتنا، فنستغفر الله ونرجو عفوه.

وقد عَمَد ابن هشام إلى كتاب محمّد بن إسحاق الكبير في المبتدأ والمغازي والخلفاء[1] فاختصره وهذّبه باقتصاره على سيرة النبيّ ﷺ، فزاد فيه ونقص، وصوّب واستدرك، ولقد حظي هذا الكتاب بجهود كثير من المحدّثين والمؤرخين تحقيقاً وشرحاً وتهذيباً ونظماً، وبالرغم من جلالة هذه الأعمال إلّا أنها أعمال

(١) انظر كتاب «رواة محمد بن إسحاق في المغازي والسير» لمطاع الطرابيشي، دار الفكر ١٩٩٤م، ص٣٥ وما بعدها وص٤٨٤ وما بعدها.

البشر التي تسعى إلى الكمال وإلى سداد النقص، ولن تصل إليهما.

مسيرة الرواية والتأليف في السيرة:

السيرة هي حياة النّبي ﷺ بجميع أحداثها منذ مولده إلى وفاته، ويدخل فيها أحداث الزمان والمكان والإنسان الممهِّدة لهذه الحياة النَّبويّة المباركة، فمُهاجَر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وبناء البيت، وغزو الحبش للجزيرة، وأخبار اليمن وغسان، وأصنام العرب، وأشعارهم، وأخبار جنّهم وإنسهم، كلّ هذا وغيره كثير داخل في سيرته ﷺ، لما له من علاقة بالواقع الذي وُلد ونشأ فيه النبيُّ ﷺ.

أمّا نقل أخبار السّيرة وروايتها، فقد بدأ هذا النقل برواية الأحاديث والسّنن والأخبار التي سمعها أصحاب النبي ﷺ أو عاشوها أو شاهدوها، دون فصل بين ما كان من هذه الأخبار في الأحكام أو التفسير أو الأدب أو الفتن أو المغازي والسير، والذي يحكم سياق الخبر إنما هي المناسبة التي يقال فيها، مع حرص عدد من الصحابة على تتبع الأحاديث بشكل عامّ والاستكثار منها، كأبي هريرة وعائشة وعمر وابنه وأنس بن مالك وابن عباس وغيرهم، وعلى رأس المئة الأولى كان التدوين الجامع لأحاديث النّبيّ ﷺ، ثم بدأ التأليف على الأنواع والأصناف، فكان منها المغازي. ولا يمنع هذا أن يكون لبعض الصحابة اهتمام وتتبع لنوع من هذه الروايات، ومن ذلك عناية عبد الله بن عباس المبكّرة في المغازي، حيث قال: كنت ألزَمُ الأكابرَ من الصحابة من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك[1].

ارتبط علم المغازي والسِّيَر بحاجة الجيوش الإسلامية إلى معرفة غزوات

(١) «طبقات ابن سعد» ٢/ ٣٢٠.

النبيّ ﷺ وسيرته وأخبار جهاده، ليكون لهذه الجيوش أُسوةٌ حسنةٌ برسول الله ﷺ في جهاده وتدبيره، فقد قال الحاكم النيسابوريّ في النوع الثامن والأربعين من علوم الحديث: معرفةُ مغازي رسول الله ﷺ وسراياه وبعوثه وكتبه إلى ملوك المشركين، وما يصحُّ من ذلك وما يشذُّ، وما أَبلى كلُّ واحد من الصحابة في تلك الحروب بين يديه، ومن ثَبَت ومن هَرَب، ومن جَبُنَ عن القتال ومن كَرَّ، ومن تديَّن بنصرته ﷺ ومن نافق، وكيف قَسَمَ رسول الله ﷺ الغنائمَ ومن زاد ومن نقص، وكيف جعل سَلَبَ القتيل بين الاثنين والثلاثة، وكيف أقام الحدودَ في الغُلول[1]. وكل ذلك من سيرته ﷺ.

مصادر المغازي الأولى وأصحابها:

ذكرنا آنفاً أنّ علم المغازي بدأ يتميز كعلم من علوم الحديث على رأس المئة الأولى من الهجرة، وفيما يلي أشهر الرواة والمصنفين فيه، وما اشتهر عنهم من التصانيف في المغازي، وقد ذهب أكثرها، وبقي منها شذرات مبثوثة في كتب الحديث والتاريخ[2].

ومن هذه المغازي: مغازي عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ)، ومغازي عامر بن شراحيل الشَّعبيّ (ت ١٠٣هـ)، ومغازي وهب بن منبِّه (ت ١١٠هـ)، ومغازي عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ)، ومغازي شرحبيل بن سعد (ت١٢٣هـ)، ومغازي محمد بن شهاب الزّهريّ (ت ١٢٤هـ)، ومغازي أبي إسحاق السَّبيعيّ (ت ١٢٧هـ)، ومغازي عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٥هـ)، ومغازي موسى بن

---

(١) «معرفة علوم الحديث» ص ٢٣٨.

(٢) انظر: «المغازي الأولى ومؤلفوها» ليوسف هوروفتس، ترجمة حسين نصار.

عقبة (ت ١٤١هـ)، ومغازي سليمان بن طَرخان أبي المعتمر التَّيميّ (ت ١٤٣هـ)، والمغازي والسِّيَر لمحمد بن إسحاق بن يسار المطَّلبيّ (ت ١٥١هـ)، والغالب أن أكثر هذه المغازي إنما هي نقل ورواية أخبار لا تصنيف وكتابة، فقد ذكر المؤرّخ الحافظ الذهبيُّ إلى أن أول من صنّف في المغازي هو موسى بن عقبة، أَلَّفها في مجلد[1].

التفريق بين المغازي والسِّيَر وبين السِّيَر:

إنّ صرف مصطلح المغازي والسير إلى سيرة النبي ﷺ خاصّة، لا يدخل فيه السّيَر بمصطلح محمد بن الحسن الشيبانيّ (ت ١٨٩هـ)، ولا السّير بمصطلح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري (ت ١٨٨هـ)، فكلاهما يُطلق السّيَر على أحكام الحرب وآثارها، وبينما ذكر الإمام البخاريّ في «صحيحه» وعبد الرزّاق الصنعاني وابن أبي شيبة في مصنفيهما والحاكم في «المستدرك» موضوع السّيرة هذا تحت عنوان المغازي، فإنّ الإمام مسلماً في «صحيحه» والإمام الترمذيّ في «جامعه» قد جمعا بين المغازي والسير، وأرادا بالسير جملة الأحكام المتعلقة بالحرب وآثارها.

محمد بن إسحاق إمام في المغازي:

انتهى علم المغازي من أصحاب هذه الكتب التي ذُكِرَت سابقاً إلى كتاب ابن إسحاق، فجاء كتاباً جامعاً، ضمّ بين دفَّتيه أوسع رواية للسيرة النبوية، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام: المبتدأ، والسيرة بما تضمنت من أخبار المبعث والمغازي،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٦/ ١١٤. وانظر كتاب «مرويات الإمام الزهري في المغازي» لمحمد العواجي، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، ص١٥١ وما بعدها.

والخلفاء.

أمّا المبتدأ، فيشمل الكلام على بداية الخلق وأخبار الأمم الماضية وأخبار ملوكها وأنبيائها، ثم أخبار اليمن وأقيالها، ثم أخبار القبائل العربية وذكر أصنامها، وقد أعرض ابن هشام في سيرته عن القسم الأول من هذا التاريخ.

وأما السيرة، فإنها تتضمّن المبعث: ويشمل حياة النبي ﷺ في مكة والهجرة، والمغازي: وهو تاريخ النبي ﷺ في المدينة منذ أول صيحة للحرب مع القبائل المشركة، إلى أن توفي النبي ﷺ.

وأما قسم الخلفاء، فإن ابن هشام لم يذكر شيئاً سوى ما ذكره مما جرى في بداية استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة.

وبذلك يكون ابن هشام في كتابه هذا قد تناول معظم ما ذكره ابن إسحاق في سيرته، وترك القسم الأول من المبتدأ وقسم الخلفاء من بعد أبي بكر، وذلك لعدم اتصاله المباشر بالنبيِّ ﷺ ونسبه وما جرى من أحداث قريبة لموطنه ونشأته والإيحاء إليه بالرسالة والقيام بأمر الدعوة إليها وما اتصل بذلك من أحداث وأخبار، قال ابن هشام: وأنا إن شاء الله مبتدئٌ هذا الكتابَ بذكر إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما، ومَن وَلَدَ رسولَ الله ﷺ مِن ولدِه، وأولادِهم لأصلابهم، الأوّلَ فالأوّلَ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليهما، وما يَعرِضُ من حديثهم، وتاركٌ ذكرَ غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث رسول الله ﷺ، وتاركٌ بعضَ ما ذكر ابن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكرٌ، ولا نَزَلَ فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه؛ لما ذكرتُ من الاختصار، وأَشعاراً ذَكَرَها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياءَ بعضُها يَشنُع الحديثُ به، وبعضٌ يسوءُ الناسَ ذكرُه، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البَكّائي

بروايته، ومستقصٍ ما سوى ذلك منه بمَبلَغ الرواية له، والعلم به. اهـ

لقد بلغت المواضع التي تدخل فيها ابن هشام في نصّ ابن إسحاق سبع مئة وثمانية وستين موضعاً، ما بين حديث أضافه، أو اسم ضبطه، أو خبر ردّه، أو قصائد أو أبيات شعر ردّها أو أضافها، حتى حُقَّ لابن هشام أن تنسب السِّيرة إليه لكثرة استطراداته في ذلك.



ترجمة ابن اسحاق

اسمه ونسبه:

محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، ويقال: ابن كوثان، المدنيّ، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله القرشيّ المُطّلبيُّ، مولى قيس بن مَخرَمة بن المطّلب بن عبد مناف، وكان جده يسار من سبي عين التمر، وهو أول سبي دخل المدينةَ من العراق.

شيوخه:

رأى أنس بن مالك، وسالم بن عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيّب، وسمع من أبان بن عثمان، وعطاء بن أبي رباح، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، والقاسم بن محمد، ومكحول، وعبد الرحمن بن الأسود.

وروى عن جماعة من أهل مصر وغيرهم، منهم: عبيد الله بن المغيرة، ويزيد ابن أبي حبيب، وثمامة بن شُفيّ، و عبيد الله بن أبي جعفر، والقاسم بن قُزْمان.

تلاميذه:

قال محمد بن سعد: خرج ابن إسحاق من المدينة قديماً فلم يرو عنه أحد منهم غير إبراهيم بن سعد، وكان محمد بن إسحاق مع العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالجزيرة، وكان أتى أبا جعفر المنصور بالحِيرة فكتب له المغازي، فسمع منه أهلُ الكوفة بذلك السبب، وسمع منه أهل الجزيرة، وأتى الريَّ فسمع منه أهل الريّ، فرواته من هؤلاء البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة.

قال: وروى عنه الثوريّ، وابن إدريس، وحماد بن زيد، ويزيد بن زريع، وابن عُليّة، وعبد الوارث، وابن المبارك.

حفظه ومكانته العلمية:

قال يونس بن بُكير: سمعت شعبة يقول: محمد بن إسحاق أمير المحدِّثين؛ لحفظه.

وقال علي ابن المديني: مدارُ حديث رسول الله ﷺ على ستة، ذَكَرَهم، ثم قال: فصار علمُ الستة عند اثني عشر، أحدهم محمد بن إسحاق.

وقال أيضاً: سمعت سفيان يقول: قال ابن شهاب، وسئل عن مغازيه، فقال: هذا أعلم الناس بها؛ يعني ابن إسحاق.

وقال أيضاً: نظرتُ في كتب ابن إسحاق، فما وجدتُ عليه إلا في حديثين، ويمكن أن يكونا صحيحين.

وقال البخاري: رأيت عليَّ بن عبد الله (يعني ابن المديني) يحتجّ بحديث ابن إسحاق.

وقال حرملة بن يحيى عن الشافعي: من أراد أن يتبحّر في المغازي، فهو عِيالٌ على محمد بن إسحاق.

وقال أحمد بن أبي خيثمة: سألت يحيى بن معين عن محمد بن إسحاق فقال: قال عاصم بن عمر بن قَتَادة: لا يزال في الناس علمٌ ما عاش محمد بن إسحاق، وقال: كان ثقة، وكان حسن الحديث.

وقال أبو بكر الأثرم: سألت أحمد بن حنبل عن محمد بن إسحاق: كيف هو؟ فقال: هو حسن الحديث.

وقال أبو الحسن الميموني: حدثنا أبو عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ بحديث استحسنه عن محمد بن إسحاق، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما أحسنَ هذه القصصَ التي يجيء بها ابن إسحاق! فتبسم إليّ متعجباً.

قال إبراهيم بن حمزة الزُّبيري: كان عند إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق نحوٌ من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي.

قال الذهبي: يعني بتكرار طرق الأحاديث، فأما المتونُ الأحكامية التي رواها، فما تبلغ عُشرَ ذلك.

و قال محمد بن سعد: كان ابن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله ﷺ.

قال ابن حبان: ولم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه، ولا يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار.

وقال ابن عديٍّ: ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلّا أنّه صَرَفَ الملوكَ عن الاشتغال بكتبٍ لا يَحصُلُ منها شيءٌ، إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومُبتدَأ الخلق، لكانت هذه فضيلةً سَبَقَ بها، ثمّ من بعده صنّفها قومٌ آخرون، فلم يَبلُغوا مبلغَ ابن إسحاق منها، وقد فتّشتُ أحاديثه كثيراً فلم أَجد من أحاديثه ما يتهيّأُ أن يُقطَع عليه بالضَّعف، وربّما أخطأ أو يَهِمُ في الشيء بعد الشيء، كما يخطئ غيرُه، ولم يتخلّف في الرّواية عنه الثّقاتُ والأئمّةُ، وهو لا بأس به.

وقال أبو يعلى الخليلي: محمد بن إسحاق عالم كبير، وإنما لم يخرّجه البخاري من أجل روايته المطوَّلات، وقد استَشهَد به وأكثرَ عنه فيما يُحكَى في أيام النبي ﷺ وفي أحواله، وفي التواريخ، وهو عالم واسع الرواية والعلم، ثقة.

وقال ابن البَرْقيّ: لم أر أهل الحديث يختلفون في ثقته وحُسن حديثه وروايته.

استشهد به البخاريّ في «الصحيح»، وروى له في كتاب «القراءة خلف الإمام» وغيره، وروى له مسلم في المتابعات، واحتج به الباقون.

ردّ المطاعن في ابن إسحاق:

طعن في ابن اسحاق مالكُ بن أنس وهشامُ بن عُرْوة، أما مالك فقال: دجّال من

الدجاجلة، وأمّا هشام بن عروة فاتّهمه بالكذب لروايته عن فاطمة بنت المنذر امرأة هشام، وكذّبه سليمان التَّيميّ ويحيى القطّان ووُهَيب بن خالد.

قال الحافظ ابن حجر: أما وُهَيب والقطّان، فقلَّدا فيه هشامَ بن عروة ومالكاً، وأما سليمان التّيمي فلم يتبيَّن لي لأي شيءٍ تكلَّم فيه، والظاهر أنه لأمرٍ غيرِ الحديث، لأن سليمان ليس من أهل الجرح والتعديل.

قال ابن حبان في «الثقات»: تكلّم فيه رجلان، هشام ومالك، فأما قول هشام فليس ممّا يُجرَح به الإنسان، وذلك أن التابعين سمعوا من عائشة من غير أن ينظروا إليها، وكذلك ابنُ إسحاق كان سمع من فاطمة والسّتر بينهما مُسبَل، وأما مالك فإن ذلك كان منه مرة واحدة ثم عاد له إلى ما يحبّ، ولم يكن يَقدَح فيه من أجل الحديث، إنما كان يُنكِر تتبُّعَه غزواتِ النبيّ ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصةَ خيبر وغيرَها، وكان ابن إسحاق يتتبّع هذا منهم من غير أن يحتجّ بهم، وكان مالك لا يرى الروايةَ إلا عن مُتقِنٍ، ولما سُئل ابن المبارك قال: إنا وجدناه صدوقاً، ثلاث مرات.

قال ابن حبان: ولم يكن أحدٌ بالمدينة يقارب ابنَ إسحاق في علمه، ولا يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار... إلى أن قال: وكان يكتب عمّن فوقه ومثله ودونه، فلو كان ممّن يستحلُّ الكذب لم يَحتَجْ إلى النزول، فهذا يدلُّك على صدقه.

ونقل المِزّي والذّهبي عن البخاري أنه قال: ولو صحَّ عن مالك تناولُه من ابن إسحاق، فلربّما تكلَّم الإنسان فيرمي صاحبَه بشيء واحد، ولا يتّهمُه في الأمور كلها.

وقال أبو يعلى الخليلي: محمد بن إسحاق عالم كبير، وإنما لم يخرّجه البخاريّ

من أجل روايته المطوَّلات، وقد استَشهد به وأكثَرَ عنه فيما يُحكَى في أيام النبيّ ﷺ وفي أحواله، وفي التواريخ، وهو عالم واسع الرواية والعلم، ثقة.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل عن علي ابن المديني: سمعت سفيان وسُئل عن محمد بن إسحاق، قيل له: لِمَ لمْ يروِ أهل المدينة عنه؟ قال سفيان بن عُيينة: جالستُ ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة، وما يتّهمُه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئاً. قلت لسفيان: كان ابن إسحاق جالسَ فاطمةَ بنت المنذر؟ فقال: أخبرني ابن إسحاق أنها حدَّثته وأنه دخل عليها.

قال الذهبي: يجوز أن يكون دخل عليها ورآها وهو صبيّ، فحَفِظَ عنها، مع احتمال أن يكون أخذ عنها حين كَبِرَت وعَجَزَت، وكذا ينبغي، فإنها أكبر من هشام بأزيدَ من عشر سنين، فقد سمعت من جدّتها أسماء بنت أبي بكر، ولما روت لابن إسحاق كان لها قريبٌ من ستين سنة.

وقال محمد بن عبد الله بن نُمير: كان محمد بن إسحاق يُرمَى بالقَدَر، وكان أبعدَ الناس منه.

وفاته:

قال محمد بن سعد: مات ببغداد في سنة إحدى وخمسين ومئة[1].

---

(١) انظر ترجمة ابن إسحاق في: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٧/ ٥٥٢، و«التاريخ الكبير» للبخاري ١/ ٤٠، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ٧/ ١٩٢-١٩٤، و«تاريخ ابن يونس» ٢/ ١٩٢، و«الثقات» لابن حبان ٧/ ٣٨٠-٣٨٥، و«الكامل» لابن عدي ٧/ ٢٧٠، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٢/ ٧-٣٥، و«تهذيب الكمال» للمزي ٢٤/ ٤٠٥، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٣٩، و«تاريخ الإسلام» ٤/ ١٩٣-١٩٨، كلاهما للذهبي، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر ٩/ ٣٨-٤٦.

البَكَّائي راوية ابن إسحاق

زياد بن عبد الله بن الطفيل البَكَّائي العامريّ، أبو محمد، ويقال: أبو زيد الكوفي.

والبَكّائي: نسبة إلى بني البَكّاء من بني عامر بن صَعصَعة.

حدّث عن منصور بن المعتمر وعبد الملك بن عُمير، والكِبار.

وحدَّث عنه أحمد بن حنبل وعمرو بن علي الفلّاس والحسن بن عرفة، وخلق.

قال أحمد: حديثه حديث أهل الصدق.

وقال ابن معين: لا بأس به في المغازى، وأما في غيرها فلا. وقد كتب ابنُ معين عنه المغازي.

وقال ابن المديني: ضعيف، كتبت عنه وتركته.

وقال أبو حاتم: لا يُحتجّ به.

وقال أبو زُرعة: صدوق.

وقال النسائيّ: ضعيف. وقال مرةً: ليس بالقوي.

وقال ابن سعد: كان عندهم ضعيفاً، وقد رووا عنه.

وقال يحيى بن آدم عن عبد الله بن إدريس: ما أحدٌ أثبت في ابن إسحاق من زياد البكائي، لأنه أملى عليه إملاءً مرتين، أرادوا رجلاً يكتب لرجل من قريش، فجاء زياد حتى أَملى عليه مرّتين.

وقال صالح بن محمد جزرة: ليس كتاب «المغازي» عند أحد أصحَّ منه عند زياد البكائي، وزياد في نفسه ضعيف، ولكن هو من أثبت الناس في هذا الكتاب، وذلك أنه باع داره، وخرج يدور مع ابن إسحاق، حتى سمع منه الكتاب.

وساق ابن عديّ بعض أحاديثه المنتقَدة، ثم قال: ما أرى برواياته بأساً، قال محمد

ابن عقبة السدوسي عن وكيع بن الجرّاح: هو أشرف من أن يكذب.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ليس به بأس، حديثه حديث أهل الصدق.

وقال أبو داود عن أحمد بن حنبل: ما أرى كان به بأس، كان ابن إدريس حسن الرأي فيه. قال: وسئل عنه مرةً أخرى فقال: كان صدوقاً.

وقال أبو داود: سمعت يحيى بن معين يقول: زياد البكائي في ابن إسحاق ثقة، كأنه يضعّفه في غيره.

روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره، ومسلمٌ، والترمذي، وابن ماجه.

ومات سنة ثلاث وثمانين ومئة[1].

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد» ٨/ ٥١٨، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٩/ ٤٩٩، و«الكامل» لابن عدي ٤/ ١٤٠، و«الأنساب» للسمعاني ٢/ ٢٩٠، و«تهذيب الكمال» للمزي ٩/ ٤٨٥.

عبد الملك بن هشام
صاحب «السيرة»

عبد الملك بن هشام بن أيوب أبو محمد، الحِمْيَري المَعَافِري، وقيل: الذُّهلي السَّدُوسي، البصريّ، نزيل مصر.

والحِميَري: نسبة إلى حِميَر، وهي من أصول القبائل اليمنية، والمَعَافِري: نسبة إلى المَعَافر بن يعفر بن مالك بن الحارث، ويصل نسبه إلى قحطان.

هذَّب السيرةَ النبوية ونقَّحها، وسمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق، وخفَّف من أشعارها وغيرها.

وله مصنّف في أنساب حِميَر وملوكها.

ووثّقه أبو سعيد بن يونس.

قال المُزَنيّ: قَدِمَ علينا الشافعيُّ وكان بمصر عبد الملك بن هشام صاحب «المغازي»، وكان علّامةَ أهل مصر بالعربية والشّعر، فقيل له في المَصِير إلى الشافعيّ فتثاقل، ثم ذهب إليه، فقال: ما ظننتُ أن الله يخلق مثلَ الشافعي.

قال الذهبي: وكان ابن هشام نحويّاً أديباً أخبارياً فاضلاً، رحمه الله.

وأرّخ أبو سعيد ابن يونس وفاته في ثالث عشر ربيعٍ الآخر من سنة ثمان عشرة ومئتين، وهو أصحُّ مما قاله أبو القاسم السُّهيليّ صاحب «الروض الأنف» من أنه توفي سنة ثلاث عشرة ومئتين كما ذهب إليه الذهبيّ[1].

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ ابن يونس» ٢/ ١٣٧، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٠/ ٤٢٨، و«تاريخ الإسلام» له ٥/ ٣٨٧.

وقد روى عن ابن هشام هذه السيرةَ جمعٌ، أشهرهم الإخوة الثلاثة أولاد عبد الله ابن عبد الرّحيم بن سعيد المِصريّ البَرْقيّ: أبو سعيد عبدُ الرحيم، المتوفَّى في ذي القعدة سنة ستٍّ وثمانين ومئتين، وكان صدُوقاً مُسنّاً من أهل العلم[1]، وأبو بكر أحمدُ، المتوفَّى في شهر رمضان سنة سبعين ومئتين، له كتاب في معرفة الصّحابة وأنسابهم، وكان إماماً حافظاً متقناً[2]، وأبو عبد الله محمدٌ، المتوفَّى في جُمادى الآخرة سنة تسع وأربعين ومئتين، وكان حافظاً ثقة[3]، وإنما عُرِفوا بالبرقيِّين لأنهم كانوا يتَّجرون إلى بَرْقة (المعروفة الآن في شرق ليبيا).

---

(١) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٣/ ٤٨، و«تاريخ الإسلام» له ٦/ ٧٧٤، و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» لابن قُطلوبغا ٦/ ٣٢٧.

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٧٢، و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» لابن قُطلوبغا ١/ ٣٧٨، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي ص٥٦٨.

(٣) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤٦، و«تاريخ الإسلام» ٥/ ١٢٣١.

عملنا في التحقيق

- لقد وُفِّقنا ـ بفضل الله ـ في هذا التحقيق للسيرة بالحصول على عددٍ من نسخها الخطية، وكانت أكثر هذه النسخ مضبوطة مقابلةً ومقروءة بعناية، وكانت الفروق بينها لا تكاد تذكر، ويصعب ترجيح واحدة منها على الأُخريات، مما جعلنا نذهب إلى التلفيق بين هذه النسخ، فنثبت ما رأَيناه الأرجح منها، مع ذكر ما يخالف النص المعتمد في الحواشي.

- قمنا بضبط وتقييد ما يُشكل من النَّصِّ ضبطاً متقناً، مع بيان وجوه الضبط المختلفة للكلمة الواحدة عند الاختلاف، وما يَرِدُ من المعاني المتعلّقة بكل وجه من وجوه الضّبط، وأكّدنا على تمام الضّبط في الأشعار والأماكن والأسماء والألقاب والكنى والأنساب.

- قمنا بشرح ألفاظ السيرة الغريبة، واستقصاء ذلك حتى لا يكاد يفوتُنا شيء ـ بإذن الله ـ من هذا الغريب، وذلك بالاعتماد غالباً على إملاء أبي ذرٍّ الخُشَنيّ على السِّيرة، و«الروض الأُنُف» للسُّهيليّ، ولم نتوقف عندهما، بل تجاوزناهما إلى معاجم اللّغة الأخرى، وكتب غريب الحديث، كـ«لسان العرب» لابن منظور، و«الصحاح» للجوهريّ، و«تاج العروس» للزَّبيديّ، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، وغير ذلك من كتب اللغة التي ستظهر في مصادر التحقيق، مع مناقشتنا لبعض ما ذكره الشرّاح مما أغربوا فيه، وذكرنا ما نراه لترجيح ما ذهبنا إليه، انظر على سبيل المثال ما ورد في ج١/ ١١٢، ٢٥٩، ج٣/ ٥٧-٥٨، ٣٣٢، ٣٤١، ٣٤٢، ج٤/ ٦٧، ٣٢٤.

- اعتنينا عناية تامّة بالأشعار، فقد حرصنا إلى جانب ضبط النّصوص الشعرية بيان ما وقع فيها من خروم وغيرها أشرنا إليها، كما قمنا بتوثيق هذه الأشعار من دواوين الشُّعراء الأصليّة، وقمنا بمراجعة أوزان ما اشتبه علينا منها، ولتحقيق هذا الجانب طوَّفنا في كتب الأدب ودواوين الشِّعر، وهذا ما يظهر واضحاً في هوامش هذا الكتاب، وكذلك في جريدة مصادرنا لهذا التحقيق.

- حرصنا في هذا التحقيق لكتاب السِّيرة أن نخرّج الأحاديث والآثار المذكورة في هذه السِّيرة من كتب السنة الأخرى، سواء كانت هذه الأحاديث قولية أم فعلية، كما حرصنا على تمييز صحيحها من ضعيفها، وما كان منها مرفوعاً إلى النبي ﷺ صراحةً أو حكماً دقَّقنا النظر فيه، وقد التزمنا في ذلك منهج المحدِثين، أما ما كان من أخبار السّيرة الأخرى مما سبيله السَّرد التاريخي، فقد حرصنا على تخريج هذه الأخبار والإشارة إلى مصادرها من كتب الحديث والتاريخ، دون التزام منهج المحدِّثين في ذلك، واكتفينا بوصف السّند بقولنا: مرسل أو معضل أو منقطع.

وقد اعتمدنا في تخريج هذه الأحاديث والآثار على الكتب المحقَّقة المضبوطة، ولاسيّما الكتب المطبوعة لدى مؤسسة الرسالة ودار الرسالة العالمية، كالكتب الستة و«مسند أحمد» و«صحيح ابن حبان» و«مستدرك الحاكم»، لما فيها من العناية بتخريج نصوصها والحكم عليها، وما لم يكن في هذه الكتب توسَّعنا في تخريجه من الكتب الأخرى مع الحكم عليه.

- حرصنا في تحقيقنا هذا على بيان ما وقع من العلل والأوهام في كلام ابن إسحاق، ولاسيّما ما كان مشهوراً من هذه الروايات التي يخالفها صحيح الحديث، مثال ذلك ما وقع فيه من خلطٍ بين ما افتُرض على النبيِّ ﷺ من الصلاة في أول البعثة وبين ما افتُرض عليه في ليلة الإسراء قبل الهجرة بعامٍ أو عامٍ ونصف، انظر

ج١/ ٢٨١-٢٨٢.

وكذلك ما ورد في إسلام عائشة وهي صغيرة في ذكر أوائل من أسلم من الصحابة، علماً بأنها قد وُلدت في السنة الرابعة من البعثة، انظر ج١/ ٢٩١.

ولقد نبّهنا إلى الكثير من أمثال هذه العلل والأوهام، كما حرصنا على بيان الروايات الشاذة الواردة في بعض الأحاديث والآثار، انظر مثلاً ج٢/ ٢٥٢.

وقد كشفنا عن أوهام وقع فيها ابن إسحاق ولم يعرِّج عليها كثير من شرّاح السيرة، انظر مثلاً في قصة هجرة أبي موسى الأشعري من مكة إلى الحبشة ج١/ ٣٨٤، وفي قصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ج٢/ ١٥٧ و١٥٨، وفي حادثة الإفك ج٣/ ٣٩٤، وفي عدّة من صحب النبيّ ﷺ في الحديبية ج٣/ ٣٩٨-٣٩٩.

- أشرنا في تعليقاتنا إلى أخبار ووقائع مشهورة تروى في السيرة مما لم يذكره ابن إسحاق ولا ابن هشام، وذلك للتنبيه على ضعفها وعدم صحتها، كأحاديث نسج العنكبوت والحمامتين في قصة الهجرة، انظر ج٢/ ١١٨-١١٩، وكقصة وعد النبي ﷺ لسراقة في طريق الهجرة بسِواري كسرى، انظر ج٢/ ١٣٢، وما روي من قتل أبي عبيدة لأبيه في غزوة بدر، انظر ج٢/ ٤٤٩، وقصة هجرة عمر بن الخطاب وتحدّيه لقريش، انظر ج٢/ ١٠٥، وقصة صدقة ثعلبة بن حاطب، انظر ج٢/ ١٨١.

- حرصنا على مناقشة ابن إسحاق في تواريخ الغزوات والسرايا، وعدد المقاتلين فيها، وترجيح ما يؤيده الدليل من ذلك، كبيان عدد جيش تبوك الذي ذكر ابن إسحاق أن عددهم شارف الثلاثين ألفاً، وقد رجّحنا أن العدد لا يزيد على خمسة عشر ألفاً، بدلالة الواقع والروايات الأخرى عن الصحابة، انظر ج٤/ ٢٤٤.

- حرصنا في تحقيقنا هذا على الرجوع إلى المصادر الأصلية من كتب الحديث

والتفسير واللغة والأدب والتاريخ، ولا نلجأُ إلى المصادر الفرعية إلا لضرورةٍ كفقدان الأصل، أو لم يكن حاضراً بين أيدينا، فذهبنا إلى تعويضه بالرجوع إلى من أَخذ من هذا الأصل.

- أمّا عناوين الكتاب: فقد خلت معظم نسخ السيرة من عناوين الأبواب والفصول، وما أثبتناه من هذه العناوين إنما أخذناه في الغالب من نسختين مما وقع تحت أيدينا، وهما نسختا السلطانة ترهان التي رمزنا لها بالرمز (ت) ونسخة أيا صوفيا التي رمزنا لها بالرمز (ص).

- **تحرير المواقع الجغرافية**: حرصنا في تحقيقنا هذا للسيرة النبوية على تحرير المواقع الجغرافية التي وردت في جميع فصول السيرة، واستوعبنا ما ذكره علماءُ البُلدانيات كياقوت الحموي، وما في كتب الأستاذين الماهرين عاتق البِلادي في كتابه «معجم المعالم الجغرافيّة في السِّيرة النَّبويّة» وغيره، وحمد الجاسر في كتبه العديدة، سواء ما صنّفه أو ما حقَّقه، وفي هذه الكتب علمٌ غزير حرصنا على استيفائه، كما حرصنا على تحديد المواقع الجغرافية بأسمائها الحاليّة، وذكر المسافات بينها، حرصاً على رسم صورة وافية للسيرة النبوية من حيث الجغرافيا، وذلك إلى جانب الاستعانة بالخرائط الجغرافيّة الموجودة في الشّبكة العنكبوتية، وبذلك يكون هذا الجانب من التحقيق من أهمّ الإضافات في كتابنا هذا.

- حرصنا في عملنا هذا أن نحرّر القراءات القرآنية حيثما وردت، وذلك لمعالجة ما ذكره ابن هشام في هذه القراءات، ومقارنتها بالقراءات المتواترة، وقد أثبتنا القراءة المذكورة في النُّسخ الخطِّية، والإشارة إلى ما يوافقها أو يخالفها.

وصف النسخ الخطية

١ - نسخة السلطانة ترهان - المكتبة السليمانية بإستانبول، رقم (٢٤١):

عدد أوراقها: ٢٦٦ ورقة.

ورمزنا لها بالرمز (ت).

وهي نسخة كاملة، منسوخة بالقاهرة بخط الزراكشة العتيقة بجوار بين القصرين، فرغ من نسخها في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٦ هـ.

اسم الناسخ: محمد بن عبد الغني بن يحيى الحنبلي الحرّاني، المولود نحو سنة ٧٠١هـ، والمتوفى سنة ٧٧٨هـ، ذكره ابن حجر في «الدرر الكامنة» ٥/ ٢٦٨.

وهي نسخة مصححة ومقابلة ومقروءة على الشيخ المحدث زين الدين أبي بكر ابن قاسم بن أبي بكر الرَّحَبي (ت ٧٤٩) في القاهرة في مجالس آخرها يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٣٥ ـ كما وقع ذلك في طباق السماع المذكور في أول النسخة وعليه خط الرَّحَبي، بحق سماعه للسيرة من مسند الديار المصرية أحمد بن إسحاق الأَبَرْقُوهي (ت ٧٠١) ـ وعلى الشيخ المسنِد شهاب الدين أحمد بن علي بن أيوب بن علوي المشتولي (ت ٧٤٤)، وعلى الشيخ القاضي شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر القيراطي (ت ٧٣٩) وكان هو القارئ.

٢- نسخة يني جامع - المكتبة السليمانية، برقم (٨٥٦):

عدد أوراقها: ٣٠٢ ورقة. وهي من وقف السلطان أحمد خان بن محمد خان.

ورمزنا لها بالرمز (ي).

اسم الناسخ: عمر بن أبي بكر خطيب بيت الآبار. وبيت الآبار قرية في غوطة دمشق.

وهي نسخة كاملة، فرغ من نسخها في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ٦٠٠هـ.

وهي نسخة مقابلة كما يظهر من حواشيها.

٣- نسخة أيا صوفيا - المكتبة السليمانية:

عدد أوراقها: ٤٢٨ ورقة. وهي من وقف السلطان محمود خان.

ورمزنا لها بالرمز (ص).

وهي نسخة كاملة، فرغ من نسخها يوم الأربعاء العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٧٩١ هـ، واسم الناسخ غير معروف.

٤- النسخة المغربية:

عدد أوراقها: ٣١٨ لوحة. وهي نسخة مصورة من مكتبة المدينة المنورة، وعليها خاتم مكتبة الأوسكوريال.

ورمزنا لها بالرمز (غ).

وهي نسخة كاملة، والظاهر أنها نسخت في القرن السادس الهجري، فقد أثبت صاحبها إسناده بها عن نَجَبة بن يحيى بن خلف بن نجبة الرُّعيني، وهذا إمام مقرئ توفي سنة ٥٩١هـ كما في «تاريخ الإسلام» للذهبي ١٢/ ٩٦٧.

٥- نسخة المكتبة المركزية في وزارة الأوقاف المصرية، رقم (١٨٢١):

ورمزنا لها بالرمز (ق١).

وهي نسخة ناقصة، تبدأ من أول السيرة وتنتهي بغزوة بني سُليم بعد بدر.

الناسخ وتاريخ النسخ مجهولان.

٦- نسخة المكتبة المركزية في وزارة الأوقاف المصرية، رقم (١٩٣٦):

ورمزنا لها بالرمز (ق٢).

وهي منقولة عن نسخة منقولة عن نسخة بخط الوزير أبي القاسم الحسين بن علي الكاتب ابن المغربي المكتوبة سنة ٣٩٧ هـ.

وهي نسخة ناقصة، وهذا الجزء الثالث من النسخة، ويبدأ من آخر الخندق وينتهي بآخر الكتاب.

اسم الناسخ: الحسن ابن قاضي أذرعات الشافعي، فرغ من نسخها سنة ٨١٣هـ. وله ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي ٣/ ١١٥.

وهذه النسخ مرسلة إلينا من الدكتور موسى الحارث همام سعيد حفظه الله وجزاه خير الجزاء، غير النسخة المغربية.

٧- نسخة المكتبة الوطنية بباريس، برقم (٦٤٩٦):

عدد أوراقها: ٢٢٣ ورقة.

ورمزنا لها بالرمز (ط).

وهي من منشورات مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي على شبكة الألوكة، ومن هناك حصلنا عليها، فجزاه الله خير الجزاء.

وهي نسخة ناقصة، وهذا الجزء الأخير منها، ويبدأ من: ما قيل من الشعر في الخندق إلى آخر الكتاب، وهو ربع الكتاب الأخير.

اسم الناسخ: سليمان بن عمر بن كيكلدي، نسخها في مدينة طرابلس الشام، وفرغ من نسخها يوم الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ٨٢٢ هـ.

وعلى حواشيها بلاغات بالسماع في مجالس بقراءة مالكها بمدرسة قرطاي، وهي أكبر مدرسة بطرابلس تعود إلى العهد المملوكي، وبانيها هو نائب طرابلس الأمير شهاب الدين قرطاي الأشرفي المتوفى سنة ٧٣٤هـ ودُفن بها.

وذكر مالكها أيضاً وهو علي بن محمد الفُقّاعي المتوفى سنة ٩١٧هـ كما في

«الكواكب السائرة» للغزّي ١/ ٢٦٤ (وهو شيخ حنفي من أهل اللغة والنحو وله شعرٌ جيد): أنه أنهاها قراءة بالجامع المنصوري بجنب المِئذنة مراراً عديدةً؛ فهذه قراءة أخرى لها غير التي بمدرسة قرطاي.

وفي آخرها حاشية نصها: بلغ مقابلة وضبطاً وتحريراً على نسخ محرَّرة معتمدة مقروءة.

وهي نسخة متقنة يكثر على حواشيها تقييد الألفاظ، ونقلُ شروحها عن غير واحد من أهل العلم كابن الأثير والنووي وغيرهما.

٨- نسخة الجامع الأزهر، رواق الشوام، رقم (٦٨):

وعدد أوراقها: ١٧٦ ورقة.

ورمزنا لها بالرمز (ز).

واسم الناسخ: محمد بن أحمد بن أحمد المقدسي الشافعي المقرئ، فرغ من نسخها في التاسع عشر من شهر ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ. والناسخ من أهل العلم، له ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي ٦/ ٢٩٢.

وهي نسخة ناقصة، هذا هو الجزء الثاني من ثلاثة أجزاء. وهي نسخة متقنة مضبوطة ضبطاً متقناً.

وهي من منشورات المكتبة الأزهرية على الشبكة العنكبوتية.

٩- نسخة مكتبة مراد ملا بإستانبول، رقم (١٤٣٣) و(١٤٣٤):

وهي نسخة تامة في مجلدين: الأول عدد أوراقه ٢٩٩ ورقة، والثاني ٣٠٨ ورقة.

ورمزنا لها بالرمز (م).

وهي منسوخة سنة ٨١٥ هـ، وناسخها هو محمد بن محمد بن عبد المنعم بن أبي الورد بن القمر الأنصاري البعلبكّي.

١٠ - نسخة مكتبة كوبريلي بإستانبول، من مجموعة فاضل أحمد باشا:

وهي نسخة ناقصة، هذا الجزء الثاني منها، من غزوة أحد إلى آخر الكتاب.

وعدد أوراقها: ٣٥٤ ورقة. ورمزنا لها بالرمز (ف).

وهي منسوخة سنة ٧٠٥ هـ، وناسخها هو محمد بن محمد البلبيسي.

١١ - نسخة مكتبة شهيد علي - المكتبة السليمانية، رقم (١٨٩٢):

عدد أوراقها: ٣٤٠ ورقة. وهي نسخة كاملة، منسوخة سنة ٩٥٦ هـ، ولم يذكر الناسخ اسمه. ورمزنا لها بالرمز (ش١).

١٢ - نسخة ثانية من مكتبة شهيد علي، رقم (١٨٩١):

عدد أوراقها: ١٥٢ ورقة. وهي نسخة ناقصة، هذا الجزء الثالث منها، وهي منسوخة سنة ٧٣١ هـ، ولم يذكر الناسخ اسمه.

وهي نسخة متقنة، مقابلة ومصحَّحة. ورمزنا لها بالرمز (ش٢).

وهذه النسخ الأربعة الأخيرة مرسلة إلينا من الأستاذ رعد الحريري حفظه الله وجزاه خير الجزاء[1].

وفي الختام، فهذه سيرةُ سيّد الأنام محمد بن عبد الله، صلواتُ الله عليه، نقدّمها للعلماء وطلبة العلم، مدقَّقةً منقّاةً، ومضبوطةً على أصحّ النسخ وأفضلها، مع حرصنا ـ إن شاء الله ـ على الوفاء بمتطلَّبات التحقيق، وما يلزم النصَّ من التحرير والبيان والتعليق. فنسأله تعالى القَبُول، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، مع رجاء التوجيه والنصيحة حيثما لزم؛ وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

عمّان في: ٣ ربيع أول ١٤٤٣هـ

٩ أكتوبر ٢٠٢١م

---

(١) وعندنا منه نسخ أخرى لم نعتمدها إجمالاً، إلا أنا كنّا نستأنس بها في بعض المواضع.

نماذج من النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي

قال الشيخ الإمام العالم العلامة القدوة المحقق لسان الأدب وترجمان العرب وحيد عصره وفريد دهره أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري قدس الله روحه

ذكر سرد النسب الزكي

من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري

هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة ابن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي واسم قصي زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروح بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون والله أعلم وهو أول بني آدم أعطي النبوة وخط بالقلم بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام. قال أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام وما فيه من حديث إدريس وغيره قال ابن هشام وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي عن شيبان بن زهير بن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة أنه قال إسماعيل بن إبراهيم خليل الله بن تارح وهو آزر بن ناحور بن أسرغ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنخ بن يرد بن مهلائيل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام قال ابن هشام وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليهما وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وتارك بعض ما ذكره ابن إسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ومستقص ما سوى ذلك

الصفحة الأولى من نسخة (ت)

فليتنا يوم واروه بلحده وغيبوه والقوا فوقه المدرا • لم يترك الله منا بعده احدا ولم يعش بعده انثى ولا ذكرا

ذلت رقاب بني النجار كلهم وكان امرا من امر الله قد قدرا • واقتسم الفيء دون الناس كلهم وبددوه جهارا بينهم بددا

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم

اليت ما في جميع الناس مجتهدا مني الية بر غير افناد • تالله ما حملت انثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الامة الهادي

ولا برا الله خلقا من بريته اوفى بذمة جار او بميعاد • من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الامر ذا عدل وارشاد

امسى نساؤك عطلن البيوت فما يضربن فوق قفا ستر باوتاد • مثل الرواهب يلبسن المباذل قد ايقن بالبؤس بعد النعمة البادي

يا افضل الناس اني كنت في نهر اصبحت منه كمثل المفرد الصادي • قال ابن هشام عجز البيت الاول عن غير ابن اسحق

تم ... سير سيدنا ونبينا وحبيبنا • المصطفى الهاشمي القرشي الابطحي خيرة الله من الخلق رسول • الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وعلى • اله وصحابته وعترته وسلم الى يوم الدين والمعاد

وكتب هذه النسخة المباركة السنية لنفسه العبد الفقير المستغفر لذنبه المستشفع بنبيه عند ربه محمد بن عبد الغني بن يحيى بن محمد بن ابي بكر بن منصور بن محمد بن ابي بكر الحنبلي الحراني غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ولمن قرأه ودعا له بالمغفرة والرحمة وكان الفراغ من نسخ هذه السيرة المباركة اليوم الثالث من شهر ذي القعدة من شهور سنة ست وعشرين وسبع مائة بالقاهرة المحروسة المعزية بخط الزركشية العتيقة بحوارين القصرين جعلها الله مباركة ... لناسخها بالغفران والثواب

الحمد لله رب العالمين على اتمامها والصلاة والسلام • على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا • وحسبنا الله ونعم الوكيل

الصفحة الأخيرة من نسخة (ت)

[illegible] واليه انيب

[illegible] والنسب الزكي من محمد صلى الله عليه

الي ادم عليه السلام

قال ابو محمد [illegible] النحوي هذا كتاب سيرة رسول الله [illegible] محمد بن عبد الله

بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف

المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة

ابن مدركة واسم مدركة عامر بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان بن اد بن مقوم بن ناحور

بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسمعيل بن ابرهيم خليل الرحمن بن تارح وهو ازر بن ناحور

بن ساروح بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن

خنوخ وهو ادريس النبي فيما يزعمون والله اعلم وكان اول بني ادم اعطي النبوة وخط بالقلم بن يرد

بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن ادم صلى الله عليه وسلم قال حدثنا ابو سعيد عبد الرحيم

بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي قال حدثنا ابو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله

البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي هذا الذي [illegible] من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه واله الي

ادم وما فيه من حديث ادريس وغيره قال ابن هشام وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي

عن شيبان بن زهير ابن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة انه قال اسمعيل بن ابرهيم خليل الرحمن

بن تارح وهو ازر بن ناحور بن اسرغ بن ارعو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن

لامك بن متوشلخ بن اخنخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن انوش بن شيث بن ادم قال ابن هشام وانا

ان شا الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسمعيل بن ابرهيم ومن ولد رسول الله صلى الله عليه واله من ولده

واولادهم لاصلابهم الاول فالاول من اسمعيل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعرض من

حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد اسمعيل علي هذه الجهة للاختصار الي حديث سيرة رسول الله

صلى الله عليه وتارك بعض ما ذكره ابن اسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه واله

فيه ذكر ولا نزل فيه من القران شي وليس سببا لشي من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا

عليه لما ذكرت من الاختصار واشعارا ذكرها لم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرفها واشيا بعضها

يشنع الحديث به وبعض يسو بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ومستقص

ان شا الله ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به ۞

النسب من ولد اسمعيل عليه السلام

قال ابن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال ولد اسمعيل بن ابرهيم

الصفحة الأولى من نسخة (ي)

بأبي وأمي من شهدت وفاته [illegible] يوم الاثنين النبي المهتدي ۵ فظللت بعد وفاته متبلدا متلددا يا ليتني لم
أولد ۵ أأقيم بعدك بالمدينة بينهم يا ليتني صبحت سم الأسود ۵ أو حل أمر الله فينا عاجلا في
روحة من يومنا أو في غد ۵ فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا محضا ضرائبه كريم المحتد ۵ يا بكر آمنة
المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد ۵ نورا أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك
يهتدي ۵ يا رب فاجمعنا معا ونبينا في جنة تثني عيون الحسد ۵ في جنة الفردوس فاكتبها لنا
يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد ۵ والله أسمع ما حييت بهالك إلا بكيت على النبي محمد ۵
يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد ۵ ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا سودا
وجوههم كلون الإثمد ۵ ولقد ولدناه وفينا قبره وفضول نعمته بنا لم نجحد ۵ والله أكرمنا به وهدى
به أنصاره في كل ساعة مشهد ۵ صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد ۵
قال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه ۵
نب المساكين أن الخير فارقهم مع النبي تولى عنهم سحرا ۵ من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي ورزق أهلي
إذا لم يؤنسوا المطرا ۵ أم من نعاتب لا نخشى جنادعه إذا اللسان عتا في القول أو عثرا ۵
كان الضياء وكان النور نتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا ۵ فليتنا يوم واروه بملحده وغيبوه
وألقوا فوقه المدرا ۵ لم يترك الله منا بعده أحدا ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا ۵ ذلت رقاب
بني النجار كلهم وكان أمرا من امر الله قد قدرا ۵ واقتسم الفيء دون الناس كلهم وبددوه جهارا
بينهم هدرا ۵ وقال حسان أيضا يبكي رسول الله صلى الله عليه
آليت ما في جميع الناس مجتهدا مني ألية بر غير إفناد ۵ تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول
نبي الأمة الهادي ۵ ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد ۵ من الذي كان فينا
يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد ۵ أمسى نساؤك عطلن البيوت فما يضربن فوق
قفا ستر بأوتاد ۵ مثل الرواهب يلبسن المباذل قد أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي ۵
يا أفضل الناس إني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد الصادي ۵ قال ابن هشام
عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق ۵

تم كتاب سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين

وكان الفراغ منها في اليوم الخامس عشر من شهر شوال المبارك سنة [illegible] للهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلوة والسلم ۵ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الصفحة الأخيرة من نسخة (ي)

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل
ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وآله الى آدم عليه السلم
قال ابو محمد عبد الملك بن هشام النحوي هذا كتاب سيرة رسول الله
صلى الله عليه وآله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة
بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي واسم
قصي زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن ملك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
بن مدركة واسم مدركة عامر بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن ادد بن مقوم
ابن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسمعيل بن ابرهيم خليل الرحمن بن تارح وهو
آزر بن ناحور بن ساروح بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن
لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس النبي فيما يزعمون والله اعلم وكان اول بني
آدم أعطي النبوة وخط بالقلم ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه
قال ابو محمد عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق
المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آدم وما فيه
من حديث ادريس وغيره قال ابن هشام وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي
عن شيبان بن زهير بن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة انه قال اسمعيل بن ابرهيم خليل الله
ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن اسرغ بن ارغو بن فالح بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح
ابن لامك بن متوشلخ بن اخنخ بن يرد بن مهلايل بن قاين بن انوش بن شيث بن آدم قال
ابن هشام وانا ان شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسمعيل بن ابرهيم ومن ولد
رسول الله صلى الله عليه وآله من ولده واولادهم لاصلابهم الاول فالاول من اسمعيل
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد
اسمعيل على هذه الجهة للاختصار الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله
وتارك بعض ما ذكره ابن اسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله فيه
ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له

الصفحة الأولى من نسخة (ص)

صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

قال ابن إسحق وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم

نبّ المساكين أن الخير فارقهم مع النبي تولى عنهم سحرا

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا

أم من نعاتب لا نخشى جنادعه إذا اللسان عتا في القول أو عثرا

كان الضياء وكان النور نتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا

فليتنا يوم واروه بملحده وغيبوه وألقوا فوقه المدرا

لم يترك الله منا بعده أحدا ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا

ذلت رقاب بني النجار كلهم وبددوه جهارا بينهم هدرا

واقتسم الفيء دون الناس كلهم وبددوه جهارا بينهم هدرا

وكان أمرا من أمر الله قد قدرا صح

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم

آليت ما في جميع الناس مجتهدا مني ألية بر غير إفناد

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي

ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد

من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

أمسى نساؤك [illegible] البيوت فما يضربن فوق قفا ستر بأوتاد

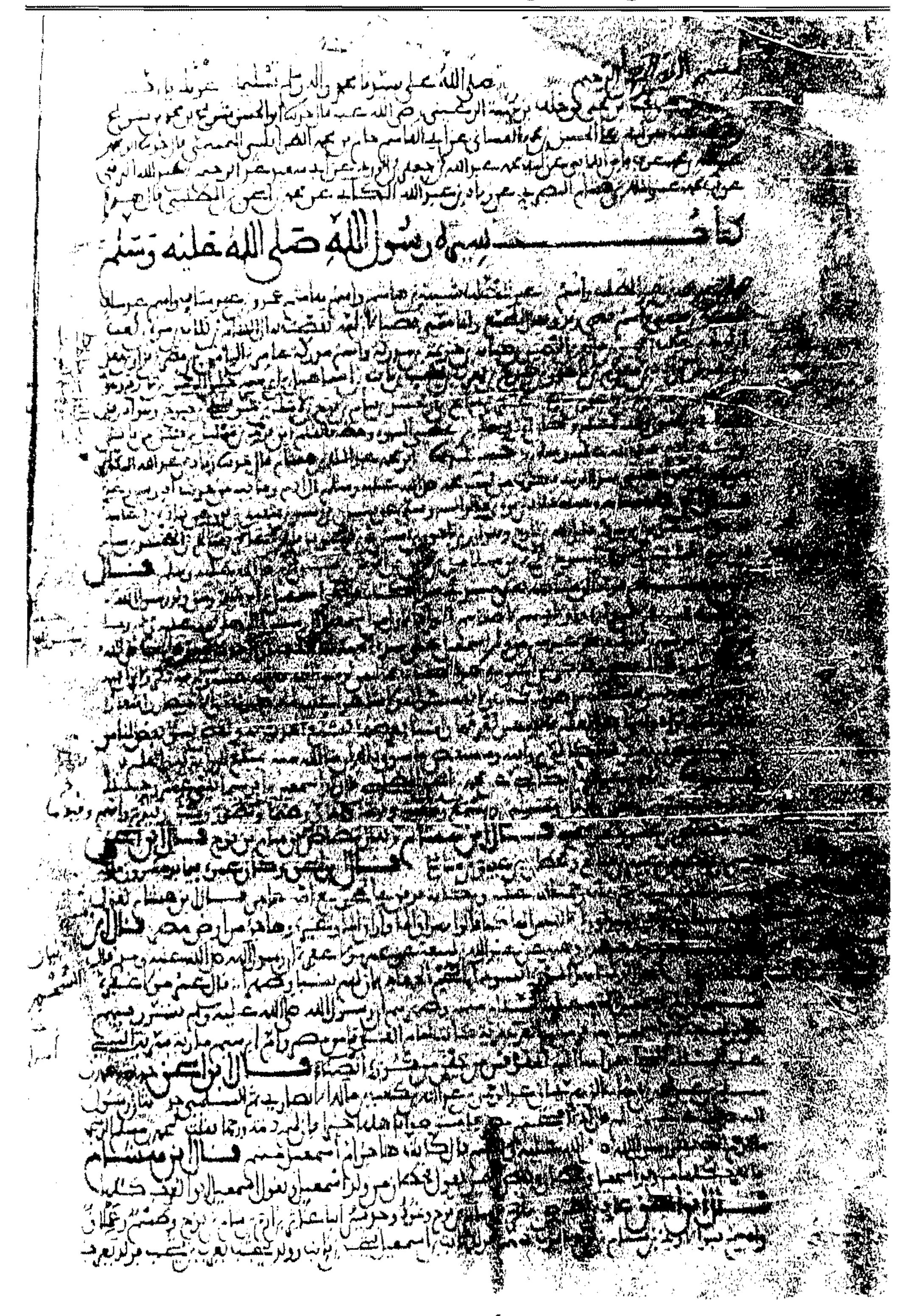
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي

يا أفضل الناس إني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

قال ابن هشام عجز البيت الأول عن غير ابن إسحق

نجزت السيرة [illegible] على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وذلك في صباح الأربعاء العاشر من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين [illegible] والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وصلى الله على نبي الرحمة وشفيع الأمة وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته أجمعين إنه سميع قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل

الصفحة الأخيرة من نسخة (ص)



الصفحة الأولى من نسخة (غ)

الصفحة الأخيرة من نسخة (غ)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

أمر أبي قيس بن أبي أنس

قال ابن إسحق: فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره، وأظهر الله بها دينه، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أخو بني عدي بن النجار

قال ابن هشام: أبو قيس صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدي ابن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. قال ابن إسحق: وكان رجلا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا يدخل عليه فيه طامث ولا جنب وقال أعبد رب إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم فحسن إسلامه وهو شيخ كبير وكان قوالا بالحق معظما لله في جاهليته يقول أشعارا في ذلك حسانا وهو الذي يقول:

يقول أبو قيس وأصبح غاديا ... ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا

أوصيكم بالله والبر والتقى ... وأعراضكم والبر بالله أول

وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم ... وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا

وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم ... فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا

وإن ناب غرم فادح فارفقوهم ... وما حملوكم في الملمات فاحملوا

الصفحة الأولى من ج ٢ من نسخة (ز)

١٧١

أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوها حتى فتح الله عز وجل عليه مكة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

آخر الجزء الثاني من الثلاثة أجزاء من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه في الثالث إن شاء الله تعالى ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

[illegible]

على يد العبد الفقير الحقير المعترف بالتقصير الراجي غفران ربه القدير [illegible] محمد [illegible] المقري عفر الله له ولوالديه [illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من ج٢ من نسخة (ز)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وسلم إلى آدم
عليه السلام. قال أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي: هذا كتاب سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب شيبة بن
هاشم، واسم هاشم عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة بن قصي، واسم قصي زيد
ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة، واسم مدركة عامر بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن
مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن
ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروح بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ
بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون والله أعلم
وكان أول بني آدم أعطي النبوة وخط بالقلم بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن
شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم. قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله
البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى آدم وما فيه من حديث إدريس وغيره. قال ابن هشام: وحدثني خلاد بن قرة
ابن خالد السدوسي عن شيبان بن زهير بن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة أنه قال: إسماعيل
ابن إبراهيم خليل الله بن تارح وهو آزر بن ناحور بن أسرغ بن أرغو بن عابر بن شالخ بن
أرفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين
ابن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. قال ابن هشام: وأنا إن شاء الله مبتدئ
هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده
وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعرض
من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما
ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سببا ل
لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار، وأشعارا
ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء
الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقص إن شاء الله ما سوى ذلك
منه بمبلغ الرواية له والعلم به. سياقة النسب الشريف من ولد إسماعيل

الصفحة الأولى من نسخة (ش١)

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي ... ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا

أم من نعاتب لا نخشى جنادعه ... إذا اللسان عتا في القول أو عثرا

كان الضياء وكان النور نتبعه ... بعد الإله وكان السمع والبصرا

فليتنا يوم واروه بملحده ... وغيبوه وألقوا فوقه المدرا

لم يترك الله منا بعده أحدا ... ولم نعش بعده أنثى ولا ذكرا

ذلت رقاب بني النجار كلهم ... وكان أمرا من أمر الله قد قدرا

واقتسم الفيء دون الناس كلهم ... وبددوه جهارا بينهم هدرا

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم

آليت ما في جميع الناس مجتهدا ... مني ألية بر غير إفناد

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت ... مثل الرسول نبي الأمة الهادي

ولا برى الله خلقا من بريته ... أوفى بذمة جار أو بميعاد

من الذي كان فينا يستضاء به ... مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

أمسى نساؤك عطلن البيوت فما ... يضربن فوق قفا ستر بأوتاد

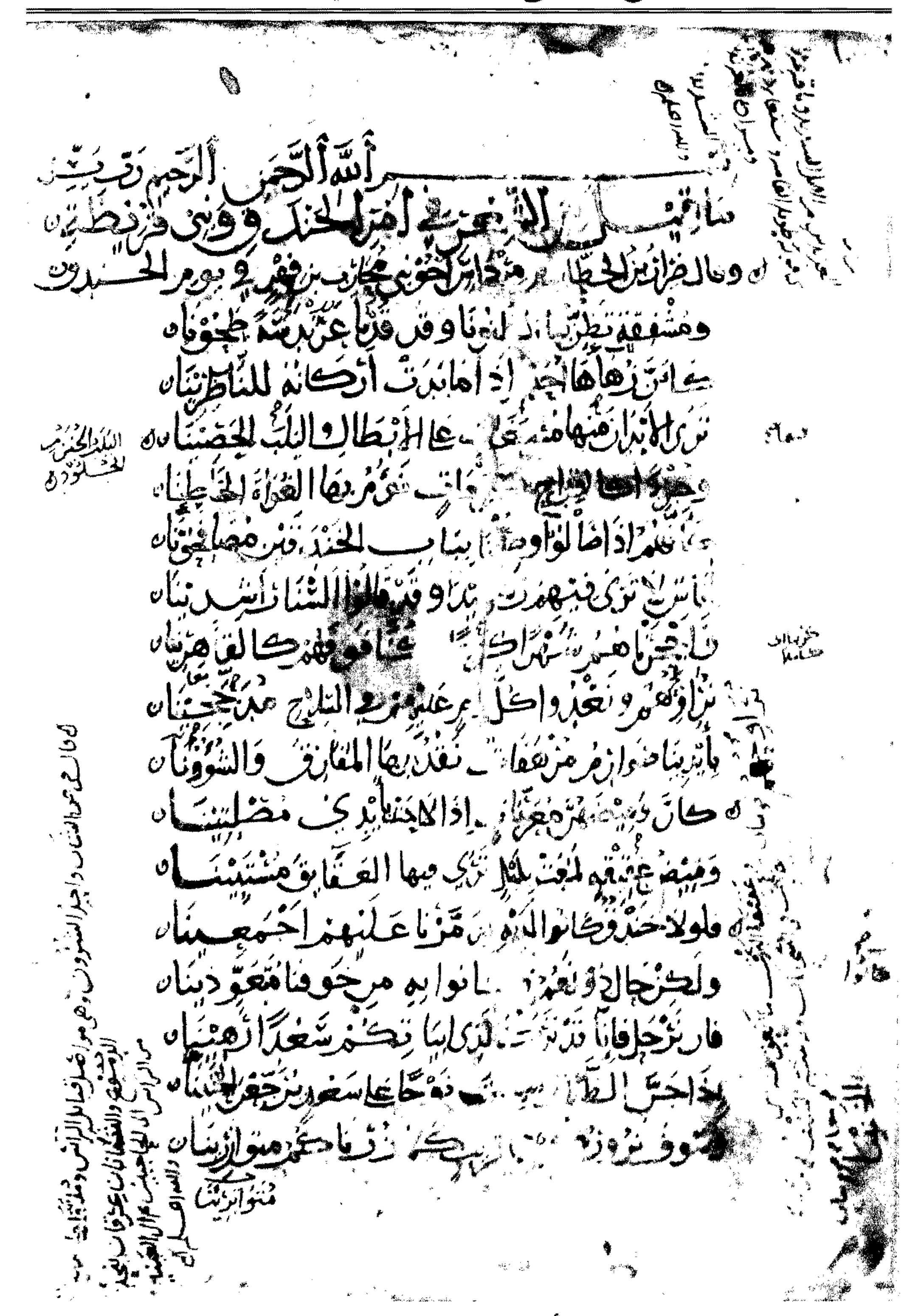
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد ... أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي

يا أفضل الناس إني كنت في نهر ... أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

قال ابن هشام عجز البيت الأول عن غير ابن إسحق. هذا آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين. كمل كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة ظهر يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى أحد شهور سنة ست وخمسين وتسعمائة هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

يعش

الصفحة الأخيرة من نسخة (ش ١)



الصفحة الأولى من ج٣ من نسخة (ش٢)

الصفحة الأخيرة من ج٣ من نسخة (ش٢)

بسم الله الرحمن الرحيم . ربِّ يسِّر وأعن يا كريم .

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق

ومشفقةٍ تظن بنا الظنونا . وقد قُدنا عرندسةً طحونا .

كأنَّ زهاءها أُحُدٌ إذا ما . بدت أركانه للناظرينا .

ترى الأبدان فيها مسبغاتٍ . على الأبطال واليلب الحصينا

وجُرداً كالقداح مسوَّماتٍ . نؤمُّ بها الغواة الخاطئينا .

كأنهم إذا صالوا وصُلنا . بباب الخندقين مصافحونا .

أناسٌ لا نرى فيهم رشيداً . وقد قالوا ألسنا راشدينا

فأحجرناهم شهراً كريتاً . وكنا فوقهم كالقاهرينا

نراوحهم ونغدو كل يومٍ . عليهم في السلاح مدججينا

بأيدينا صوارم مرهفاتٌ . نقدُّ بها المفارق والشؤونا

كأنَّ وميضهنَّ معرَّياتٍ . إذا لاحت بأيدي مصلتينا .

وميض عقيقةٍ لمعت بليلٍ . ترى فيها العقائق مستبينا .

فلولا خندقٌ كانوا لديه . لدمَّرنا عليهم أجمعينا .

ولكن حال دونهم وكانوا . به من خوفنا متعوِّذينا

فإن نرحل فإنا قد تركنا . لدى أبياتكم سعداً رهينا

الصفحة الأولى من ج٣ من نسخة (ط)

وأفضل الأنبياء أجمعين عبد من تخبا في تصدي سليمان
ابن عمر كيكلدي . بمدينة طرابلس الشام حرسها الله تعالى
غفر الله ذنوبه . وستر عيوبه . ولوالديه ولإخوانه ولأحبابه
ولجميع المسلمين في تاريخ خامس عشر ذي القعدة الحرام من شهور
سنة اثني عشر وثمان مائة احسن الله عاقبتها
والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد
نبي الرحمة . وشفيع الأمة وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته
وعترته أجمعين . إنه قريب مجيب
وحسبنا الله ونعم الوكيل

ابن لبس

الصفحة الأخيرة من ج٣ من نسخة (ط)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام البارع اللغوي الأخباري حافظ السنن
والسير ومليها الإمام محمد بن إسحق رحمه الله تعالى
وقال كعب بن مالك

فغودر منهم كعب صريعا ... فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته ... بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا ... إلى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقة جسور

قال الإمام الحافظ المتقن ناقل السيرة المحمدية المقطوعة
النبوية وحافظ اللغة العربية ومتقن سائر الفنون
الأدبية ابن هشام وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير

الصفحة الأولى من ج٢ من نسخة (ف)

ذلّت رقابُ بني النّجار كلّهم وكان أمر من أمر الله قد قدرا
لم يترك الله منا بعده أحدا لم ...
وأقسم الفيّ دون الناس كلهم وبددوه جهارا بينهم هدرا
وقال حسان أيضا يبكي رسول الله صلى الله
عليه وسلم
آليت ما في جميع الناس مجتهدا مني ألية بر غير إفناد
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي
يا أفضل الناس إني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد الصادي
قال ابن هشام عجز البيت الأول عن غير ابن إسحق
تم كتاب سيرة سيدنا ونبينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعون الله وتوفيقه والحمد لله أولا

بلغ قراءة ومقابلة فصح ولله الحمد

وآخرا وظاهرا وباطنا وكان الفراغ منها يوم الأحد
سادس عشر شوال سنة خمس وسبع مائة وذلك على
يد الفقير لعفو ربه محمد بن محمد البلبيسي عفا الله
ولطف به وغفر له ولوالديه ولمن نظر فيها ولمالكها ولجميع
المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا دائما إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

الصفحة الأخيرة من ج٢ من نسخة (ف)

الصفحة الأولى من نسخة (ق١)

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة وقال ضرار بن الخطاب
بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق

ومشفقةٍ تظنُّ بنا الظنونا ... وقد قُدنا عرندسةً طحونا
كأنَّ زهاءها أُحُدٌ إذا ما ... بدت أركانه للناظرينا
ترى الأبدانَ فيها مُسبغاتٍ ... على الأبطالِ واليلبَ الحصينا
وجُرداً كالقِداحِ مسوَّماتٍ ... نؤمُّ بها الغواةَ الخاطئينا
كأنَّهم إذا صالوا وصلنا ... بباب الخندقين مصافحونا
أناسٌ لا نرى فيهم رشيداً ... وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهمُ شهراً كريتاً ... وكنّا فوقهم كالقاهرينا
نُراوحهم ونغدو كلَّ يومٍ ... عليهم في السلاح مدجَّجينا
بأيدينا صوارمُ مرهفاتٌ ... نقدُّ بها المفارقَ والشئونا
كأنَّ وميضهنَّ معرَّياتٍ ... إذا لاحت بأيدي مُصلتينا
وميضُ عقيقةٍ لمعت بليلٍ ... ترى فيها العقائقَ مستبينا
فلولا خندقٌ كانوا لديه ... لدمَّرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهمُ وكانوا ... به من خوفنا متعوِّذينا
فإن نرحل فإنّا قد تركنا ... لدى أبياتكم سعداً رهينا
إذا جنَّ الظلامُ سمعتَ نوحاً ... على سعدٍ يُرجِّعن الحنينا
وسوف نزوركم عمّا قريبٍ ... كما زرناكمُ متوازرينا

الصفحة الأولى من نسخة (ق٢)

آليتُ ما في جميع الناس مجتهدًا ... مني أليّةَ برٍّ غيرِ إفنادِ

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت ... مثلَ الرسول نبيِّ الأمة الهادي

ولا برا الله خلقًا من بريته ... أوفى بذمة جارٍ أو بميعادِ

من الذي كان فينا يُستضاءُ به ... مباركَ الأمر ذا عدلٍ وإرشادِ

أمسى نساؤك عطّلن البيوت فما ... يضربن فوق قفا سترٍ بأوتادِ

مثلَ الرواهب يلبسن المباذل قد ... أيقنّ بالبؤس بعد النعمة البادي

يا أفضلَ الناس إني كنتُ في نهرٍ ... أصبحتُ منه كمثل المفرد الصادي

قال ابن هشام: عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق.

انقضى كتاب سيرة النبي سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ~~[illegible]~~

هذا آخر الجزء الثلاثين

من أجزاء الوزير أبي القاسم

وهو آخره ولله الحمد

اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين

وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة

اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون [illegible]

اللهم [illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يا أرحم الراحمين

الصفحة الأخيرة من نسخة (ق٢)



الصفحة الأولى من ج١ من نسخة (م)

عدة الأسارى

ابن إسحق فجميع من حفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا قال ابن هشام
وقع من جملة العدة رجل لم أذكر اسمه ومن لم يذكر ابن إسحق من الأسارى
من بني هاشم بن عبد مناف عتبة حليف لهم من بني فهر رجل ومن بني المطلب
ابن عبد مناف عقيل بن عمرو حليف لهم وأخوه تميم بن عمرو وابنه ثلاثة
نفر ومن بني عبد شمس بن عبد مناف خالد بن أسيد بن أبي العيص وأبو
العريض يسار مولى العاص بن أمية رجلان ومن بني نوفل بن عبد مناف
نبهان مولى لهم رجل ومن بني أسد بن عبد العزى عبد الله بن حميد بن
الحرث رجل ومن بني عبد الدار بن قصي عقيل حليف لهم من اليمن رجل ومن
بني تيم بن مرة مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ومن
بني مخزوم بن يقظة قيس بن السائب رجل ومن بني جمح بن عمرو عمرو بن
أبي بن خلف وأبو رهم بن عبد الله حليف لهم وحليف لهم ذهب عني
اسمه وموليان لأمية بن خلف أحدهما نسطاس وأبو رافع غلام أمية
ابن خلف ستة نفر وأسلم مولى الحجاج رجل ومن بني عامر بن لؤي
حبيب بن جابر والسائب بن مالك رجلان ومن بني الحرث بن فهر
شافع وشفيع حليفان لهم من اليمن رجلان

تم الجزء الخامس عشر من سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجزاء الوزير
أبي القسم بن المغربي من نسخة ثلثين جزءا

أنهاه كتابة محمد بن محمد بن عبد المنعم بن أبي الورد بن القرا الأنصاري البعلبكي عفا الله عنه
في سابع عشر الحجة من سنة خمس عشرة وثمانمائة
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل

الصفحة الأخيرة من ج١ من نسخة (م)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ذكر ما قيل من الشعر في يوم بدر

قال ابن إسحق وكان مما قيل من الشعر في يوم بدر من الشعر وتراد به القوم بينهم لما كان فيه من قول حمزة بن عبد المطلب رحمه الله
قال ابن هشام وأكثر أهل العلم ينكرها ونقيضتها

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم فحانوا تواصٍ بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم فكانوا رهوناً للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلي الهام حدها مشهرة الألوان بينة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاوياً وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤي بن غالب كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون وإنني أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر



الصفحة الأولى من ج٢ من نسخة (م)

صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم

نب المساكين أن الخير فارقهم مع النبي تولى عنهم سحرا

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي ورزق أهلي إذا لم يونسوا

أم من نعاتب لا نخشى جنادعه إذا اللسان عتا في القول أو عثرا

كان الضياء وكان النور نتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا

فليتنا يوم واروه بملحده وغيبوه وألقوا فوقه المدرا

لم يترك الله منا بعده أحدا ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا

ذلت رقاب بني النجار كلهم وكان أمرا من أمر الله قد قدرا

واقتسم الفيء دون الناس كلهم وبدده جهارا بينهم هدرا

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم

آليت ما في جميع الناس مجتهدا مني ألية بر غير إفناد

بالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي

ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد

من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

أمسى نساؤك عطلن البيوت فما يضربن فوق قفا ستر بأوتاد

مثل الرواهب يلبسن المباذل قد أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي

يا أفضل الناس إني كنت في نهر أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

قال ابن هشام عجز البيت الأول عن غير ابن اسحق تم الديوان أجمع انقضى

ذات سيرة سيدنا محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الجزء الثالث

الصفحة الأخيرة من ج٢ من نسخة (م)

سيرة رسول الله ﷺ

صلى الله عليه وسلم

(المعروفة بسيرة ابن هشام)

للإمام البارع اللغوي الأخباري عبد الملك بن هشام بن أيوب المصري

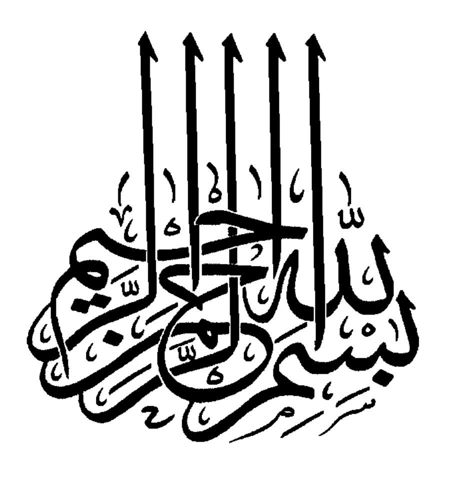
المتوفى سنة ٢١٨ هـ

حققها على أصولها وضبط نصها وخرج أحاديثها وعلق عليها

د. همام عبد الرحيم سعيد   عادل مرشد القدسي

مقابلة على اثنتي عشرة نسخة خطية، منها ست تامة وست أجزاء متفرقة

مع العناية بتحرير أماكن الأحداث منها وبيان مواقعها الجغرافية


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي

قال الشيخُ الإمام العالم العلَّامة القُدْوة المحقِّق، لسانُ الأدب، وتَرجُمانُ العرب، وحيدُ عصره، وفريدُ دهره، أبو محمدٍ عبدُ الملك بن هشامٍ الحِمْيَريُّ المَعَافِريُّ، قدَّس الله رُوحَه:

ذكرُ سَرْد النَّسب الزَّكيّ

من محمدٍ رسولِ الله ﷺ إلى آدمَ عليه السلام

قال أبو محمدٍ عبدُ الملك بن هشامٍ النَّحْويُّ المَعَافِريُّ:

هذا كتاب سيرة رسول الله ﷺ محمدِ بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب، واسم عبد المُطَّلِب: شَيْبةُ بن هاشم، واسم هاشمٍ عَمرُو بن عبد مَنَاف، واسم عبد مَنَافٍ المغيرةُ ابن قُصَيّ، واسم قُصَيٍّ زيدُ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنَانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة، واسم مُدْرِكةَ عامرُ بن الْياسِ[1] بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدِّ بن عدنان[2] بن أُدَد بن مُقوِّم بن ناحُور بن تَيرَح بن يَعرُب بن

(١) قال فيه ابن الأنباري: إلياس، بكسر الهمزة، وجعله موافقاً لاسم إلياسَ النبيِّ صلّى الله عليه، وقال في اشتقاقه أقوالاً، قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ١/ ٥٩: والذي قاله غيرُ ابن الأنباري أصحُّ، وهو أنه الْياس، سُمّي بضدّ الرَّجاء، واللام فيه للتعريف، والهمزة همزةُ وصلٍ.

(٢) إلى هنا اتَّفق النسابون في سرد أنساب العرب من ولد إسماعيل، قال ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص٧: عدنان من ولد إسماعيل بلا شكٍّ في ذلك، إلا أن تسمية الآباء بينه وبين إسماعيل قد جُهِلَت جُملةً، وتكلَّم في ذلك قوم بما لا يصحُّ. وانظر «البداية والنهاية» لابن كثير =

يَشجُب بن نابِت بن إسماعيل بن إبراهيم - خليلِ الرَّحمن - بن تارَحَ، وهو آزَرُ بن ناحُور بن سارُوح بن راغُو[1] بن فالَخ بن عَيبَر بن شالَخ بن أَرْفَخشَد[2] بن سام بن نوحٍ عليه السلام بن لامِك[3] بن مَتُّوشَلَخ بن خَنُوخ - وهو إدريسُ النبيُّ فيما يَزعُمون، والله أعلم، وهو أولُ بني آدم أُعطيَ النبوّةَ وخطَّ بالقَلَم - بن يَرْد بن مَهْلِيل بن قَيْنَن[4] ابن يانش بن شِيْث[5] بن آدمَ عليه السلام.

= ٣/ ٢٠٣-٢٠٧.

وأما ما رواه الحاكم (٣٥٦١) و(٣٧٧١) عن أم سلمة أنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَعَدُّ بنُ عدنان بن أُدَد بن زَنْد بن ثَرَا بن أعراق الثَّرى»، ثم قالت: وأعراق الثَّرى إسماعيل بن إبراهيم، وزَنْدٌ هَمَيسَع، وثرا نَبْتٌ. فإسناده ضعيف لا يصحّ.

(١) كذا في (ت)، وفي غيرها: راعو، بالعين المهملة، وجاء في المصادر الأخرى هكذا وهكذا.

(٢) يختلف أصحاب النسخ الخطية والمصادر في الحرف الأخير منه، فمنهم من يكتبه بدال مُهمَلة، ومنهم من يكتبه بالذال المُعجَمة، وهو عند أهل الكتاب في العهدين القديم والجديد: أرفكشاد.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية وبعض المصادر كـ«نسب قريش» لمصعب الزُّبيري، و«أنساب الأشراف» للبَلاذُري؛ بألفٍ بعد اللام، وقُيّد بالحركات في (ص) بفتح الميم وكسرها، وكُتب فوقها: معاً، وكذا نصَّ عليه وقيّده بالحروف ابنُ الملقِّن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» ٢/ ١٨، ويقال فيه أيضاً كما في أغلب المصادر: لَمْك، بلا ألف، وكذا قيّده الحافظ ابن حجر بالحروف في «فتح الباري» ١٠/ ٢٦.

(٤) هكذا قُيِّد في (ص) بفتح القاف والنون، وانظر ضبط هذه الأسماء عند العينيّ في «عمدة القاري» ١٥/ ٢١٦.

(٥) وكذا هو بالعبرانية، بكسر الشين والياء الساكنة بعدها ثاء، ويقال: شاث، بالسُّريانية. انظر «التوضيح» ٢/ ٢١، و«عمدة القاري» ١٥/ ٢١٧. وفي (ت) و(ص): شث، بلا ياء، وقيّدها في (ص) بفتح الشين وتشديد الثاء.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثنا زياد بن عبد الله البَكّائي عن محمد ابن إسحاق المُطَّلِبي بهذا الذي ذكرتُ من نسبِ محمد ﷺ إلى آدم عليه السلام، وما فيه من حديث إدريس وغيره.

قال ابن هشام: وحدّثني خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي، عن شَيْبان بن زهير ابن شَقِيق بن ثَوْر، عن قَتَادة بن دِعَامة أنه قال: إسماعيلُ بن إبراهيم ـ خليلِ الله ـ ابن تارَح، وهو آزَر بن ناحُور بن أسرَغ بن أرْغُو بن فالَخ بن عابَر[1] بن شالَخ بن ذي الفخشر[2] بن سام بن نوحٍ عليه السلام بن لامِك بن مَتُّوشَلَخ بن أهنُخ بن يَرْدَ بن مَهلائِيل بن قايِن بن أنُوش بن شِيث بن آدم عليه السلام.

قال ابن هشام: وأنا إن شاءَ اللهُ مبتدئٌ هذا الكتابَ بذِكْر إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما، ومَن وَلَدَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله مِن ولدِه، وأولادِهم لأصلابهم، الأوّلَ فالأوّلَ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليهما، وما يَعرِضُ من حديثهم، وتاركٌ ذكرَ غيرِهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتاركٌ بعضَ ما ذَكَرَ ابنُ إسحاق في هذا الكتاب ممّا ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله فيه ذكرٌ، ولا نَزَلَ فيه من القرآن شيءٌ، وليس سبباً لشيءٍ من هذا الكتاب،

---

(١) ويقال: عيبر، كما سبق.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية، ولم نقف على من ذكره هكذا بالراء، ولكن يقال فيه: ألفخشذ، ويقال: أرنخشذ، ومعناه: مصباح مضيء. ذكر ذلك علاء الدين مغلطاي في «الإشارة إلى سيرة المصطفى» ص٥٣. وفي «التوضيح» لابن الملقِّن ١٩/ ٣١٨: يقال: النخشد، ويقال: الفخشد. قلنا: وفي معظم المصادر: أرفخشد، بالراء بعد الهمزة وآخره إمّا دال مهملة أو ذال معجمة، وهذا الاختلاف في الألفاظ بسبب الاختلاف في ترجمتها عن أهل الكتاب.

ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه؛ لما ذكرتُ من الاختصار، وأَشعاراً ذَكَرَها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشِّعر يَعرِفُها.

وأشياءَ بعضُها يَشنُع الحديثُ به، وبعضٌ يَسُوءُ الناسَ ذكرُه، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البَكّائيُّ بروايته، ومستقصٍ ما سوى ذلك منه بمَبلَغِ الرّوايةِ له، والعِلْمِ به.

سِيَاقةُ النَّسب من ولد إسماعيل

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبد الله البَكَّائيّ، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال: وَلَدَ إسماعيلُ بن إبراهيمَ اثني عشرَ رجلاً: نابتَ بن إسماعيل، وكان أكبَرَهم، وقَيذَر، وأذبُل، ومَنشِي، ومَسمَع، وماشِي، ودَمّا، وأذُر، وطَيْما، ويَطُور، ونبش، وقيذُما، وأمُّهم بنتُ مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمي.

قال ابن هشام: ويقال: مِضَاض، وجُرهُمُ ابنُ قَحْطانَ ـ وقحطانُ أبو اليمن كلِّها، وإليه يجتمع نسبُها ـ بنِ عابَر بن شالَخ بن أَرفخشَد بن سام بن نوحٍ عليه السلام.

قال ابن إسحاق: وجُرهُم بن يَقطُن بن عَيبَر بن شالَخ، وقحطان بن عَيبَر بن شالَخ.

قال ابن إسحاق: وكان عمُرُ إسماعيل ـ فيما يذكرون ـ مئةَ سنةٍ وثلاثين سنةً، ثمّ مات رحمة الله عليه وبركاته، فدُفِنَ في الحِجْر مع أمّه هاجَرَ[1].

قال ابن هشام: تقول العرب: هاجَرُ وآجَرُ، فيُبدِلون الألفَ من الهاء، كما قالوا: هَرَاقَ الماءَ، وأَراقَ الماءَ، وغيرَه، وهاجرُ من أهل مِصْر.

قال ابن هشام: حدّثنا عبد الله بن وَهْب، عن عبد الله بن لَهِيعةَ، عن عمر مولى غُفْرةَ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «اللهَ اللهَ في أهلِ الذِّمّةِ، أهلِ المَدَرَةِ السَّوداءِ، السُّحْمِ

(١) والله أعلم بحقيقة ذلك!

الجِعَادِ، فإنَّ لهم نَسَباً وصِهراً»[1].

قال عمر مولى غُفْرة: نَسَبُهم: أنّ أمَّ إسماعيلَ النبيِّ عليه السلام منهم، وصِهرُهم: أنّ رسول الله ﷺ تَسَرَّر فيهم[2].

قال ابن لَهِيعة: أمُّ إسماعيل هاجَرُ، من أمِّ العَرَب، قريةٍ كانت أمام الفَرما[3] من مِصْر، وأمُّ إبراهيم عليه السلام مارِيَةُ سُرِّيَّةُ النبي ﷺ، التي أهداها له المُقَوقِسُ من حَفْنٍ من كُورة أَنْصِنا[4].

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مُسلِم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شِهاب

---

(١) إسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة وضعف عمر مولى غُفرة وإرساله له، فإنه من صغار التابعين.

وأخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٥٣-٥٤ عن ابن هشام، بهذا الإسناد.

وأخرجه الزبير بن بكّار في «المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» ص٦٠ عن محمد بن الحسن ابن زَبَالة ـ وهو متروك الحديث ـ عن عبد الله بن وهب، به.

المَدَرة: واحدة المَدَر، والعرب تسمي القرية: المَدَرة، وأهل المدر: أهل القرى.

والسُّحم: السُّود، واحده أَسحَم وسحماء. والجِعاد: جمع الجَعْد، وهوالذي في شَعرِه تكسير.

(٢) أي: اتّخذ سُرِّيّةً منهم، يعني مارِيَة القِبطية، والسُّرِّيّة: الجارية.

(٣) قُيّدت في (ت) و(ص) بسكون الراء، وقيّدها ياقوت في «معجم البلدان»: فَرَما، محرَّكة. والفرما: يعرف مكانها اليوم بتلّ الفرما، وهي في أقصى شمال مصر وتبعد عن شرق بورسعيد نحو ٣٠ كم.

وأما أمُّ العرب، فقال ياقوت في «معجمه» ١/ ٢٤٩: قرية كانت أمام الفرما من أرض مصر، ورواه بعضهم: أم العَريك.

(٤) أنْصِنا: مدينة من نواحي الصعيد على شرقيّ النيل، وحَفْن من قراها. والكُورة يراد بها الناحية أو الإقليم.

الزُّهْري، أن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ثم السَّلَمي حدَّثه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا افتَتحتُم مِصرَ فاستَوصُوا بأهلِها خيراً، فإنّ لهم ذِمّةً ورَحِماً»[1].

---

(١) حديث صحيح، وقد اختُلف على الزُّهري في وصله وإرساله.

فرواه ابن إسحاق كما هو هنا وفيما أخرجه عنه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٥٠، والطبري في «تاريخه» ١/ ٢٤٧، وابن البخاري في «مشيخته» (٨٣٦) عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب مرسلاً.

وتابعه على إرساله غير واحد، فقد أخرجه ابن سعد في «طبقاته» ١٠/ ٢٠٣ عن محمد بن عمر الواقدي، عن معمر بن راشد ومحمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي الزُّهْري، وابن عبد الحكم ص ٤٩-٥٠ عن أشهب بن عبد العزيز وعبد الملك بن مسلمة عن مالك بن أنس، والبَلاذُري في «فتوح البلدان» ص ٢١٦، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٣٢٢ من طريق عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس والليث بن سعد، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٥٠ عن عبد الله بن صالح ومحمد بن رُمح عن الليث بن سعد، وص٥٠ من طريق سفيان بن عيينة، كلهم (معمر ومحمد ابن عبد الله ومالك والليث بن سعد، وابن عيينة) عن الزُّهري، عن ابن كعب بن مالك مرسلاً. هكذا قالوا: «ابن كعب بن مالك» ولم يسمّوه.

وخالفهم آخرون فوصلوه، وهم إسحاقُ بن راشد عند الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٦٦)، والطبراني في «الكبير» ١٩/ (١١١)، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٣٢٢، وعبدُ الرحمن ابن عمرو الأوزاعي عند الطحاوي (٢٣٦٤) و(٢٣٦٥)، والطبراني ١٩/ (١١٣)، ومالكُ بن أنس في رواية الوليد بن مسلم عنه عند الطبراني ١٩/ (١١٢)، ومعمرُ بنُ راشد في رواية هشام بن يوسف عنه عند الحاكم في «المستدرك» (٤٠٧٦)، فرَووه كلهم عن الزُّهري، عن ابنِ كعب بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره.

وله شاهد يصحّ به، من حديث أبي ذر الغفاريّ عند مسلم (٢٥٤٣) رفعه: «إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القِيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإنَّ لهم ذمّةً ورحماً». والقيراط، قال ابن =

فقلت لمحمد بن مسلم: ما الرَّحِمُ التي ذكر رسولُ الله ﷺ لهم؟ فقال: كانت هاجرُ أمُّ إسماعيل منهم.

قال ابن هشام: فالعرب كلُّها من إسماعيل وقَحْطان، وبعضُ أهل اليمن يقول: قحطانُ من ولدِ إسماعيل، ويقول: إسماعيلُ أبو العرب كلِّها.

قال ابن إسحاق: عادُ بن عُوص بن إرَم بن سام بن نوح، وثمودُ وجَدِيس أبناءُ عاثَر[1] بن إرَم بن سام بن نوح، وطَسْم وعِمْلاق وأُمَيم بنو لاوِذ بن سام بن نوح، عربٌ كلُّهم، فوَلَدَ نابِتُ بنُ إسماعيل يَشجُبَ بنَ نابت، فوَلَدَ يَشجُبُ يَعرُبَ بنَ يَشجُب، فوَلَدَ يعربُ تَيرَحَ بنَ يَعرُب، فوَلَدَ تَيرَحُ ناحُورَ بنَ تَيرَح، فوَلَدَ ناحُورُ مُقوَّمَ ابنَ ناحُور، فوَلَدَ مقوَّمٌ أُدَدَ بنَ مقوَّم، فوَلَدَ أُدَدُ عدنانَ بنَ أُدَد.

قال ابن هشام: ويقال: عدنان بن أُدٍّ.

تفرُّق القبائل من عدنان

قال ابن إسحاق: فمن عدنانَ تفرَّقت القبائلُ من ولد إسماعيل بن إبراهيم، فوَلَدَ عدنانُ رجلين: مَعَدَّ بن عدنان، وعَكَّ بن عدنان.

قال ابن هشام: فصارت عَكٌّ في دار اليمن، وذلك أن عَكّاً تزوَّج في الأشعريِّين فأقام فيهم، فصارت الدار واللغة واحدة، والأشعريُّون بنو أشعَر بن نَبْت بن أُدَد بن

= الأثير في «النهاية»: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عُشره في أكثر البلاد.

وأراد بالأرض المستفتَحة مصر، وخصّها بالذِّكر وإن كان القيراط مذكوراً في غيرها؛ لأنه كان يغلب على أهلها أن يقولوا: أعطيتُ فلاناً قراريط؛ إذا أسمعه ما يكرهه، واذهب لا أُعطيك قراريطك؛ أي: سبَّك وإسماعَك المكروه، ولا يوجد ذلك في كلام غيرهم.

(١) ويقال: عابر، بالباء، ويقال: جاثر، بالجيم.

زيد بن مِهسَع[1] بن عمرو بن عَرِيب بن يَشجُب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشجُب ابن يَعرُب بن قَحْطان. ويقال: أشعرُ نَبْتُ بن أُدَد[2]، ويقال: أشعرُ بن مالك، ومالكٌ: مَذْحِج بن أُدَد بن زيد بن مِهسَع، ويقال: أشعر بن سَبَأ بن يَشجُب.

وأنشدني أبو مُحرِزٍ خلفٌ الأحمرُ وأبو عبيدة لعبَّاس بن مِرْداس، أحد بني سُليم ابن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان، يَفخَرُ بعَكٍّ:

وعَكُّ بنُ عدنانَ الذين تَلَعَّبُوا بغسّانَ حتى طُرِّدوا كلَّ مَطرَدِ

وهذا البيت في قصيدة له[3].

وغسّانُ: ماءٌ بسُدِّ[4] مَأرِبَ باليمن، كان شِرْباً لولد مازن بن الأَسْد[5] بن الغَوْث،

---

(١) هكذا وقع لابن هشام، وليس إلا عنده، ولم يسمَّ في كتب الأنساب إلا هَمَيسع.

(٢) لفظة «نبت» ليست في (ت)، وأشير في هامشها أنها في نسخة. والأشعرُ جزم ابن الكلبيّ وابن حَزْم في أنسابهما أنه نبت بن أدد.

(٣) انظر «ديوان العباس بن مرداس» ص٦٢.

وقوله هنا: «تلعّبوا» وقع في المطبوع من ديوانه: تلاعبوا، وفي بعض المصادر: تلقَّبوا، بالقاف.

(٤) السّد، بضم السين وفتحها: الجبل والحاجز، وقيل: السُّد بالضم: ما كان من خلق الله، وبالفتح: ما كان من عمل بني آدم، كما في «صحاح» الجوهري مادة (سدد). قلنا: وقد قُيّدت في نسخنا الخطية في هذا الموضع والمواضع التالية بالضم، وسيأتي قريباً في أبياتٍ للأعشى أنه كان من بناء حِميَر.

ومَأرِب: وادٍ عظيم يقع شرق صنعاء على قرابة ١٥٠ كم.

(٥) بفتح الهمزة وسكون السين، وهو الأزد، فيُبدِلون السين من الزاي، قال أبو عُبيد القاسم ابن سلّام ويعقوب بن السِّكّيت: يقال لهم: الأَسْد بالسين والأَزْد بالزاي، وهم أزْدُ شَنُوءة، وهي بالسين أفصح. انظر «الأنساب» للسمعاني ١/ ٢١٣.

فسُمُّوا به.

ويقال: غسّانُ ماءٌ بالمُشلَّل قريبٌ من الجُحْفة[1]، والّذين شربوا منه فسُمُّوا به قبائلُ من ولد مازن بن الأَسْد بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ ابن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحْطان.

قال حسّان بن ثابت الأنصاري ـ والأنصارُ بنو الأَوس والخَزرَج ابنَي حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرِئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَسْد بن الغَوْث ـ:

إمّا سألتِ فإنّا مَعشَرٌ نُجُبٌ ... الأَسْدُ نِسبتُنا والماءُ غسّانُ

وهذا البيت في أبياتٍ له[2].

فقالت اليمن وبعض عَكٍّ ـ وهم الذين بخُراسان منهم ـ: عَكُّ بن عدنان بن عبد الله ابن الأزْد بن الغَوْث، ويقال: عُدْثان بن الذِّيب[3] بن عبد الله بن الأَسْد.

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ مَعَدُّ بن عدنان أربعةَ نفرٍ: نزارَ بن معدٍّ، وقُضاعةَ بن معدّ، وكان قضاعةُ بِكرَ مَعَدٍّ الذي به يُكْنى فيما يَزعُمون، وقُنُصَ بن معدّ، وإيادَ بن معدّ.

فأما قُضاعةُ فتَيامَنَت إلى حِمْيَر بن سَبَأ ـ وكان اسم سبأ عبدَ شمس، وإنما سُمِّي

---

(١) المشلَّل: موضع يُعرَف اليوم بالقُديدية، وهي على الطريق من المدينة إلى مكة وهي إلى مكة أقرب، بمحاذاة مدينة رابغ، تبعد عنها حوالي ٤٠ كم.

والجُحفة: تقع جنوب شرق مدينة رابغ على بعد ٢٠ كم تقريباً، وتبعد عن المدينة المنوّرة أكثر من ٢٠٠ كم في الجنوب الغربيّ منها، وقد اندثرت قديماً لم يبق منها إلا آثار.

(٢) انظر «ديوانه» ١/ ٢٤٦. وانظر أيضاً: «الإنباه على قبائل الرواة» لابن عبد البر ص١٠٢، و«معجم البلدان» لياقوت ٤/ ٢٠٤.

(٣) هكذا في النسخ الخطية، والذيب لم يذكره أحد غير ابن إسحاق في هذا النسب.

سبأً، لأنه أول من سَبَى في العرب ـ بنِ يَعرُب بن يَشجُب[1] بن قحطان.

قال ابن هشام: فقالت اليمن وقُضَاعةُ: قضاعةُ بن مالك بن حِمْيَر.

وقال عمرو بن مُرّة الجُهَني ـ وجهينةُ ابنُ زيد بن ليث بن سُود بن أَسلُم بن الحافِ ابن قُضاعة ـ:

نحنُ بنو الشَّيخ الهِجَانِ الأزْهرِ[2] ⁂ قُضاعةَ بنِ مالكِ بنِ حِميَرِ

النَّسبُ المعروفُ غيرُ المُنكَرِ[3]

قال ابن إسحاق: وأما قُنُص بن مَعَدٍّ فهلكت بقيّتُهم ـ فيما يزعم نُسّاب مَعَدّ ـ وكان منهم النعمان بن المُنذِر ملكُ الحِيرة.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن شِهاب الزُّهْري: أن النعمان بن المنذر كان مِن ولدِ قُنُص بن معدّ.

قال ابن هشام: ويقال: قَنَص[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَس، عن شيخٍ

(١) هكذا وقع هنا: يعرب بن يشجب، مقلوباً، والصواب كما جاء عند المصنف في المواضع السابقة بتقديم يشجب على يعرب، وقد نبّه إليه أبو ذر الخشني في «إملائه على السيرة» ص٥.

(٢) قال أبو ذر الخشني: الهِجان: الكريم، وأصل الهجان: الأبيض من الإبل، وهو أكرمها، فأما الهجين فهو ذمّ. والأزهر: المشهور.

(٣) زاد في نسخة (ق١): في الحَجَر المنقوش تحت المِنبر. وهذا الرَّجَز يقال: إنه للأفلج بن اليعبوب، نسبه إليه ابن الكلبي في «نسب معدّ واليمن الكبير» ٢/ ٦٩٠، وابن عبد البر في «الإنباه على قبائل الرواة» ص٣٣.

(٤) هكذا قُيِّد بفتحتين في (ش١) و(ق١) و(م) و(ي)، وهو كذلك عند الجوهري في «الصحاح»، وقُيِّد في (ت) و(ص): قُنَص.

من الأنصار من بني زُرَيق أنه حدّثه: أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه حين أُتي بسيف النعمان بن المنذر، دعا جُبيرَ بن مُطعِم بن عَدِيّ بن نَوفَل بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ ـ وكان جبيرٌ أنسبَ قريشٍ لقريش وللعرب قاطبةً، وكان يقول: إنما أخذتُ النَّسبَ من أبي بكرٍ الصِّدّيق رضي الله عنه، وكان أبو بكر أنسبَ العرب ـ فسلَّحه إياه[1]، ثم قال: ممن كان يا جبيرُ النعمانُ بنُ المنذر؟ فقال: كان من أَشْلاءِ[2] قُنُص ابن معدّ[3].

قال ابن إسحاق: فأما سائرُ العرب، فيَزعُمون أنه كان رجلاً من لَخْمٍ من ولد رَبِيعة بن نَصْر، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن هشام: لَخْمُ بن عَدِيٍّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَدَ بن زيد بن مِهسَع بن عمرو ابن عَرِيب بن يَشْجب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، ويقال: لخمُ بن عَدِي بن عمرو بن سبأ، ويقال: رَبيعةُ بن نَصْر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر، وكان تخلَّف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن.

---

(١) أي: قلَّده إياه وجعله سلاحاً له.

(٢) الأشْلاء: البقايا من كل شيء، واحدها: شِلْو، أي: من بقية أولاده.

(٣) خبر ضعيف لإبهام الشيخ الأنصاري الزرقي.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثاني من «تاريخه» (٤٠٢)، وفي السفر الثالث (٢٧٢٠) من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، والبغوي في «معجم الصحابة» (٣٤٥) من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن محمد بن إسحاق، به.

ورواه الزبير بن بكّار ـ كما في «تهذيب الكمال» للمزي ٤/ ٥٠٨ ـ عن عمر بن أبي بكر المؤمَّلي، عن عثمان بن أبي سليمان: أن عمر بن الخطاب لما أُتي بسيف النعمان بن المنذر... فذكر نحوه. والمؤمَّلي قال أبو حاتم الرازي: متروك ذاهب الحديث.

أمرُ عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سُدِّ مَأرِب

وكان سببُ خروج عمرو بن عامرٍ من اليمن ـ فيما حدّثني أبو زيد الأنصاري ـ: أنه رأى جُرَذاً يَحفِرُ في سُدِّ مَأرِب، الذي كان يَحبِس عليهم الماء، فيصرِّفونه حيث شاؤوا من أرَضِيهم، فعَلِم أنه لا بقاءَ للسُّد على ذلك، فاعتزم على النُّقْلة عن اليمن، فكاد قومَه، فأمر أصغرَ ولده إذا أغلَظَ له ولَطَمَه أن يقومَ إليه فيَلطِمَه، ففعل ابنُه ما أمره به، فقال عمرو: لا أُقيمُ ببلدٍ لَطَمَ وجهيَ فيه أصغرُ ولدي، وعَرَضَ أمواله، فقال أشرافٌ من أشراف اليمن: اغتنِموا غَضْبةَ عمرو، فاشتَرَوا منه ماله. وانتقل في ولده وولد ولده، وقالت الأَسْدُ: لا نتخلَّفُ عن عمرو بن عامر، فباعُوا أموالهم وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلادَ عَكٍّ مُجتازِين يرتادون البلدان، فحاربَتْهم عَكٌّ، فكانت حربُهم سِجالاً، ففي ذلك قال العباسُ بن مِرْداسٍ البيتَ الذي كتبنا[1].

ثم ارتحلوا عنهم فتفرَّقوا في البلدان، فنزل آلُ جَفْنَةَ بن عمرو بن عامرٍ الشامَ، ونزلت الأوسُ والخزرجُ في يثربَ، ونزلت خُزَاعةُ مَرّاً[2]، ونزلت أزْدُ السَّرَاةِ السَّراةَ[3]، ونزلت أزْدُ عُمَانَ عُمانَ، ثم أرسل الله تعالى على السُّدِّ السيلَ فهَدَمَه،

(١) والذي مطلعه: وعَكُّ بن عدنان الذين تلعَّبُوا، وقد تقدم قريباً.

(٢) هو الذي يقال له: مرُّ الظَّهران، وهو وادٍ من أودية الحجاز يمرُّ شمال غرب مكة على قرابة ٢٢ كم، ويصبّ في البحر الأحمر جنوب جُدّة بقرابة ٢٠ كم، ويسمَّى اليوم وادي فاطمة، وفيه عشرات من القرى وعيون الماء. انظر «المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص٢٨٨، و«معالم مكة التاريخية والأثرية» ص٢٥٨-٢٦٥، كلاهما لعاتق البِلاديّ.

وكونُ خزاعة من اليمن مما اختُلف فيه فبعض النسّابة ينسبونهم إلى مُضَر كما سيأتي ص٨٤.

(٣) السَّراة هذه: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب الطائف إلى قُرب أَبْها، وما زالت قبائل الأزد تنتشر فيها... وإذا أُطلقت السراة في جزيرة العرب، فإنما يقصد بها هذه المنطقة. قاله =

ففيه أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأَ فِي مَسَاكِنِهِمْ[1] ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ:١٥-١٦]، والعَرِمُ: السُّدُّ، واحدته: عَرِمَةٌ، فيما حدّثني أبو عُبيدة[2].

قال الأعشى؛ أعشى بني قيس بن ثَعلَبة بن عُكَابةَ بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفصَى بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار بن مَعَدّ ـ قال ابن هشام: ويقال: أَفْصى بن دُعْميّ[3] بن جَدِيلة، واسم الأعشى ميمونُ بن قيس بن جَندَل بن شَرَاحِيل بن عوف بن سعد بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلَبة ـ:

وفي ذاكَ للمُؤتَسِي أُسوةٌ ... ومَأرِبُ عفَّى عليها العَرِمْ[4]

رُخَامٌ بَنَتهُ لهمْ حِميَرٌ ... إذا جاء مَوّارُه لم يَرِمْ[5]

= عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص١٥٥.

(١) هكذا في نسخنا الخطية بفتح الهمزة من سَبَأَ ممنوعاً من الصرف، وبألفٍ بعد السين في (مَساكِنهم) جمع مَسكَن، وهي قراءة أبي عمرو البصري وابن كثير المكّي في الحرفين كما في «السبعة في القراءات» لابن مجاهد ص٤٨٠ و٥٢٨، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجَزَري ٢/ ٣٣٧ و٣٥٠، وخالفهما بقيّةُ السبعة فقرؤوا: (لسبأٍ) مصروفاً، ووافقهما منهم على قراءة (مَساكِنِهم) نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بكر عن عاصم، وقرأ حمزة وحفص عن عاصم: (مَسْكَنِهم) بالإفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: (مَسْكِنِهم) بكسر الكاف.

(٢) وهو معمر بن المثنَّى البصريُّ شيخُ ابن هشام، وانظر كتابه «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٦.

(٣) جاء في حاشية (ص) ما نصه: ثبوت دعمي هو الصواب عند أهل النسب.

(٤) عفّى: غَبَر ودَرَس.

(٥) موّاره: تلاطُمُ مائه وتموُّجه. ولم يَرِم، أي: لم يبرح ولم يزل.

فــأَروَى الــزُّروعَ وأعنابَهــا   علــى سَـعَةٍ مـاؤُهمْ إذ قُسِــمْ
فصــاروا أَيــاديَ مــا يَقــدِرو   نَ منه على شِرْبِ طِفلٍ فُطِمْ[1]

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له[2].

وقال أُميَّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفي ـ واسم ثَقيفٍ قَسِيُّ بن مُنبِّه بن بكر بن هَوَازِن ابن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدِّ بن عدنان ـ:

مِن سَبَأَ الحاضـرينَ مـأربَ إذْ   يَبنُـونَ مـن دونِ سَـيْلِه العَرِمـا

وهذا البيت في قصيدةٍ له. وتُروَى للنابغةِ الجَعْدي[3]، واسمه قيس بن عبد الله، أحدُ بني جَعْدة بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوَازن.

وهو حديث طويل، منعني من استقصائه ما ذكرتُ من الاختصار.

أمر ربيعة بن نصر ملكِ اليمن
وقصة شِقٍّ وسَطِيح الكاهنَين معه

قال ابن إسحاق: وكان ربيعةُ بن نصر مَلِكَ اليمنَ بين أضعافِ ملوك التبابعة[4]،

(١) فصاروا أياديَ، أي: متفرِّقين في كل وجهٍ، ومنه المثل: تفرَّقوا أياديَ سبأ. والشّرب: بضم الشين المصدر، وبكسر الشين الحظّ والنصيب من الماء.

(٢) انظر «ديوانه» بتحقيق الرضواني ١/ ١٨١-١٨٣.

(٣) نسب هذا البيتَ لأميّةَ يونسُ بن حبيب النحويُّ، ونسبه للنابغة أبو عبيدة معمر بن المثنّى كما في «طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلّام الجُمَحيّ ١/ ١٢٦-١٢٧. ويونس وأبو عبيدة كلاهما من شيوخ ابن هشام.

(٤) أي: في أثنائهم وأوساطهم، يقال: هو في أضعاف الكتاب وتضاعيفه، أي: في أثنائه وأوساطه، وهذا من المجاز، ذكره الجوهري في «الصحاح» والزمخشري في «أساس البلاغة».

فرأى رؤيا هالَتْه وفُظِع بها[1]، فلم يَدَعْ كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً[2] ولا منجِّماً من أهل مملكته إلا جَمَعَه إليه، فقال لهم: إنّي قد رأيت رؤيا هالَتْني، وفُظِعتُ بها، فأخبِروني بها وبتأويلها، فقالوا له: اقصُصْها علينا نُخبِرْك بتأويلها، قال: إنّي إن أخبرتكم بها لم أطمئنَّ إلى خبركم عن تأويلها، لأنه لا يعرف تأويلَها إلا من عرفها قبل أن أُخبِرَه بها.

فقال له رجلٌ منهم: فإن كان الملكُ يريد هذا، فليَبعَثْ إلى سَطِيحٍ وشِقٍّ، فإنه ليس أحدٌ أعلمَ منهما، فهما يُخبرانِه بما سأل عنه.

نسب سَطِيحٍ الكاهن

واسم سَطِيح: رَبيع بن رَبيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عَدِيّ بن عَدِيّ بن مازن[3] من غسَّان.

وشِقٌّ: ابنُ صَعْب بن يَشكُر بن رُهْم بن أفرَك بن قَسْر بن عَبْقَر بن أَنمار بن نِزار. وأنمارُ أبو بَجِيلةَ وخَثعَمَ.

قال ابن هشام: قالت اليمنُ وبَجِيلةُ: أنمارُ بن إِراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، ويقال: إِراش بن عمرو بن لِحْيان. ودارُ بَجِيلةَ وخَثْعمَ يمانيَةٌ.

قال ابن إسحاق: فبعث إليهما، فقَدِمَ عليه سَطِيح قبل شِقّ، فقال له: إني قد رأيتُ رؤيا هالَتْني وفَظِعتُ بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلَها، فقال: أَفعلُ،

(١) أي: اشتدَّت عليه واهتمّ لها.

(٢) العائف: المتكهِّن بالطير أو غيرها.

(٣) هكذا في (ت) و(ش١) و(غ) و(م) و(ي)، وفي (ص): ذئب بن عدي وعديٌّ ابن مازن، ونحوه في (ق١) حيث جاء فيها في نسبه: ذئب بن عدي بن مازن.

رأيتَ حُمَمَة[1]، خرجَت من ظُلُمَة[2]، فوَقَعَت بأرضٍ تَهِمَة[3]، فأكلَت منها كلَّ ذات جُمجُمَة، فقال له الملك: ما أخطأتَ منها شيئاً يا سَطيح، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلفُ بما بين الحَرَّتين من حَنَش، لتَهبِطَنَّ أرضَكم الحَبَش، فلَتملِكَنَّ ما بين أَبْيَنَ إلى جُرَش[4]، فقال له الملك: وأبيكَ يا سطيح، إنّ هذا لنا لغائظٌ مُوجِع، فمتى هو كائن، أفي زماني أم بعدَه؟ فقال: لا، بل بعدَه بحِين، أكثرَ من ستِّين أو سبعين يَمضِين من السنين، قال: أفيَدُومُ ذلك من مُلكِهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع لبِضعٍ وسبعين من السنين، ثم يُقتَلون ويخرجون منها هاربين، قال: ومَن يَلِي ذلك من قَتلِهم وإخراجِهم؟ قال: يليه إرَمُ ذي يَزَن، يخرج عليهم من عَدَن، فلا يترك منهم أحداً باليمن، قال: أفيَدُومُ ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع، قال: ومَن يقطعُه؟ قال: نبيٌّ زَكِيّ، يأتيه الوحي من قِبَل العليّ، قال: وممَّن هذا النبيّ؟ قال: رجلٌ من ولد غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر، يكون المُلك في قومِه إلى آخرِ الدّهر، قال: وهل للدَّهر من آخِر؟ قال: نعم، يومٌ يُجمَع فيه الأوّلون والآخِرون[5]، يَسعَدُ فيه المحسنون، ويَشقَى فيه المُسيئون، قال: أحقٌّ ما تخبرني؟ قال: نعم، والشَّفقِ والغَسَق، والفَلَقِ إذا اتَّسَق[6]، إنّ ما أنبأتُك به لَحَقّ.

---

(١) الحُمَمَة: واحدة الحُمَم، وهو الفحم، وإنما أراد فحمةً فيها نار.

(٢) جاء في حاشية (ص): أصله ظُلْمة، مسكَّناً، وحرّكه للسجع.

(٣) التَّهِمة: الأرض الواسعة المتطامنة.

(٤) أبْيَن وجُرَش مدينتان من مدن اليمن، الأولى في جنوبها، والأخرى في شمالها.

(٥) في (ت): يجمع الله فيه الأولين والآخرين.

(٦) الشفق: الحُمْرة في الأفق عند غروب الشمس. والغسق: الظُّلمة. والفلق: الصبح. واتَّسق: تتابع وتوالى.

ثم قَدِمَ عليه شِقٌّ، فقال له كقوله لسَطيح، وكَتَمَه ما قال سطيح، لينظرَ أيتَّفقان أم يختلفان؛ قال: نعم، رأيتَ حُمَمة، خرجَت من ظُلُمَة، فوَقَعَت بين روضةٍ وأَكَمَة، فأكلَت منها كلَّ ذات نَسَمة.

قال: فلما قال له ذلك، عَرَفَ أنهما قد اتَّفقا، وأن قولهما واحد، إلا أن سَطيحاً قال: وَقَعَت بأرضٍ تَهِمة، فأكلَت منها كلَّ ذات جُمجُمة، وقال شِقّ: وقعَت بين روضةٍ وأكَمَة، فأكلَت منها كلَّ ذات نَسَمَة.

فقال له الملك: ما أخطأتَ يا شِقُّ منها شيئاً، فما عندك في تأويلِها؟ قال: أَحلِفُ بما بين الحَرَّتين من إنسان، لَيَنزِلَنَّ أرضَكم السُّودان، فلَيَغلِبُنَّ على كل طَفْلةِ البَنان[1]، ولَيَملكُنَّ ما بين أَبْيَنَ إلى نَجْران، قال له الملك: وأبِيكَ يا شِقُّ، إنَّ هذا لنا لَغائِظٌ مُوجِع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعدَه؟ قال: لا، بعدَه بزمان، ثم يَستنقذُكم منهم عظيمٌ ذو شان، ويُذِيقُهم أشدَّ الهَوَان، قال: ومَن هذا العظيمُ الشان؟ قال: غلامٌ ليس بدَنِيٍّ ولا مُدَنّ[2]، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن، قال: أفيَدومُ سلطانُه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسولٍ مُرسَل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدِّين والفضل، يكون المُلْكُ في قومه إلى يوم الفَصْل، قال: وما يومُ الفصل؟ قال: يومٌ تُجزَى فيه الوُلَات[3]، ويُدعَى فيه من السماء بدَعَوات، يسمع منها الأحياءُ والأموات، ويُجمَع فيه الناسُ

---

(١) الحَرّة: أرض ذات حجارة سود. والطَّفلة: الناعمة الرَّخِصة، والبنان: أطراف الأصابع؛ يريد النساء.

(٢) قال الخُشني في «إملائه» ص٨: الدَّنِيّ معلوم، وأراد: لا مدنٍّ، فسكَّنه للسجع، والمُدنِّي: هو المقصّر في الأمور.

(٣) هكذا في نسخنا الخطية المعتمَدة بتاء مفتوحة، وفي نسخة متأخرة عندنا: الولاة، بتاء مربوطة، وهو الأصل، وإنما كُتبت بالمفتوحة في سائر النسخ مراعاة للسجع.

للمِيقات، يكون فيه لمَن اتَّقى الفوزُ والخيرات، قال: أحقٌّ ما تقول؟ قال: إي وربِّ السماءِ والأرض، وما بينهما من رفعٍ وخَفْض، إنّ ما أنبأتُك به لَحَقٌّ ما فيه أَمْض[1].

فوقع في نفس ربيعةَ بن نصرٍ ما قالا، فجهَّز بَنِيه وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصلِحُهم، وكتب لهم إلى ملكٍ من ملوك فارس يقال له: سابُور بن خُرَّزاد، فأسكنهم الحِيرة.

فمن بقيَّة ولدِ ربيعة بن نصر: النعمانُ بن المُنذر، فهو في نَسَب اليمن وعِلْمهم: النعمانُ بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عَدِيٍّ بن رَبيعة بن نصر، ذلك المَلِك.

قال ابن هشام: النعمان بن المنذر بن المنذر، فيما أخبرني خَلَفٌ الأحمر.

استيلاء أبي كَرِبٍ تُبَان أسعد على مُلك اليمن وغزوه يَثرِبَ[2]

قال ابن إسحاق: فلما هَلَكَ ربيعةُ بن نصر، رجع مُلكُ اليمنِ كلُّه إلى حسّان بن تُبَان أسعد أبي كَرِب - وتُبَان أسعد: تُبَّعٌ الآخِرُ - بن كَلْكِي كَرِبَ[3] بن زيد - وزيدٌ: تُبَّع الأول - بن عمرٍو ذي الأذعارِ بن أَبرَهة ذي المَنار بن الرَّيْس - قال ابن هشام:

(١) جاء في حاشية (ص): قال ابن هشام: الأمْض: الشَّك. قلنا: وذكر الخشني أنها لغة حِميَر، وقيل: أمْضٌ: باطل.

(٢) تُبَان: بضمّ التاء وبكسرها، ويقال: تُبّان أيضاً. وتبان أسعد: اسمان جُعلا اسماً واحداً، وإن شئت أضفتَ كما تضيف مَعدِي كَرِبَ، وإن شئتَ جعلت الإعراب في الاسم الآخِر. انظر «الروض الأنف» ١/ ١٥٥-١٥٦، و«شرح القاموس» مادة (تبن).

(٣) بوزن مَعدِي كَرِب، كما في «شرح القاموس» مادة (كلك)، وقال السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٣٦: ولا أدري ما كلكي.

ويقال: الرايش ـ قال ابن إسحاق: ابن عَدِيّ بن صَيفيّ بن سَبَأ الأصغر بن كعبٍ كهفِ الظُّلْم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل ابن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زهير بن أنس بن الهَمَيسَع بن العَرَنجَج، والعَرَنجَج: حِمْيَر بن سَبَأ الأكبر بن يَعرُب بن يَشجُب بن قَحْطان. قال ابن هشام: يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان.

قال ابن إسحاق: وتُبَان أسعد أبو كَرِب الذي قَدِمَ المدينة، وساق الحَبْرَين من يهودَ إلى اليمن، وعَمَّرَ البيتَ الحرامَ وكَسَاه، وكان مُلكُه قبل مُلْك ربيعة بن نصر.

قال ابن هشام: وهو الذي يقال له:

ليتَ حظِّي من أبي كَرِبٍ أن يَسُدَّ خيرُه خَبَلَهْ[1]

قال ابن إسحاق: وكان قد جعل طريقَه حين أقبلَ من المشرق على المدينة، وكان قد مرَّ بها في بَدْأته فلم يَهِجْ أهلَها، وخلَّف بين أظهُرِهم ابناً له فقُتل غِيلةً، فقَدِمَها وهو مُجمِعٌ لإخرابها، واستئصالِ أهلها وقطعِ نخلِها، فجَمَعَ له هذا الحيُّ من الأنصار، ورئيسُهم عمرو ابن طَلَّةَ أخو بني النَّجّار ثم أحدُ بني عمرو بن مبذول، واسم مبذولٍ: عامرُ بن مالك بن النَّجّار، واسم النَّجّار: تَيمُ الله بن ثعلبة بن عَمرو ابن الخَزرَج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

قال ابن هشام: عمرو ابن طَلّة: عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن

(١) البيت أورده أبو عبيد القاسم بن سلّام في «الأمثال» ص٢٥٠، وقال: يقال: إنّه لامرأة من الأوس في تُبَّع أبي كرب حين قدم المدينة، فأُطمعت أنَّ ينالها من خيره، فقالت هذه المقالة عند ذلك. اهـ

والخَبَل في هذا البيت: الفساد، أي: أنها تتمنّى أن يكون خيرُه مكافئاً لفساده.

النَّجّار، وطَلَّةُ أمُّه، وهي بنت عامر بن زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبدِ حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرَج.

قال ابن إسحاق: وقد كان رجلٌ من بني عَدِيّ بن النجار يقال له: أَحمرُ، عَدَا على رجل من أصحاب تُبَّعٍ حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وَجَدَه في عَذْقٍ له يَجُدُّه[1]، فضربه بمِنجَله فقتله، وقال: إنما التمرُ لمن أَبَرَه[2]. فزاد ذلك تُبّعاً حَنَقاً عليهم، فاقتتلوا، فتزعُم الأنصارُ أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويَقْرُونه[3] بالليل، فيعجبه ذلك منهم ويقول: والله إنَّ قومنا لَكِرامٌ.

فبَيْنا تُبّعٌ على ذلك من حربهم، إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بني قُريظةَ - وقُريظةُ والنَّضير والنَّحّام وعمرو، وهو هَدَلٌ: بنو الخَزرَج بن الصَّرِيح بن التَّوْمان[4] ابن السِّبْط بن اليَسَع بن سعد بن لاوي بن خَير بن النَّحّام بن تَنحُوم بن عازَر بن عِزرا[5] بن هارون بن عِمران بن يصهُر بن قاهَث بن لاوي بن يعقوب؛ وهو إسرائيل ابن إسحاق بن إبراهيمَ خليلِ الرَّحمن صلَّى الله عليه وسلَّم - عالمانِ راسخانِ، حين سَمِعا بما يريدُ من إهلاك المدينة وأهلِها، فقالا له: أيّها الملك، لا تفعل، فإنكَ إن أبَيتَ إلا ما تريدُ، حِيلَ بينك وبينها، ولم نأمَنْ عليك عاجلَ العقوبة، فقال لهما:

---

(١) العَذْق بفتح العين: النخلة، وبكسرها: الكِباسَة، وهي عنقود النخلة. ويجدُّه: يقطعه.

(٢) أي: أصلحه ولقحه.

(٣) أي: يقدمون له الضيافة من مأكل ومشرب.

(٤) هَدَل، بفتح الدال والهاء، كأنه مصدر هَدَل هدلاً: إذا استرخت شَفَتُه، وذكره الأمير ابن ماكُولا عن أبي عَبْدة النَّسّابة فقال فيه: هَدْل، بسكون الدال. والتَّوْمان على وزن فَعْلان، كأنه من لفظ التُّوم، وهو الدُّرُّ أو نحوه. قاله السهيلي في «الروض الأنف» ١/ ١٦٦-١٦٧.

(٥) في (ص) و(غ): عِزر، بلا ألف.

ولِمَ ذلك؟ قالا: هي مُهاجَرُ نبيٍّ يخرج من هذا الحَرَم من قُريش في آخر الزمان، تكون دارَه وقرارَه، فتناهَى، ورأى أنَّ لهما عِلماً، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، واتَّبعهما على دينهما.

فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة بن عمرو بن عبد عَوف بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار يَفخَرُ بعمرو ابن طَلَّة:

أَصَحَا أَمْ قد نَهَى ذُكَرَهْ ... أم قَضَى من لَذَّةٍ وَطَرَهْ[1]

أم تَذَكَّرتَ الشبابَ، وما ... ذِكرُكَ الشبابَ أو عُصُرَهْ[2]

إنَّها حربٌ رَبَاعِيَةٌ ... مِثلُها آتى الفتى عِبَرَهْ[3]

فسَلَا عِمرانَ أو أَسَداً ... إذ أتتْ غَدْواً معَ الزُّهَرَهْ

فَيلَقٌ فيها أبو كَرِبٍ ... سُبَّغٌ أبدانُها ذَفِرَهْ[4]

ثم قالوا: مَن نَؤمُّ بها؟ ... أبَنِي عوفٍ أم النَّجَرَهْ

بل بني النَّجّارِ إنّ لنا ... فيهِم قتلى وإنَّ تِرَهْ[5]

فتَلقَّتهُمْ مُسَايِفَةٌ ... مَدُّها كالغَبْيَةِ النَّثِرَهْ[6]

---

(١) الذُّكَر: جمع ذُكْرة بوزن غُرفة، وهي ضدّ النسيان. والوَطَر: الحاجة.

(٢) قال في «الروض» ١/ ١٦٨: أراد: أو عَصْرَه، والعَصْر والعُصُر لغتان، وحرَّك الصاد بالضم.

(٣) حرب رَباعِيَة: أراد أنها حرب فتيّة، فاستعار لها سنَّ الرباعيَة من الأنعام، وهي التي ليست بصغيرة ولا جَذَعة، بل هي فوق ذلك.

(٤) الفيلق: الكتيبة الشديدة. وسُبّغ: كاملة. وأبدانها: جمع بَدَن، وهي الدرع هنا. وذَفِرة، أي: لها رائحة من صدأ الحديد.

(٥) التِّرَة: طلب الثأر.

(٦) مُسايفة، يروى بفتح الياء وكسرها، أما بالفتح فمعناه: مقاتَلَة، وبالكسر فمعناه: قوم يقاتلون بالسيوف. ومَدُّها: كثرتها. والغَبْية: المَطْرة. والنَّثِرة: المتفرِّقة المطر.

فيهِم عمرُو ابن طَلَّةَ مَلَّـ ـى الإلٰـهُ قومَـه عُمُرَهْ[1]
سيِّداً سامَى المُلوكَ ومَن رامَ عَمراً لا يَكُن قَدَرَهْ

وهذا الحيُّ من الأنصار يَزعُمون أنه إنما كان حَنَقُ تُبَّعٍ على هذا الحيِّ من يهودَ الذين كانوا بين أظهُرهم، وإنما أراد هلاكَهم، فمنعوهم منه حتى انصرف عنهم، ولذلك قال في شِعره:

حَنَقاً على سِبطَينِ حلَّا يَثرِبا أَولى لهم بعقابِ يومٍ مُفسِدِ[2]

قال ابن هشام: الشِّعر الذي فيه هذا البيتُ مصنوعٌ، فذلك الذي مَنَعَنا من إثباته[3].

قال ابن إسحاق: وكان تُبَّعٌ وقومُه أصحابَ أوثان يعبدونها، فوَجَّه إلى مكة،

---

(١) قوله: مَلّى الإلٰه، ويروى: عَلّى الإلٰه، أي: متَّعهم به.

(٢) زاد قبل هذا البيت في (ت) و(ص) و(م) و(ي) بيتاً آخر هو:

ما بالُ نومِكَ مثلَ نومِ الأرمَدِ أَرِقاً كأنّكَ لا تزالُ تُسهَّدُ

ولم يرد هذا في (ش١) و(غ) و(ق١)، وهو الصواب، فإن ابن هشام قد أورد هذه القصيدة في كتابه «التيجان في ملوك حمير» ص١٢١-١٢٤ وليس فيها هذا البيت، ثم إن حركة حرف الرَّوِيّ فيه مخالف لبقيّة القصيدة.

وقوله: أَولى لهم، كلمة معناها الوعيد، أي: قَرُبَ هلاكُهم.

(٣) هذا البيت من واحدة من القصائد الكثيرة التي ذكرها ابن إسحاق وأعرض عنها ابن هشام لأنها لم تصح نسبتها عنده، وقد حذف ابن هشام كثيراً من الأشعار التي لم تصح عنده، إلا أنه لم يصرح بذلك إلا في موضعين: هنا، حيث قال: هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته، والموضع الثاني في قصة نذر عبد المُطَّلب أن يذبح ابنه، ونجاة ابنه عبد الله من ذلك، فيما سيأتي ص١٦٩، حيث قال: وبين أضعاف هذا الحديث رَجَزٌ لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر.

وهي طريقُه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عُسْفانَ وأَمَجٍ[1]، أتاه نفرٌ من هُذَيل بن مُدْرِكة بن الْياسِ بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدٍّ، فقالوا له: أيّها الملك، ألا ندلُّك على بيت مالٍ داثرٍ[2] أغفَلَتْه الملوكُ قبلك، فيه اللؤلؤُ والزَّبرجدُ والياقوتُ والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيتٌ بمكة يعبدُه أهلُه، ويصلُّون عنده.

وإنما أراد الهُذَليُّون هلاكَه بذلك، لِما عرفوا من هلاك من أرادَه من الملوك وبَغى عنده.

فلما أجمَعَ لِما قالوا، أرسل إلى الحَبْرَينِ فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أرادَ القومُ إلا هلاكَك وهلاكَ جندِك، ما نعلمُ بيتاً لله اتَّخَذه في الأرض لنفسه غيرَه، ولئن فعلتَ ما دَعَوكَ إليه لتَهلِكَنَّ، ولَنَهلِكَنَّ معك[3] جميعاً، قال: فماذا تأمرانِني أن أصنعَ إذا قَدِمتُ عليه؟ قالا: تصنعُ عندَه ما يصنعُ أهلُه؛ تطوفُ به وتُعظِّمُه وتُكرِّمُه، وتَحلِقُ رأسك عنده، وتَذَلَّلُ له حتى تخرج من عنده، قال: فما يَمنعُكما أنتما من ذلك؟ قالا: أمَا والله إنه لَبيتُ أبينا إبراهيم، وإنه لَكَما أخبرناك، ولكنَّ أهله حالُوا بيننا وبينَه بالأوثان التي نَصَبُوها حولَه، وبالدِّماء التي يُهرِيقون عنده، وهم نَجَسٌ أهلُ شِرْك؛ أو كما قالا له، فعرف نُصحَهما، وصدَّق حديثَهما، فقرَّب النَّفرَ من هُذَيل فقَطَعَ أيديَهم وأرجلَهم.

ثم مضى حتى قَدِمَ مكة، فطاف بالبيت ونَحَرَ عنده وحَلَقَ رأسه، وأقام بمكة ستةَ أيام ـ فيما يذكرون ـ يَنحَرُ بها للناس، ويُطعِمُ أهلها ويَسقيهم العسل، وأُرِيَ في

(١) عُسفان: بلدة شمال غرب مكة على بعد ٧٥ كم تقريباً، وأَمج: وادٍ شمال عسفان على بعد ٣٠ كم تقريباً، ويعرف اليوم باسم خُلَيص.

(٢) من الدَّثْر: وهو المال الكثير.

(٣) في (ي) ونسخة على هامش (ص): وليهلكن مَن معك.

المنام أن يَكسُوَ البيت، فكَسَاه الخَصَفَ[1]، ثم أُرِيَ أن يَكسُوَه أحسنَ من ذلك، فكَسَاه المَعافِرَ[2]، ثم أُرِيَ أن يَكسُوَه أحسنَ من ذلك، فكَسَاه المُلَاءَ والوَصَائل[3]، فكان تبَّعٌ ـ فيما يزعمون ـ أولَ من كَسَا البيتَ، وأَوصى به وُلاتَه من جُرْهُم، وأمرهم بتطهيره، وأن لا يُقرِّبوه دماً ولا مَيْتةً ولا مِيلاثاً[4]، وهي المَحايِض، وجعل له باباً ومِفتاحاً.

وقالت سُبَيعة بنت الأَجَبِّ بن زَبِينَة بن جَذِيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان ـ وكانت عند عبد مَنَاف بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن

---

(١) الخصف: حُصر تنسج من خوص النخل، وقيل: هي ثياب غِلاظ.

(٢) المَعافِر: ثياب كانت تعملها معافرُ، وهي قبيلة من اليمن.

(٣) المُلاء، جمع مُلاءة، وهي: الملحفة. والوصائل: ثياب مخططة من اليمن، يوصل بعضها إلى بعض.

(٤) هكذا في نسخنا الخطية بالثاء، وفُسّر على حواشي نسختَي (ص) و(م) منسوباً إلى أبي أسامة قال: المِيلاث: الحائض، مِفعالٌ من الوَلَث، وهو ضربٌ من المطر يُشبَّه بسَيْل الحيض، وأصل الحيض: السَّيل، ومنه: حاضت السَّمُرة، إذا سال ماؤها. قلنا: الوَلَثُ: القليل من المطر.

وأبو أسامة المذكور لعلّه العلّامة اللُّغوي جُنادة بن محمد الأزدي الهروي المتوفَّى سنة ٣٩٩هـ، ففي معاجم اللغة بعض النقول عنه، ترجمه ابن خلّكان في «وفيات الأعيان» ١/ ٣٧٢ وقال: كان مكثراً من حفظ اللغة ونقلها، عارفاً بوحشيِّها ومستعملها، لم يكن في زمنه مثله في فنّه.

وفي «الروض» للسهيليّ ١/ ١٧٧: مِئلات ـ بالتاء المثناة ـ وقال: هي المَحايض جمع مَحِيضة، وهي خرقة المحيض، ويقال للخرقة أيضاً: مئلاة، وجمعها: المآلي.. وهي هنا خِرَق تمسكهنّ النوّاحات بأيديهن، فكأنّ المئلات: كلّ خرقة دَنِسة، لحيضٍ كانت أو لغيره، وزنها مِفعَلة من: ألَوتُ، إذا قصَّرْت وضيَّعْت.. ويروى في هذا الموضع: مئلاثاً، بثاء مثلَّثة. ولم يفسّره.

مالك بن النَّضر بن كِنَانة ـ لابنٍ لها منه يقال له: خالد، تعظِّمُ عليه حُرْمةَ مكة وتنهاه عن البغي فيها، وتَذكُر تُبَّعاً وتَذلُّلَه لها، وما صَنَع بها:

أبُنَـيَّ لا تَظلِـمْ بمكَّـــةَ لا الصَّـغيرَ ولا الكبيــرْ

واحفَـظْ محارِمَهـا بُنَــيَّ ولا يَغرَّنْـك الغَــرُورْ

أبُنَـيَّ مَـن يَظلِـمْ بمكَّـــةَ يَلـقَ أطـرافَ الشُّـرورْ

أبُنَـيَّ يُضـرَبْ وجهُــهُ ... ويَلُحْ[1] بخَدَّيـهِ السَّـعيرْ

أبُنَــيَّ قــد جرَّبتُهــا ... فوجـدتُ ظالمَهـا يَبُـورْ[2]

اللهُ أمَّنَهـــا ومـــا ... بُنِيَـت بعَرْصتِها قُصُـورْ[3]

واللهُ آمَـــنَ طيرَهــا ... والعُصْـمُ تـأمَنُ في ثَبِيـرْ[4]

ولقـــد غَزَاهـــا تُبَّـــعٌ ... فكَسَـا بَنِيَّتَهـا الحَبيـرْ[5]

وأذلَّ ربِّـــي مُلكَـــهُ ... فيهـا فـأَوفى بالنُّــذورْ

يمشـــي إليهـا حافيـاً ... بفِنائِهــا ألْفــا بَعيــرْ

ويَظَـلُّ يُطعِـمُ أهلَهـا ... لحمَ المَهارَى والجَـزُورْ[6]

يَســـقِيهمِ العســـلَ ... والـرَّحِيضَ مـن الشَّـعيرْ[7]

---

(١) في حاشية (ص): ويَلِج، وأشير عليها بعلامة صح. والولوج: الدخول. وبالحاء: من لاحَ يَلُوح، أي: أومَض، أو بَدَا وظَهَر.

(٢) يَبُور: يَهلِك.

(٣) العَرْصة: الساحة الواسعة بين الدُّور لا بناءَ فيها.

(٤) العُصم: الوُعول، لأنها تعتصم بالجبال، وثبير: جبل بمكة.

(٥) البَنِيّة: الكعبة. والحَبير: ضربٌ من ثياب اليمن المزخرفة.

(٦) المَهارَى ـ والمَهارِيْ والمَهارِيُّ ـ: الإبل العِراب النجيبة. والجَزُور: الجمل الذي يُنحَر.

(٧) الرَّحيض من الشعير، أي: المُنقَّى والمُصفَّى منه. قاله السهيلي في «الروض» ١/ ١٨٠.

والفِيلُ أُهلِكَ جَيشُه ... يُرمَونَ فيها بالصُّخورْ
والمُلكُ في أقصى البِلا ... دِ وفي الأعاجمِ والجَزِيرْ[1]
فاسمعْ إذا حُدِّثتَ وافْـ ... ـهَمْ كيف عاقبةُ الأُمورْ[2]

قال ابن هشام: يوقف على قوافيها لا تُعرَب.

ثمّ خرج متوجِّهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبْرَين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومَه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبَوْا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

قال ابن إسحاق: حدّثني أبو مالك بن ثَعلَبة بن أبي مالك القُرَظي قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله يحدِّث: أن تُبّعاً لما دنا من اليمن لِيدخلَها حالت حِمْيرُ بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخلُها علينا وقد فارقتَ[3] دينَنا، فدعاهم إلى دينِه، وقال: إنه خيرٌ من دينكم، قالوا: فحاكِمْنا إلى النار، قال: نعم.

قال: وكانت باليمن - فيما يَزعُم أهلُ اليمن - نارٌ تَحكُم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكلُ الظالمَ ولا تضُرُّ المظلوم، فخرج قومُه بأوثانهم وما يتقرَّبون به في دينِهم، وخرج الحَبْرانِ بمصاحفهما في أعناقهما متقلِّدَيها، حتى قَعدُوا للنار عند مَخرَجها

(١) شرح عليها أبو ذر الخشني في «إملائه» ص١١ بالخاء في أوله، فقال: الخَزِير أُمّة من العجم، ويقال لهم: الخَزَر أيضاً، ومن رواه الجَزِير بالجيم فيحتمل أن يكون جمع جزيرة، يريد جزيرة بلاد العرب.

(٢) بعد هذا في (ش١) و(ق١): قال ابن هشام: يوقف على قوافيها لا تُعرَب. ولم ترد هذه العبارة في بقية النسخ الخطية.

ومعنى قول ابن هشام هذا: أنه يوقف على أواخرها بالسكون.

(٣) في (ت) و(غ): وقد خالفتَ.

الذي تخرج منه، فخرجت النارُ إليهم، فلما أقبلَتْ نحوَهم حادُوا عنها وهابُوها، فذَمَرَهم[1] مَن حَضَرهم من الناس، وأمَرُوهم بالصبر لها، فصبروا حتى غَشِيَتهم، فأكَلَت الأوثانَ وما قَرَّبوا معها ومَن حَمَلَ ذلك من رجال حِميَر، وخرج الحَبْرانِ بمصاحِفِهما في أعناقهما تَعرَقُ جِباهُهما لم تضرَّهما، فأصفَقَت[2] عند ذلك حِمْيَرُ على دينِه، فمن هنالك وعن ذلك كان أصلُ اليهوديّة باليمن.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محدِّثٌ: أن الحبرينِ ومَن خرج من حِميَر، إنما اتَّبعوا النار ليرُدُّوها، وقالوا: من ردَّها فهو أَولى بالحقّ، فدَنَا منها رجالُ حِميَر بأوثانهم ليردُّوها، فدَنَت منهم لتأكلَهم، فحادُوا عنها ولم يستطيعوا ردَّها، ودنا منها الحَبْرانِ بعد ذلك وجعلا يَتلُوانِ التوراةَ وتَنكُصُ، حتى ردّاها إلى مَخرَجها الذي خرجت منه، فأصفقَتْ عند ذلك حِمْيَرُ على دينِهما، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وكان رِئامٌ بيتاً لهم يعظِّمونه ويَنحَرُون عنده، ويُكلَّمون منه[3] إذ كانوا على شِرْكهم، فقال الحَبْران لِتُبّع: إنما هو شيطانٌ يَفتِنُهم، فخلِّ بيننا وبينه، قال: فشأنَكما به، فاستَخرَجا منه ـ فيما يَزعُم أهل اليمن ـ كلباً أسودَ فذَبَحاه، ثم هَدَما ذلك البيت، فبقاياه اليوم ـ فيما ذُكِر لي ـ بها آثارُ الدماء التي كانت تُهراقُ عليه.

---

(١) أي: حضّهم وشجّعهم.

(٢) أي: أطبقَت واجتمعت.

(٣) ذكر السهيلي في «الروض الأنف» ١/ ١٨٢ أنّ في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق: أن رِئاماً كان فيه شيطان، وكانوا يملؤون له حِياضاً من دماء القُربان، فيخرج فيصيب منها ويكلِّمهم، وكانوا يعبدونه. قلنا: وهذا من أساطير العرب.

مُلكُ ابنِه حسّان بن تُبَان، وقتلُ عمرٍو أخيه له

فلما مَلَكَ ابنُه حسّان بن تُبَان أسعد أبي كَرِبٍ، سار بأهل اليمن يريد أن يطأَ بهم أرضَ العرب وأرضَ الأعاجم، حتى إذا كانَ ببعض أرض العراق ـ قال ابن هشام: بالبَحرَين، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم ـ كَرِهَت حِميَرُ وقبائلُ اليمن السيرَ معه، وأرادوا الرَّجعة إلى بلادهم وأهليهم، فكلَّموا أخاً له يقال له: عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتُلْ أخاك حسان ونُملِّكُك علينا، وتَرجِعُ بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَينٍ الحِمْيري، فإنه نهاه عن ذلك، فلم يقبل منه، فقال ذو رُعَين:

ألا مَـن يشـتري سَـهَراً بنَـومٍ　　سـعيدٌ مَـن يَبيـتُ قَريـرَ عـينِ

فإمّـا حِمْيـرٌ غَـدَرَت وخانـتْ　　فمَعـذِرةُ الإلٰـهِ لِـذي رُعَـينِ

ثم كتبهما في رُقْعة وخَتَمَ عليها، ثم أَتى بها عَمراً، فقال له: ضَعْ لي هذا الكتابَ عندك، ففعل، ثم قَتَلَ عمرٌو أخاه حسّانَ، ورَجَعَ بمن معه إلى اليمن، فقال رجلٌ من حِميَر:

لاهِ[1] عَيْنـا الـذي رأى مثـلَ حسَّـا　　نَ قتـيلاً في سـالفِ الأحقـابِ

قَتَلتْـه المَقـاوِلُ خَشْـيةَ الحَبـ　　ـسِ غَـداةً قـالوا: لَبـابِ لَبـابِ[2]

مَيْـتُكم خيرُنـا وحـيُّكم ربٌّ　　علينـا وكلُّكـم أربـابُ[3]

---

(١) جاء في حاشية (ص): «لاهِ» بمعنى: لله، فحذفوا لام الجرّ ولام التعريف، قال سيبويه: يقولون: لاهِ أبوك، بمعنى: لله أبوك، فيحذفون لام الإضافة واللام الأخرى. قلنا: ونحوه قال السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ١٨٤.

(٢) المَقاول: الملوك بلغة أهل اليمن، واحدها: مِقوَل، لأنه يقول ما شاء فيَنفُذ ما يقوله.

(٣) كذا في نسخنا الخطية غير (ش١): أربابُ، بالرفع، فيكون فيه إقواءٌ، وفي (ش١) =

قال ابن إسحاق: وقوله: لَبابِ لَبابِ: لا بأس، بلغة حِميَر.

قال ابن هشام: وتُروَى: لَيابِ لَيابِ.

قال ابن إسحاق: فلما نزل عمرو بن تُبان اليمنَ مُنِعَ منه النوم وسُلِّط عليه السّهَر، فلما جَهَدَه ذلك سأل الأطباءَ والحُزَاة[1] من الكُهّان والعَرَّافين عمَّا به، فقال له قائل منهم: إنه والله ما قَتَلَ رجلٌ قطُّ أخاه أو ذا رَحِمِه بَغْياً على مثل ما قتلتَ أخاك عليه، إلا ذهب نومُه وسُلِّط عليه السَّهر.

فلما قيل له ذلك جعل يقتلُ كلَّ من أمره بقتلِ أَخيه حسّان من أشراف اليمن، حتى خَلَصَ إلى ذي رُعَين، فقال له ذو رُعَين: إنّ لي عندك براءَة، فقال: وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعتُه إليك، فأخرَجَه فإذا فيه البيتانِ، فتَرَكه ورأى أنه قد نَصَحَه.

وهَلَكَ عمرٌو، فمَرَجَ أمرُ حِميَرَ عند ذلك فتَفرَّقوا.

وُثُوب لَخْنِيعة ذي شَناتِر على مُلك اليمن

فوَثَب عليهم رجلٌ من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له: لَخْنِيعةُ[2] يَنُوف ذو شَنَاتر، فقَتَل خيارَهم، وعَبِثَ ببيوتِ أهل المملكة منهم، فقال قائلٌ من حِميَر:

= و«تاريخ الطبري»: أربابي. والربُّ: السيِّد.

(١) الحُزاة: هم الذين ينظرون في النجوم ويقضون بها.

(٢) كذا قُيّدت بالحركات في نسخنا الخطية، وبالنون، وجاءت في بعض مصادر الأخبار واللغة: لختيعة، بالتاء، وفي بعضها: لخيعة، بدونهما.

ونقل الخشني في «إملائه» ص١٢ عن ابن دريد أنه قال: المعروف: لخيعة، بغير نون. والشناتر: الأصابع، بلغة حمير واحدها: شنتير.

تُقتِّـلُ أَبناهـا وتَنفِـي سَـرَاتَها ... وتَبني بأيدِيها لها الذلَّ حِمْيـرُ[1]

تُـدمِّرُ دُنياهـا بطَـيْشِ حُلُومِهـا ... وما ضَيَّعَت من دِينِها فهْوَ أكثـرُ

كذاكَ القُرونُ قبـلَ ذاك بظُلمِهـا ... وإسرافِها تأتي الشُّرورَ فتَخسَـرُ

وكان لَخْنِيعةُ امرَأً فاسقاً يعمل عملَ قوم لوط، فكان يُرسِل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيَقَعُ عليه في مَشرَبةٍ[2] له قد صَنعَها لذلك، لئلا يُملَّكَ بعد ذلك، ثم يطَّلع من مَشرَبتِه تلك إلى حرسه ومَن حضر من جنده، قد أَخذ مِسواكاً فجعله في فيه، أي: ليُعلِمَهم أنه قد فَرَغَ منه.

حتى بَعَثَ إلى زُرْعةَ ذي نُوَاس بن تُبان أسعد أَخي حسّان، وكان صبيّاً صغيراً حين قُتل حسان، ثم شَبَّ غلاماً جميلاً وَسِيماً، ذا هيئةٍ وعقل، فلمّا أتاه رسولُه عَرَفَ ما يريدُ منه، فأخذ سِكّيناً حديداً لطيفاً فخبّأه بين قدمِه ونَعلِه ثم أتاه، فلما خَلَا معه وَثَبَ إليه، فواثَبَه ذو نُواسٍ فوَجَأَه[3] حتى قتله، ثمّ حَزَّ رأسَه فوضعه في الكُوّة التي كان يُشرِف منها، ووضع سِواكَه في فيِهِ، ثمّ خرج على الناس، فقالوا له: ذو نُوَاس، أَرَطْبٌ أم يَبَاس؟ فقال: سَلْ نَخْماس[4] استَرْطَبان ذو نُواس؛ استَرْطَبان:

(١) سراتُها: أشرافها.

(٢) بفتح الميم وفتح الراء وتُضمّ: الغرفة المرتفعة.

(٣) أي: ضربه وطعنه.

(٤) هكذا في (ص) و(ق١) و(م)، وفي (ت) و(ش١): تحماس، وفي (غ) و(ي): تخماس.
وذكر السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ١٩٠: أن كُرَاعاً (أحد أئمّة اللغة) قيّده بالتاء والحاء فيما ذُكر له.
ثم قال: وقوله: استرطبان؛ إلى آخر الكلام، مشكلٌ، يفسّره ما ذكره أبو الفرج في «الأغاني» قال: كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة وقد لاط به قطعوا مشافرَ ناقته وذنبها، وصاحوا به: =

لا باس - قال ابن هشام: هذا كلامُ حِميَر، ونَخْماس: الرّأس[1] - فنظروا إلى الكُوّة فإذا رأسُ لَخنِيعةَ مقطوع، فخرجوا في إثر ذي نُوَاس حتى أدركوه فقالوا: ما ينبغي أن يَملِكَنا غيرُكَ؛ إذ أَرَحْتَنا من هذا الخبيث.

مُلْكُ ذي نُوَاس

فملَّكوه، واجتمعت عليه حِميَرُ وقبائلُ اليمن فكان آخرَ ملوك حِميَر[2]، وتَسمَّى يوسفَ، فأقام في مُلكِه زماناً.

وبنَجْرانَ بقايا من أهل دِين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل، أهلِ فضلٍ واستقامةٍ من أهل دينِهم، لهم رأسٌ يقال له: عبد الله بن الثّامر، وكان موقعُ أصلِ ذلك الدِّين بنَجْران - وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلُها وسائرُ العربِ كلِّها أهلُ أوثانٍ يعبدونها - أنَّ رجلاً من بقايا أهل ذلك الدِّين يقال له: فِيميُون، وقع بين أظهُرِهم فحَمَلَهم عليه، فدانُوا به.

ابتداء وقوع النصرانيّة بنَجْران

قال ابن إسحاق: حدّثني المغيرة بن أبي لَبِيد مولى الأخنَس[3]، عن وَهْب بن مُنبِّه

= أرطبٌ أم يباس، فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقةً له يقال لها: السراب، قالوا: ذا نواس، أرطبٌ أم يَبَاس؟ فقال: ستعلمُ الأحراس، اسْتُ ذي نواس استٌ رَطْبان أم يَبَاس؛ فهذا اللفظ مفهوم، والذي وقع في الأصل هذا معناه، ولفظه قريب من هذا، ولعله تغيير في اللفظ، والله أعلم.

وقال الخشنيُّ في «إملائه» ص١٢: قالوا في تفسير استرطبان أن معناه: أَخَذَته النارُ، بالفارسية!

(١) كلام ابن هشام هذا من (ش١) و(ق١) دون بقية النسخ، وهو في (ش١): تحماس.

(٢) في طبعة السقّا وصاحبيه بعد هذا: وهو صاحب الأخدود. وليس في نسخنا الخطية.

(٣) المغيرة هذا ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» ٧/ ٣٢٥، وابن أبي حاتم في «الجرح =

اليماني أنه حدَّثهم: أنّ مَوقِعَ ذلك الدِّين بنجرانَ، كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام يقال له: فِيميُون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا مجابَ الدعوة، وكان سائحاً يَنزِل القُرى، لا يُعرَفُ بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرَف بها، وكان لا يأكلُ إلا من كَسْب يديه، وكان بنّاءً يعمل الطِّين، وكان يُعظِّم الأَحد، إذا كان يومُ الأَحد لم يعمل فيه شيئاً وخرج إلى فَلَاةٍ من الأرض فصلَّى بها حتى يُمسِي.

قال: وكان في قريةٍ من قرى الشام يعمل عملَه ذلك مستخفياً، ففَطِنَ لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له: صالح، فأحبَّه حباً لم يحبَّه شيئاً كان قبله، فكان يَتبعُه حيث ذهب، ولا يَفطَنُ له فِيميُون، حتى خرج مرةً في يوم الأحد إلى فَلَاةٍ من الأرض كما كان يصنع، وقد اتَّبعه صالحٌ وفيميون لا يدري، فجلس صالحٌ منه مَنظَرَ العين مستخفياً منه، لا يُحبُّ أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلّي، فبَيْنا هو يصلي إذ أقبل نحوه التِّنِّينُ ـ الحية ذات الرؤوس السبعة ـ فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالحٌ ولم يَدْرِ ما أصابها، فخافها عليه، فعِيلَ عَوْلُه[1] فصرخ: يا فيميون، التِّنِّينُ قد أقبل نحوك، فلم يَلتفِت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى، فانصرف وعَرَف أنه قد عُرِف به، وعَرَف صالحٌ أنه قد رأى مكانه، فقال له: يا فيميون، تعلمُ واللهِ أني ما أحببت شيئاً قَطُّ حبَّك، وقد أردتُ صحبتك، والكَيْنونةَ

= والتعديل» ٨/ ٢٢٨، وابن حبان في «الثقات» ٧/ ٤٦٦، ولم يذكروا عنه راوياً سوى ابن إسحاق، فهو مجهول، وخبره هذا غريب تفرّد به عن وهب بن منبّه.

(١) في نسخة على هامش (ص) قُيّدت بالحركات: فعَيَّل عَوْلةً، وصحح عليها.

ومعنى «عِيلَ عولُه»: غُلب على صبره، يقال: عاله الأمرُ: إذا غلبه. قاله أبو ذر الخشني، وذكر أن المراد بالرؤوس السبعة: القرون التي على رأسها.

معك حيث كنت، قال: ما شئتَ، أمري كما ترى، فإن علمتَ أنك تَقوَى عليه فنِعمَ، فلَزِمَه صالح.

وقد كاد أهلُ القرية يَفطَنُون لشأنِه، وكان إذا فاجأه العبدُ به الضُّرُّ دعا له فشُفِي، وإذا دُعِيَ إلى أحدٍ به ضُرٌّ لم يأتِه، وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضَرير، فسأل عن شأن فِيميُون، فقيل له: إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجلٌ يعمل للناس البُنيانَ بالأجْر[1]. فعَمَدَ الرجلُ إلى ابنه ذلك فوضعه في حُجْرته وألقى عليه ثوباً، ثم جاءه فقال له: يا فيميون، إني قد أردتُ أن أعمل في بيتي عملاً، فانطلِقْ معي إليه حتى تنظرَ إليه فأُشارِطَك عليه، فانطَلَقَ معه، حتى دخل حُجْرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل من بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتَشَطَ الرجلُ الثوبَ[2] عن الصبي، وقال: يا فيميون، عبدٌ من عباد الله أصابه ما ترى، فادعُ الله له، فدعا له فيميون، فقام الصبي ليس به بأس.

وعَرَفَ فيميُون أنه قد عُرِف، فخرج من القرية واتَّبعه صالح، فبَيْنا هو يمشي في بعض الشام إذ مرَّ بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل فقال: أفيميُون؟ قال: نعم، قال: ما زلتُ أنظُرُك وأقول: متى هو جاءٍ، حتى سمعتُ صوتك فعرفتُ أنك هو، لا تَبـرَحْ حتى تقوم عليَّ، فإنني ميِّتٌ الآن، قال: فمات، وقام عليه حتى واراهُ، ثم انصرف وتَبِعه صالحٌ، حتى وَطِئا بعضَ أرض العرب، فعَدَوْا عليهما، فاختطفَتْهما سيَّارةٌ[3] من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعُوهما بنَجْران، وأهلُ نجرانَ يومئذٍ على دين

(١) قُيِّدت في (ص): بالآجُرّ، وفي نسخة على حاشيتها: بالأَجْر، وقيِّدت في (م) بالوجهين.

(٢) أي: كشفه بسرعة.

(٣) أي: جماعة قوم يسيرون بالتجارة.

العرب، يَعبُدون نخلةً طويلةً بين أظهُرِهم، لها عيدٌ كلَّ سنة، إذا كان ذلك العيدُ عَلَّقوا عليها كلَّ ثوبٍ حسنٍ وَجَدُوه، وحُلِيَّ النساء، ثم خرجوا إليها فعَكَفوا عليها يوماً، فابتاعَ فيميونَ رجلٌ من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخَرُ.

فكان فيميُون إذا قام من الليل يتهجَّد، في بيتٍ له أسكَنَه إياه سيّدُه، يصلِّي، استَسرَجَ له البيتُ نوراً من غير مصباح حتى يُصبِح، فرأى ذلك سيدُه، فأعجبَه ما يرى منه، فسأله عن دينِه، فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إنَّ هذه النخلة لا تَضرُّ ولا تَنفَع، ولو دعوتُ عليها إلٰهي الذي أعبدُه أَهلَكَها، وهو الله وحده لا شريكَ له، قال: فقال له سيّده: فافعلْ، فإنك إن فعلتَ، دَخلْنا في دينك وتَركنا ما نحن عليه، قال: فقام فيميون فتطهَّر وصلَّى ركعتين، ثم دعا اللهَ عزَّ وجلَّ عليها، فأرسل اللهُ رِيحاً عاصفاً فجَعَفَتْها من أصلها[1] فألقَتْها، فاتَّبعه عند ذلك أهلُ نجرانَ على دينِه، فحَمَلَهم على الشَّريعة من دينِ عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداثُ التي دخلت على أهل دينِهم بكل أرضٍ، فمن هناك كانت النصرانيةُ بنَجْران في أرض العرب.

قال ابن إسحاق: هذا حديث وهب بن منبِّه عن أهل نجران.

أمرُ عبد الله بن الثَّامِر، وقصةُ أصحاب الأخدود

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ؛ وحدّثني أيضاً بعضُ أهل نجرانَ عن أهلها: أنّ أهل نجرانَ كانوا أهلَ شِركٍ يعبدون الأوثان، وكان في قريةٍ من قُراها قريباً من نجران ـ ونجرانُ: القريةُ العُظمى التي إليها جِمَاع أهل تلك البلاد ـ ساحرٌ يُعلِّم غِلمانَ أهل نجران السحرَ، فلما نزلها فيميُون ـ ولم

(١) أي: قلعتها وأسقطتها.

يسمُّوه لي باسمه الذي سمَّاه به ابنُ مُنبِّه، قالوا: رجلٌ نزلها ـ ابتَنَى خَيمةً بين نجرانَ وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعلَ أهلُ نجران يُرسِلون غِلْمانَهم إلى ذلك الساحر يُعلِّمُهم السحر، فبعث الثامرُ ابنَه عبدَ الله بنَ الثامر مع غِلمان أهل نجران، فكان إذا مرَّ بصاحب الخيمةِ أعجَبَه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعلَ يَجلِسُ إليه ويسمع منه، حتى أسلمَ فوحَّد اللهَ عزَّ وجلَّ وعَبَدَه، وجعل يسألُه عن شرائع الإسلام، حتى إذا فَقُهَ فيه جعل يسألُه عن الاسم الأعظم، وكان يَعلَمُه، فكَتَمَه إيّاه، وقال له: يا ابن أخي، إنَّك لن تَحمِلَه، أخشى ضعفَك عنه.

والثامرُ أبو عبد الله لا يَظنُّ إلا أنَّ ابنه يختلفُ إلى الساحر كما يختلفُ الغِلمانُ، فلما أن رأى عبدُ الله أن صاحبَه قد ضَنَّ به عنه، وتخوَّف ضعفَه فيه، عَمَدَ إلى قِدَاحٍ[1] فجَمَعَها، ثم لم يُبْقِ للهِ تعالى اسماً يعلَمُه إلا كتبه في قِدْح، لكلِّ اسمٍ قِدحٌ، حتى إذا أحصاها أَوقَدَ لها ناراً، ثم جعل يَقذِفُها فيها قِدْحاً قِدْحاً، حتى إذا مرَّ بالاسم الأعظمِ قَذَفَ فيها قِدْحَه، فوَثَبَ القِدحُ حتى خرج منها لم تضرَّه شيئاً، فأخذه، ثم أتى صاحبَه فأخبره بأنه قد عَلِمَ الاسم الذي كَتَمَه، فقال: وما هو؟ قال: كذا وكذا، قال: وكيف عَلِمتَه؟ فأخبَرَه بما صَنَع، فقال: أيْ بُنيَّ أَخي، قد أصبتَه، فأمسِكْ على نفسك، وما أظنُّ أن تفعل.

فجعل عبد الله بن الثَّامر إذا دخل نجرانَ لم يَلْقَ أحداً به ضُرٌّ إلا قال له: يا عبدَ الله، أتوحِّدُ الله وتدخلُ في ديني، وأدعو الله فيعافِيكَ مما أنتَ فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحِّدُ الله عزَّ وجلَّ ويُسلِم، ويدعو له فيُشفَى، حتى إذا لم يبقَ

---

(١) القِدَاح، جمع قِدْح، بالكسر: وهو السهم قبلَ أن يُراشَ ويُنصَل، ويُجمع أيضاً على أقدُح وأقاديح.

بنجرانَ أحدٌ به ضُرٌّ إلا أتاه فاتَّبَعه على أمره ودعا له فعُوفي، حتى رُفِعَ شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال: أفسدتَ عليَّ أهلَ قريتي، وخالفتَ ديني ودينَ آبائي، لأُمثِّلَنَّ بك، قال: لا تَقدِرُ على ذلك.

قال: فجعل يرسلُ به إلى الجَبَل الطويل فيُطرَح على رأسه، فيقعُ إلى الأرض ليس به بأسٌ، وجعل يَبعَثُ به إلى مياهٍ بنجران بُحورٍ لا يقعُ فيها شيءٌ إلا هَلَك، فيُلقَى فيها فيخرج ليس به بأسٌ، فلما غَلَبَه قال له عبد الله بن الثامر: إنَّك واللهِ لا تَقدِرُ على قتلي حتى توحِّدَ الله تعالى، فتؤمنَ بما آمنتُ به، فإنَّك إن فعلتَ سُلِّطتَ عليَّ فقتلتَني. قال: فوحَّدَ اللهَ ذلك الملكُ، وشَهِدَ شهادةَ عبد الله بن الثامر، ثم ضَرَبه بعصاً في يده فشجَّه[1] شَجّةً غيرَ كبيرةٍ فقتله، ثم هَلَكَ الملكُ مكانَه، واستَجمَعَ أهلُ نجران على دينِ عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى ابنُ مريم من الإنجيل وحُكمِه، ثم أصابهم ما أصاب أهلَ دينِهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصلُ النصرانيّة بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظيِّ وبعضِ أهلِ نجران عن عبد الله بن الثامر، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان[2].

---

(١) أي: جَرَحه.

(٢) طريق ابن إسحاق في قصة أصحاب الأخدود مرسل، فإن محمد بن كعب القرظيّ تابعيّ، ولم يأثره عن أحد، والطريق الأخرى له فيها جهالة النجرانيِّين.

وقد صحّت هذه القصة بغير هذا السِّياق عند مسلم في «صحيحه» (٣٠٠٥) من طريق حماد ابن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرتُ، فابعث إليَّ غلاماً أعلّمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه، =

= فأعجبه، فكان إذا أتى الساحرَ مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحرَ ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيتَ الساحر فقل: حَبَسني أهلي، وإذا خشيتَ أهلك فقل: حَبَسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابّة عظيمة قد حَبَسَت الناس، فقال: اليومَ أعلمُ آلساحرُ أفضل أم الراهبُ أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمرُ الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابّة حتى يمضيَ الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهبَ فأخبره، فقال له الراهب: أيْ بنيَّ، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتَلى، فإن ابتُليت فلا تدلَّ عليَّ، وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء.

فسمع جليس للملك كان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمعُ إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أَشفي أحداً، إنما يَشْفي اللهُ، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملكَ فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربُّك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أيْ بنيَّ، قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أَشفي أحداً، إنما يَشفي اللهُ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأَبى، فدعا بالمِئشار، فوضع المئشار في مَفرِق رأسه، فشقَّه حتى وقع شِقَّاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأَبى، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقَّه به حتى وقع شِقّاه.

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأَبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذُرْوتَه، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفِنيهم بما شئت، فرَجَفَ بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كَفَانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقور (سفينة صغيرة) فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذِفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفِنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كَفَانيهم الله، فقال للملك: =

أمر الأُخدود

قال: فسار إليهم ذو نُوَاس بجنوده، فدعاهم إلى اليهوديّة، وخيَّرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتلَ، فخَدَّ لهم الأُخدود، فحَرَّق بالنار، وقَتَلَ بالسيف، ومثَّل بهم، حتى قَتَل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نُواس وجُندِه ذلك أَنزل الله تعالى على رسوله محمدٍ ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ إلى آخر السورة.

= إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتَصلُبني على جِذْع، ثم خذ سهماً من كِنانتي، ثم ضع السهم في كَبِد القوس، ثم قل: باسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلتَ ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كِنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله ربِّ الغلام، ثم رماه فوقع السهمُ في صُدْغه، فوضع يده في صُدغِه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنّا برب الغلام، آمنّا برب الغلام، آمنّا برب الغلام، فأُتي الملك فقيل له: أرأيتَ ما كنت تَحذَرُ؟ قد والله نزل بك حذرُك، قد آمن الناس، فأمر بالأُخدود في أفواه السِّكك، فخُدَّت وأَضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأَحمُوه فيها، أو قيل له: اقتحِمْ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌّ لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه، اصبِري، فإنك على الحق».

وأخرجه الترمذي بإثر الحديث (٣٣٤٠) من طريق معمر، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن صهيب، موقوفاً.

قال ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٣٦٨ بعد أن ذكر رواية معمر: وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي ﷺ، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى، والله أعلم.

قلنا: لكن قال أبو حاتم الرازي، كما في «العلل» لابنه (١٦٥٥): حديث حماد بن سلمة أشبه عن صهيب مرفوعاً.

قال ابن هشام: الأُخدودُ: الحَفْرُ المستطيل في الأرض، كالخندق والجَدوَل ونحوه، وجمعُه: أخاديد، وقال ذو الرُّمّة، واسمه غَيْلان بن عُقبة، أحدُ بني عَدِيِّ ابن عبد مَنَاة بن أُدّ بن طابخة بن الْياسِ بن مُضَر:

مِنَ العراقيَّـةِ اللّاتي يُحِيـلُ لها   بين الفَلَاةِ وبين النَّخلِ أُخدودُ

يعني جَدْولاً، وهذا البيت في قصيدة له[1]. ويقال لأثر السيف والسكِّين في الجلد، وأثر السَّوط ونحوه: أُخدود، وجمعه: أخاديد.

قال ابن إسحاق: ويقال: كان فيمن قَتَلَ ذو نُوَاسٍ عبدُ الله بن الثّامر، رأسُهم وإمامُهم.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم، أنه حُدِّث: أن رجلاً من أهل نَجْرانَ كان في زمان عمر بن الخطّاب حَفَرَ خَرِبةً من خِرَب نجران لبعض حاجته، فوجدوا عبدَ الله بنَ الثّامرِ تحت دفنٍ منها قاعداً، واضعاً يدَه على ضربةٍ في رأسه، مُمسِكاً عليها بيده، فإذا أُخِّرت يدُه عنها تَثعَّبَت دماً[2]، وإذا أُرسِلَت يدُه ردَّها عليها فأمسكت دَمَها، وفي يده خاتَمٌ مكتوب فيه: ربِّي الله، فكُتِبَ فيه إلى عمر بن الخطّاب يُخبَرُ بأمره، فكتب إليهم عمرُ: أن أَقِرُّوه على حاله، ورُدُّوا عليه الدَّفنَ الذي كان عليه، ففَعَلوا[3].

(١) انظر «ديوانه» بشرح أبي نصر الباهلي ٢/ ١٣٦٤. وفي هذا البيت يتكلم عن حُمُر من حمير العراق، ومعنى قوله: يحيل لها أُخدود، أي: يأتي على أثرها حولٌ لا يندرس، ويعني بالأُخدود طريقاً لها تردُّد فيه، ففيه أثرها. ويعني بما بين الفلاة والنخل: الرِّيف.

(٢) يعني: انفجرت وسالت دماً.

(٣) عبد الله بن أبي بكر شيخ ابن إسحاق إمامٌ ثقة صاحب علمٍ بالمغازي، وهو لم يدرك زمان عمر، وُلد بعده بعشرات السنين، وهو من صغار التابعين. =

أمر دَوْسٍ ذي ثُعلُبان، وابتداء مُلك الحبشة وذكر أَرْياطٍ المستولي على اليمن

قال ابن إسحاق: وأَفلَتَ منهم رجلٌ من سَبَأ يقال له: دَوسٌ ذو ثُعلُبان، على فرس له، فسَلَكَ الرَّمْلَ[1] فأعجَزَهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصرَ صاحبَ الرُّوم فاستنصرَه على ذي نُواسٍ وجنوده، وأخبَرَه بما بَلَغَ منهم، فقال له: بَعُدَت بلادُك منا، ولكنِّي سأكتب لك إلى ملك الحَبَشة، فإنه على هذا الدِّين، وهو أقربُ إلى بلادك. فكتَبَ إليه يأمرُه بنصرِه والطَّلبِ بثأره.

فقَدِمَ دوسٌ على النجاشيِّ بكتاب قيصر، فبعثَ معه سبعين ألفاً من الحبشة، وأمَّرَ عليهم رجلاً منهم يقال له: أَرياط، ومعه في جُندِه أبْرَهةُ الأشرم، فركبَ أرياطُ البحرَ حتى نزل بساحل اليمن ومعه دَوسٌ، وسار إليه ذو نُواسٍ في حِمْيرَ ومَن أطاعه من قبائل اليمن، فلما الْتقَوا انهزَمَ ذو نواسٍ وأصحابه، فلما رأى ذو نُواسٍ ما نزل به وبقومِه، وَجَّهَ فرسَه في البحر ثم ضربه فدخل به، فخاضَ به ضَحْضاحَ البحر[2] حتى أَفضى به إلى غَمْرِه، فأدخله فيه، فكان آخرَ العهدِ به، ودخل أرياطُ اليمنَ فمَلَكها.

فقال رجلٌ من أهل اليمن، وهو يَذكُر ما ساق إليهم دَوسٌ من أمر الحبشة: لا كدَوْسٍ ولا كأعلاقِ رَحْلِه[3]؛ فهي مَثَلٌ باليمن إلى هذا اليوم.

= ورواه عن ابن إسحاق أيضاً سلمة بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ١٢٤.

(١) يعني: الصحراء.

(٢) الضَّحضاح من الماء: الذى يظهر منه القعر، وكأن أصله من الضِّح: وهو حرُّ الشمس، كأن الشمس تداخله لقلّته، فقُلبت إحدى الحاءين ضاداً. قاله السهيلي في «الروض» ١/ ٢٢٣.

والغَمْر: الماء الكثير.

(٣) الأعلاق والعُلوق، واحدتها: العِلْق، وهي: النفيس من كل شيء. وكأنه يريد ما جلبه =

وقال ذو جَدَنٍ الحِمْيري[1]:

هَونَكِ لن يـرُدَّ[2] الـدَّمعُ ما فاتـا ... لا تَهلِكي أسَـفاً في إثْـرِ مَـن ماتـا

أبَعـدَ بَينُـونَ لا عـينٌ ولا أثَـرٌ ... وبعد سِلْحِينَ يَبْني النّاسُ أَبياتـا

وسِلحِينُ وبَينُونُ وغُمْدانُ من حُصون اليمن التي هَدَمَ أرياطُ، ولم يكن في الناس مثلُها.

وقال ذو جَدَن أيضاً:

دَعِينـي لا أبـا لـكِ لـن تُطِيقـي ... لَحَـاكِ اللهُ قـد أَنزَفـتِ رِيقـي

لَـدَى عَـزْفِ القِيـانِ إذا انتَشَـيْنا ... وإذ نُسـقَى مـن الخمـرِ الرَّحيـقِ

وشربُ الخمـرِ لـيس عليَّ عـاراً ... إذا لـم يَشـكِنِي[3] فيـه رَفيقـي

فـإنَّ المـوتَ لا ينهـاهُ نـاهٍ ... ولـو شَرِب الشِّفاءَ مع النَّشُوقِ[4]

ولا مُتَرهِّـبٌ في أُسـطُوانٍ ... ينـاطحُ جُـدْرُه بَـيْضَ الأَنُـوقِ[5]

وغُمْـدانُ الـذي حُـدِّثتَ عنـه ... بَنَـوهُ مُسـمَّكاً في رأسِ نِيـقِ[6]

= دوس من خير إلى اليمن، حيث طلب النجدة.

(١) في حاشية (ص): ذو جدن: اسمه علس بن الحارث بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل.

(٢) في (غ): ليس يردّ. وكلاهما صحيح في الوزن.

(٣) كذا قُيّدت في (ت) و(ص) بكسر الكاف، من: شَكَيتُ، قال في «القاموس المحيط» (شكي): لغة في شَكَوت، وقيّدت الكاف في (م) بالضم والفتح.

(٤) النَّشوق: اسم لكل دواء يصب في الأنف.

(٥) الأنُوق: طائر الرَّخَم، وهي لا تبيض إلا في الجبال العالية المشرفة، فلا يكاد يوصل إلى بيضها.

(٦) مسمَّكاً: مرتفعاً. والنِّيق، بالكسر: أعلى الجبل.

بمَنْهَمــةٍ وأَســفلُه جُــروبٌ ... وحُــرُّ المَوحَــل اللَّثِــقِ الزَّلِيــقِ[1]

مصــابيحُ السَّــلِيطِ تَلُــوحُ فيــه ... إذا يُمســي كتَوْمــاضِ البُــرُوقِ[2]

ونخلتُــه التــي غُرِسَــت إليــه ... يكــادُ البُسْــرُ يَهصِــرُ بالعُــذُوقِ[3]

فأصــبحَ بعــد جِدَّتِــه رمــاداً ... وغيَّــر حُســنَه لَهَــبُ الحريــقِ

وأُســلِمَ ذو نُــوَاسٍ مُســتكيناً ... وحَــذَّر قومَــه ضَــنْكَ المَضِــيقِ[4]

وقال ابن الذِّئبة الثَّقَفي في ذلك ـ قال ابن هشام: الذئبة أمُّه، واسمه رَبيعة بن عبد ياليلَ بن سالم بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِيّ[5] ـ:

لعَمــرُك مــا للفتــى مــن مَفَــرٍّ ... مــع المــوتِ يَلحَقُــه والكِبَــرْ

لعَمــرُك مــا للفتــى صُــحْرةٌ ... لعَمــرُك مــا إنْ لــه مِــن وَزَرْ[6]

---

(١) المَنهمة: موضع الراهب. والجُروب: حجارة سود. والحُرُّ من كل شيءٍ: خالصُه، يقال حُرُّ الرمل، وحُرُّ الطين، وحُرُّ التراب، وهو خالِصُه. والمَوحَل، من الوَحل: وهو الماء والطين. واللَّثِق: الذي فيه بلل، والزَّليق: الذي يُزلَق فيه.

ومَن رواه المَوجَل ـ بالجيم ـ فيقال: هي حجارة ملس ليِّنة، ومن رواه اللَّبِق بالباء، فاللَّبق: هو الحَسَن الخفيف الذي تتهيأ له الأشياء، واللَّثِق بالثاء هو الصواب هنا. قاله أبو ذر الخشني في «إملائه» ص١٤-١٥.

(٢) السَّليط: الدهن. وتَوماض البروق: لمعانها.

(٣) البُسْر: التمر قبل أن يُرطِب. ويَهصِر: يكسر.

والعُذوق: جمع عِذْق، وهو عُنقود النخلة. وجاء في حاشية (ص): قوله: يهصر بالعذوق، أي: يميل بها.

(٤) أُسلم: خُذل. ومستكيناً: ذليلاً. والضنك: شدّة الضِّيق.

(٥) من قوله: بن سالم، إلى هنا لم يرد في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١).

(٦) صُحرة: نجاة. والوَزَر: الملجأ.

أَبَعْدَ قبائلَ مِن حِمْيرٍ ... أُبيدوا صباحاً بذاتِ العَبَرْ[1]
بألفِ أُلوفٍ وحَرّابَةٍ ... كمِثلِ السماءِ قُبَيلَ المَطَرْ[2]
يُصِمُّ صِياحُهُم المُقرَباتِ ... يَنفُونَ مَن قاتلوا بالذَّفَرْ[3]
سَعَاليَ مثلُ عَديدِ التُّرا ... بِ تَيبَسُ منهم رِطابُ الشَّجَرْ[4]

وقال عمرو بن مَعدِي كَرِبَ الزُّبَيديُّ في شيءٍ كان بينه وبين قيس بن مَكشُوح المُراديّ، فبلغه أنه يتوعّدُه، فقال يذكر حِمْيرَ وعِزَّها، وما زال من مُلكِها عنها[5]:

أَتُوعِدُني كأنّكَ ذو رُعَينٍ ... بأفضلِ عِيشةٍ أو ذو نُوَاسِ
وكائنْ كانَ قبلَكَ من نَعيمٍ ... ومُلكٍ ثابتٍ في الناسِ راسِي
قديمٍ عهدُه من عهدِ عادٍ ... عظيمٍ قاهرِ الجَبَروتِ قاسِي
فأَمسى أهلُه بادُوا وأَمسى ... يُحوَّلُ من أُناسٍ في أُناسِي[6]

---

(١) هكذا قُيّدت في (م) و(ي)، وفي (ت) و(ص) بكسر العين، وفي (ش١) بالوجهين، وما في (م) و(ي) أصوب، فإنه يقال: عَبِرَ الرجلُ عَبَراً: إذا حزن وتحلّب الدمع في عينيه، وذات العَبَر، أي: ذات الحزن، وهي ـ كما قال أبو ذر الخشنيّ ـ اسم من أسماء الداهية، وهي الشديدة من شدائد الدهر.

(٢) الحَرَّابة: أصحاب الحِراب.

(٣) المُقرَبات: الخيل العِتاق الي ضُمِّرت للركوب. والذَّفَر: الرائحة الشديدة طيّبة كانت أو خبيثة.

(٤) السَّعَالي: جمع سِعْلاة، وهم سَحَرة الجن فيما كانت تزعم العرب.
وزاد في (ت) وحدها بإثر هذا الشعر عبارة: يعني من أنفاسهم وأجسادهم تيبس من رِطاب الشجر.

(٥) انظر «شعر عمرو بن معدي كرب» جمع مطاع الطرابيشي ص١٣١.

(٦) بادوا: هلكوا. ويُحوَّل، أي: ينتقل من أناس إلى أناس.

قال ابن هشام: زُبَيد بن سَلَمة بن مازن بن منبِّه بن صعب بن سعد العَشِيرة بن مَذحِج، ويقال: زُبيد بن منبِّه بن صعب بن سعد العَشيرة، ويقال: زُبيد بن صعب. ومراد: يَحابِر بن مَذحِج.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة قال: كتب عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه إلى سلمان بن رَبيعة الباهِليّ - وباهلةُ: ابنُ يَعْصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان - وهو بإرمِينيَةَ، يأمره أن يُفضِّلَ أصحابَ الخيل العِراب على أصحاب الخيل المَقَارِفِ[1] في العَطاء، فعَرَضَ الخيلَ، فمرَّ به فرسُ عمرو بن مَعدِي كَرِبَ، فقال له سلمان: فرسُك هذا مُقرِفٌ، فغضب عمرو وقال: هَجِينٌ عَرَفَ هَجيناً مثلَه، فوَثَبَ إليه قيس فتوعَّده، فقال عمرو هذه الأبيات.

قال ابن هشام: فهذا الذي عَنَى سطيحٌ الكاهن بقوله: لَيَهبِطنّ أرضَكم الحَبَش، فلَيملِكُنّ ما بين أبْيَنَ إلى جُرَش، والذي عَنَى شِقٌّ الكاهن بقوله: لَينزلَنَّ أرضَكم السودان، فلَيَغلبُنّ على كل طَفْلةِ البَنَان، ولَيملِكُنّ ما بين أبيَنَ إلى نَجْران.

غَلَبُ أبرهة الأشرم على أمر اليمن، وقتل أرياط

قال ابن إسحاق: فأقام أرياطُ بأرض اليمن سنينَ في سلطانه ذلك، ثم نازَعَه في أمر الحبشة باليمن أبرهةُ الحَبَشي، حتى تفرَّقت الحبشةُ عليهما، فانحاز إلى كلِّ واحد منهما طائفةٌ منهم، ثم سار أحدُهما إلى الآخر، فلمَّا تقارب الناسُ أرسل أبرهةُ إلى أرياطَ: إنك لا تصنعُ بأن تُلقِيَ الحبشةَ بعضَها ببعض حتى تُفْنيَها شيئاً، فابرُزْ لي وأبرُزْ لك، فأيُّنا أصابَ صاحبَه انصرف إليه جندُه، فأرسل إليه أرياطُ: أنصفتَ، فخرج إليه أبرهةُ، وكان رجلاً قصيراً لَحِيماً، وكان ذا دينٍ في النصرانية،

---

(١) المقارف: جمع مُقرِفٍ، وهو من الخيل الذي أبوه هجين وأمه عتيقة.

وخرج إليه أرياطُ، وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً، وفي يده حَرْبَةٌ له، وخلفَ أبرهةَ غلامٌ له يقال له: عَتَوْدَة[1]، يَمنَعُ ظهرَه، فرفع أرياطُ الحَرْبَةَ فضرب أبرهةَ يريد يافوخَه، فوقعت الحربةُ على جبهة أبرهة فشَرَمَت حاجبه وأنفه وعينه وشَفَتَه، فبذلك سُمِّي أبرهةَ الأَشرمَ، وحَمَلَ عَتَودةُ على أرياطَ من خلف أبرهةَ فقتله، وانصرف جندُ أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشةُ باليمن، ووَدَى أبرهةُ أرياطَ.

فلما بلغ ذلك النَّجَاشيَّ غضب غضباً شديداً وقال: عَدَا على أميري فقتلَه بغير أمري. ثم حلف لا يَدَعُ أبرهةَ حتى يَطأَ بلادَه، ويَجُزَّ ناصيتَه، فحَلَقَ أبرهةُ رأسه، وملأَ جِراباً من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشيّ، ثم كتب إليه: أيها الملك، إنما كان أرياطُ عبدَك، وأنا عبدُك، اختلفنا في أمرك، وكلٌّ طاعتُه لك، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبَطَ لها وأسْوَسَ منه، وقد حلقتُ رأسي كلَّه حين بلغني قسمُ الملك، وبعثتُ إليه بجِرابِ ترابٍ من أرضي، ليضعَه تحت قدميه، فيَبَرَّ قَسَمُه فيَّ، فلما انتهى ذلك إلى النجاشيِّ رضيَ عنه وكتب إليه: أنِ اثبُتْ بأرض اليمن حتى يأتيَك أمري. فأقام أبرهةُ باليمن.

أمرُ الفيل، وقصة النَّسَأة

ثم إن أبرهةَ بنى القَلِيسَ[2] بصنعاءَ، فبنى كنيسةً لم يُرَ مثلُها في زمانها بشيءٍ من

(١) كذا قُيّد في (ت) و(ي)، وفي (ش١) و(ص): عَتْوَدة.

(٢) كذا قُيّدت في (ت) و(ش١) و(ص)، وفي (ق١) و(م) و(ي) ونسخة على حاشية (ص): القُلَّيس، بضم وتشديد. قلنا: ذكره الفارابي في «معجم ديوان الأدب» في البابين: باب فُعَّيل، وباب فَعِيل، وقال ياقوت في «معجم البلدان»: رواه عبد الملك بن هشام والمغاربة: القَلِيس، بفتح القاف وكسر اللام، وكذا قرأته بخطّ السُّكّري أبي سعيد الحسن بن الحسين. =

الأرض، ثم كتب إلى النَّجاشيّ: إني قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسةً لم يُبنَ مثلُها لملكٍ كان قبلَك، ولستُ بمُنتَهٍ حتى أَصرِفَ إليها حجَّ العرب.

فلما تحدَّثت العرب بكتابِ أبرهة ذلك إلى النجاشيّ، غضب رجلٌ من النَّسَأَة، أحدُ بني فُقَيم بن عَدِيّ بن عامر بن ثَعلَبة بن الحارث بن مالك بن كِنانة بن خُزَيمة ابن مُدْرِكة بن الْياسِ من مُضَر.

والنَّسَأَة: الذين كانوا يَنسَؤُون الشُّهورَ على العرب في الجاهلية، فيُحِلُّون الشهرَ من أشهرِ الحُرُم، ويحرِّمون مكانه الشهرَ من أشهرِ الحِلِّ ويُؤخِّرون ذلك الشهر، ففيه أنزَلَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٣٧].

قال ابن هشام: لِيُواطِئوا: لِيُوافِقُوا، والمُواطَأة: المُوافَقة، تقول العربُ: واطأتُكَ على هذا الأمر، أي: وافقتُك عليه، والإيطاءُ في الشِّعر: المُوافَقةُ، وهو اتفاق القافِيتَينِ من لفظٍ واحد، وجنسٍ واحد، نحوَ قول العَجّاج ـ واسم العجّاج: عبد الله بن رُؤْبة، أحدُ بني سعد بن زيد بن مَناةَ بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخَة بن الْياس بن مُضَر بن نِزَار ـ:

في أُثعُبــانِ المَنجَنُــونِ المُرسَــلِ[1]

ثم قال:

= قلنا: وعلى كلا الحالين هو مشتق من قَلَسَ الشيءُ: إذا ارتفع.

وأما النَّسَأة: فهو جمع ناسئ، والنُّسْأة: التأخير.

(١) انظر «ديوانه» ١/ ٢٢٤.

والأُثعبان: الموضع الذي يَنثعِب منه الماءُ، أي: يندفع منه الماء. والمنجنون: الدُّولاب الذي يُستقَى عليه الماء.

مـدَّ الخلـيجِ في الخلـيجِ المُرسَـلِ[1]

وهذان البيتانِ في أُرجوزةٍ له.

قال ابن إسحاق: وكان أولَ من نَسَأَ الشهورَ على العرب، فأَحلَّت منها ما أَحلَّ، وحَرّمت منها ما حرَّم: القَلَمَّسُ، وهو حُذَيفةُ بن عبد بن فُقَيم بن عَدِيّ بن عامر بن ثَعلَبة بن الحارث بن مالك بن كِنانة بن خُزَيمة، ثم قام بعدَه على ذلك ابنه عبَّاد بن حُذيفة، ثم قام بعد عبّادٍ قَلَعُ بن عبّاد، ثم قام بعد قَلَعٍ أُميّةُ بن قَلَع، ثم قام بعد أُميّةَ عوفُ بن أُميّة، ثم قام بعد عوفٍ أبو ثُمامةَ جُنادةُ بن عوف، وكان آخرَهم، وعليه قام الإسلام.

وكانت العرب إذا فَرَغَت من حجِّها اجتمعت إليه، فحرَّم الأشهرَ الحُرُمَ الأربعة: رجبٌ، وذو القَعْدة، وذو الحِجّة، والمحرَّمُ، فإذا أراد أن يُحِلَّ منها شيئاً أَحَلّ المحرَّمَ فأحلُّوه، وحرَّم مكانه صَفَراً فحرَّموه، لِيُواطئوا عدةَ الأربعةِ الأشهر الحُرُم، فإذا أرادوا الصَّدَرَ[2] قام فيهم فقال: اللهمَّ إني قد أحللتُ أحدَ الصَّفَرين الصَّفَرَ الأول، ونَسَأتُ الآخرَ للعام المُقبِل، فقال في ذلك عُمَيرُ بن قيسٍ جِذْلُ الطِّعانِ[3]، أحدُ بني

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ٢٣٤.

والخليج: شُعبة من نهر أو سيل.

(٢) يعني الرجوع من مكة إلى بلادهم.

(٣) كذا قال ابن إسحاق وتابعه السُّهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٥١، وذكر بعضهم أن جذل الطعان لقبٌ لأحد أجداد عمير هذا، وهو علقمة بن فراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، انظر «الإملاء» لأبي ذر الخشني ص١٦، و«المنتخب من ذيل المذيل» لابن جرير الطبري ص٩٥، و«معجم الشعراء» للمرزباني ص٢٤٣، و«الإكمال» لابن ماكولا ٢/ ٦٥، و«توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقي ٦/ ٢٩. =

فِراس بن غَنْم بن ثَعلبَة بن مالك بن كِنانَة، يَفخَرُ بالنَّسَأة على العرب:

لقـد عَلِمَـت مَعَـدٌّ أنَّ قَـوْمي ... كِـرامُ النـاسِ إنَّ لهـم كِراما

فـأيُّ النـاسِ فاتُونـا بوِتْـرٍ ... وأيُّ النـاسِ لـم نُعلِكْ لِجاما[1]

ألسْـنا الناسِـئينَ علـى مَعَـدٍّ ... شـهورَ الحِـلِّ نجعلُها حَراما

قال ابن هشام: أول الأشهر الحُرُم المحرَّم[2].

قال ابن إسحاق: فخرج الكِناني حتى أتى القَلِيسَ فقَعَدَ فيها ـ قال ابن هشام: يعني أحدَثَ فيها ـ قال ابن إسحاق: ثم خرج فلَحِقَ بأرضه، فأُخبر بذلك أبرهةُ، فقال: مَن صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجلٌ من أهل هذا البيت الذي تحجُّ إليه العرب بمكة، لمَّا سمع قولك: أَصرِفُ إليها حجَّ العرب، غضب فجاء فقَعَدَ فيها، أي: أنها ليست لذلك بأهلٍ. فغضب عند ذلك أبرهةُ، وحلف ليَسيرنَّ إلى البيت حتى يَهدِمَه، ثم أمر الحبشةَ فتهيَّأت وتجهَّزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت

= وجذل قُيِّدت في (ت): جَذْل، وفي (ي): جَدَل، بالدال المهملة فيهما، وهي كذلك بالدال في (ش١)، والمثبت من (ص) و(ق١) و(م)، وهو الصواب. والجِذْل: أصل الشجرة وغيرها، وسمي جذل الطِّعان لثباته في الحرب، كأنه جذل شجرة واقف.

(١) الوتر، بكسر الواو وفتحها: الثأر.

قال السهيليّ: وقوله: وأيّ الناس لم نعلك لجاماً، أي: لم نَقدَعهم ونكفّهم كما يُقدَع الفرس باللِّجام، تقول: أعلكتُ الفرسَ لجامَه: إذا رددتَه عن تنزُّعه فمضغ اللجام كالعِلك من نشاطه.

(٢) قال السهيليّ: هذا قول، وقد قيل: أولها ذو القَعْدة، لأن رسول الله ﷺ بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم، ومن قال: المحرَّم أولها، احتج بأنه أول السنة. قلنا: يشير في ذي القَعدة إلى حديث أبي بكرة الثقفيّ عن النبي ﷺ: «السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات: ذو القَعْدة وذو الحِجّة والمحرَّم، ورجب»، أخرجه البخاري (٣١٩٧) ومسلم (١٦٧٩).

بذلك العربُ، فأعظَمُوه وفُظِعوا به، ورأَوا جهادَه حقّاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هدمَ الكعبة بيتِ الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشرافِ أهل اليمن وملوكِهم، يقال له: ذو نَفْرٍ، فدعا قومَه ومَن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهةَ وجهادِه عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمِهِ وإخرابِه، فأجابه مَن أجابه إلى ذلك، ثم عَرَضَ له فقاتله، فهُزِم ذو نَفْرٍ وأصحابه، وأُخذ له ذو نَفْرٍ فأُتي به أسيراً، فلمّا أراد قتله قال له ذو نَفْر: أيها الملك، لا تقتلني؛ فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي، فتَرَكَه من القتل وحَبَسَه عنده في وَثاقٍ، وكان أبرهةُ رجلاً حليماً.

ثم مضى أبرهةُ على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيل بن حَبيبٍ الخَثعَمي من أكلُب بن رَبيعة بن عِفْرِس، في قبيلتَي[1] خَثعَم شَهران وناهِس، ومَن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهةُ، وأُخذ له نفيلٌ أسيراً، فأُتي به، فلما همَّ بقتله قال له نفيلٌ: أيها الملك، لا تقتلني، فإني دليلُك بأرض العرب، وهاتانِ يدايَ لك على قبيلتَي خَثعَم شهرانِ وناهِس بالسمع والطاعة، فخلَّى سبيله، وخرج به معه يدلُّه.

حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن عوف بن ثَقِيف في رجال ثقيف.

واسم ثَقِيف: قَسِيّ بن النَّبيت بن مُنبِّه بن منصور بن يَقدُم بن أفصَى بن دُعْميّ ابن إياد بن مَعَدِّ بن عدنان.

قال أُميّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفي:

---

(١) في (ش١) و(ص) و(ق١) و(م) في الموضعين، هذا والآتي: قبيلَي.

قَـومي إيـادٌ لـوَ انَّهـمْ أَمَـمُ ... أَوْ لـو أقـاموا فتُهـزَلَ الـنَّعَمُ[1]

قـومٌ لهـم سـاحةُ العـراقِ إذا ... سارُوا جميعاً والقِطُّ والقَلَمُ

قال ابن هشام: القِطّ: الصحيفة فيها الكِتاب، وهو الصَّكّ، قال ابن هشام: وهو قول الله تعالى: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص:١٦].

قال ابن إسحاق[2]: وقال أمية أيضاً[3]:

فإمّـا تسـألي عنّـي لُبَيـنَـى ... وعـن نَسَبي أُخبِّـرْكِ اليَقينـا

فإنّـا للنَّبيـتِ أبـي قَسِـيٍّ ... لِمنصورِ بـنِ يَقـدُمَ الأقـدَمينا

قال ابن هشام: ثقيفٌ: قَسِيُّ بن منبِّه بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر.

والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأُميَّة.

قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك، إنَّما نحن عبيدُك، سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتُنا هذا البيتَ الذي تريد ـ يَعنُون اللَّاتَ ـ إنّما تريد البيتَ الذي بمكّة، ونحن نبعثُ معك من يدلُّك عليه، فتجاوزَ عنهم. واللَّاتُ: بيتٌ

---

(١) الأَمم: القُرْب، قال ابن الأنباري في «الأضداد» ص١٢٥ بعد أن ساق هذه الأبيات لأميّة: معناه: قَومي إيادٌ لو أنهم قريب لطلبتُهم وأحببت نزولهم معي ولو هُزِلَت النَّعم.

(٢) من قوله: «قال ابن هشام: القط» إلى هنا، من (ت) وحدها، ولم يرد في سائر النسخ، لكن أُلحقت عبارة نحوها في حاشيتي (ص) و(م) ولم يشر إليها بعلامة التصحيح.

قلنا: وقد ذكر هذين البيتين الآتيين أبو زيد القرشي في «جمهرة أشعار العرب» ص٤٠٨ في قصيدة طويلة لأميّة.

(٣) وذكرهما أيضاً أبو زيد القرشي في «جمهرة أشعار العرب» ص٤٠٨ في قصيدة طويلة لأميّة.

لهم بالطائف كانوا يعظِّمونه نحو تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدةَ النَّحْويّ لضِرار بن الخطّاب الفِهْريّ:

وفَــرَّتْ ثَقيــفٌ إلــى لاتِهــا   بمُنقلَــبِ الخائــبِ الخاســرِ

وهذا البيت في أبياتٍ له[1].

قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رِغَالٍ يدلُّه على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهةُ ومعه أبو رِغالٍ حتى أنزله المُغمَّسَ، فلما أنزله به مات أبو رِغالٍ هنالك، فرَجَمَت قبـرَه العربُ، فهو القبرُ الذي يرجُمُ الناسُ بالمُغمَّس[2].

فلما نزل أبرهةُ المُغمَّسَ، بعث رجلاً من الحَبَشة يقال له: الأسود بن مفصود[3] على خيلٍ له، حتى انتهى إلى مكّة، فساقَ إليه أموالَ أهل تِهامةَ من قريشٍ وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعيرٍ لعبد المطَّلِب بن هاشم، وهو يومئذٍ كبيرُ قريشٍ وسيِّدُها، فهمَّت قريشٌ وكِنانةُ وهُذيلٌ ومَن كان بذلك الحَرَم بقتاله، ثم عَرَفوا أنه لا طاقةَ لهم

---

(١) ذكرها البَلاذُري في «أنساب الأشراف» ١١/ ٥٨.

وضرار بن الخطاب: هو ابن مِرداس بن كثير القرشي الفِهري، من بني محارب بن فِهْر، ولم يكن في قريش أشعرَ منه ومن عبد الله بن الزِّبَعرى، وهو من مُسلِمة الفتح، وقُتل باليمامة شهيداً، وقال الخطيب: بل عاش إلى أن حضر فتح المدائن ونزل الشام. انظر «الإصابة» لابن حجر ٣/ ٤٨٣-٤٨٤.

(٢) المغمَّس: سهل واسع شرقيّ مكة على بعد ٢٠ كم تقريباً منها بعد عرفات.

(٣) هكذا في النسخ الخطية هنا وفيما سيأتي قريباً، بالفاء، وهو ما نصَّ عليه الزُّرقانيّ في «شرح المواهب اللدنِّيّة» ١/ ١٥٩ أنه بالفاء، ويقع في بعض المصادر المطبوعة: مقصود، بالقاف، وهو تصحيف، والله أعلم.

وزعم السهيليُّ في «الروض الأُنف» ١/ ٢٦٩ أنه من مَذحِج، وهي قبيلة يمنيّة، وساق نسبه فيهم، فهو على هذا عربيّ وليس حبشيّاً!

به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهةُ حُنَاطةَ الحِمْيريَّ إلى مكّة، وقال له: سَلْ عن سيِّدِ أهل هذا البلد وشريفِهم، ثم قل له: إن الملك يقول: إني لم آتِ لحربكم، إنّما جئتُ لهَدْم هذا البيت، فإن لم تَعرِضُوا دونه بحربٍ، فلا حاجة لي بدمائِكم، فإن هو لم يُرِدْ حربي فأتِني به. فلما دخل حُنَاطةُ مكة سأل عن سيِّد قريشٍ وشريفها، فقيل له: عبد المطَّلِب بن هاشم، فجاءه فقال له ما أمرَه به أبرهةُ، فقال له عبد المطّلب: واللهِ ما نريد حربَه، ولا لنا بذلك منه طاقةٌ، هذا بيتُ الله الحرام، وبيتُ خليلِه إبراهيم ـ أو كما قال ـ فإنْ يَمنَعْه منه فهو بيتُه وحُرْمتُه، وإن يُخلِّ بينَه وبينَه، فواللهِ ما عندنا دفعٌ عنه، فقال له حُنَاطة: فانطلِقْ إليه، فإنَّه قد أمرَني أن آتيَه بك.

فانطلق معه عبدُ المطّلب ومعه بعضُ بَنِيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفْرٍ ـ وكان له صديقاً ـ حتى دخل عليه وهو في مَحبَسِه، فقال له: يا ذا نَفْر، هل عندك من غَناءٍ فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نَفْر: وما غَناءُ رجلٍ أسيرٍ بيدَي ملكٍ ينتظر أن يقتلَه غُدُوّاً وعَشِيّاً! ما عندي غَناءٌ في شيءٍ ممّا نزل بك، إلّا أن أُنَيساً سائسَ الفيل صديقٌ لي، فسأُرسِلُ إليه فأُوصِيه بك، وأُعظِمُ عليه حقَّك، وأسألُه أن يستأذنَ لك على الملك، فتُكلِّمَه بما بدا لك، ويشفعَ لك عنده بخيرٍ إن قَدَرَ على ذلك، فقال: حَسْبي. فبعث ذو نَفْرٍ إلى أُنَيس، فقال له: إنَّ عبد المُطّلِب سيِّدُ قريش، وصاحبُ عَيْن مكة، يُطعِم الناسَ بالسَّهل، والوحوشَ في رؤوس الجبال، وقد أصابَ له الملكُ مئتي بعيرٍ، فاستأذِنْ له عليه وانفَعْه عنده بما استطعتَ، قال: أفعلُ.

فكلّم أُنيسٌ أبرهةَ، فقال له: أيها الملك، هذا سيدُ قريشٍ ببابِك يستأذنُ عليك، وهو صاحب عَينِ مكة، وهو يُطعِم الناس بالسَّهل، والوحوشَ في رؤوس الجبال،

فأْذَنْ له عليك فليُكلِّمْك في حاجته، قال: فأذِنَ له أبرهةُ ـ وكان عبد المطَّلب أوسَمَ الناسِ وأجمَلَه وأعظَمَه ـ فلما رآه أبرهةُ أجلَّه وأكرَمَه عن أن يُجلسَه تحتَه، وكره أن تراه الحبشةُ يجلسُه معه على سرير مُلكِه، فنزل أبرهةُ عن سريرِه فجلس على بِساطِه، وأجلَسه معه عليه إلى جنبِه، ثم قال لتَرْجُمانِه: قل له: ما حاجتُك؟ فقال له ذلك التَّرجُمانُ[1]، فقال: حاجتي أن يَرُدَّ عليَّ الملكُ مئتي بعيرٍ أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهةُ لتَرجُمانه: قل له: قد كنتَ أعجبتَني حين رأيتُك، ثم قد زَهِدتُ فيك حين كلَّمتَني، أتكلِّمُني في مئتي بعيرٍ أصبتُها لك، وتتركُ بيتاً هو دِينُك ودِينُ آبائك قد جئتُ لهدمِه لا تكلِّمُني فيه؟! قال له عبد المطَّلب: إني أنا ربُّ الإبل، وإنَّ للبيت ربّاً سيَمنَعُه، قال: ما كان لِيمتنعَ منّي، قال: أنت وذاك.

قال: وكان ـ فيما يَزعُم بعضُ أهلِ العلم ـ قد ذهبَ مع عبد المطَّلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُنَاطةَ، يَعمَرُ بنُ نُفَاثة بن عَديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة، وهو يومئذٍ سيّدُ بني بكر، وخُوَيلدُ بنُ واثلة الهُذَليّ، وهو يومئذٍ سيّدُ هُذَيل، فعَرَضوا على أبرهةَ ثلثَ أموال تِهامة، على أن يَرجِعَ عنهم ولا يَهدِمَ البيت، فأَبَى عليهم، فالله أعلمُ أكان ذلك أم لا. فردَّ أبرهةُ على عبد المطَّلب الإبلَ التي أصاب له.

فلما انصرفوا عنه، انصرف عبد المطّلب إلى قريشٍ فأخبرهم الخبر، وأمَرَهم بالخروج من مكّة والتحرُّزِ في شَعَفِ الجبال والشِّعاب؛ تخوُّفاً عليهم من مَعَرَّة الجيش[2].

---

(١) في (ش١) و(م) و(ي): ففعل الترجمان.

(٢) التحرُّز: التمنّع والتحفّظ. وشَعَف الجبال: رؤوسها. والشِّعاب: المواضع الخفيّة بين =

ثم قام عبد المطَّلب فأخذ بحَلْقة باب الكعبة، وقام معه نفرٌ من قريش يَدعُون الله عزَّ وجلَّ، ويَستَنصِرونه على أبرهةَ وجُندِه، فقال عبد المطَّلب وهو آخذٌ بحَلْقة باب الكعبة:

اللّهُمَّ[1] إنّ العبدَ يَمـ نَعُ رَحْلَه فامنَعْ حِلالَكْ
لا يَغلِبَنَّ صَليبُهم ومِحالُهم عَدْواً[2] مِحالَكْ

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ عندي له منها.

قال ابن إسحاق: وقال عِكْرمة بن عامر[3] بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار

= الجبال. ومعرّة الجيش: شدّته وأذاه، فالمَعرّة: هو الأمر القبيح المكروه والأذى.

(١) هكذا في النسخ الخطية في قول عبد المطّلب هنا وفي قول عكرمة الآتي، وفي نسخة (ش١) و«الروض الأنف» ١/ ٢٦٦ وبعض مصادر التاريخ واللغة: لاهمَّ، وهو أصح باعتبار وزن الشِّعر، قال السهيلي: العرب تحذف الألف واللام من اللهمَّ، وتكتفي بما بقي.. وهذا لكثرة دَوْر هذا الاسم على الألسنة.

والحِلال في هذا البيت: القوم الحُلول في المكان.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية بعين مهملة، بمعنى: اعتداءً وظلماً، وفي بعض المصادر بالغين المعجمة، بمعنى: غداً، وكلاهما له وجه.

والمِحال: القوّة والشِّدة.

تنبيه: وقع بعد هذا البيت في (ش١) و(ص) و(م) و(ي) زيادة ثالثٍ مع الإشارة إلى أنه زيادة عن الواقديّ، وهو: إن كنتَ تاركَهم وقِبْـ لتَنا فأمْرٌ ما بدا لكْ

وزاد في (م) رابعاً وهو: فانصرْ على آل الصليـ ـب وعابدِيهِ اليومَ آلَكْ

(٣) كذا قال، وقد غلّط ذلك البَلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٦٨، وذكر أنه يقال: إن الذي قالها هو أبو عكرمة عامر بن هاشم. قلنا: وهذا لعله أصح، فإن عكرمة يصغر عن إدراك ذلك الوقت كبيراً، وقد ذُكِر في كتب الصحابة وأنه معدود في المؤلَّفة قلوبهم.

ابن قُصَيّ:

اللّهُمَّ أَخزِ الأسوَدَ بنَ مَفصُودْ　　الآخذَ الهَجْمةَ فيها التَّقليدْ[1]

بينَ حِراءٍ وثَبِيرٍ فالبِيدْ　　يَحبِسُها وهْيَ أُوْلاتُ التَّطريدْ[2]

فضَمَّها إلى طَماطمٍ سُودْ　　أخفِرْه يا ربِّ وأنت محمودْ[3]

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ له منها.

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المُطَّلِب حَلْقةَ باب الكعبة، وانطلق هو ومَن معه من قُريشٍ إلى شَعَفِ الجبال، فتَحرَّزوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ بمكّة إذا دخلها.

فلمّا أصبح أبرهةُ تهيَّأ لدخول مكّة، وهيَّأ فِيلَه وعبَّأ جيشَه ـ وكان اسمُ الفيل محموداً[4] ـ وأبرهةُ مُجمِعٌ لهَدْم البيت ثم الانصرافِ إلى اليمن، فلما وَجَّهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفَيلُ بنُ حَبيب حتى قام إلى جَنْب الفيل، ثم أخذ بأُذُنِه فقال له: ابرُكْ محمودُ، أو ارجِعْ راشداً من حيثُ جئتَ، فإنَّك في بلدِ الله الحرام، ثم أرسلَ أُذُنَه، فبَرَكَ الفيل، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدُّ حتى أصعَدَ في الجبل، وضربوا الفيلَ ليقومَ فأَبَى، فضربوا في رأسه بالطَّبَرْزِينِ[5] ليقومَ فأَبَى، فأدخلوا مَحَاجنَ لهم

(١) الهجمة: الطائفة من الإبل، قيل: هي ما بين الخمسين إلى الستين. والتقليد، أي: في أعناقها قلائد.

(٢) حراء وثبير جبلان بمكة. والبِيد: جمع بَيداء، وهي الأرض القَفْر الخالية. وأُولات التطريد: يعني أن هذه الإبل هي في الأصل حرّة تجري في الخلاء يتبع بعضها بعضاً.

(٣) الطماطم: الأعاجم، ويقال لكل أعجميّ: طُمطُماني وطِمطِم أو طَمطَم. وأخفِره: انقُض عَزْمه وعهده فلا تُؤمِنْه.

(٤) وممّن سمّاه كذلك مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ٤/ ٨٤٨، وابن سعد في «طبقاته» ١/ ٧٢.

(٥) الطبرزين: آلة معقَّفة من حديد.

في مَرَاقِّه فبَزّغوه[1] بها ليقوم فأَبَى، فوَجَّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يُهرول، ووَجَّهوه إلى الشام ففعل مثلَ ذلك، ووَجَّهوه إلى المشرِق ففعل مثلَ ذلك، ووَجَّهوه إلى مكة فبَرَك، وأرسَلَ الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثالَ الخطاطيف والبَلَسان[2]، مع كل طائرٍ منها ثلاثةُ أَحجارٍ يَحمِلُها، حجرٌ في مِنقارِه وحجران في رِجلَيه، أمثال الحِمَّص والعَدَس، لا تصيبُ منهم أحداً إلا هلك، وليس كلَّهم أَصابت، وخرجوا[3] هاربين يَبتَدِرون الطريقَ التي منها جاؤوا، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ليدُلَّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفيلٌ حين رأى ما أنزل الله عزَّ وجلَّ بهم من نِقْمتِه:

أيــن المَفَــرُّ والإلٰــهُ الطالــبُ ... والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبُ

قال ابن هشام: قوله: ليس الغالبُ، عن غير ابن إسحاق.

وقال نُفيلٌ أيضاً:

ألا حُيِّيــتِ عنّــا يــا رُدَينــا ... نَعِمْنــاكم مــع الإصــباحِ عَيْنــا

رُدَينــةُ لــو رأيــتِ ـ ولا تَريــهِ ـ ... لَـدَى جَنْبِ المُحصَّبِ ما رَأَينا

إذنْ لَعَـذرتِني وحَمِـدتِ أَمــري ... ولـم تأسَـيْ علـى مـا فـاتَ بَيْنـا

حَمِــدتُ اللهَ إذ أبصــرتُ طيــراً ... وخِفــتُ حجـارةً تُلقَـى علينـا

(١) المحاجن: جمع مِحجَن، وهي عصا معوجَّة وقد يُجعَل في طرفها حديد. والمَراقّ: أسفل البطن. وبزَّغوه، أي: شرّطوه بالحديد الذي في تلك المحاجن.

(٢) الخطاطيف: جمع خُطّاف، وهو نوع من الطير، والبلسان: نوع من الشجر كثير الورق، قاله ابن الأثير في «النهاية» (بلس) وهو يشرح قول ابن عباس: بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان. وأمّا أبو ذر الخشني فقال في «إملائه على السيرة» ص١٨ : الخطاطيف والبلسان ضربان من الطير؛ فأغربَ، إذ لم يذكر أحدٌ البلسانَ في الطيور غيره.

(٣) في (ص) و(م) و(ي): ووجَّهوا.

فكـلُّ القـومِ يسـألُ عـن نُفَيـلٍ   كـأنَّ علـيَّ للحُبشـانِ دَيْنـا

فخرجوا يتساقطون بكلِّ طريق، ويَهلِكون على كلّ مَنهَل، وأُصيب أبرهةُ في جسده، وخرجوا به معهم يَسقُط أَنمَلةً أنمَلةً، كلما سقطت أَنمَلةٌ اتّبعتها منه مِدّةٌ ثُمَّتَ قيحٌ ودمٌ[1]، حتى قدموا به صنعاءَ وهو مثلُ فَرْخ الطائر، فما مات حتى انصَدَع صدرُه عن قلبه، فيما يَزعُمون.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة[2] أنه حُدِّث: أن أول ما رُئِيَت الحَصْبةُ والجُدَريُّ بأرض العرب ذلك العامَ، وأنه أول ما رُئيَ بها مَرائرُ الشَّجر؛ الحَرْمَل والحَنظَل والعُشَرُ[3] ذلك العامَ.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله عزَّ وجلَّ محمداً رسولَ الله ﷺ، كان مما يَعُدُّ اللهُ على قريشٍ من نعمته عليهم وفضلِه: ما ردَّ عنهم من أمرِ الحَبَشة لبقاءِ أمرهم ومُدَّتهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ أي: لئلّا يغيِّر

---

(١) هكذا قُيّدت العبارة في نسخنا الخطية غير (ت) و(ش١)، وعليه فإن «ثُمّت» لغة في «ثُمَّ»، وفي (ت) ونسخة على حاشية (ص): قيحاً ودماً، وعليه فإن «ثمت» تكون قد تصحّفت عن: تَمُثُّ، وهكذا جاءت في (ش١): تمثُّ قيحاً ودماً، ومعناها: ترشح وتسيل، وهو أوجهُ في المعنى.

(٢) يعقوب بن عتبة هذا: هو ابن المغيرة بن الأخنس الثقفي، وهو ثقة من العلماء بالسيرة.

(٣) الحرمل: نبت له حب أسود كالخردل، والحنظل: نبت يمتد كالبطّيخ على الأرض يضرب المثل بشدة مرارته، والعُشَر: شجر مُرٌّ يحمل ثمراً كالأُترُجّ.

شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لِمَا أراد اللهُ عزَّ وجلَّ بهم من الخير لو قَبِلوه.

قال ابن هشام: الأبابيلُ: الجماعات، ولم تتكلم العرب بواحدٍ عَلِمناه، وأما السِّجِّيل، فأخبرني يونس النَّحْوي وأبو عُبيدة أنه عند العرب: الشديد الصُّلْب، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

ومسَّهم ما مسَّ أصحابَ الفِيلْ تَرمِيهِم حجارةٌ من سِجِّيلْ
ولَعِبَت طيرٌ بهم أبابِيلْ[1]

وهذه الأبيات في أُرجوزةٍ له.

وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العربُ كلمةً واحدةً، وإنما هو سِنْج وجِلْ، يعني بالسِّنج: الحَجَر، والجِل: الطين، يقول: الحجارةُ من هذين الجنسين: الحجر والطين.

والعَصْف: ورق الزَّرع الذي لم يُقصِّب[2]، وواحدته: عَصْفة. قال ابن هشام: وأخبرني أبو عُبيدة النَّحْوي أنه يقال له: العُصَافة والعَصِيفة، وأنشدني لعَلقَمة بن عَبَدَةَ، أحدِ بني رَبيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تَميم[3]:

تَسْقي مَذانبَ قد مالتْ عَصِيفتُها حَدُورُها مِن أَتِيِّ[4] الماءِ مَطمُومُ

(١) بعده في «ديوان رؤبة» ص١٨١: فصُيِّروا مثلَ كعَصْفٍ مأكولْ.

(٢) أي: لم ييبس فيصير كالقصب.

(٣) ويسمى: علقمة الفحل.

(٤) كذا في (ص) و(غ) و(ق١)، وفي (ت) و(ش١) و(م) و(ي): بأتِيِّ. ومعنى الأتِيِّ: الجدول، وأراد به هنا: ما يسيل من الماء في الجدول. قاله الأعلم الشنتمري في «شرح ديوان علقمة» ص٣٥.

تسقي: يعني بذلك ناقة يصفها. والمذانب: مسايل الماء. ومالت عصيفتها، أي: تفرّق ورقها، =

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال الراجز[1]:

فصُيِّروا مثلَ كعَصْفٍ مأكولْ

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير في النَّحو[2].

وإيلافُ قريش: إلْفُهم الخروجَ إلى الشام في تجاراتهم، وكانت لهم خَرْجتان: خَرْجة في الصيف، وخَرْجة في الشتاء، أخبرني أبو زيد الأنصاري: أن العرب تقول: أَلِفتُ الشيءَ إلْفاً، وآلَفْتُه إيلافاً، في معنًى واحدٍ، وأنشدني لذي الرُّمّة:

منَ المُؤْلِفاتِ الرَّمْلَ أَدْماءُ حَرّةٌ   شُعاعُ الضُّحى في لونِها يَتوضّحُ[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال مَطرُود بن كعبٍ الخُزاعي:

المُنعِمينَ إذا النُّجومُ تَغيَّرتْ   والظّاعِنينَ لِرحْلةِ الإيلافِ[4]

= وانفتحت وتباينت من الرِّيّ. والعَصيفة: الورق. وحَدورها: ما انحدر من تلك المسايل واطمأن. والمطموم: المملوء بالماء.

(١) هو رؤبة بن العجاج، وهذا من تتمة رجزه المذكور سابقاً.

(٢) يعني جواز إدخال «مِثْل» على الكاف، لأنها بمعنى: مِثْل، وجاز التَّكرار عند الاضطرار لاختلاف اللفظين. وانظر «الكتاب» لسيبويه ١/ ٤٠٨، و«المقتضب» للمبرد ٤/ ١٤٠ - ١٤١.

(٣) المؤلِفات الرمل: اللواتي اتخذن الرمل إلفاً، ويقصد هنا الظِّباء. والأدماء من الظباء: السمراء الظَّهر البيضاء البطن. ويتوضَّح: يَبرُق في ظهرها. وانظر «شرح ديوان ذي الرُّمة» لأبي نصر الباهلي ٢/ ١١٩٧، و«تاج العروس» للزبيديّ (أدم).

(٤) إذا النجوم تغيرت، يعني: استحالت عن عادتها من المطر، على مذهب العرب في النجوم. والظاعنين: الراحلين.

وهذا البيت في أبياتٍ له سأذكرها في موضعها إن شاء الله[1].

والإيلاف أيضاً: أن يكون للإنسان أَلفٌ من الإبل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك، يقال: آلَفَ فلانٌ إيلافاً، وقال الكُمَيتُ بن زيد، أحدُ بني أَسَد بن خُزَيمة بن مُدرِكة ابن الْياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ[2]:

بعــامٍ يقــولُ لــه المُؤْلِفــو نَ: هـذا المُعِيمُ لنـا المُرجِـلُ[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والإيلاف أيضاً: أن يكون القومُ أَلفاً، يقال: آلَفَ القومُ إيلافاً، قال الكُمَيت بن زيد[4]:

وآلُ مُزَيقِيَــاءَ غَــداةَ لاقَــوْا بنـي سـعدِ بـنِ ضَـبَّةَ مُؤْلِفِينـا

وهذا البيت في قصيدة له.

والإيلاف أيضاً: أن يُؤلَفَ الشيءُ الشيءَ فيألفَه ويلزمَه، فيقال: آلَفتُه إيّاه إيلافاً.

والإيلاف أيضاً: أن تصيِّر ما دون الألْفِ ألْفاً، يقال: آلفتُه إيلافاً.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن أبي بكر، عن عَمْرةَ بنت عبد الرَّحمن بن سعد بن زُرَارةَ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائسَه بمكةَ

(١) في وفاة عبد المطلب وما رُثي به من الشعر ص١٩٧.

(٢) انظر «ديوانه» ص٢٩٧-٢٩٨.

(٣) المُؤْلِف: صاحب الألف من الإبل. والمُعيم، من العَيْمة: وهو شدة الشهوة إلى اللَّبَن. والمُرْجِل: الذي تذهب إبلُه فيمشي على رجليه.

يريد: أن تلك السنة تجعل صاحب الألف من الإبل يَعامُ إلى اللّبن وتُرجِله، فيمشي راجلاً لعَجَف الدواب وهُزالها.

(٤) انظر «ديوانه» ص٤٥٨.

أَعمَيَينِ مُقعَدَينِ يَستَطعِمان[1].

ما قيل في صفة الفيل من الشِّعر

قال ابن إسحاق: فلمَّا ردَّ اللهُ الحبشةَ عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النِّقْمة، أعظَمَت العربُ قريشاً، وقالوا: أهلُ الله، قاتل عنهم وكَفَاهم مَؤُونةَ عدوِّهم، فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صَنَعَ اللهُ تعالى بالحبشة، وما ردَّ عن قريش من كيدهم.

فقال عبد الله بن الزِّبَعرَى بن عَدِيّ بن قيس بن عَدِيّ بن سُعَيد[2] بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر:

تَنكَّلوا عن بطنِ مكةَ إنَّها ... كانت قديماً لا يُرامُ حَريمُها

لم تُخلَق الشِّعرى ليالِيَ حُرِّمتْ ... إذ لا عَزيزَ من الأنامِ يَرُومُها

سائِلْ أميرَ الحُبشِ[3] عنها ما رأى ... ولسوفَ يُنبِي الجاهلينَ عَليمُها

---

(١) إسناده صحيح. عبد الله بن أبي بكر: هو ابن حَزْم الأنصاريّ.

وهو في «السيرة» لابن إسحاق برواية يونس بن بكير ص٦٥، ومن طريق يونس أخرجه البزار في «مسنده» ١٨/ (٣٠٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٢٥.

وأخرجه أيضاً خليفة بن خياط في «تاريخه» ص٥٣ عن بكر بن سليمان، عن ابن إسحاق، به.

(٢) كذا وقع لابن إسحاق في هذا النسب: سُعيد، مصغَّراً، وكذلك يقوله حيثما تكرَّر نسبُ بني عديِّ بن سَعْد بن سهم عنده.

قال السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٨٦: وهو خطأ، والصواب: سَعْد بن سهم، وإنما سُعَيد أخو سَعْد، وهو (أي: سُعَيد) في نسب عمرو بن العاص بن وائل. وقال أيضاً ٣/ ٣٦: الناس على خلاف ابن إسحاق، وإنما هو سَعْد.

وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٣-١٦٤.

(٣) في (ت): الجيش، وقُيِّدت في (ق١) بالوجهين.

سِتُّونَ ألفاً لم يَؤُوبُوا أرضَهم ... ولم يَعِشْ[1] بعد الإيابِ سَقيمُها
كانت بها عادٌ وجُرهُمُ قبلَهم ... واللهُ من فوقِ العبادِ يُقِيمُها

يعني ابنُ الزِّبَعرَى بقوله: بعد الإياب سقيمُها، أبرهةَ، إذ حَمَلوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصَنْعاءَ.

وقال أبو قيس بن الأسْلَت الأنصاريُّ ثم الخَطْميّ، واسمه صَيفِيٌّ ـ قال ابن هشام: أبو قيس: صَيفيّ بن الأسْلَت بن جُشَم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامرةَ[2] بن مُرّة ابن مالك بن الأوس ـ:

ومِن صُنعِهِ يومَ فيلِ الحُبُو ... شِ إذ كُلَّما بَعَثُوه رَزَمْ[3]
مَحاجِنُهم تحت أَقرابِهِ ... وقد شَرَموا أنفَه فانخَرَمْ[4]
وقد جعلوا سَوْطَه مِغوَلاً ... إذا يَمَّمُوه قَفَاهُ كَلَمْ[5]

---

(١) هكذا في (ت) و(ي)، وفي (ص) و(م): ولمّا يَعِش، وفي (ش١) و(ق١) ونسخة في حاشيتي (ص) و(ي): بل لم يعش. قال السهيليّ في «الروض الأنف» ١/ ٢٩٠: ولم يعش، هكذا في النسخة المقيَّدة على أبي الوليد (يعني الوَقَّشيّ) المقابلة بالأصلين اللَّذين كانا عنده، وقابلها أبو بحر رحمه الله بهما مرتين، وحَسِبَ بعضهم أنه كسرٌ في البيت، فزاد من قبل نفسه فقال: بل لم يعش، فأفسد المعنى، وإنما هو خَرْمٌ في أول القسم من عَجُز البيت كما كان في الصدر من أول بيت منها. قلنا: والخَرْم: هو أن يسقط أول التفعيلة في صدر بيت الشِّعر.

(٢) هكذا في (ص) و(ق١)، وفي بقية النسخ: عامر. قال الخشني في «إملائه» ص٢١: بإثبات التاء هو الصواب. وأما ابن حزم فسمّاه في كتابه «جمهرة أنساب العرب» ص٣٤٥ عامراً، وهو يقع في المصادر هكذا وهكذا، فالله أعلم.

(٣) رَزَمَ البعيرُ: إذا ثبت بمكانه فلم يبرح.

(٤) أقرابه: جمع قُرُبٍ، وهي الخاصرة. وانخرم: انشقَّ.

(٥) المِغوَل: سكّين كبيرة، وقيل: سكين تكون في السوط. كَلَم: جَرَح، والكَلْم: الجُرْح.

فـــولّى وأدبَـــرَ أدراجَـــهُ   وقد باءَ بـالظلمِ مَن كـان ثَـمْ[1]
فأَرسـلَ مِـن فـوقِهِم حاصِـباً   تَلفُّهـم مثـلَ لـفِّ القَـزَمْ[2]
يَحُضُّ على الصَّبْرِ أحبارُهم   وقـد ثـأَجُوا كثُـؤَاجِ الغَـنَمْ[3]

قال ابن هشام: هذه الأبيات في قصيدةٍ له[4]، والقصيدة أيضاً تُروى لأُميّة بن أبي الصَّلت.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس بن الأسلَت أيضاً[5]:

فقومـوا فصـلُّوا ربَّكـم فتمسَّـحوا   بأركانِ هذا البيتِ بـين الأخاشِـبِ[6]
فعنـدَكمُ منـه بـلاءٌ ومَصـدَقٌ   غَداةَ أبي يَكسُومَ هـادي الكتائبِ
كَتيبتُه بالسَّـهلِ تُمسِـي[7] ورَجْلُه   على القاذفاتِ في رُؤوسِ المناقبِ
فلمَّا أتاكُمْ نصرُ ذي العرشِ ردَّهـمْ   جنودُ المَليكِ بين سافٍ وحاصِبِ[8]

---

(١) الأدراج: جمع دَرَج، وهو الطريق، وأدبر أدراجه، أي: رجع من حيث جاء. وباء بالظلم، أي: رجع مستحقاً لإثمه. وثَمْ: مخفَّفة من ثَمَّ، ومعناه: هناك.

(٢) هكذا قُيّدت في نسخنا بفتحتين، ويجوز فيها ككَتِفٍ وعُنُقٍ وجَبَلٍ: وهو صغير الغنم، ويقال: رُذَال المال، والجمع: قُزُم وأقزام. والحاصب: الحجارة.

(٣) ثأجوا: صاحوا.

(٤) ونسبها له أيضاً محمد بن حبيب في «المنمَّق في أخبار قريش» ص٧٩-٨٠.

(٥) وقد ذكر بعضها الأزرقيّ في «أخبار مكة» ١/ ١٤٩.

(٦) الأخاشب: جبلان بمكة، فجمعهما مع ما حولهما، وإنما هما أخشبان.

(٧) في (ش١) و(ق١) وحاشية (ص): تمشي.

والرَّجْل: جمع راجلٍ، وهو ضد الفارس. والقاذفات: أعالي الجبال البعيدة. والمناقب: جمع مَنقَبة، وهي الطريق في رأس الجبل.

(٨) السافي: الذي يرمي بالتراب. والحاصب: الذي يقذف بالحصباء.

فوَلَّوا سِراعاً هاربينَ ولم يَؤُبْ إلى أهلِه مِلْجَيشِ[1] غيرُ عَصائبِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريُّ قولَه:

علَى القاذفاتِ في رُؤوسِ المناقبِ

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس، سأذكرُها إن شاء الله في موضعها[2].

وقوله: غداةَ أبي يَكسُوم، يعني: أبرهة، كان يُكْنى أبا يَكسُوم.

قال ابن إسحاق: وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب:

ألم تَعلَموا ما كان في حربِ داحِسٍ وجيشِ أبي يَكسُومَ إذ مَلَؤوا الشِّعْبا

فلولا دِفاعُ اللهِ لا شيءَ غيرُه لأصبحتُم لا تَمنَعُونَ لكم سِرْبا[3]

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدةٍ له في يوم بَدْر، سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها[4].

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصَّلْت بن أبي رَبيعة الثَّقفي في شأن الفيل، ويَذكُر الحَنيفيَّةَ دينَ إبراهيم عليه السلام ـ قال ابن هشام: وتُروى لأُميّة بن أبي الصَّلْت بن أبي ربيعة[5] ـ:

إنَّ آياتِ ربِّنا باقياتٌ ما يُماري فيهنَّ إلا الكَفُورُ

---

(١) في (ش١) ونسخة على حاشية (ص): الحُبش. ومِلْجيش: يعني من الجيش.

(٢) عند قصة عرض النبيّ ﷺ دعوته على قومه ص٣٢٩.

(٣) يروى بفتح السين وكسرها، فالسَّرب بالفتح: المال الراعي، والسِّرب بالكسر: القطيع من البقر والظِّباء، ومن النساء أيضاً. قاله السهيليّ في «الروض» ١/ ٢٩١.

(٤) ٢/ ٤٨٠.

(٥) نسبها إليه المسعودي في «مروج الذهب» ٢/ ٢٣٠، والأعلم الشنتمري في «أشعار الشعراء الستة الجاهليين» ٢/ ٢١١.

خَلَـقَ الليـلَ والنهـارَ، فكـلٌّ مســتبينٌ[1] حســابُه مقــدورُ
ثـم يَجلُـو النَّهـارَ ربٌّ رحـيمٌ بمَهــاةٍ شُــعاعُها منشــورُ[2]
حَبَسَ الفيـلَ بـالمُغمَّسِ حتى ظَــلَّ يَحبُــو كأنــه معقــورُ[3]
لازمـاً حَلْقـةَ الجِـرَانِ كمـا قُطِّــرَ مـن صَـخْرِ كَبْكَبٍ محـدورُ[4]
حولَـه مِـن مُلـوكِ كِنْـدةَ أبطـالٌ مَلاويـثُ في الحُـروبِ صُـقورُ[5]
خلَّفـوهُ ثـمّ ابـذَعَرُّوا جميعـاً كلُّهـم عَظـمُ سـاقِه مكسـورُ[6]
كـلُّ دِيـنٍ يـومَ القيامـةِ عنـد اللّـــهِ إلا ديـنَ الحَنيفـةِ بُـورُ[7]

قال ابن هشام: وقال الفرزدق ـ واسمُه همَّام بن غالب، أحدُ بني مُجاشِع بن دارِم ابن مالك بن حنظلةَ بن مالك بن زيد مَنَاةَ بن تَميم ـ يَمدَحُ سليمانَ بن عبد الملك بن مروان ويَهجُو الحَجَّاج بن يوسف، ويذكر الفِيلَ وجيشَه:

فلمّا طغَى الحَجّاجُ حين طغَى بهِ غِنًى قـال إنِّي مُرتـقٍ في السَّلالمِ

(١) كتبت في (ت) بشكل يمكن أن تقرأ فيه على وجهين: مستبين ومستنير، وهي في (ش١) و(م) و(ي) ونسخة على حاشية (ص) مصحَّحاً عليها: مستنير.

(٢) المهاة: الشمس، سمِّيَت بذلك لصفائها.

(٣) المغمَّس: سهل واسع شرقيّ مكة على بعد ٢٠ كم تقريباً منها بعد عرفات.

(٤) الجِران: باطن العنق من البعير وغيره. قُطِّر، أي: رُمي به على جانبه، والقُطْر: الجانب. وكبكبٌ: جبل خلف عرفات مشرف عليها. محدور: مُلقًى من علوٍّ إلى سُفل.

(٥) ملاويث: أشدّاء.

(٦) ابذَعرُّوا: تفرَّقوا من ذُعر.

(٧) في (ي) وحواشي بعض النسخ: زُورُ. وقوله: بُورٌ، أي: هالك، من البَوَار: وهو الهلاك. وأما الزُّور: فهو البهتان والكذب.

فكان كما قال ابنُ نوحٍ سأرتَقي ... إلى جبلٍ من خَشيةِ الماءِ عاصمِ

رَمَى اللهُ في جُثمانِه مثلَ ما رمَى ... عن القِبلةِ البيضاءِ ذاتِ المَحارِمِ

جنوداً تسوقُ الفيلَ حتى أعادَهم ... هَباءً وكانوا مُطرَخِمِّي الطَّراخِمِ[1]

نُصِرتَ كنصرِ البيتِ إذ ساقَ فيلَه ... إليه عظيمُ المشركينَ الأعاجِمِ

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له[2].

قال ابن هشام: وقال عبد الله[3] بن قيسِ الرُّقَيّات، أحدُ بني عامر بن لُؤيّ بن غالب يذكر أبرهةَ ـ وهو الأشرَم ـ والفيلَ:

كادَهُ الأشرمُ الذي جاءَ بالفيـ ... ـلِ فولَّى وجيشُه مهزومُ

واستَهلَّت عليهمُ الطيرُ بالجَنْـ ... ـدَلِ حتّى كأنّه مرجومُ[4]

ذاكَ مَن يَغزُهُ من الناسِ يَرجِعْ ... وهْوَ فَلٌّ مِن الجُيوشِ ذَميمُ[5]

وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: فلما هلك أبرهةُ، مَلَكَ الحبشةَ يَكسُومُ بنُ أبرهة، وبه كان يُكنَى.

فلما هَلَكَ يَكسُوم بن أبرهة، مَلَكَ اليمنَ في الحبشة أخوه مسروقُ بن أبرهة.

---

(١) الطراخم: جمع المطرخِم، وهو الممتلئ كِبراً أو غضباً.

(٢) انظر «ديوانه» ص٦١٣.

(٣) هكذا سمّاه ابن هشامٍ عبدَ الله مكبَّراً، والمشهور أنه عُبيد الله مصغَّراً، وانظر الخلاف في ذلك في «خزانة الأدب» للبغدادي ٧/ ٢٨٢. وهذه الأبيات في «ديوانه» ص١٩٢.

(٤) الجندل: ما يستطيع الرجل حمله من الحجارة.

(٥) الفَلّ: الجيش المنهزم.

خروج سيف بن ذي يَزَن، ومُلكُ وَهْرِزَ على اليمن

فلما طال البلاءُ على أهل اليمن، خرج سيفُ بن ذي يَزَن الحِمْيَري ـ وكان يُكنَى أبا مُرَّة ـ حتى قَدِمَ على قيصرَ ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يُخرِجَهم عنه ويَلِيَهم هو، ويبعثَ إليهم مَن شاء من الروم فيكونَ له ملكُ اليمن، فلم يُشْكِه[1].

فخرج حتى أتى النُّعمانَ بن المنذر ـ وهو عاملُ كِسرى على الحِيرةِ وما يليها من أرض العراق ـ فشكا إليه أمرَ الحبشة، فقال له النعمان: إنَّ لي على كسرى وِفادةً في كلِّ عام، فأقِمْ حتى يكون ذلك. ففعل، ثم خرج معه، فأدخلَه على كسرى، وكان كسرى يجلسُ في إيوانِ مجلسِه الذي فيه تاجُه، وكان تاجُه مثلَ القَنقَلِ[2] العظيم ـ فيما يَزعُمون ـ يُضرَب فيه الياقوت والزَّبَرجَد واللؤلؤ بالذهب والفضة، معلَّقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاقةٍ في مجلسه ذلك، فكانت عُنُقه لا تحمل تاجَه، إنما يُستَر بالثياب حتى يجلسَ في مجلسه ذلك ثم يُدخِلَ رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كُشِفَت عنه الثياب، فلا يراه رجلٌ لم يره قبل ذلك إلا بَرَكَ هَيْبةً له، فلمّا دخل عليه سيفُ بن ذي يَزَن بَرَك.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ سيفاً لمّا دخل عليه طأطأ رأسَه، فقال الملك: إنَّ هذا الأحمقَ يَدخُل عليَّ من هذا الباب الطويل ثمّ يُطأطِئ رأسه! فقيل ذلك لسيفٍ، فقال: إنّما فعلتُ هذا لِهَمِّي، لأنّه يَضِيقُ عنه كلُّ شيء.

قال ابن إسحاق: ثمّ قال: أيّها الملك، غَلَبَنا على بلادنا الأَغرِبةُ، قال كسرى: أيُّ الأغرِبَة، الحَبَشةُ أم السِّندُ؟ قال: بل الحبشة، فجئتُك لتَنصُرَني، ويكونَ مُلكُ بلادي

---

(١) أي: لم يُزِل شكواه.

(٢) القَنقَل: مكيال عظيم.

لك، قال: بَعُدَتْ بلادُك مع قِلّةِ خيرِها، فلم أكن لأُورِّطَ جيشاً من فارسَ بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثمّ أجازه بعَشَرة آلاف درهمٍ وافٍ، وكَسَاه كِسوةً حسنة، فلمّا قَبَضَ ذلك سيفٌ، خَرَجَ فجعل يَنثُر تلك الوَرِقَ للناس، فبلغ ذلك الملكَ فقال: إنَّ لِهذا لَشأناً، ثم بَعَثَ إليه فقال: عَمَدتَ إلى حِباءِ المَلِك تَنثُره للناس! قال: وما أصنَعُ بهذا؟ ما جبالُ أرضي التي جئتُ منها إلا ذهبٌ وفضّةٌ ـ يُرغِّبُه فيها ـ فجَمَعَ كسرى مَرَازِبتَه فقال: ماذا تَرَونَ في أمر هذا الرجل وما جاءَ له؟ فقال قائل: أيها الملك، إنَّ في سجونك رجالاً قد حَبَستَهم للقتل، فلو أنك بَعَثتَهم معه، فإن يَهلِكوا كان الذي أردتَ بهم، وإن ظَفِروا كان مُلكاً ازددتَه.

فبعث معه كسرى مَن كان في سجونه، وكانوا ثمانيَ مئةِ رجل، واستَعمَل عليهم وَهْرِز، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وأفضلَهم حَسَباً وبيتاً، فخرجوا في ثماني سفائنَ، فغَرِقَت سفينتان ووَصَلَ إلى ساحل عَدَن ستُّ سفائن، فجمع سيفٌ إلى وَهْرِز مَن استطاع من قومه، وقال له: رِجْلي مع رِجْلك حتى نموتَ جميعاً أو نَظفَرَ جميعاً، قال وَهْرِز: أنصفتَ.

وخرج إليه مسروقُ بن أَبرهةَ ملكُ اليمن، وجَمَعَ إليه جُندَه، فأرسل إليهم وَهْرِزُ ابناً له ليقاتلَهم فيَختبِرَ قتالهم، فقُتِل ابنُ وَهْرِز، فزاده ذلك حَنَقاً[1] عليهم، فلما تواقَفَ الناسُ على مَصافِّهم قال وَهْرِز: أَرُوني مَلِكَهم، فقالوا له: أترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجَه على رأسه، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء؟ قال: نعم، فقالوا: ذلك مَلِكُهم، فقال: اتركوه، فوقفوا طويلاً، ثم قال: علامَ هو؟ قالوا: قد تَحوَّل على الفَرَس، قال: اتركوه، فوقفوا طويلاً، ثم قال: علامَ هو؟ قالوا: على البغلة، قال

---

(١) أي: غَيظاً.

وَهْرِز: بنتُ الحمار، ذلَّ وذلَّ مُلْكُه، إنِّي سأَرميه، فإذا رأيتم أصحابَه لم يتحرَّكوا فاثبُتُوا حتّى أُوذِنَكم، فإنِّي قد أخطأتُ الرجل، وإن رأيتم القومَ قد استداروا ولاثُوا به[1]، فقد أصبتُ الرَّجل، فاحمِلوا عليهم. ثم وَتَّرَ قوسَه، وكانت - فيما يَزعُمون - لا يُوتِّرُها غيرُه من شدّتها، وأمَرَ بحاجبَيهِ فعُصِبا له، ثم رَمَاه، فصَكَّ الياقوتةَ التي بين عينيه، فتَغَلغَلَت النُّشّابةُ في رأسه حتى خرجت من قَفَاه، ونُكِّسَ عن دابَّته، واستدارتِ الحبشةُ ولاثَتْ به، وحَمَلَت عليهم الفُرسُ، وانهزموا، فقُتِلوا وهربوا في كلِّ وجه.

وأقبل وَهْرِزُ ليدخلَ صنعاءَ، حتى إذا أتى بابَها قال: لا تَدخُلُ رايتي منكَّسةً أبداً، اهدِمُوا الباب، فهُدِم، ثم دخلها ناصباً رايتَه.

فقال سيفُ بن ذي يَزَن:

يظـنُّ النـاسُ بالمَلِكَيــ ـــنِ أنَّهمـا قـدِ الْتأَمـا[2]
ومَـن يَسـمعْ بلأْمِهمـا فإن الـخَطْبَ قد فَقَما[3]
قَتَلْنـا القَيْـلَ مَسـروقاً ورَوَّينـا الكَثِيـبَ دَمـا[4]
وإنَّ القَيْـلَ قَيـلَ النــا سِ وَهْـرِزَ مُقسِـمٌ قَسَما
يَـذُوقُ مُشَعشَـعاً حتـى يُفِـيءَ السَّـبْيَ والنَّعَمـا[5]

---

(١) لاثوا به، أي: اجتمعوا حوله.

(٢) قد التأما، أي: قد اصطلحا واتفقا.

(٣) الخَطْب: الأمر العظيم. وفَقَمَ: عَظُمَ.

(٤) القَيل: المَلِك. والكَثيب: التلّ من الرمل.

(٥) المُشعشَع: الشراب الممزوج بالماء. ويُفِيء، أي: يُعطي الفَيْء، وهو الغَنيمة. والسَّبي: الناس المأسورون. والنَّعَم: واحد الأنعام، وهي الإبل والبقر وغيرها.

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبياتٍ له.

وأنشدني خلَّاد بن قُرَّة السَّدُوسيُّ آخرَها بيتاً لأعشى بني قيس بن ثَعلَبة في قصيدةٍ له، وغيرُه من أهل العلم بالشِّعر يُنكِرُها له.

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصَّلْت بنُ أبي رَبِيعة[1] ـ قال ابن هشام: وتُروَى لأميّة بن أبي الصَّلت ـ:

لِيطلُبِ الوِترَ أمثالُ ابنِ ذي يَزَنٍ ... رَيَّمَ في البحرِ للأعداءِ أَحوالا[2]

يَمَّمَ قيصَرَ لمّا حانَ رحلتُهُ ... فلم يجدْ عندَه بعضَ الذي سألا[3]

حتّى أَتى ببَني الأحرارِ يَحمِلُهمْ ... إنَّك عَمْري لقد أُسرِعتَ قَلْقالا[4]

لله دَرُّهمْ من عُصبةٍ خَرَجُوا ... ما إنْ أَرى لهم في النَّاسِ أَمثالا

بِيضاً مَرَازِبةً غُلْباً أَساوِرَةً ... أُسْداً تُربَّبُ في الغَيْضاتِ أَشبالا[5]

يَرمُون عن شُدُفٍ كأنها غُبُطٌ ... بزَمْخَرٍ يُعجِلُ المَرْميَّ إعجالا[6]

---

(١) هو والد أُميّة، وقد نسبها إليه محمد بن سلّام الجُمَحي في كتاب «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٦٠، والطبري في «تاريخه» ٢/ ١٤٧، وعزاها المسعودي في «مروج الذهب» ٢/ ٥٩ لأبي ربيعة جدّ أمية بن أبي الصلت.

(٢) الوتر، بكسر الواو وفتحها: الثّأر. ورَيَّم في البحر، أي: أقام متنقلاً فيه. وأحوالاً، أي: أعواماً.

(٣) يمَّم: قصد.

(٤) القلقال: التحرك والسرعة.

(٥) المَرازِبة: وزراء الفرس. غُلباً: شِداداً. والأساورة: رُماة الفرس. وتُربَّب، أي: تُربَّى. والغَيضات: جمع غَيْضة، وهي الشجر الكثيف. والأشبال: أولاد الأُسود، فاستعارها لهم.

(٦) شُدُف: هي جمع شَدْفاء، والشدفاء: العوجاء؛ يعني القوس الفارسية. وغُبُط: جمع غَبيط، وهي عِيدان الهودج، شبه بها القوس في انحنائها. والزَّمخَر: القصب اليابس.

أَرسلتَ أُسْداً على سُودِ الكِلابِ فقد ... أَضحى شَريدُهم في الأرضِ فُلّالا[1]
فاشرَبْ هَنيئاً عليك التاجُ مُرتفِقاً ... في رأسِ غُمدانَ داراً منك مِحلالا[2]
واشرَبْ هنيئاً فقد شالَتْ نَعامتُهم ... وأسبِلِ اليومَ في بُردَيكَ إسبالا[3]
تلكَ المَكارمُ لا قَعْبانِ مِن لَبنٍ ... شِيبًا بماءٍ فعادا بَعدُ أَبوالا[4]

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ له ممّا روى ابنُ إسحاق منها، إلا آخرَها بيتاً؛ قولَه:

تلكَ المَكارمُ لا قَعبانِ مِن لَبنٍ

فإنه للنّابغةِ الجَعْديِّ في قصيدة له[5]، واسمه قيس بن عبد الله، أحدُ بني جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن بكر بن هَوَازن[6].

قال ابن إسحاق: وقال عَديُّ بن زيد الحِيرِيّ[7]، وكان أحدَ بني تَميم. قال ابنُ

(١) الفُلَّال: المنهزمون.

(٢) غُمدان: قصر بصنعاء باليمن كان ينزله الملوك.

(٣) قوله: شالت نعامتهم، أي: تفرّقوا وهلكوا، والنعامة: جماعة القوم. والنعامة أيضاً: باطن القدم، وشالت: ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رِجْلاه وانتكس رأسه، فظهرت نعامةُ قدمه. انظر «الروض الأنف» ١/ ٣٠٧-٣٠٨.

والإسبال: إرخاء الثوب، وهنا يريد به الخُيَلاء والإعجاب.

(٤) قعبان: تثنية قَعْب، وهو قَدَح يُحلَبُ فيه. وشِيبا: مُزِجا.

(٥) قال ابن سلّام في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥٩ بعد أن ذكر أنه نُسب إلى النابغة: الرواة مجمعون أن أبا الصلت بن أبي ربيعة قاله.

(٦) من قوله: «واسمه قيس» إلى هنا من (ت) و(ش١) و(ق١) و(م)، ولم يرد في بقية النسخ، والتعريف باسمه قد تقدم من ابن هشام عند ذكر أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سد مأرب.

(٧) تحرف في (ص) و(غ) إلى: الحميري.

هشام: ثمّ أحدَ بني امرِئ القيس بن زيد مَنَاة بن تَميم، ويقال: عَديٌّ من العِبَاد[1] من أهل الحِيرَة:

مـا بعـدَ صـنعاءَ كـان يَعمُرُهـا   وُلاةُ مُلـكٍ جَـزْلٌ مواهبُهـا[2]

رفَّعهـا مَـن بَنـى لـدى قَـزَعِ الـ   ـمُـزْنِ وتَنْـدَى مِسْـكاً مَحارِبُها[3]

محفوفـةٌ بالجبـالِ دون عُـرَى الـ   ـكائـدِ مـا تُرتَقـى غَوَارِبُهـا[4]

يـأنَسُ فيهـا صـوتُ النُّهـامِ إذا   جاوبَهـا بالعَشـيِّ قاصِـبُها[5]

ساقت إليها الأسبابُ جندَ بني الـ   أحـرارِ فرسـانُها مواكبُهـا

وفُـوِّزَت بالبِغـالِ تُوسَـقُ بالـ   ـحَتْـفِ وتسـعى بهـا تَوالبُهـا[6]

حتى رآها الأقوالُ من طرفِ الـ   ـمَنقَـلِ مُخضـرَّةً كتائبُهـا[7]

يـومَ يُنـادُون آل بَربَـرَ والـ   ـيَكْسومَ لا يُفلِحَـنَّ هاربُهـا

فكـان يـومٌ بـاقي الحـديثِ وزا   لـتْ إمّـةٌ ثابـتٌ مراتبُهـا[8]

---

(١) في (ت): عدي بن زيد العِبادي، وفي (ص): عدي بن العباد. والعِباد: قبائل شتّى من عبد القيس من ربيعة في اسم كلٍّ منهم: عبدٌ.

(٢) ولاة مُلك: يريد الذين يدبرون أمر الناس ويصلحونه. جزلٌ: كثير. مواهبها: عطاياها.

(٣) القزع: السحاب المتفرق. والمُزن: السحاب. والمَحارب: الغرف المرتفعة.

(٤) عُرى الكائد: يريد عرى السماء وأسبابها. وغواربها: أعاليها.

(٥) النُّهام: الذكر من البوم، وهو طائر يصيح بالليل. والقاصب: صاحب الزَّمّارة.

(٦) فُوِّزت: قُطعت المَفَازة، وهي الصحراء. توالبها: جمع تَولَب، وهو ولدُ الحمار، فجعله هنا للبغال.

(٧) الأقوال: الملوك، واحدها: قَيْل. وقوله: من طرف المنقل، أي: من أعالي حصونها.

(٨) الإمّة، بكسر الهمزة: النعمة.

وبُـدِّل الفَـيجُ بالزَّرَافـةِ، والأيّـا مُ خُـــونٌ جَـــمٌّ عجائبُهـــا[1]

بعـــدَ بنـــي تُبَّـــعٍ نَخـــاوِرَةٍ قــدِ اطمأنَّـــت بهـــا مَرازِبُهـــا[2]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدةٍ له، وأنشدني أبو زيد ـ رواه لي عن المُفضَّل الضَّبِّيّ ـ قولَه:

يــومَ يُنــادُونَ آلَ بَربَــرَ واليَكسُــومَ

وهذا الّذي عَنَى سَطيحٌ بقوله: يليه إرَمُ ذي يَزَن، يخرج عليهم من عَدَن، فلا يترك منهم أحداً باليَمَن، والّذي عَنَى شِقٌّ بقوله: غلامٌ ليس بدَنِيٍّ ولا مُدَنّ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن.

ذكر ما انتهى إليه أمرُ الفُرس باليمن

قال ابن إسحاق: فأقام وَهْرِزُ والفُرسُ باليمن، فمن بقيَّة ذلك الجيش من الفُرس الأبناءُ الذين باليمن اليوم، وكان مُلْك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياطُ إلى أن قَتَلَت الفرسُ مسروقَ بنَ أبرهة وأَخرجتِ الحبشةَ، اثنتين وسبعين سنةً، تَوارَثَ ذلك منهم أربعةٌ: أرياطُ، ثمّ أبرهةُ، ثمّ يَكسُومُ بن أبرهة، ثمّ مسروقُ بن أبرهة.

قال ابن هشام: ثمّ مات وَهْرِزُ، فأمَّر كِسرى ابنَه المَرزُبان بن وَهْرِز على اليمن، ثمّ مات المَرزُبان، فأمّر كسرى ابنَه التَّينُجان بن المَرزُبان على اليمن، ثمّ مات التَّينُجان، فأمَّر كسرى ابنَ التَّينُجان على اليمن، ثمّ عَزَلَه وأمَّر باذانَ، فلم يزل باذانُ عليها حتى بعث اللهُ محمداً ﷺ.

فبَلَغني عن الزُّهْري أنه قال: كَتَبَ كسرى إلى باذانَ: إنّه بَلَغني أن رجلاً من قريش

---

(١) الفَيج: المنفرد في مشيته. والزَّرافة: الجماعة من الناس. وخُونٌ: خائنة.

(٢) بنو تُبّع: ملوك اليمن في القديم. ونخاورة: كرام، وقيل: ملوك.

خرج بمكة يَزعُم أنه نبيٌّ، فسِرْ إليه فاستَتِبْه، فإن تاب وإلّا فابعَثْ إليَّ برأسه.

فبعث باذانُ بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إنَّ الله قد وَعَدَني أن يَقتُلَ كِسرَى في يومِ كذا من شهرِ كذا»، فلمّا أتى باذانَ الكتابُ توقَّف ليَنظُر، وقال: إن كان نبيّاً، فسيكون ما قال؛ فقَتَلَ اللهُ كسرى في ذلك اليوم الّذي قال رسولُ الله ﷺ[1].

قال ابن هشام: على يَدَي ابنه شِيرَوِيهِ.

وقال خالد بن حِقٍّ الشَّيباني[2]:

وكِسرى إذ تَقَسَّمَه بَنُوهُ ... بأسيافٍ كما اقتُسِمَ اللِّحَامُ[3]

تَمخَّضَتِ المَنُونُ له بيومٍ ... أَنَى ولكلِّ حاملةٍ تَمامُ[4]

(١) أصل هذا الخبر صحيح، وقد وصله ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٢٣-٢٢٤ عن محمد بن عمر الأسلمي، عن معمر بن راشد ومحمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس. ثم أسنده عن غير واحد من الصحابة، وقال: دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: إن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحِجّة سنة ستٍّ أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام؛ فذكر القصة بطولها، وفيها نحو هذا الخبر، إلا أن شيخ ابن سعد فيه محمد بن عمر الأسلمي هو الواقديّ، وفيه عند المحدّثين مقال كثير.

لكن يشهد له حديث الحسن البصري عن أبي بَكْرة عند أحمد (٢٠٤٣٨): أن رجلاً من أهل فارس أتى النبيَّ ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «إن ربّي قد قتل ربَّك»؛ يعني كسرى. ورجاله ثقات.

(٢) ونسبه الجوهري في «الصحاح» ٣/ ١١٠٥ (مخض) وياقوت الحموي في «معجم البلدان» ١/ ٨١ إلى عمرو بن حسّان أحد بني الحارث بن همّام، والبيت الأخير يروى للنابغة الذُّبياني، وهو في «ديوانه» برواية ابن السِّكّيت ص٢٣٢.

(٣) اللِّحام: جمع لحم.

(٤) تمخَّضت المنون، أي: حَمَلَت لتلدَ كما تفعل الماخضُ من إناث الحيوان. والمَنُون: =

قال الزُّهْريّ: فلمّا بلغ ذلك باذانَ بعث بإسلامه وإسلام مَن معه من الفُرس إلى رسول الله ﷺ، فقالت الرُّسلُ من الفرس لرسول الله ﷺ: إلى مَن نحن يا رسول الله؟ قال: «أنتُم منَّا وإلينا أهلَ البيتِ»[1].

قال ابن هشام: فبَلَغَني عن الزُّهْريّ أنه قال: فمِن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ: «سلمانُ منَّا أهلَ البيتِ»[2].

قال ابن هشام: فهو الذي عَنَى سَطيحٌ بقوله: نبيٌّ زكيّ، يأتيه الوحيُ من قِبَلِ العَلِيّ، والذي عَنَى شِقٌّ بقوله: بل يَقطعُ برسولٍ مُرسَل، يأتي بالحقِّ والعدل، بين أهل الدِّين والفَضْل، يكونُ المُلك في قومِه إلى يوم الفَصْل.

قال ابن إسحاق: وكان في حَجَرٍ باليمن ـ فيما يَزعُمون ـ كتابٌ بالزَّبُور كُتِبَ في الزمان الأول: لِمَن مُلكُ ذِمَار؟ ـ وذمارُ اليمن أو صنعاء ـ لحِمْيرَ الأخيار، لِمن مُلكُ

= حوادث الدهر. وأَنَى بالنون، بمعنى: حان.

(١) لم نقف على هذا الحوار مع النبي ﷺ مسنداً، وهو هنا من مراسيل الزهري، ومراسيله من أضعف المراسيل إذا لم يأت في الباب ما يقوّيها.

(٢) حديث ضعيف بمرّةٍ لإعضاله بين ابن هشام وبين الزهري، ثم إن مراسيل الزهريّ من أضعف المراسيل كما سبق.

وقد أسنده كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جدّه في قصة حفر الخندق: أن رسول الله ﷺ قاله، فيما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٦٦٨٦) وغيره، وهذا إسناد ضعيف جداً من أجل كثير هذا، فإنه متروك الحديث، وقد تفرّد بالرواية عن أبيه عبد الله بن عمرو، فهو مجهول. وانظر تمام تخريجه في «المستدرك» طبعة دار الرسالة.

وروي هذا من قول عليّ بن أبي طالب موقوفاً عليه، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٢٩٨-٢٩٩ وغيرُه من وجوهٍ لا يخلو أحدها من مقال، إلا أنه بمجموعها يمكن تحسينه، فالموقوف أحسن وأصحُّ من المرفوع.

ذِمَار؟ للحبشةِ الأشرار، لِمن مُلكُ ذِمَار؟ لفارسٍ الأحرار، لِمن مُلكُ ذِمَار؟ لقريشٍ التُّجار.

قال ابن هشام: ويُقال: ذَمَار، بالفتح، فيما أخبرني يونس.

قال ابن إسحاق: وقال الأعشى، أَعشى بني قيس بن ثَعلَبة، في وقوع ما قال سَطيحٌ وصاحبُه[1]:

ما نَظَرتْ ذاتُ أشفارٍ كنظرتِها   حَقّاً كما صَدَقَ الذِّئبيُّ إذ سَجَعا[2]

وكانت العرب تقول لسَطيحٍ: الذِّئبيّ، لأنّه سَطيحُ بن ربيعة بن مسعود بن مازن ابن ذِئب.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ للأعشى.

قصة ملك الحَضْر

قال ابن هشام: وحدّثني خلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي، عن جَنَّاد، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب، أنه يقال: إن النُّعمان بن المنذر من ولد ساطِرُون ملكِ الحَضْر.

والحَضْر: حصنٌ عظيم كالمدينة، كان على شاطئ الفُرات، وهو الذي ذَكَرَ عَديُّ ابنُ زيد في قوله:

وأخو الحَضْرِ إذ بَنَاه وإذ دِجـ   ـلـةُ تُجبَى إليه والخابورُ[3]

---

(١) انظر «ديوان الأعشى» ١/ ٢٨٢.

(٢) الأشفار: جمع شُفْر، وهو أصل منبت جَفْن العين.

(٣) الخابور: اسم نهر، وهو أحد روافد نهر الفرات.

شـــادَه مَرمَـــراً وجَلّلَـــه كِلـــ ـســـاً فللطيـــرِ في ذُرَاهُ وُكُـــورُ[1]

لم يَـهَبْهُ رَيـبُ المَنُونِ فبـادَ الـ ـمُلـــكُ عنـــه فبابُـــه مَهجـــورُ[2]

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له[3].

والذي ذَكَر أبو دُؤادٍ[4] الإياديُّ في قوله:

وأرى الموتَ قد تدلَّى مِن الحَضْـ ـــرِ علـــى رَبِّ أهلِـه السّـاطِرُونِ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[5]، ويقال: إنها لخَلَف الأحمر، ويقال: لحمَّادٍ الراوية.

وكان كسرى سابورُ ذو الأكتاف غزا ساطِرُونَ ملكَ الحَضْر، فحَصَرَه سنتين، فأشرَفَت بنتُ ساطرون يوماً فنظرت إلى سابورَ وعليه ثيابُ دِيباج، وعلى رأسه تاجٌ من ذهب مكلَّلٌ بالزَّبَرجَد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلاً، فدَسَّت إليه: أتتزوّجُني إن فتحتُ لك باب الحَضْر؟ فقال: نعم، فلما أمسى ساطرونُ شَرِبَ حتى سَكِر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيحَ باب الحَضْر من تحت رأسه فبعثت بها مع مولًى لها، ففتح الباب، فدخل سابورُ فقتَل ساطرون، واستباح الحَضْرَ وخرَّبه، وسار بها معه وتزوَّجها، فبَيْنا هي نائمةٌ على فراشها ليلاً إذ جعلت تَململُ لا تنام، فدعا لها بالشَّمع ففُتِّش فراشُها، فوُجِدَ عليه ورقةُ آسٍ، فقال لها سابور: هذا أَسهَرَك؟

(١) المرمر: الرخام. والكِلس: ما طُلي به الحائط من جِصٍّ ونحوه. وذُراه: أعلاه.

(٢) المنون: حوادث الدهر، وريب المنون: ما يَريبك من تغير الأحوال فيه. وبادَ: هلك.

(٣) انظر «ديوانه» جمع وتحقيق المعيبد ص٨٨.

(٤) في نسخنا الخطية غير (ش١) و(ق١): أبو داود، وهو تحريف، والتصويب من النسختين المذكورتين. وهو شاعر جاهليّ، وانظر ترجمته في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ص٢٣٧-٢٤٠.

(٥) انظر «ديوانه» جمع وتحقيق أنوار الصالحي وأحمد الهاشمي ص١٧٦.

قالت: نعم، قال: فما كان أبوكِ يصنعُ بك؟ قالت: كان يَفرُشُ لي الدِّيباج، ويُلبِسُني الحرير، ويُطعِمني المُخّ، ويَسقِيني الخمر، قال: أفكان جزاءُ أبيكِ ما صنعتِ به؟ أنتِ إليَّ بذلك أسرعُ، ثم أَمر بها فرُبِطَت قرونُ رأسها بذَنَب فرس، ثم رُكِضَ الفرسُ حتى قتلها.

ففيه يقول أعشى بني قيس بن ثَعلَبة[1]:

أَلَـم تَـرَي الحَضْـرَ إذ أهلُـهُ ... بنُعمَـى وهـلْ خالـدٌ مَـن نَعِـمْ

أقـامَ بـه شـاهَبُورُ[2] الجُنُـو ... دَ حَـولَين تَضـرِبُ فيـه القُـدُمْ

فلمَّـا دعـا ربَّـه دعـوةً ... أنـابَ إليـه فلـم يَنـتقِمْ[3]

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

وقال عديُّ بن زيد في ذلك[4]:

والحَضْـرُ صـابَتْ عليـه داهيـةٌ ... مِـن فوقِـه أَيِّـدٌ مَناكبُهـا[5]

رَبَّتُـهُ لـم تُـوَقِّ والـدَها ... لِحَيْنِهـا إذْ أضـاعَ راقِبُهـا[6]

---

(١) انظر «ديوانه» ١/ ١٨٠-١٨١.

(٢) هكذا هو في (ش١) و(ق١) بالشين المعجمة، وهو الموافق لما فسّره به السُّهيلي فقال: معناه ابن الملِك، وفي بقية نسخنا: ساهبور، بالسين. والقُدُم: جمع قَدُوم، وهو الفأس.

(٣) ربّه، أي: سيّده، يعني سيّد الحَضْر. وأناب إليه: رجع إليه.

(٤) انظر «ديوانه» ص٤٧-٤٨.

(٥) صابت: سقطت ونزلت. وأيِّدٌ: شديد.

(٦) ربَّتُه: صاحبته، ويُروى: رَبيَّة، بمعنى: التي ربّاها والدها، ومن رواه: زَنيَّة، فنسبها إلى الزنى. لحَيْنها: لهلاكها، ومن رواه لخِبِّها بالخاء المكسورة فمعناه: لمكرها بأبيها. انظر «إملاء الخشني» ص٢٧.

إذ غَبَّقتْـهُ صَـهْباءَ صـافيةً والخمـرُ وَهْـلٌ يَهِـيمُ شـاربُها[1]

فأسـلَمَتْ أهلَهـا بلَيلتِهـا تظـنُّ أن الـرئيسَ خاطبُهـا

فكـان حـظُّ العَـروسِ إذ جَشَـرَ الصُّـبحُ دماءً تجـري سَـبائبُها[2]

وخُرِّبَ الحَضْرُ واستُبيحَ وقد أُحـرِقَ في خِـدْرِها مَشـاجِبُها[3]

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

(١) غبقته: سقَتْه بالعَشِيّ، والغَبُوق شرب العشيّ. والصهباء من أسماء الخمر. والوَهْل: الضَّعف. ويَهيم: يتحيَّر.

(٢) جَشَر الصبح، أي: أضاء وتبيَّن. وسبائبها: ضفائر شعرها.

(٣) الخِدر: هو السِّتر، ويُطلَق الخِدر أيضاً على البيت إن كان فيه امرأة وإلا فلا. ومشاجبها: جمع مِشجَب، وهو عود تُعلَّق عليه الثياب، ورواية الخُشني كما في «الإملاء» ص٢٨: مساحبها، وقال: هي القلائد في العُنق من قرنفل أو غيره.

ذكر ولد نِزَار بن مَعَدٍّ

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ نزارُ بن معدٍّ ثلاثةَ نفرٍ: مُضَرَ بن نزار، وربيعةَ بن نزار، وأنمارَ بن نزار.

قال ابن هشام: وإيادَ بن نزار، وقال الحارث بن دَوْس الإياديّ[١] ـ وتُروى لأبي دُؤَاد الإياديّ، واسمه جارية بن الحجّاج[٢] ـ:

وفُتُــوٍّ حَسَــنٍ أوجُهُهــم   مـن إيادِ بـن نـزارِ بـن مَعَـدْ[٣]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

فأمُّ مُضَرَ وإيادٍ سَوْدةُ بنت عَكّ بن عدنان، وأمُّ رَبيعة وأَنمارٍ شَقِيقةُ بنت عَكّ بن عدنان، ويقال: جُمْعة بنت عَكّ بن عدنان.

قال ابن إسحاق: فأنمارٌ أبو خَثعَمَ وبَجِيلةَ، قال جَرِير بن عبد الله البَجَلي ـ وكان سيّدَ بَجِيلة، وهو الذي يقول له القائل: لولا جريرٌ هَلَكَتْ بَجِيلَهْ[٤] ـ وهو

(١) نسبه إليه أيضاً ابن رَشيق القيرواني في «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» ٢/ ٨٢-٨٣، وابن أبي الإصبع في «تحرير التحبير» ص٣٥٣.

(٢) هو في «ديوانه» ص٩٢، ونسبه إليه أيضاً المسعودي في «التنبيه والإشراف» ص١٥٩، وابن بَرِّي في «التنبيه والإيضاح» ٢/ ٧ مادة (أيد)، والبُرِّي في «الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة» ١/ ٤٥٣، وابن منظور في «لسان العرب»، والزَّبيدي في «تاج العروس» مادة (أيد).

(٣) الفُتوّ: جمع فتًى، ويُجمع فتى أيضاً على: فِتْيان وفِتْية وفِتْوة وفُتِيّ.

(٤) البيت من رجزٍ عجزُه: نِعمَ الفتى وبئستِ القبيلَهْ

وقد أنشده الحسن البصري فيما ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» ١/ ٣٩١، وابن رَشيق في «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» ٢/ ٢٥١، والراغب الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» =

ينافرُ[1] الفُرافِصةَ الكَلْبيَّ إلى الأقرع بن حابس التَّميميِّ ابنِ عِقال بن مُجاشِع بن دارِم بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم[2]:

يـا أقـرعَ بـنَ حـابسٍ يـا أقـرعُ　　إنّك إن يُصـرَعْ أخوكَ[3] تُصـرَعُ

وقال[4]:

ابنَـيْ نـزارٍ انصُـرا أخاكُمـا　　إنَّ أَبـي وَجَدتُـهُ أباكُمـا

لـن يُغلَـبَ اليـومَ أخٌ والاكُمـا

= ١/ ٤٠٧، ولم ينسبوه، وذكره أيضاً دون نسبة ابنُ عبد البر في ترجمة جرير من «الاستيعاب»، ونسبه مغلطاي في «إكمال تهذيب الكمال» ٣/ ١٨٥ لعُوَيف القوافي.

(١) المنافَرَة: أن يفتخر الرجلان كلٌّ واحد منهما على صاحبه إمّا بنسبٍ أو شِعر أو غيرهما، ثم يحكِّما بينهما رجلاً ليقضي بينهما.

(٢) من قوله: «ابن عقال» إلى هنا من (ي) ونسخة في (ش١).

(٣) في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١): إن تَصرَع أخاك، والمثبت من (ص) و(ي)، وهو الموافق لما في كتب النحو والأدب.

وقد نسبه إلى جرير البجليّ سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٦٧، والفارابي في «معجم ديوان الأدب» ١/ ٤٣٥، وابن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» ٤/ ١١٧، وخالفهم أبو عبيدة معمر بن المثنّى في «شرح نقائض جرير والفرزدق» ١/ ٣١١، والبَلاذُري في «أنساب الأشراف» ١٢/ ٥٩، فنسباه إلى عمرو بن الخثارم، أحد بني جشم بن عمرو بن قداد.

وقوله: «تُصرَعُ» مرفوعاً، هو جواب الشَّرط، والأصل فيه أن يكون مجزوماً، وأما رفعه هنا فللضرورة، أو لغة ضعيفة، وقدَّره سيبويه في «الكتاب» مؤخَّراً، أي: إنك تُصرَعُ إن يصرع أخوك.

(٤) ونسبه إلى جرير البجلي أيضاً مصعبٌ الزبيريّ في «نسب قريش» ص٧، وابن أبي خيثمة في السِّفر الثاني من «التاريخ الكبير» ١/ ١٣٢، وابن طاهر المقدسيّ في «البدء والتاريخ» ٤/ ١١٨، وابن عبد البر في «الإنباه على قبائل الرواة» ص٩٢، أما أبو عبيدة والبَلاذُريّ فقد نسباه إلى عمرو ابن الخثارم كما سبق.

وقد تيامَنَت فلَحِقَت باليمن.

قال ابن هشام: قالت اليمن وبَجِيلةُ: أنمارُ بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ، ويُقال: إراش بن عمرو بن لِحْيان بن الغَوث. ودار بَجِيلة وخَثْعم يمانيَة.

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ مُضَرُ بن نزارٍ رجلين: الْياسَ بن مضر، وعَيْلانَ بن مضر.

قال ابنُ هشام: وأمُّهما جُرْهُميّة.

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ الْياسُ بن مضرَ ثلاثةَ نفرٍ: مُدرِكةَ بنَ الياس، وطابِخَةَ بنَ الياس، وقَمَعَةَ بنَ الياس، وأُمُّهم خِنْدِفُ، امرأةٌ من اليمن.

قال ابن هشام: خِنْدِف بنت عِمران بن الحافِ بن قُضَاعة.

قال ابن إسحاق: وكان اسم مُدرِكةَ عامراً، واسم طابخةَ عَمراً، وزعموا أنهما كانا في إبلٍ لهما يَرعَيانها، فاقتَنَصا صيداً فقعدا عليه يَطبُخانِه، وعَدَتْ عاديَةٌ[1] على إبِلِهما، فقال عامرٌ لعَمرو: أتُدرك الإبلَ أم تَطبُخ هذا الصيد؟ فقال عمرو: بل أَطبُخ، فلَحِقَ عامرٌ بالإبل فجاء بها، فلمّا راحا على أبيهما حدَّثاه شأنَهما، فقال لعامر: أنت مُدرِكة، وقال لعمرٍو: أنت طابِخَة[2].

وأما قَمَعَةُ، فيَزعُم نُسّابُ مُضَر: أن خُزَاعةَ من ولدِ عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعة بن الياس[3].

---

(١) أي: جماعة من اللصوص.

(٢) زاد في طبعة وستنفيلد وعنه السقا وصاحباه بعد هذا: وخرجت أمهم لما بلغها الخبر وهي مسرعة، فقال لها: تُخندِفين، فسمِّيَت خِندف. ولم يرد هذا في شيء من نسخنا الخطية.

والخَندَفة: الهرولة والإسراع في المشي.

(٣) وأيّد هذا ابنُ حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص٢٣٥. =

قصة عمرو بن لُحيّ وذكرُ أصنام العرب

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، عن أبيه قال: حُدِّثتُ أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتُ عمرَو بن لُحيٍّ يَجُرُّ قُصْبَه في النار، فسألتُه عمَّن بيني وبينَه من الناسِ، فقال: هَلَكُوا»[(١)].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ، أنّ أبا صالح السَّمّان حدّثه، أنه سمع أبا هريرة ـ قال ابن هشام: واسمُ أبي هريرة عبد الله بن عامر، ويقال: اسمُه عبد الرَّحمن بن صَخْر ـ يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأكثَمَ بن الجَوْن الخُزاعيّ: «يا أَكثَمُ، رأيتُ عمرَو بن لُحَيِّ بن قَمَعَةَ ابنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَه في النّارِ، فما رأَيتُ رجلاً أشبَهَ برجلٍ منكَ به، ولا بكَ منه»، فقال أكثمُ: عسى أن يَضُرَّني شَبَهُه يا رسول الله؟! قال: «لا، إنَّك مؤمنٌ وهو كافرٌ، إنَّه كان أوَّلَ مَن غَيَّرَ دينَ إسماعيلَ، فنَصَبَ الأَوثانَ، وبَحَّرَ البَحِيرةَ، وسَيَّبَ السّائبةَ، ووَصَلَ الوَصِيلةَ، وحَمَى الحامِيَ»[(٢)].

= وانظر تكملة الكلام على نسب خُزاعة عند المصنف فيما سيأتي ص١٠٠.

(١) حديث صحيح دون قوله: «فسألته عمّن... إلخ»، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه وإبهام المحدِّث به عن النبي ﷺ.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثاني من «التاريخ الكبير» (٥) من طريق سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، به.

والقُصْب، بالضم: المِعَى، وجمعه: أقصاب، وقيل: القُصب: اسمٌ للأمعاء كلها.

وانظر الرواية التالية.

(٢) إسناده صحيح. أبو صالح السَّمّان: اسمه ذكوان.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٣)، والبزار في «مسنده» (٨٩٩١)، وابن أبي عاصم =

قال ابن هشام: حدَّثني بعضُ أهل العلم: أن عمرو بن لُحَيٍّ خرج من مكّة إلى الشام في بعض أموره، فلما قَدِمَ مَآبَ من أرض البَلْقاء[1]، وبها يومئذٍ العماليقُ - وهم ولدُ عِمْلاق، ويقال: عِمليق بن لاوَذ بن سام بن نوح عليه السلام - رآهم يَعبُدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنامُ التي أراكم تَعبُدون؟ قالوا: هذه أصنامٌ نعبدُها، فنستمطرُها فتُمطِرُنا، ونَستنصِرُها فتنصرُنا، فقال لهم: أفلا تُعطونَني منها صنماً

= في «الأوائل» (٨٣)، والطبري في «تفسيره» ٩/ ٢٧ و٣١، وأبو عَروبة الحرّاني في «الأوائل» (٢٩)، والواحديّ في «الوسيط» ٢/ ٢٣٦ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه مختصراً مسلم (٢٨٥٦) (٥) من طريق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرَو بن لحيّ بن قَمَعة ابن خندف أبا بني كعبٍ هؤلاء، يجرُّ قُصْبَه في النار».

وأخرج البخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦) (٥١) من طريق ابن شهاب الزهري، عن سعيد ابن المسيّب قال: البَحيرة: التي يُمنَع دَرُّها للطواغيت، فلا يَحلُبُها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيِّبونها لآلهتهم، لا يُحمَل عليها شيء؛ قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرَو بن عامر الخُزاعيّ يجرُّ قُصْبَه في النار، كان أوّلَ من سيَّب السوائب».

زاد البخاري برقم (٤٦٢٣) عن ابن المسيّب قال: والوَصِيلة: الناقة البِكر تبكِّر في أول نتاج الإبل ثم تثنِّي بعدُ بأنثى، وكانوا يسيِّبونها لطواغيتهم، إن وَصَلَت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذَكَر، والحامِ: فَحْلُ الإبل يَضرِب الضِّرابَ المعدودَ، فإذا قضى ضِرابَه وَدَعُوه (يعني: تركوه) للطّواغيت، وأعفَوْه من الحَمْل فلم يُحمَل عليه شيء، وسمَّوه الحامِي.

(١) مآب: مدينة قديمة قد بادت وصارت قرية تسمَّى الرَّبّة، وهي من معاملة الكرك، وهي عن الكرك على أقل من نصف مرحلة في جهة الشمال. قاله أبو الفداء الأيوبي في «تقويم البلدان» ص٢٤٧، قلنا: وهي بلدة عامرة اليوم تبعد عن الكرك قرابة ١٠ كم.

وأما البلقاء: فإقليم واسع ممتدٌّ من وادي القُرى شمال الجزيرة العربية حتى يصل إلى وسط الأردن، وكانت عمّانُ قاعدته. انظر «معجم البلدان» لياقوت ١/ ٤٨٩.

فأَسيرَ به إلى أرض العرب فيَعبُدونَه؟ فأعطَوْه صنماً يقال له: هُبَلُ، فقَدِمَ به مكّة، فنَصَبَه وأمَرَ الناسَ بعبادته وتعظيمه.

قال ابن إسحاق: ويَزعُمون أن أوّل ما كانت عبادةُ الحجارة في بني إسماعيل، أنه كان لا يَظعَنُ(١) من مكّة ظاعنٌ منهم حين ضاقت عليهم فالتَمَسوا الفَسَحَ في البلاد، إلا حَمَل معه حَجَراً من حجارة الحَرَم، تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سَلَخَ ذلك بهم إلى أن كانوا يَعبُدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خَلَفَت الخُلُوف، ونَسُوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأممُ قبلَهم من الضّلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عَهْد إبراهيم يتمسَّكون بها، من تعظيم البيت والطوافِ به، والحجِّ والعُمرة، والوقوفِ على عرفاتٍ والمُزدلِفة، وهَدْيِ البُدْن(٢)، والإهلالِ بالحجّ والعُمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه، فكانت كِنانةُ وقريشٌ إذا أهلُّوا قالوا: لبَّيك اللهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريكَ لك، إلا شريكٌ هو لك، تَملِكُه وما مَلَك، فيوحِّدونه بالتلبية ثم يُدخِلون معه أصنامهم ويجعلون مِلكَها بيده، يقول الله تبارك وتعالى لمحمّد ﷺ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦] أي: ما يوحِّدونني بمعرفة حقِّي إلا جعلوا معي شَريكاً من خَلْقي.

وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عَكَفوا عليها، قصَّ اللهُ تبارك وتعالى خَبَرَها على رسوله محمد ﷺ، فقال: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ [نوح:٢٣-٢٤].

(١) أي: لا يسير في سفر، والظاعن: المسافر أو المرتحل.

(٢) البُدْن: النُّوق السِّمان، والهَدْي: ما يُهدى إلى البيت الحرام.

وكان الّذين اتَّخَذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرِهم، وسَمَّوا بأسمائها حين فارقوا دينَ إسماعيل، هُذَيلَ بن مُدرِكة بن الْياسِ بن مُضَر، اتَّخَذوا سُواعاً فكان لهم برُهَاط[١]، وكلبَ بن وَبَرَة من قُضَاعة، اتَّخذوا وَدّاً بدُومَةِ الجَندَل[٢].

قال ابن إسحاق: وقال كعبُ بن مالك الأنصاريّ:

وتُنسَى اللّاتُ والعُزَّى ووَدٌّ ونَسلُبُها القَلائدَ والشُّنُوفا[٣]

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ له سأذكرها في موضعها إن شاء الله[٤].

وكلبُ بن وَبَرة بن تَغلِب بن حُلْوان بن عِمران بن الحافِ بن قُضَاعة.

قال ابن إسحاق: وأنعُمُ من طيِّءٍ وأهلُ جُرَش من مَذحِج اتَّخَذوا يَغُوثَ بجُرَش.

قال ابن هشام: ويقال: أنعُمُ وطيِّءُ بن أُدَد بن مالك، ومالكٌ: مَذحِجُ بن أُدَد، ويقال: طيِّءُ بن أُدَد بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ.

قال ابن إسحاق: وخَيْوانُ بطنٌ من هَمْدانَ، اتَّخذوا يَعُوقَ بأرضِ هَمْدان من اليمن.

قال ابن هشام: اسم هَمْدانَ أَوسَلَةُ بن مالك بن زيد بن رَبيعة بن أَوسَلَةَ بن الخِيَار ابن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، ويقال: أَوسَلَةُ بن زيد بن أَوسَلَة بن الخِيار.

وقال مالك بن نَمَطٍ الهَمْداني:

---

(١) رهاط: وادٍ كان في أطراف ديار هذيل، وتقع بلدة رهاط في الشمال الشرق من مكّة على بعد ١١٥ كم تقريباً. وانظر كتاب «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» لعاتق البلاديّ ص١٤٣-١٤٤.

(٢) دُومَة الجَندَل ـ بضمّ الدال وقد تُفتَح ـ بلدة في منطقة الجوف التي تتوسط شمال الجزيرة العربية، وتقع دومة الجندل شرق تبوك على قرابة ٣٦٠ كم.

(٣) القلائد: ما يعلَّق في الأعناق. والشُّنوف: جمع شَنْف، وهو القُرْط الذي يجعل في الأُذن.

(٤) في ذكر غزوة الطائف ٤/ ١٩٠.

يَـرِيشُ اللهُ في الـدنيا ويَبْـرِي ولا يَبْـرِي يَعُـوقُ ولا يَـرِيشُ[1]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

ويقال: هَمْدان بن أَوسَلَة بن ربيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ.

قال ابن إسحاق: وذو الكَلَاع من حِمير، اتَّخذوا نَسْراً بأرض حِمير، وكان لخَوْلانَ صنم يقال له: عمُّ أَنَس - ويقال: عمْ آنس، فيما قال ابن هشام[2] - بأرض خَوْلان، يَقسِمون له من أنعامهم وحُرُوثهم قَسْماً بينه وبين الله عزَّ وجلَّ، بزَعْمهم، فما دخل في حقِّ عمِّ أنس من حقِّ الله الذي سمَّوه له تركوه له، وما دخل في حقِّ الله تعالى من حقِّ عمِّ أنس ردُّوه عليه، وهم بطنٌ من خَوْلان يقال لهم: الأَدِيم، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦].

قال ابن هشام: خَوْلان بن عمرو بن الحافِ بن قُضَاعة، ويقال: خَوْلان بن عمرو ابن مُرَّة بن أُدَد بن زيد بن مِهسَع بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ،

(١) لم نقف على هذا الشعر عند من له عناية في رواية الشعر غير ابن هشام. ومالك بن نمط هذا يقال له: ذو المِشعار، وسيأتي له ذكرٌ في عام الوفود ٤/ ٣٧٢.

يريد مالكٌ أن الله تعالى ينفع، وهذا الصنم لا ينفع، تقول العرب: فلان يريش ويبري، إذا كان عنده نفع، وأصله أن يبري السهم ويصنعه، ثم يجعل له ريشاً في آخره حتى يُنتفَع به، فضربوا ذلك مثلاً لمن عنده خير ونفع.

(٢) هذه العبارة بين المعترضتين من نسخة (ت) وحدها. وفي كتاب «الأصنام» لابن الكلبي ص٤٣: عُمْيانُس، وذكر محققه أن في حاشية نسخة منه: عمُّ أَنَس.

ويقال: خَوْلان بن عمرو بن سعد العَشِيرة بن مَذحِج.

قال ابن إسحاق: وكان لبني مِلْكان بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة صنمٌ يقال له: سَعْد، صخرةٌ بفَلاةٍ من أرضهم طويلةٌ، فأقبل رجل من بني مِلْكان بإبلٍ له مؤبَّلة[1] ليَقِفَها عليه التماسَ بَرَكته، فيما يَزعُم، فلما رأته الإبل، وكانت مَرعيَّة لا تُركَب، وكان يُهراق عليه الدماء، نَفَرَت منه فذهبت في كلِّ وجه، وغضب ربُّها المِلْكاني، فأخذ حجراً فرَمَاه به ثم قال: لا باركَ الله فيك، نفَّرتَ عليَّ إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جَمَعَها، فلما اجتمعت له قال:

أتَينا إلى سعدٍ ليَجمعَ شَمْلَنا ... فشتَّتَنا سعدٌ فلا نحنُ من سَعدِ
وهل سعدٌ إلا صخرةٌ بتَنُوفةٍ ... من الأرضِ لا تدعو لِغَيٍّ ولا رُشدِ[2]

وكان في دَوسٍ صنمٌ لعَمرِو بن حُمَمَةَ الدَّوسيّ.

قال ابن هشام: سأذكر حديثَه إن شاء الله في موضعه[3]، ودَوسُ ابنُ عُدْثان بن عبد الله بن زَهْران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأَسْد بن الغَوْث، ويقال: دَوسُ بن عبد الله ابن زَهْران بن الأَسْد بن الغَوْث.

قال ابن إسحاق: وكانت قريشٌ قد اتَّخَذت صنماً على بئرٍ في جوف الكعبة يقال له: هُبَل. قال ابن هشام: سأذكر حديثه إن شاء الله في موضعه[4].

قال ابن إسحاق: واتَّخذوا إسافاً ونائلةَ على موضع زمزمَ يَنحَرون عندهما، وكان

(١) المؤبَّلة: الإبل الكثيرة المتخَذة للاكتساب لا للركوب.

(٢) التَّنوفة: القَفْر التي لا تنبت شيئاً.

(٣) في قصة إسلام الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي ص٤٥٦.

(٤) في ذكر بئار قبائل قريش بمكة ص١٦٠.

إسافٌ ونائلةُ رجلاً وامرأةً من جُرْهُم ـ هو إسافُ بن بَغْي، ونائلةُ بنت دِيكٍ ـ فوقع إسافٌ على نائلة في الكعبة، فمَسَخَهما الله حَجَرين.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، عن عَمْرةَ بنت عبد الرَّحمن بن سعد بن زُرَارة، أنها سمعت عائشةَ تقول: ما زِلْنا نَسمعُ أنَّ إسافاً ونائلةَ كانا رجلاً وامرأةً من جُرْهُم أحدَثا في الكعبة، فمَسَخَهما اللهُ حَجَرينِ[1]؛ فالله أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وحيث يُنِيخُ الأشعَرُونَ رِكابَهم ... بمُفضَى السُّيولِ من إسافٍ ونائلِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ له سأذكرها إن شاء الله في موضعها[2].

قال ابن إسحاق: واتَّخذ أهل كل دارٍ في دارهم صنماً يَعبُدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسَّح به حين يركب، فكان ذلك آخرَ ما يصنعُ حين يتوجَّه إلى سفره، فإذا قَدِمَ من سفره تمسَّح به، فكان ذلك أولَ ما يَبدأُ به قبل أن يدخل على أهله، فلمَّا

---

(١) إسناده صحيح.

وهو في «السيرة» لابن إسحاق برواية يونس بن بكير ص٢٤، ومن طريق يونس أخرجه البزار في «مسنده» (٢٩٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٦٣-٦٤. قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن عائشة رضي الله عنها بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه مرفوعاً الطبراني في «الأوسط» (٦٣٥٠) من طريق خالد بن يزيد العُمريّ، عن سعيد بن مسلم بن بانَك، عن عَمرة، عن عائشة، عن النبي ﷺ. وهذا إسناد تالفٌ، علّته خالد بن يزيد، فقد كذّبه يحيى بن مَعِين وأبو حاتم، وقال فيه البخاريّ: ذاهب الحديث، وقال ابن حبّان: يروي الموضوعات عن الأثبات.

(٢) بعد قصة تحيُّر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن.

بعث اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَه محمَّداً ﷺ بالتوحيد، قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:٥].

وكانت العرب قد اتَّخَذَت مع الكعبة طواغيتَ، وهي بيوتٌ تُعظِّمها كتعظيم الكعبة، لها سَدَنةٌ وحُجّاب، وتُهْدي لها كما تُهْدي للكعبة، وتَطُوف بها كطوافها بها، وتَنحَرُ عندَها، وهي تَعرِفُ فضلَ الكعبة عليها، لأنها كانت قد عَرَفَت أنها بيتُ إبراهيم ومسجدُه.

فكانت لقريشٍ وبني كِنانةَ العُزَّى بنَخْلةَ[1]، وكان سَدَنتُها وحُجّابُها بني شَيْبان من سُلَيم، حلفاءَ بني هاشم.

قال ابن هشام: حلفاءُ أبي طالب خاصَّة، وسُلَيمٌ: سُلَيمُ بن منصور بن عِكْرمة ابن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان.

قال ابن إسحاق: وقال شاعرٌ من العرب:

لقد أُنكِحَت أسماءُ رأسَ بُقَيرةٍ ... من الأُدْمِ أهداها امرُؤٌ من بني غَنْمِ[2]

رأى قَدَعاً في عينِها إذ يسوقُها ... إلى غَبغَبِ العُزَّى فوسَّعَ في القَسْمِ[3]

---

(١) هي نخلة الشاميّة، وهي وادي المَضيق اليوم، ويسمى أيضاً وادي اللّيمون في بعض المصادر لكثرة أشجار الليمون فيه، ويقع شمال شرق مكّة على قرابة ٤٥ كم.

وكانت العُزَّى نَخَلات مجتمعة بنَوْا لها بيتاً، قال ابن الكلبيّ في كتاب «الأصنام» ص١٨: وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها ويُهْدون لها ويتقرّبون عندها بالذبح.

(٢) الأُدم: بياضٌ فيه غُبرة.

(٣) القَدَع: ضعف في البصر.

وهذا الشِّعر يهجو به القائلُ رجلاً تزوج امرأةً جميلة يقال لها: أسماء، فيما قاله ابن الكلبيّ في كتاب «الأصنام» ص٢٠، فهو يشبِّه هذا المهجوَّ ـ والظاهر أنه من بني غَنْم ـ ببقرة قد قَرُب أن =

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْياً قَسَموه فيمن حضرهم.

والغَبغَب: المَنحَر مُهْراقُ الدماء.

قال ابن هشام: هذانِ البيتانِ لأبي خِرَاشٍ الهُذَلي، واسمه خُوَيلد بن مُرّة، في أبياتٍ له.

والسَّدَنةُ: الذين يقومون بأمر الكعبة.

وقال رُؤبة بن العَجّاج[1]:

فــلا وربِّ الآمنــاتِ القُطَّــنِ[2]

بمَحبِسِ الهَدْيِ وبيتِ المَسدَنِ[3]

وهذان البيتانِ في أُرجوزةٍ له. وسأذكر حديثَها إن شاء الله تعالى في موضعه[4].

قال ابن إسحاق: وكانت اللّاتُ لثقيفٍ بالطائف، وكان سَدَنتُها وحُجّابُها بني مُعتِّب من ثَقِيف.

قال ابن هشام: وسأذكر حديثها إن شاء الله في موضعه[5].

قال ابن إسحاق: وكانت مَناةُ للأوس والخَزرَج ومَن دانَ بدِينِهم من أهل يَثرِبَ،

= يذهب بصرُها، فلا تصلح إلا للذّبح والقَسْم عند الأصنام.

(١) انظر «ديوانه» ص١٦٣، و«شرح الديوان» ١/ ١١٠-١١١.

(٢) الآمنات: يعني حَمَام مكّة، فهنَّ آمنات لا يفزعن. والقُطَّن: جمع قاطنٍ، وهو الثابت بالمكان الدائم.

(٣) مَحبِس الهدي: الموضع الذي يُحبَس فيه ما يُهدى إلى الكعبة. والمَسدَن: حيث يكون سَدَنة البيت، وهم حُجّابه.

(٤) أي: حديث العزَّى وسدنتها، وسيأتي ٤/ ١١٩.

(٥) سيأتي ٤/ ٢٨٤ و٢٩٠.

على ساحل البحر من ناحية المُشلَّل بقُدَيد[1].

قال ابن هشام: وقال الكُمَيت بن زيدٍ أحدُ بني أَسَد بن خُزَيمة بن مُدْرِكة[2]:

وقد آلَتْ قبائلُ لا تُوَلِّي   مَناةَ ظُهورَها مُتحرِّفينا[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن هشام: فبعث رسولُ الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حَرْب فهَدَمَها، ويقال: عليَّ بنَ أبي طالب رضوان الله عليه[4].

قال ابن إسحاق: وكان ذو الخُلُصَة لدَوْس وخَثعَم وبَجِيلة ومَن كان ببلادهم من العرب بتَبَالةَ[5].

قال ابن هشام: ويقال: ذو الخَلَصة[6]، وقال رجل من العرب:

---

(١) قُديد: وادٍ فيه عدة قرى، يقع إلى الشمال الغربي من مكة، ويبعد عنها قرابة ١٣٠ كم، والمشلَّل فيه وتعرف اليوم بالقُديديّة.

(٢) من قوله: «أحد بني أسد» إلى هنا من (ش١) و(ق١) و(ي) و(غ)، وزاد في (غ): بن الياس بن مضر.

(٣) آلت، أي: حَلَفَت.

وهذا البيت من نونيّته الطويلة البالغ عدد أبياتها (٢٨٣) بيتاً، وهي ملحقة في «ديوانه» ص٤٢٧، وهذا البيت رقمه فيها (١٢٦).

(٤) ذهب إلى هذا ابنُ الكلبي في «كتاب الأصنام» ص١٥، وذهب الواقدي في «مغازيه» ١/ ٦ وصاحبه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٣٦ إلى أن الذي هدمها هو سعد بن زيد الأشهلي الأنصاري، وهو الذي سار عليه كتّاب السيرة فيما بعد.

(٥) تَبَالة: بلدة قريبة من بِيشة جنوب الجزيرة العربية.

(٦) محركة بفتحتين، وقيل: بضمتين، وقيل: بفتح الأول وإسكان الثاني، وقيل: بفتح أوله وضم ثانيه، والأول الأشهر عند المحدثين، كما في «تاج العروس» للزَّبيدي.

لو كنتَ يا ذا الخَلَصِ المَوتُورا[1] مِثلي وكان شيخُك المَقبُورا
لم تَنْهَ عن قتلِ العُداةِ زُورا

وكان أبوه قُتِل فأراد الطَّلبَ بثأره، فأتى ذا الخَلَصة فاستَقسَمَ بالأزلام[2] عنده، فخرج السَّهمُ بنَهْيِه عن ذلك، فقال هذه الأبياتَ، ومن الناس مَن يَنحَلُها امرَأَ القيسِ بنَ حُجْرٍ الكِنْديَّ[3]. فبعث إليه رسول الله ﷺ جَرِيرَ بن عبدِ الله البَجَليَّ فهَدَمَه[4].

قال ابن إسحاق: وكانت فِلْس[5] لطيِّءٍ ومَن يَلِيها بجَبَلَي طيِّئ، بين سَلْمَى وأَجَأ.

قال ابن هشام: فحدَّثني بعض أهل العلم: أنَّ رسول الله ﷺ بعث إليها عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه فهَدَمَها، فوَجَدَ فيها سيفَينِ، يقال لأحدهما: الرَّسُوب، وللآخر:

---

(١) الموتور: من كان له ثأرٌ عند أحدٍ فلم يدركه.

(٢) الاستقسام: هو الاقتراع لطلب معرفة ما قُسِم له ممّا لم يُقسَم. والأزلام: هي السِّهام التي يُقتَرع بها، واحدها: زَلَمٌ، بفتح الزاي وضمّها.

(٣) ونسبه إليه من المتأخرين ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ٢/ ٣٨٤، ونسبه ابن هشام في كتابه «التيجان في ملوك حِميَر» ص٢٦٢ إلى أبي ذؤيب الهُذلي، وذكر هناك قصة أخرى غير المذكورة هنا.

(٤) أخرج قصة هدمه البخاري (٣٠٢٠) ومسلم (٢٤٧٦) من حديث جرير بن عبد الله البجليّ نفسه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تُريحُني من ذي الخَلَصة؟!»... وذكر بقية القصة.

(٥) في (ت) و(ش١) و(ص) و(ق١) و(م): قُلُس، بالقاف وبضمّتين، والمثبت من (ي)، والتقييد منها، وكذلك قيّده ابن دُريد في «جمهرة اللغة» ٢/ ٨٤٧، والفيروزآبادي في «القاموس»: بكسر الفاء وسكون اللام، وقيّده ابن الأثير في «النهاية» بضم فسكون.

وأما جبلا طيِّئ سلمى وأَجأ، فيقال لهما اليوم: جبلا حائل، لأنهما يُشرِفان على مدينة حائل شمال نجد.

المِخذَم، فأَتى بهما رسولَ الله ﷺ فوَهَبَهما له، فهما سيفا عليٍّ رضي الله عنه[1].

قال ابن إسحاق: وكان لحِميَرَ وأهل اليمن بيتٌ بصنعاءَ يقال له: رِئَام.

قال ابن هشام: وقد ذكرتُ حديثه فيما مضى[2].

قال ابن إسحاق: وكانت رُضَاءُ بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سَعْد بن زيدِ مَناةَ بن تَميم، ولها يقول المُستَوغِر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هَدَمها في الإسلام:

ولقد شَدَدتُ على رُضاءٍ شَدَّةً ... فتركتُها قَفْراً بقاعٍ أَسحَما[3]

قال ابن هشام: قوله: فتركتها قفراً بقاعٍ أسحَما، عن رجل من بني سعد.

ويقال: إن المُستوغِر عُمِّر ثلاثَ مئةِ سنةٍ وثلاثين سنةً، وكان أطولَ مُضرَ كلِّها عُمراً، وهو الذي يقول[4]:

---

(١) قصة سريّة علي بن أبي طالب وهدمه الفِلْس أخرجها الواقدي في «المغازي» ٢/ ٩٨٤ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٩/ ١٩٣ ـ عن عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي بكر بن حَزْم ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، مرسلة. اختصرها عبد الله بن أبي بكر ابن حزم، وذكرها محمد بن عمر بن علي مطوَّلة، وذكر فيها قصة السيفين.

وذكرها ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٥٠ بدون إسناد.

(٢) في ذكر استيلاء أبي كَرِب تُبَان أسعد على مُلك اليمن وغزوه إلى يثرب ص٢٩.

(٣) القفر: الأرض الجرداء ليس فيها شيء. والقاع: المنخفض من الأرض. والأسحم: الأسود.

والبيت مع آخرَ نسبهما للمستوغرِ أيضاً ابنُ الكلبيّ في «كتاب الأصنام» ص٣٠، وذكرهما كذلك قاسم السَّرَقُسطي في «الدلائل في غريب الحديث» ١/ ١١٧ من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق.

(٤) وذكر هذه الأبيات له أيضاً ابن هشام في «التيجان» ص٢٦٣، وابن سلّام الجُمحيّ في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٣٣، وأبو حاتم السِّجستاني في «المعمَّرين» ص٩، وابن قتيبة في =

ولقد سَئِمتُ من الحياةِ وطولِها ... وعَمِرتُ من عددِ السِّنينَ مِئينا

مئةٌ حَدَتْها بعدَها مئتانِ لي ... وازددتُ من عددِ الشُّهورِ سِنينا

هل ما بَقِيْ إلا كما قد فاتَنا ... يومٌ يمُرُّ وليلةٌ تَحدُونا

وبعض الناس يروي هذه الأبيات لزهير بن جَنَاب الكَلْبي[1].

قال ابن إسحاق: وكان ذو الكَعَبات لبَكْرٍ وتَغلِبَ ابنَي وائلٍ وإيادٍ بسِنْداد[2]، وله يقول الأعشى، أعشى بني قيس بن ثَعلَبة[3]:

بينَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارقٍ ... والبيتِ ذي الكَعَباتِ من سِنْدادِ[4]

قال ابن هشام: وهذا البيت للأسود بن يَعفُرَ النَّهشَليّ[5]؛ نَهشَلِ بن دارِم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم، في قصيدةٍ له، وأنشدَنيهِ له أبو مُحرِز خَلَفٌ الأحمر:

أهلُ الخَوَرنَقِ والسَّدِيرِ وبارقٍ ... والبيتِ ذي الشُّرُفاتِ من سِنْدادِ

= «الشعر والشعراء» ١/ ٣٧٢.

(١) لم نقف على من نقل روايتها عنه غير ابن هشام.

(٢) سنداد: نهر بسواد العراق من الحيرة جنوب الكوفة إلى الأُبُلّة شمال البصرة، وعليه كانت منازل إياد. انظر «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري ١/ ٢٠٤ و٢/ ٧٦١.

(٣) ليس في «ديوانه»، وقد نسبه إلى الأعشى أيضاً صاحب كتاب «العين» ١/ ٢٠٧.

(٤) الخورنق: قصرٌ بالحِيرة جنوب الكوفة، بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة. والسَّدير: معناه بالفارسية: بيت الملك، قيل: هو قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم. وبارق: ماء بالعراق، وهو الحدّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. انظر «معجم البلدان» لياقوت ١/ ٣٠٩ و٣/ ٢٠١، و«الروض الأنف» للسهيليّ ١/ ٣٨١.

(٥) نسبه إليه أيضاً الجاحظ في «المحاسن والأضداد» ص١٦٣، وابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ١/ ٢٤٨، والبَلاذُري في «أنساب الأشراف» ١/ ٢٨، وغيرهم.

أمر البَحِيرة والسائبة والوَصِيلة والحامِي

قال ابن إسحاق: وأما البَحِيرة: فهي بنت السائبة.

والسائبةُ: الناقة إذا تابعت بين عَشْر إناثٍ ليس بينهن ذَكَرٌ، سُيِّبَت فلم يُركَب ظهرُها، ولم يُجَزَّ وَبَرُها، ولم يَشرَب لبنها إلا ضيفٌ، فما نُتِجَت بعد ذلك من أُنثى شُقَّت أُذنُها، ثم خُلِّي سبيلُها مع أمِّها، فلم يُركَب ظهرُها، ولم يُجَزَّ وَبَرُها، ولم يَشرَب لبنها إلا ضيفٌ كما فُعِلَ بأُمِّها، فهي البَحِيرةُ بنتُ السائبة.

والوَصِيلة: الشاة إذا أتأَمَتْ عشرَ إناثٍ متتابعاتٍ في خمسة أبطُن، ليس بينهنَّ ذكرٌ، جُعِلَت وَصيلةً؛ قالوا: قد وَصَلَت، فكان ما وَلَدَت بعد ذلك للذُّكور منهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيءٌ فيشتركوا في أكلِه؛ ذكورُهم وإناثُهم.

قال ابن هشام: ويروى: فكان ما وَلَدَت بعد ذلك لذُكورِ بَنِيهم دون بناتهم.

قال ابن إسحاق: والحامِي: الفَحْل إذا نُتِجَ له عشرُ إناثٍ متتابعاتٍ ليس بينهنَّ ذكرٌ، حُمِيَ ظهرُه فلم يُركب، ولم يُجَزَّ وَبَرُه، وخُلِّي في إبله يَضرِب فيها، لا يُنتفَع منه بغير ذلك.

قال ابن هشام: هذا عند العرب على غيرِ هذا، إلا الحامِيَ، فإنّه عندهم على ما قال ابن إسحاق.

والبَحِيرة عندهم: الناقة تُشَقُّ أُذنُها فلا يُركَبُ ظهرُها، ولا يُجَزُّ وبرُها، ولا يشرب لبنَها إلا ضيفٌ، أو يُتصدَّق به، وتُهمَل لآلهتهم. وزاد آخرون: وإذا أدرَكَها كالٌّ[1] لم يركبها.

والسائبة: التي يَنذِر الرجلُ أن يُسيِّبَها إن بَرَأ من مرضه، أو إن أصاب أمراً يطلبه،

---

(١) الكالُّ والكليل: الذي أصابه إعياءٌ وتعب.

فإذا كان ذلك أَسَابَ ناقةً من إبله أو جملاً لبعض آلهتهم، فسابَتْ فرعَتْ لا يُنتفَع بها.

والوَصِيلةُ: التي تلدُ أمُّها اثنين في كلِّ بطن، فيجعل صاحبُها لآلهتِه الإناثَ منها، ولنفسِه الذكورَ، فتلدُها أمُّها ومعها ذكرٌ في بطنٍ، فيقولون: وَصَلَت أخاها، فيُسيَّبُ أخوها معها فلا يُنتفَع به.

قال ابن هشام: حدَّثني به يونس النَّحْويّ وغيرُه، روى بعضٌ ما لم يروِ بعضٌ.

قال ابن إسحاق: فلمّا بَعَثَ اللهُ تبارك وتعالى رسولَه محمداً ﷺ أَنزل عليه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣]، وأنزل الله عليه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٣٩]، وأنزلَ تعالى عليه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]، وأنزل عليه: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٣-١٤٤].

قال ابن هشام: وقال تميم بن أُبيِّ بن مُقبِل، أحدُ بني عامر بن صَعصَعة:

فيـه مـن الأَخـرَجِ المِرْبـاعِ قَرقَـرةٌ   هَدْرَ الدِّيافِيِّ وَسْطَ الهَجْمةِ البُحُـرِ (١)

---

(١) الأخرج: الظَّليم الذي فيه لونان، والظليم ذَكَرُ النعام. والمِرباع: الذي رَعى في الربيع، =

وهذا البيت في قصيدة له[1].

قال ابن هشام: وقال الشاعر:

حُولُ الوصَائلِ[2] في شُرَيفٍ حِقَّـةٌ   والحاميـاتُ ظهورَهـا والسُّـيَّبُ

وجمعُ وَصِيلة: وصائلُ ووُصُلٌ، وجمع بَحِيرة: بحائرُ وبُحُر، وجمع سائبةٍ الأكثرُ: سوائبُ، وجمع حامٍ الأكثرُ: حَوَامٍ.

عدنا إلى سياقة النسب

قال ابن إسحاق[3]: وخُزَاعة تقول: نحن بنو عَمرو بن عامرٍ، من اليمن.

قال ابن هشام: وتقول خُزَاعة: نحن بنو عَمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عَمرو بن عامر بن حارثة بن امرِئِ القيس بن ثَعلَبة بن مازن بن الأَسْد بن الغَوْث، وخِنْدِفُ أُمُّنا، فيما حدَّثني أبو عُبَيدة وغيرُه من أهل العلم.

ويقال: خُزَاعةُ بنو حارثةَ بن عمرو بن عامر.

= وقرقرة: صوت فيه ترجيع. والهَدْر والهَدِير: صوت الفحل من الإبل، وربما قيل في غيره. والدِّيافي: نسبة إلى دِياف، موضع في الجزيرة بالشام. والهَجْمة: القطعة الكثيرة من الإبل. والبُحُر: جمع بَحِيرة، وهي المشقوقة الأذان.

(١) انظر «ديوانه» ص٨٢، وهذا البيت الثاني والستون فيها.

(٢) هكذا في عدة نسخ خطية عندنا، وفي (ت) و(ص) و(غ): الفصائل، والصواب ما أثبتنا. وهذا البيت لم نقف عليه عند غير ابن هشام.

والحُولُ: جمع حائل، يقال: ناقة حائل، إذا لم تحمل سنةً أو سنتين. والشُّريف: موضع بنجد فيه ماء لبني نُمير بن عامر بن صعصعة. والحِقّة من الإبل: الذي دخل في السنة الرابعة، وعند ذلك يُتمكَّن من ركوبه وتحميله.

(٣) تكملة لما تقدم ص٨٤.

وإنَّما سُمِّيَت خُزاعةَ لأنهم تَخزَّعوا[1] من ولد عمرو بن عامرٍ حين أَقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمَرِّ الظَّهْران فأقاموا بها.

قال عَوْن[2] بن أيوب الأنصاريُّ، أحدُ بني عمرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمةَ من الخَزرَج، في الإسلام:

فلمّا هَبَطْنا بطنَ مَرٍّ تَخزَّعَت ... خُزَاعةُ عنَّا[3] في حُلولٍ كَراكِرِ[4]

حَمَتْ كلَّ وادٍ من تِهامةَ واحتَمَتْ ... بصُمِّ القَنا والمُرهَفاتِ البَواتِرِ[5]

وهذان البيتان في قصيدةٍ له[6].

وقال أبو المُطهَّر إسماعيل بن رافع الأنصاريّ، أحدُ بني حارثةَ بن الحارث بن الخَزرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوْس:

---

(١) أي: تأخَّروا وانقطعوا.

ومرُّ الظهران: وادٍ يمرُّ شمال غرب مكة على قرابة ٢٢ كم، وقد سبق التعريف به ص١٤.

(٢) في (ي) ونسخة على حاشية (ص): عوف. والظاهر أنه تحريف، على أننا لم نقف لهذا الرجل على ترجمة فيما بين يدينا من المصادر.

(٣) في (ت) و(ش١) و(غ): منّا.

(٤) تخزَّعت: تأخرت وانقطعت. والحلول: البيوت الكثيرة من بيوت العرب. وكَراكِر: جماعات.

(٥) القنا: الرِّماح. والبواتر: القواطع، يعني السيوف.

(٦) وتبعه على هذه النِّسبة ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ١٠٥، ونسبها المصنف نفسه في «التيجان» ص٢٩٢ إلى عمرو بن أنيف الغسّاني، ونسبها غير واحد إلى حسان بن ثابت الأنصاري كابن دريد في «الاشتقاق» ص٤٦٨، والأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ٩٥، والمسعودي في «مروج الذهب» ٢/ ١٧٢، والأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ١١٠. وانظر «ديوان حسان» ١/ ٤٨٣ بتحقيق وليد عرفات.

فلمّا هَبَطْنا بطنَ مكّةَ أَحمَدَتْ ... خُزاعةُ دارَ الآكلِ المُتحامِلِ

فحَلَّتْ أكَاريساً وشَتَّتْ[1] قَنابِلاً[2] ... على كلِّ حيٍّ بين نَجدٍ وساحلِ

نَفَوا جُرهُماً عن بطنِ مكَّة واحتَبَوا ... بعِزٍّ خُزَاعيٍّ شديدِ الكَوَاهلِ

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له[3]، وأنا إن شاء الله ذاكرٌ نفيَها جُرهُمَ في موضعه[4].

قال ابن إسحاق: فولدَ مُدرِكةُ بن الْياسِ رجلين: خُزَيمةَ بن مُدرِكة، وهُذَيلَ بن مُدرِكة، وأمُّهما امرأةٌ من قُضَاعة، فولدَ خُزَيمةُ بن مُدرِكةَ أربعةَ نفرٍ: كِنانةَ بن خُزيمة، وأسَدَ بن خُزيمة، وأسَدَةَ بن خُزيمة[5]، والهُوْنَ بن خُزيمة، فأمُّ كِنانةَ عَوَانةُ بنت سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر.

قال ابن هشام: ويقال: الهَوْنُ[6] بن خُزَيمة.

قال ابن إسحاق: فولدَ كِنانةُ بن خُزَيمة أربعةَ نفرٍ: النَّضْرَ بن كِنانة، ومالكَ بن

---

(١) في (ت) و(ق١) و(م): وسنت، وفي (ش١) و(غ) ونسخة على هامش (ص): وشنّت. ومعنى شتَّتْ: فرَّقَتْ. وأكاريس: جمع كِرْس، بالكسر: أبياتٌ من الناس مجتمعة.

(٢) في (ت) و(ي): قبائلا. ومعنى القنابل: القِطَع من الخيل، وهي جمع قَنبَلة.

(٣) لم نقف على هذه الأبيات عند غير المصنف، وعنه نقلها ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ١٨٦، كما لم نقف على ترجمة لقائلها أبي المطهَّر إسماعيل بن رافع.

(٤) قريباً ص١٢٤، في استيلاء قوم من كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم.

(٥) وكذلك ذكر أسدةَ هذا في ولد خزيمةَ الكلبيُّ في «جمهرة النسب» ص١٧، ومصعبٌ الزبيريُّ في «نسب قريش» ص٨ و١٠، وخالفهم ابن قتيبة في «المعارف» ص٦٥ فلم يذكر لخزيمة إلا ثلاثة أبناء ليس أَسدةُ فيهم، وعلّق ابنُ حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص١١ على من ذكره فيهم فقال: ليس بشيء.

(٦) قيّده ابن دريد في «الاشتقاق» ص١٧٨ بالوجهين؛ فتح الهاء وضمها، وقيّده الجوهري في «الصحاح» والفيروزابادي في «القاموس» بضم الهاء فقط.

كِنانة، وعبدَ مَنَاةَ بن كِنانة، ومِلْكانَ بن كِنانة، فأمُّ النَّضر بَرَّةُ بنت مُرِّ بن أُدّ بن طابِخةَ ابن الياس بن مُضَر، وسائرُ بَنيهِ لامرأةٍ أخرى.

قال ابن هشام: أمُّ النَّضر ومالكٍ ومِلْكان: بَرَّةُ ابنة مُرٍّ، وأمُّ عبدِ مَناةَ: هالةُ بنت سُوَيد بن الغِطْريف من أزْدِ شَنُوءة. وشَنُوءةُ: عبدُ الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأَسْد بن الغَوْث، وإنما سُمُّوا شَنُوءةَ، لشَنَآنٍ كان بينهم، والشَّنَآنُ: البُغْض.

وقال ابن هشام: النَّضْرُ قُرَيشٌ، فمَن كان من ولده فهو قُرَشيّ، ومَن لم يكن من ولده فليس بقُرَشيّ، وقال جَرير بن عطيّة ـ أحدُ بني كُليب بن يَربُوع بن حَنظَلة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تَميمٍ ـ يمدحُ هشامَ بن عبد الملك بن مروان:

فما الأمُّ التي وَلَدَتْ قُريشاً ... بمُقرِفةِ النِّجَارِ ولا عَقيمِ[1]

وما قَرْمٌ بأنجبَ من أبيكُمْ ... وما خالٌ بأكرمَ من تَميمِ[2]

يعني بَرَّةَ بنت مُرٍّ أختَ تميم بن مُرّ، أمَّ النَّضر. وهذان البيتان في قصيدةٍ له[3].

ويقال: فِهرُ بن مالكٍ قريشٌ، فمَن كان من ولده فهو قُرَشيّ، ومَن لم يكن من ولده فليس بقُرَشيّ، وإنّما سُمِّيَت قريشٌ قريشاً من التقرُّش، والتقرُّش: التِّجارة والاكتساب، وقال رُؤْبةُ بن العَجّاج:

قد كان يُغْنيهِم عن الشَّغُوشِ[4] ... والخَشْلِ من تَساقُطِ القُرُوشِ

شَحْمٌ ومَحْضٌ ليس بالمَغشُوشِ

---

(١) مُقرفة النِّجَار: لئيمة الأصل.

(٢) القَرْم: الفحل من الإبل، فاستعاره هنا للرجل السيد.

(٣) انظر «ديوانه» ص٤١٢.

(٤) بفتح الشين وقد تُضَمّ، كما في «القاموس»، ووقع بالتقييدين في نسخنا الخطية.

الشَّغُوش: قمحٌ يسمَّى الشَّغُوش، والخَشْلُ: رؤوس الخلاخيل والأَسوِرة ونحوه، والقُروش: التِّجارة والاكتساب، يقول: قد كان يُغنِيهم عن هذا شحمٌ ومَحضٌ، والمَحْضُ: اللَّبَن الحليب الخالص. وهذه الأبيات في أُرجوزةٍ له[1].

وقال أبو خَلْدة اليَشكُريّ، ويَشكُرُ ابنُ بكر بن وائل:

إخـوةٌ قَرَّشُـوا الـذُّنوبَ علينـا في حـديثٍ مِـن عُمْرِنـا وقـديمِ[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له[3].

قال ابن إسحاق: ويقال: إنما سُمِّيَت قُريشٌ قريشاً لتجمُّعها مِن تفرُّقها، ويقال للتجمُّع: التَّقرُّش.

فولدَ النَّضرُ بن كِنانةَ رجلين: مالكَ بن النَّضر، ويَخلُدَ بن النَّضر، وأُمُّ مالكٍ عاتكةُ

---

(١) انظر «ديوانه» ص٧٨، و«شرح ديوانه» ٢/ ٢٠٤.

(٢) قرَّشوا، أي: جمَّعوا.

(٣) ونسبه إليه أيضاً البَلاذُري في «أنساب الأشراف» ١١/ ٨٠، وابن عبد البر في «الإنباه على قبائل الرواة» ص٤٣، وأبو خلدة هذا من شعراء الدولة الأموية، وقد اختلف في كنيته، فقال بعضهم: أبو خَلْدة بفتح الخاء وسكون اللام، وقال آخرون: أبو جِلْدة، بالجيم المكسورة، نقل ذلك الوزير أبو القاسم ابن المغربي في «الإيناس بعلم الأنساب» ص١٣٦، وسمّاه أبو القاسم في كتابه «الإلحاق بالاشتقاق» كما في حاشية على هامش إحدى نسخ كتاب «الإيناس» - فيما قاله محقق الكتاب حمد الجاسر -: ابنَ عبيد بن مُنقِذ بن حُجْر بن عبد الله بن سلمة بن حبيب بن عديّ ابن جُشَم بن غَنْم بن حبيب بن كعب بن يَشكُر بن وائل. وذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ٢/ ٧٣٣ بكنيته بجيم، ولم يسمّه.

ونسب هذا البيت ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» ٢/ ١٦٩، والمسعودي في «مروج الذهب» ٢/ ٣٣ إلى ابن حِلِّزة اليَشكُريّ، فإن كان ما فيهما غير محرَّف عن أبي خلدة، فإن ابن حلّزة هذا اسمه الحارث، وهو شاعر جاهلي.

بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلان، ولا أدري أهي أمُّ يَخلُد أم لا.

قال ابن هشام: والصَّلتَ بنَ النَّضر ـ فيما قال أبو عمرٍو[1] ـ وأمُّهم جميعاً بنتُ سعد بن ظَرِبٍ العَدْوانِيّ، وعَدْوانُ ابنُ عمرو بن قيس بن عَيْلان.

قال كُثيِّر بن عبد الرَّحمن، وهو كُثيِّرُ عَزَّةَ، أحدُ بني مُلَيح بن عمرٍو من خُزَاعة:

أليسَ أبي بالصَّلْتِ أمْ ليس إخوتي ... لكلِّ هِجَانٍ من بني النَّضرِ أزهَرا[2]

رأيتُ ثيابَ العَصْبِ مُختلِطَ السَّدَى ... بِنا وبِهمْ والحَضْرميَّ المُخصَّرا[3]

فإنْ لم تكونوا من بني النَّضرِ فاترُكوا ... أَرَاكاً بأذنابِ الفوائجِ أخضَرا[4]

وهذه الأبيات في قصيدة له[5].

والذين يُعزَونَ إلى الصَّلْت بن النَّضر من خُزاعة بنو مُلَيح بن عمرو، رهطُ كُثيِّر عزَّة.

قال ابن إسحاق: فوَلدَ مالكُ بنُ النَّضر فِهرَ بن مالك، وأمُّه جَندَلةُ بنت الحارث ابن مُضَاض الجُرهُميّ.

---

(١) كذا وقع غير منسوب في نسخنا الخطية غير (ش١)، فزاد فيها وكذا في مطبوعة السقّا وصاحبيه: المدني، وكذا هو في كتاب «الجوهرة في نسب النبيّ وأصحابه العشرة» للبُرِّيّ ١/ ١٤٣. وأبو عمرو المدني هذا لم نتبيّنه.

(٢) الهِجان: الكريم.

(٣) السَّدى من الثوب: ما يُمدُّ من خيوطه طولاً في النسيج، وهو خلاف اللُّحمة. والعَصْب: من برود اليمن. والحضرميّ: النِّعال المُخصَّرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين.

(٤) الفوائج: رؤوس الأودية، وقيل: هي عيون ماءٍ بعَيْنها.

(٥) انظر «ديوانه» ص٢٣٣-٢٣٤، وانظر أيضاً في «نسب قريش» لمصعب الزبيري ص١١، و«أنساب الأشراف» للبَلاذُري ١/ ٣٨، و«أدب الخواص» للوزير أبي القاسم ابن المغربي ص١٣٣.

قال ابن هشام: وليس بابن مُضاضٍ الأكبر.

قال ابن إسحاق: فولدَ فِهرُ بن مالك أربعةَ نفرٍ: غالبَ بن فِهر، ومحاربَ بن فِهر، والحارثَ بن فِهر، وأسَدَ بن فِهر، وأمُّهم ليلى بنت سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة.

قال ابن هشام: وجَندَلةَ بنتَ فِهر، وهي أمُّ يَربُوع بن حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة ابن تميم، وأمُّها ليلى بنت سعد، قال جَرير بن عطيّة بن الخَطَفَى - واسم الخَطَفَى: حُذيفة بن بدر بن سَلَمة بن عوف بن كُلَيب بن يَربُوع بن حنظلة -[1]:

وإذا غَضِبتُ رَمَى ورائيَ بالحَصَى   أبنـاءُ جَندَلـةٍ كخيـرِ الجَنـدَلِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: فولدَ غالبُ بن فِهرٍ رجلين: لُؤَيَّ بن غالب، وتَيْمَ بن غالب، وأمُّهما سَلْمى بنت عمرو الخُزَاعي. وتَيمُ بن غالب الذين يقال لهم: بنو الأَدرَم.

قال ابن هشام: وقيسَ بن غالب، وأمُّه سَلْمى بنت كعب بن عمرو الخُزَاعي، وهي أمُّ لؤيٍّ وتَيمٍ ابنَي غالب.

قال ابن إسحاق: فوَلدَ لؤيُّ بن غالبٍ أربعةَ نفرٍ: كعبَ بن لؤيّ، وعامرَ بن لؤيّ، وسامَةَ بن لؤيّ، وعوفَ بن لؤيّ، فأمُّ كعب وعامر وسامة: ماوِيَّة بنتُ كعب بن القَيْن بن جَسْرٍ، من قُضَاعة.

قال ابن هشام: ويقال: والحارثَ بن لؤي، وهم جُشَمُ بن الحارث، في هِزّانَ من[3]

---

(١) انظر «ديوانه» ص٣٥٩.

(٢) الجندل: الحجارة.

(٣) كذا في (ش١) و(ق١)، وفي بقية النسخ: بن، والأوجَه ما أثبتنا، فبين هزّان وربيعة بضعة آباء. انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٢٩٤.

ربيعة، قال جَرير[1]:

بنـي جُشَـمٍ لسـتُم لِهِـزّانَ فـانْتُمُوا   لأعلى الرَّوابي من لُؤيٍّ بـن غالـبِ[2]

ولا تُنكِحـوا في آلِ ضَـوْرٍ نِسـاءَكم   ولا في شُكَيسٍ بئسَ مَثْوى الغرائبِ[3]

وسعدَ بنَ لؤي، وهم بُنَانةُ في شَيْبان بنِ ثعلبة بن عُكَابَة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل، من رَبيعة. وبُنانةُ حاضنةٌ لهم من بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع[4] الله ـ ويقال: سَبُع الله ـ بن الأسَد بن وَبَرةَ بن تَغلِب بن حُلْوان بن عِمران بن الحافِ بن قُضَاعة. ويقال: بنت النَّمِر بن قاسطٍ، من ربيعة. ويقال: بنت جَرْم بن ريَّان بن حُلوان ابن عِمران بن الحافِ بن قُضاعة.

وخُزيمةَ بنَ لؤيّ بن غالب، وهم عائذةُ في شَيْبان بن ثعلبة. وعائذةُ: امرأةٌ من اليمن، وهي أمُّ بني عُبيد بن خُزيمة بن لُؤيّ.

وأمُّ بني لؤيٍّ كلِّهم إلا عامرَ بنَ لؤيٍّ: ماويّةُ بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر، وأمُّ عامر بن لؤيٍّ: مَخشِيَّةُ بنت شَيْبان بن مُحارِب بن فِهْر، ويقال: ليلى بنت شَيبان بن مُحارِب بن فِهْر.

---

(١) هذان البيتان ليسا في المطبوع من «ديوانه»، وقد نسبهما إليه ابن الكلبيّ في «جمهرة النسب» ص٢٤، وفي «نسب معدّ واليمن» ١/ ١١٦، ومحمد بن حبيب في «المحبَّر» ص١٦٨، والبَلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٤٥، وغيرهم.

(٢) الروابي: جمع رابية، وهي التلّة المرتفعة، وأراد بها هاهنا: الأشراف من الناس والقبائل.

(٣) ضَورٌ وشَكْسٌ من عَنَزة، وإنما قال: شَكِيس لضرورة الشعر، كما قال ابن الكلبي في «جمهرة النسب»، وقال البَلاذُريّ: ويُروى شُكَيس تصغير شَكْس. قلنا: كذلك قُيّد بالتصغير في أكثر نسخنا الخطية من «السيرة»، وقُيِّد في (ش١) و(م) بالوجهين.

(٤) الشَّيع: شبل الأسد.

أمرُ سامَة

قال ابن إسحاق: فأما سامَةُ بن لؤيٍّ فخرج إلى عُمَان، فكان بها، ويَزعُمون أن عامر بن لؤيٍّ أخرجه، وذلك أنه كان بينهما شيءٌ ففَقَأَ سامةُ عينَ عامر، فأخافه عامرٌ، فخرج إلى عُمَان، فيَزعُمون أن سامةَ بن لؤيٍّ بَيْنا هو يسير على ناقته، إذ وَضَعَت رأسها تَرتَعُ، فأخذت حيّةٌ بمِشفَرِها فهَصَرَتها[1] حتى وقعت الناقةُ لشِقِّها، ثم نَهَشَت سامَةَ فقتلته، فقال سامَةُ حين أحسَّ بالموت فيما يَزعُمون[2]:

عينِ فابْكي لِسامةَ بنِ لؤيٍّ ... عَلِقَت ما بساقِهِ[3] العَلّاقَهْ

لا أَرى مثلَ سامةَ بنِ لؤيٍّ ... يومَ حَلُّوا به قتيلاً لِناقَهْ

بلِّغا عامراً وكَعباً رسولاً ... أنَّ نفسيَ إليهما مُشتاقَهْ

إن تكنْ في عُمَانَ داري فإنّي ... غالِبيٌّ خرجتُ من غيرِ فاقَهْ[4]

رُبَّ كأسٍ هَرَقتَ يا ابنَ لؤيٍّ ... حَذَرَ الموتِ لم تكنْ مُهراقَهْ

رُمْتَ دفعَ الحُتُوفِ يا ابنَ لؤيٍّ ... ما لِمَن رامَ ذاكَ بالحَتفِ طاقَهْ[5]

وخَرُوسَ السُّرَى تركتَ رَذِيّاً ... بعد جِدٍّ وحِدّةٍ ورَشاقَهْ[6]

(١) المِشفَر للناقة والبعير: كالشَّفَة للإنسان. وهَصَرَتها، يعني: هَصَرَت الناقةَ، أي: أمالَتْها، تقول: هَصَرتُ الغُصنَ: إذا أمَلْتَه.

(٢) وذكر بعض هذه الأبيات أيضاً الزجّاجي في «أماليه» ص٤٩، والوزير ابن المغربي في «الإيناس» ص١٧٥-١٧٧، وابن سِيدَه في «المحكم والمحيط الأعظم» ١/ ٢١١، وغيرهم.

(٣) في النسخ غير (ص) و(م): بسامة، والمثبت من هاتين النسختين، وهو الموافق لمعظم مصادر التاريخ واللغة والأدب. والعلّاقة: يعني الحية التي تعلقت بالناقة.

(٤) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٥) الحُتوف: جمع حَتْف، وهو: الموت.

(٦) يريد بالخَرُوس ناقتَه، من الخَرَس، والسُّرى: سيرُ الليل، يعني: ناقةً إذا سرت بالليل =

قال ابن هشام: وبلغني أن بعض ولدِه أَتى رسولَ الله ﷺ فانتَسَبَ إلى سامةَ بن لؤيّ، فقال له رسول الله ﷺ: «الشَّاعرُ؟» فقال له بعض أصحابه: كأنّك يا رسول الله أردتَ قولَه:

رُبَّ كأسٍ هَرَقتَ يا ابنَ لؤيٍّ   حَذَرَ الموتِ لم تكنْ مُهراقَهْ

قال: «أجَلْ»[1].

أمرُ عَوْف بن لؤيٍّ ونُقلَته

قال ابن إسحاق: وأما عوفُ بن لؤيٍّ فإنه خرج ـ فيما يَزعُمون ـ في رَكْبٍ من قريش، حتى إذا كان بأرض غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلانَ، أُبطِئَ به، فانطلق مَن كان معه من قومه، فأتاه ثَعلَبةُ بن سعد، وهو أخوه في نَسَب بني ذُبْيان؛ ثعلبةُ بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، وعوفُ بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث

= لا تَرغُو ولا يُسمَع لها صوت، وذلك مما يُستَحب منها. والرَّذِيُّ: التي سقطت من الإعياء.

(١) ضعيف لإعضاله، ولم نقف عليه مسنَداً في غير هذا الكتاب.

وأخرج الحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص١٦٩ ـ ومن طريقه السمعاني في «الأنساب» ١/ ١٠-١١ ـ من طريق عبد الرحمن بن إسحاق الكاتب، عن إبراهيم بن المنذر الحِزامي، عن محمد بن فُليح، عن أبيه، عن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة قال: جاء عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ونحن عنده بالعَقيق، فسأله عن سامةَ بن لؤي، فقال سعيد: سألْنا رسولَ الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، سامةُ منَّا أم نحن منه؟ فقال: «بل هو منّا، ألم تسمعوا قولَ شاعر النّاقة؟!»، قال عبد الرحمن بن إسحاق: فظننتُ أنا أن رسول الله ﷺ أراد بقوله: «قول شاعر النّاقة»؛ وساق نحو الأبيات المذكورة عند محمد بن إسحاق. وهذا إسناد ضعيف، عبد الرحمن بن إسحاق الكاتب لم نقف له على ترجمة فنتبيَّن حاله.

ابن غَطَفان، فحَبَسَه فزوَّجه والْتاطَه[1] وآخاه، فشاعَ نسبُه في بني ذُبْيان. وثعلبةُ ـ فيما يَزعُمون ـ الّذي يقول لعوفٍ حين أُبطئَ به فتركه قومُه:

احبِسْ علَيَّ ابنَ لُؤيٍّ جملَكْ   تَرَكَكَ القومُ ولا مَتْرَكَ[2] لكْ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، أو محمد بن عبد الرَّحمن ابن عبد الله بن حُصَين، أن عمر بن الخطّاب قال: لو كنتُ مُدَّعياً حيّاً من العرب أو مُلحِقَهم بنا، لادَّعيتُ بني مُرّةَ بن عوف، إنّا لنَعرِفُ فيهم الأشباهَ مع ما نَعرِفُ من مَوقعِ ذلك الرَّجل حيث وقع؛ يعني عوفَ بنَ لؤيّ[3].

قال ابن إسحاق: فهو في نسب غَطَفان: مُرّةُ بن عوف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض ابن رَيْث بن غَطَفان، وهم يقولون إذا ذُكِر لهم هذا النَّسب: ما نُنكِرُه وما نَجحَدُه، وإنّه لأحبُّ النَّسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالمٍ[4] ـ قال ابن هشام: أحدُ بني مُرّة بن عوف ـ حين هَرَبَ من النُّعمان بن المُنذِر فلَحِقَ بقُريشٍ:

---

(١) يعني: ألصقه به، يقال: التاط فلان فلاناً إذا ضمَّه إليه وألحقه بنسبه، ومنه قوله: كان يُلِيط أولادَ الجاهلية بأبائهم، أي: يُلصِقهم بهم.

(٢) في حواشي (ش١) و(ص) و(م): منزل، وهي كذلك في «جمهرة النسب» لابن الكلبي ص٢٤، و«أنساب الأشراف» للبَلاذُريّ ١/ ٤٢، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٢٦١.

(٣) محمد بن جعفر بن الزبير ثقة، وأما محمد بن عبد الرحمن فمجهول تفرد ابن إسحاق بالرواية عنه، لكنه أثنى عليه فقال: كان صوّاماً قوّاماً، هكذا نقل عنه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ١٥٧، وذكره ابن حبان في «الثقات» ٧/ ٤١٣. وهو من طريقيهما منقطع، فكلاهما لم يدرك عمر بن الخطاب.

(٤) زاد في (ش١) و(ي): بن جَذيمة بن يربوع بن غيط بن مُرّة.

فمـا قَـوْمي بثَعلَبَـةَ بـنِ سـعدٍ ... ولا بفَـزَارةَ الشُّـعْرِ الرِّقابـا
وقَـوْمي - إن سـألتَ - بنـو لُـؤيٍّ ... بمكّـةَ علَّمـوا مُضَـرَ الضِّـرابا
سَـفِهْنا باتِّبـاعِ بنـي بَغِـيضٍ ... وتَـركِ الأقـربينَ لنـا انتِسـابا
سَـفاهةَ مُخلِـفٍ لمّـا تَـروَّى ... هَـرَاقَ المـاءَ واتَّبـعَ السَّـرابا[1]
فلو طُووِعتُ - عَمْرَكَ - كنتُ منهمْ ... ومـا أُلفِيـتُ أَنتجِـعُ السَّـحابا[2]
وخَشَّ رَوَاحـةُ القُرشـيُّ رَحْلـي ... بناجيـةٍ[3] ولـم يَطلُـبْ ثَوَابـا

قال ابن هشام: هذا ما أنشدني أبو عُبيدة منها[4].

قال ابن إسحاق: فقال الحُصَين بن الحُمَام المُرِّيّ، أحدُ بني سَهْم بن مُرّة، يردُّ على الحارث بن ظالم ويَنتَمي إلى غَطَفان[5]:

ألا لَسـتُمُ منّـا ولسـنا إلـيكمُ ... بَرِئْنا إلـيكُمْ من لُـؤيِّ بـنِ غالـبِ
أقَمْنـا علـى عِـزِّ الحِجـازِ وأنـتمُ ... بمُعتلَجِ البَطْحاءِ بـينَ الأخاشـبِ[6]

---

(١) المُخلِف: المُستقي للماء، يقال: ذهب يُخلِف لقومه، أي: يستقي لهم.

(٢) قوله: وما أُلفيت أنتجع السحابا، أي: كانوا يُغنونني بعطائهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب وارتياد المراعي في البلاد.

(٣) كذا في (غ) و(م) و(ي)، ومعنى ناجية: ناقة سريعة، وفي (ص) و(ق١): بناحية، وفي (ت): بساحته.

ومعنى: حَشَّ رحلي، أي: قوّاه. وفي «الروض الأنف» ١/ ٤١٧: خَشّ، بالخاء المعجمة، وفسّره بقوله: يقال: خَشَّ السهمَ بالرِّيش، إذا راشه به، فأراد: راشني وأصلح رَحْلي.

(٤) وقد أوردها في غيرها من الأبيات المفضل الضبِّيّ في «المفضليات» ص٣١٤-٣١٦.

(٥) ذكرهما ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ٦/ ١٦ ونسبهما إلى الحارث بن ظالم.

(٦) المُعتلَج: الموضع السَّهل الذي يَعتلِج فيه القوم، أي: يتصارعون. والبطحاء هنا: بطحاء مكَّة، وهو موضع سهل. والأخاشب: جبال مكة.

يعني قريشاً.

ثم نَدِمَ الحصينُ على ما قال، وعَرَفَ ما قال الحارث، فانتَمى إلى قريشٍ وأكذَبَ نفسَه، فقال:

نـدمتُ علـى قـولٍ مضـى كنـتُ قلتُهُ تبيَّنــتُ فيــه أنــه قــولُ كــاذبِ

فلَيـتَ لِسـاني كـان نِصـفَينِ منهُمـا بَكِيمٌ ونِصفٌ عند مَجرَى الكواكبِ

أبونــا كِنانــيٌّ بمكّــةَ قبــرُهُ بمُعـتلَجِ البَطحـاءِ بـين الأخاشـبِ

لنـا الرُّبْـعُ مـن بيـتِ الحـرامِ وِراثـةً ورُبْـعُ البِطـاحِ عنـد دارِ ابـنِ حاطـبِ

أي: أن بني لؤيٍّ كانوا أربعةً: كعبٌ، وعامرٌ، وسامَةُ، وعوفٌ.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني مَن لا أتَّهم: أنّ عمر بن الخطّاب قال لرجالٍ من بني مُرّةَ: إن شِئتُم أن تَرجِعوا إلى نَسبِكم فارجِعُوا إليه[1].

قال ابن إسحاق: وكان القوم أشرافاً في غَطَفان، هم سادتُهم وقادتُهم، منهم: هَرِمُ ابن سِنان بن أبي حارثة[2]، وخارجةُ بن سِنان بن أبي حارثة، والحارثُ بن عَوف بن أبي حارثة، والحُصَينُ بن الحُمَام، وهاشمُ بن حَرْملة الذي يقول له القائل:

أحْيـا أبـاهُ هاشـمُ بـنُ حَرْمَلَـهْ[3]

(١) ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن إسحاق وعمر.

(٢) زاد هنا في (ي): بن مرة بن نشبة بن غطفان بن مرة بن عوف.

(٣) ذكر المفضَّل بن سلمة في كتابه «الفاخر» ص٢٣٣-٢٣٤: أن حرملة بن الأشعر المُرّيَّ الذُّبياني والد هاشم هذا، كان أول من سعى في حمل الدِّيَات بين عَبْس وذُبيان فيما جرى بينهما من حروب داحس والغبراء، فمات قبل أن يتمّ له ذلك، فسعى فيها ابنه هاشم، فهذا المعنى المراد من إحيائه لأبيه، وليس كما قال أبو ذر الخشنيّ في «إملائه» ص٣٤-٣٥ من أنَّه أخذ بثأره فكأنه أحياه، والله تعالى أعلم.

تَـرى الملـوكَ عنـدَه[1] مُغَربَلَـهْ

يَقتُلُ ذا الذَّنْبِ ومَن لا ذَنبَ لَهْ

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبَيدة هذه الأبيات لعامرٍ الخَصَفيِّ، خَصَفةَ بنِ قيس ابن عَيْلانَ:

أحْيـا أبـاهُ هاشـمُ بـن حَرمَلَـهْ

يـومَ الهَبَـاءاتِ ويـومَ اليَعمَلَـهْ[2]

تَـرى المُلـوكَ عنـدَه مُغَربَلَـهْ

يَقتلُ ذا الذَّنْبِ ومَن لا ذَنْبَ لَهْ

وعن غيره:

ورمحُـه للوالـداتِ مُثكِلَـهْ[3]

وحدَّثني: أن هاشماً قال لعامرٍ: قُلْ فيَّ بيتاً جيّداً أُثِبْكَ عليه، فقال عامرٌ هذا البيت الأول، فلم يُعجِبْ هاشماً، ثمّ قال الثاني، فلم يُعجِبْه، ثمّ قال البيتَ الثالث، فلم يُعجِبْه، فلمّا قال: يقتلُ ذا الذَّنبِ ومَن لا ذنبَ له، أعجَبَه فأثابَه عليه.

---

(١) في (غ): حوله.

ومعنى مُغربَلة: مقتولة منتفخة، قال السهيليّ في «الروض» ١/ ٤١٩: والذي أراه في ذلك أنه يريد بالغربلة استقصاءَهم وتتبُّعَهم.

(٢) اليَعمَلة: موضع كانت فيه وقعة من حروب داحس والغبراء في الجاهلية، ويقع جنوب الرَّبَذة على قرابة ٢٥ كم، والهَبَاءة ـ وجمعه لوجود عدّة مياه فيه ـ خلف اليعملة، وهو هضبة تدعى الآن ذريح، أما الرَّبذة فهي شرقيّ المدينة المنوَّرة وتبعد عنها قرابة ١٧٠كم.

وكان يوم الهَباءة لعبسٍ على ذُبْيان.

(٣) قوله: وعن غيره: ورمحه للوالدات مُثكِلة. من (غ) و(م) و(ي) وحاشية (ص)، وليس في (ت) و(ش١) و(ق١).

قال ابن هشام: وذلك الذي أراد الكُمَيتُ بن زيدٍ بقوله[1]:

وهاشِـمُ مُـرّةَ المُفْنِـي مُلوكـاً بِـلا ذَنْـبٍ إليـه ومُـذْنِبينا

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقولُ عامر: يومَ الهَبَاءات، عن غير أبي عُبيدة.

قال ابن إسحاق[2]: قومٌ لهم صِيتٌ وذِكرٌ في غَطَفان وقيسٍ كلِّها، فأقاموا على نَسَبهم، وفيهم كان البَسْلُ.

أمرُ البَسْل

والبَسْلُ[3] ـ فيما يَزعُمون ـ ثمانيةُ أشهرٍ حُرُمٌ لهم من كل سنةٍ من بين العرب، قد عَرَفَت ذلك لهم العرب، لا يُنكِرونه ولا يَدفَعونه، يَسيرون به إلى أيِّ بلاد العرب شاؤوا، لا يخافونَ منهم شيئاً.

قال زُهَير بن أبي سُلْمى يعني بني مُرّة ـ قال ابن هشام: زهيرٌ أحدُ بني مُزَينة بن أُدِّ بن طابِخةَ بن الْياسِ بن مُضَرَ، ويقال: زهير بن أبي سُلْمى من غَطَفان، ويقال: حليفٌ في غَطَفان ـ[4]:

تأمَّلْ فإن تُقْوِ المَرَوْراتُ[5] منهمُ ودارَاتُها لا تُـقْوِ منهمْ إذاً نَـخْلُ

---

(١) انظر «ديوانه» ص٤٥٧.

(٢) أي: في بني مُرَّة بن عوف.

(٣) البَسْل: هو الحرام والحبس.

(٤) انظر «ديوان زهير» ص٨٤.

(٥) هكذا هو في نسختنا الخطية بتاء مفتوحة، وكأنه جمع مَرَوْرَة كما قال ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ١١٢، وإن كان اسمَ موضع بعينه مفرَداً ـ وتعني الأرض أو المَفازة التي لا شيء فيها ـ فالصواب أن يُكتَب بهاءٍ: مَرَوراة، وهو الّذي رجّحه السهيليُّ في «الروض» ١/ ٤٢٢ =

بـــلادٌ بهـــا نـــادمتُهمْ وألِفـــتُهمْ فـإن تُقْوِيـا مـنهمْ فـإنّهمُ بَسْـلُ

يقول: سارُوا في حُرُمهم. قال ابن هشام: وهذانِ البيتانِ في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال أعشى بني قيس بن ثَعلَبة[1]:

أجـارَتُكم بَسْـلٌ علينـا مُحـرَّمٌ وجارَتُنـا حِـلٌّ لكـم وحَلِيلُهـا

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ كعبُ بن لؤيٍّ ثلاثةَ نفر: مُرّةَ بن كعب، وعَدِيَّ بن كعب، وهُصَيصَ بن كعب، وأمُّهم وَحْشيَّةُ بنت شيبانَ بن مُحارِب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر.

فولدَ مُرّةُ بن كعبٍ ثلاثةَ نفر: كِلابَ بن مُرّة، وتَيْمَ بن مُرّة، ويَقَظةَ بن مُرّة، فأمُّ كلابٍ هِندٌ بنت سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كِنانة بن خُزَيمة، وأمُّ يَقَظة البارِقيّةُ، امرأةٌ من بارقِ الأَسْد من اليمن، ويقال: هي أمُّ تَيْم، ويقال: تيمٌ لهندٍ بنت سُرَير أمِّ كِلاب.

= فقال: إنما هو المَرَوراة بهاء ممّا ضوعفت فيه العين واللام، فهو فَعَلعَلة مثل: صَمَحمَحة، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية، وهذا قول سِيبَوَيهِ.

والمَرَوراة يذكر عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية» ص٢٩٠: أنها أرض كانت قرب رَحرَحان شرق المدينة، ورَحرَحان كما قال ص١٣٨-١٣٩: جبل شرقيّ المدينة على قرابة ١٢٠ كيلاً، إذا وقفت في بلدة الحنّاكية رأيت رحرحان مطلعَ الشمس إلى الجنوب قليلاً، أشمخ جبال تلك الناحية.

وأما نَخْل ـ أو النُّخيل ـ: فهي بلدة بنجدٍ من أرض غطفان، شمال شرق المدينة تبعد عنها قرابة ١١٥ كم، وتقع شمال الحنّاكية على قرابة ٣٠ كم.

وتُقْوِ: تُقفِر وتخلو. والدّارات: جمع دارَةٍ، وهي المكان الوَطِيء من الأرض القليل الشجر.

(١) انظر «ديوانه» ٢/ ١٧.

قال ابن هشام: بارِقُ بنو عَدِيّ بن حارثةَ بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرِئ القيس بن ثَعلَبة بن مازن بن الأزْد[1] بن الغَوْث، وهم في شَنُوءة، قال الكُمَيت بن زيد[2]:

وأَزْدُ شَنُوءةَ انـدَرَؤُوا علينـا ... بجُمٍّ يَحسَبون لهـا قُرُونـا[3]

فمـا قلنـا لِبـارِقَ قـد أسـأْتُمْ ... ومـا قلنـا لِبـارقَ أعتِبُونـا[4]

وهذان البيتان في قصيدةٍ له. وإنما سُمُّوا ببارقَ، لأنهم تَبِعوا البَرْق، والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فولدَ كِلابُ بن مُرّة رجلين: قُصيَّ بن كلاب، وزُهْرةَ بن كلاب، وأمُّهما فاطمةُ بنت سعد بن سَيَلٍ، أحدِ الجَدَرَةِ من خَثْعمةِ الأزْد من اليمن، حلفاءُ في بني الدِّيل بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة.

قال ابن هشام: ويقال: خَثْعمة الأَسْد، وخَثعمة الأَسَد[5]، وهو خَثعمةُ بن يَشكُر ابن مُبشِّر بن صعب بن دُهْمان بن نَصْر بن زَهْران بن الحارث بن كَعب بن عبد الله ابن مالك بن نَصْر بن الأَسْد بن الغَوْث، ويقال: خَثعمة بن يَشكُر بن مُبشِّر بن صعب ابن نَصْر بن زَهْران بن الأسْد بن الغَوْث.

---

(١) في (ت) و(ش١): الأَسْد، بالسين، وهما واحد.

(٢) انظر «ديوانه» ص٤٧١.

(٣) اندرؤوا: خرجوا. والجُمّ: الكِباش التي لا قرون لها، واحدها: أجمُّ.

(٤) أعتِبونا، أي: استَرضُونا.

(٥) كذا وقع في أكثر نسخنا الخطية: خثعمة، في الموضعين مع المخالفة في تقييد سين الأسد، وفي (ش١) و(م) الأول بالسين والثاني بالزاي، ونقل البُرِّيّ في كتابه «الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة» ١/ ٥٧ عن ابن هشام من هذا الموضع فقال: خثعمة الأسد وجعثمة الأسد، ولعلّ هذا أصح، فإن ابن يشكر بن مبشّر هذا يقال له أيضاً: جُعثمة، وقد وقع مسمًّى في المصادر هكذا وهكذا. ونصَّ الفيروزآبادي في «القاموس» على أنه بضم الجيم.

وإنما سُمُّوا الجَدَرةَ، لأن عامر بن عمرو بن خُزَيمة بن خَثعَمة تزوَّج بنت الحارث ابن مُضَاض الجُرهُمي، وكانت جُرهُمُ أصحابَ الكعبة، فبَنَى للكعبة جداراً، فسُمِّي عامرٌ بذلك الجادِرَ، فقيل لولده: الجَدَرة، لذلك.

قال ابن إسحاق: ولسعدِ بن سَيَلٍ يقول الشاعر[1]:

ما نرى في الناس شخصاً واحداً　　مَن عَلِمْناه كسعدِ بنِ سَيَلْ

فارساً أضْبَطَ فيه عُسْرةٌ　　وإذا ما واقَفَ القِرْنَ نَزَلْ[2]

فارساً يَستدرِجُ الخيلَ كما اسـ　　ـتَدرَجَ الحُرُّ القُطَاميُّ الحَجَلْ[3]

قال ابن هشام: قوله: كما استدرَجَ الحرُّ، عن بعض أهل العلم بالشِّعر.

قال ابن هشام: ونُعْمَ بنت كلابٍ، وهي أمُّ سَعْدٍ وسُعَيدٍ ابنَي سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، وأمُّها فاطمة بنت سعد بن سَيَل.

قال ابن إسحاق: فولدَ قُصيُّ بن كِلابٍ أربعةَ نفرٍ وامرأتين: عبدَ مَنَاف بن قُصيّ، وعبدَ الدّار بن قُصيّ، وعبدَ العُزّى بن قُصيّ، وعبدَ بن قُصيّ، وتَخمُرَ بنت قُصيّ، وبَرَّةَ بنت قُصيّ، وأمُّهم حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشيّة بن سَلُول بن كعب بن عمرٍو الخُزَاعيّ.

---

(١) هو هُوْنُ بن أبي عمرو العُذْري، كما في «المنمَّق في أخبار قريش» لمحمد بن حبيب ص٣٠. ونسبها أبو القاسم ابن المغربيّ في «الإيناس بعلم الأنساب» ص١٧٣ إلى أبي دؤاد الإياديّ.

(٢) الأضبط: الذي يعمل بكلتا يديه، يعمل باليسرى كما يعمل باليمنى. والعُسرة هنا: الشدة. والقِرن: الذي يكافئك في الشجاعة والإقدام.

(٣) الحُرّ القطامي، بضم القاف وفتحها: الصَّقر، وقد غَلَب عليه اسماً، مأخوذ من القَطِم: وهو المشتهي للَّحْم وغيرِه.

قال ابن هشام: ويقال: حَبَشيّة[1].

قال ابن إسحاق: فوَلَدَ عبدُ مَنَاف بن قُصيٍّ أربعةَ نفر: هاشمَ بن عبد مَناف، وعبدَ شمس بن عبد مَناف، والمُطَّلِبَ بن عبد مَناف، وأمُّهم عاتكةُ بنت مُرّة بن هلال بن فالِج بن ذَكْوان بن ثعلبة بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكرِمة، ونوفلَ بنَ عبد مَناف، وأمُّه واقِدةُ بنت عمرٍو المازِنيّة؛ مازنِ بن منصور بن عِكرِمة.

قال ابن هشام: فبهذا النَّسب حالَفَهم عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نُسَيب ابن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكرمة.

وقال ابن هشام: وأبو عمرو، وتُماضِرُ، وقِلابةُ، وحَيّةُ، ورَيْطةُ، وأمُّ الأخْثَم، وأمُّ سفيان، بنو عبد مَنَاف.

فأمُّ أَبي عَمرٍو ورَيْطةَ امرأةٌ من ثَقيف، وأمُّ سائر النساءِ عاتكةُ بنت مُرّة بن هلال، أمُّ هاشم بن عبد مَناف، وأمُّها صفيّة بنت حَوْزةَ بن عمرو بن سَلُول بن صَعصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن، وأمُّ صفيّة بنتُ عائذِ الله بن سعد العَشِيرة بن مَذحِج.

قال ابن هشام: فولدَ هاشمُ بن عبد مَناف أربعةَ نفرٍ وخمسَ نِسوةٍ: عبدَ المُطَّلِب ابن هاشم، وأسَدَ بن هاشم، وأبا صَيْفيٍّ بن هاشم، ونَضْلةَ بن هاشم، والشِّفاءَ، وخالدةَ، وضَعِيفةَ، ورُقيّةَ، وحيَّةَ.

فأمُّ عبد المُطَّلِب ورُقيّة: سَلْمى بنت عمرو بن زيد بن لَبيد بن خِدَاش بن عامر ابن غَنْم بن عَديّ بن النَّجّار ـ واسم النَّجّارِ تَيْمُ الله بن ثَعلَبة بن عمرو بن الخَزرَج بن

(١) قد اختُلف في تقييد هذا الاسم، فقيّده ابن حبيب في «مختلف القبائل ومؤتلفها» ص٢٥ بفتح الحاء والباء، وقيّده ابن ماكولا في «الإكمال» ٣/ ٢١٢ بضم الحاء وسكون الباء، ورجّح الوزير أبو القاسم ابن المغربيّ في «الإيناس في علم الأنساب» ص١٠٩ أنه حَبْشِيَة، بفتح أوله وتخفيف الياء، وانظر «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقيّ ٣/ ٦٧ والتعليق عليه.

حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ـ وأمُّها: عَمِيرة بنت صَخْر بن الحارث بن ثَعلَبة ابن مازن بن النَّجّار، وأمُّ عَمِيرة سَلْمى بنتُ عبد الأشهَل النَّجّاريّة.

وأمُّ أسَدٍ قَيْلةُ بنت عامر بن مالك الخُزاعيّ، وأمُّ أبي صَيفيٍّ وحيّةَ هِندٌ بنت عمرو ابن ثَعلَبة الخَزرَجيّة، وأمُّ نَضْلةَ والشِّفاءِ امرأةٌ من قُضَاعة، وأمُّ خالدةَ وضَعيفةَ واقِدةُ بنت أبي عَديٍّ المازِنيّة.

أولاد عبد المُطَّلب بن هاشم

قال ابن هشام: فولَدَ عبدُ المُطَّلِب بن هاشم عَشَرةَ نَفَرٍ وستَّ نِسوةٍ: العباسَ، وحمزةَ، وعبدَ الله، وأبا طالبٍ ـ واسمه عبد مَنَاف ـ والزُّبيرَ، والحارثَ، وجَحْلاً[1]، والمُقوَّمَ، وضِراراً، وأبا لَهَبٍ ـ واسمه عبد العُزّى ـ وصَفيّةَ، وأمَّ حَكيمٍ البيضاء، وعاتِكةَ، وأُميمةَ، وأَروى، وبَرّةَ.

فأمُّ العباس وضِرارٍ نُتَيلةُ بنت جَنَاب بن كُلَيب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَنَاة بن عامر بن سعد بن الخَزرَج بن تَيْم اللّات بن النَّمِر بن قاسِطِ بن هِنْب بن أَفصَى بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار. ويقال: أَفصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة.

وأمُّ حمزة والمُقوَّم وجَحْل ـ وكان يلقَّبُ بالغَيْداق لكثرة خيرِه ـ وصفيةَ، هالةُ بنت أُهَيب بن عبد مَناف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤيّ.

وأمُّ عبد الله وأبي طالب والزُّبير وجميعِ النساء غيرِ صفيّةَ، فاطمةُ بنت عمرو

---

(١) في (ت) و(غ): حجل، بتقديم الحاء على الجيم، والمثبت من بقية النسخ، وهكذا هو في رواية الكتاب كما قال السهيلي في «الروض الأنف» ١/ ٤٣٦، وكذلك ذكره ابن دريد في «الاشتقاق» ص٤٧ وجعله لقباً وسمّاه مصعب بن عبد المطلب، وفسّره بالزِّق العظيم وبطائرٍ شبيه بالجرادة، وقيّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ٨٠٦ ـ وتبعه ابن ماكولا في «الإكمال» ٢/ ٥٠ ـ بتقديم الحاء على الجيم.

ابن عائِذ بن عِمران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر، وأمُّها صَخْرةُ بنت عبد بن عِمران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة.

وأم صخرةَ تَخمُرُ بنت عبد بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ابن فِهْر بن مالك بن النَّضر.

وأمُّ الحارث بن عبد المُطَّلِب سمراءُ بنت جُندُب بن حُجَير بن رِئاب[1] بن حَبيب ابن سُوَاءة بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرمة ابن خَصَفة[2].

وأم أبي لهبٍ لُبنى بنت هاجَر بن عبد مَنَاف بن ضاطِر بن حُبْشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخُزَاعي.

قال ابن هشام: فولدَ عبدُ الله بن عبد المُطَّلِب رسولَ الله ﷺ سيدَ ولدِ آدم؛ محمدَ ابنَ عبد الله، وأمُّه آمنةُ بنت وَهْب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب ابن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر، وأمُّها بَرَّةُ بنت عبد العُزَّى بن عثمان ابن عبد الدّار بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك ابن النَّضر، وأمُّ بَرّةَ أمُّ حَبيبٍ بنت أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر، وأمُّ أمِّ حبيبٍ بَرّةُ بنت عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر.

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، ومثله في غير ما مصدر من كتب التراجم، وقد قيّده الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ١٠٥٤، وابن ماكولا في «الإكمال» ٤/ ٦ بزاي مفتوحة وباء مشدَّدة: زَبّاب، نقلاً عن الزّبير بن بكار في كتابه «النسب».

(٢) قوله: بن خصفة، من (ص) و(م).

فرسولُ الله ﷺ أشرفُ ولدِ آدم حَسَباً، وأفضلُهم نَسَباً من قِبَل أبيه وأُمِّه، ﷺ.

إشارة إلى ذكر احتفار زمزمَ

حدّثنا عبد الملك بن هشام قال: كان من حديثِ مولدِ رسولِ الله ﷺ ما حدَّثنا زيادُ بن عبد الله البَكّائيّ عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال: بينما عبد المُطَّلِب بن هاشم نائمٌ في الحِجْر، إذ أُتِي فأُمر بحفر زمزمَ، وهي دَفْنٌ بين صنمَي قريش: إسافٍ ونائلةَ، عند مَنحَر قريش، وكانت جُرْهمُ دَفنَتها حين ظَعَنوا[1] من مكّة، وهي بئرُ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام التي سقاهُ الله تعالى حين ظَمِئَ وهو صغير، فالتَمَسَت له أمُّه ماءً فلم تجده، فقامت على الصَّفا تدعو اللهَ عزَّ وجلَّ وتستغيثُه لإسماعيل عليه السلام، ثم أتت المَرْوةَ ففعلت مثل ذلك. وبعث الله عزَّ وجلَّ جبريل عليه السلام، فهَمَزَ[2] له بعَقِبه في الأرض فظهر الماء، وسمعت أمُّه أصوات السِّباع فخافتها عليه، فأقبلت تشتدُّ نحوه، فوجدته يَفحَصُ[3] بيده عن الماء من تحت خدِّه ويشرب، فجعلته حِسْياً[4].

أمر جُرهُم ودفن زمزم

قال ابن هشام: وكان من حديث جُرهُمَ ودفنِها زمزمَ، وخروجِها من مكّة، ومَن وَلِيَ أمرَ مكّة بعدها، إلى أن حفر عبد المُطَّلِب زمزمَ: ما حدَّثنا زيادُ بن عبد الله البَكّائيُّ، عن محمد بن إسحاق قال: لما تُوفِّي إسماعيل بن إبراهيم وَلِيَ البيتَ بعدَه

(١) أي: رحلوا.

(٢) في (ت): فغمز. وهما بمعنًى، أي: نَخَسَ. والعَقِب: مؤخَّر القدم.

(٣) أي: يحفر ويكشف.

(٤) الحِسْي: الحفيرة الصغيرة.

ابنُه نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يَلِيَه، ثم وَلِيَ البيت بعدَه مِضَاضُ بن عمرٍو الجُرهُميّ. قال ابن هشام: ويقال: مُضَاض بن عمرو الجُرهُميّ.

قال ابن إسحاق: وبنو إسماعيل وبنو نابتٍ مع جدِّهم مِضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرهُم، وجُرهُمُ وقَطُوراءُ يومئذٍ أهلُ مكة، وهما ابنا عمٍّ، وكانا ظَعَنا[1] من اليمن فأقبلا سيّارةً[2]، وعلى جُرهمَ مِضاضُ بن عمرو، وعلى قَطُوراء السَّمَيدعُ؛ رجل منهم ـ وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم مَلِكٌ يقيم أمرَهم ـ فلما نزلا مكةَ رأَيا بلداً ذا ماء وشجر، فأعجبهما فنزلا به، فنزل مِضاضُ بن عمرو بمَن معه من جُرهُمَ أعلى مكة بقُعَيقِعانَ فما حاز، ونزل السَّميدعُ بقَطُوراءَ أسفلَ مكّة بأجيادٍ فما حاز، فكان مِضاضٌ يَعشُر[3] مَن دخل مكة من أعلاها، وكان السَّمَيدعُ يَعشُر من دخل مكّة من أسفلها، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه.

ثم إن جُرهُمَ وقَطُوراءَ بَغَى بعضهم على بعض وتنافسوا المُلكَ بها، ومع مِضاضٍ بنو إسماعيل وبنو نابتٍ، وإليه ولايةُ البيت دون السَّمَيدع، فسار بعضُهم إلى بعض، فخرج مِضاضٌ من قُعَيقِعانَ في كتيبته سائراً إلى السَّميدع، ومع كتيبته عُدَّتها من الرِّماح والدَّرَق والسيوف والجِعَاب[4]، يُقعقَعُ بذلك معه، فيقال: ما سُمِّي قُعيقِعانُ قعيقعانَ إلا لذلك، وخرج السَّمَيدَعُ من أجيادٍ ومعه الخيل والرجال، فيقال: ما سُمِّي أجيادٌ أجياداً إلا لخروج الجِيَاد من الخيل مع السَّميدع منه. فالتقَوْا بفاضحٍ

(١) أي: رحلا وسارا.

(٢) السيّارة: جماعة من الناس يسيرون قافلةً.

(٣) أي: يأخذ عُشر أموالهم.

(٤) الدَّرَق: جمع دَرَقة، وهي التُّرس. والجِعاب: جمع جُعْبة، وهي ما يُجعَل فيها السّهام. والقعقعة: حركة الشيء مع صوت.

فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتِلَ السَّميدع، وفُضِحَت قَطُوراء، فيقال: ما سُمِّي فاضحٌ فاضحاً إلا لذلك[1].

ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المَطابخ؛ شِعْباً بأعلى مكّة، فاصطلحوا به، وأسلَمُوا الأمرَ إلى مِضاض، فلما جُمِعَ إليه أمرُ مكّة فصار مُلكُها له، نَحَرَ للناس فأطعمهم، فاطَّبَخ الناسُ وأكلوا، فيقال: ما سُمِّيَت المطابخُ المطابخَ إلا لذلك، وبعض أهل العلم يَزعُم أنها إنما سُمِّيَت المطابخَ، لِما كان تُبّعٌ نَحَرَ بها وأطعم، وكانت منزلَه.

وكان الذي كان بين مِضاضٍ والسَّمَيدعِ أولَ بغيٍ كان بمكّة فيما يَزعُمون.

ثم نَشَرَ الله عزَّ وجلَّ ولدَ إسماعيل بمكّة، وأخوالُهم من جُرهُمَ وُلاةُ البيت والحكّامُ بمكّة، لا ينازعهم ولدُ إسماعيل في ذلك، لخُؤُولتِهم وقرابتهم، وإعظاماً للحُرْمة أن يكون بها بغيٌ أو قتال، فلما ضاقت مكّةُ على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد، فلا يُناوِئون قوماً إلا أظهَرَهم الله عليهم بدينهم فوَطِئوهم.

استيلاءُ قوم من كِنانة وخُزَاعة على البيت ونفي جُرهُم

ثم إن جُرهُمَ[2] بَغَوْا بمكّة، واستَحلُّوا خِلالاً[3] من الحُرْمة، وظلموا مَن دخلها

---

(١) قعيقعان: جبل مكة المشرِف على المسجد الحرام من الشمال الغربيّ، وأجياد: شِعبان بمكة يسمَّى أحدهما أجياد الكبير والآخر أجياد الصغير، وهما حيّانِ اليومَ من أحياء مكة، وفاضح: مكان من مكة كان بين أبي قُبيس والصفا، وقد نُجِر موضعه وعُبِّد طريقاً وجعل تحته معبراً للسيل، فلم يعد موضعه معروفاً. قاله عاتق البِلاديّ في «معجم المعالم الجغرافية».

(٢) هكذا في (ت)، وفي سائر النسخ الخطية: جرهماً، مصروفاً، والأفصح عدم صرفه، لأنه هنا اسم للقبيلة.

(٣) في (ت) ووجه في (ص): حلالاً، بالحاء المهملة. والخِلال: الخِصال.

من غير أهلها، وأكلوا مالَ الكعبة الذي يُهدَى لها، فرَقَّ أمرُهم، فلما رأت بنو بكر ابن عبد مَنَاة بن كِنانة وغُبْشانُ من خُزَاعةَ ذلك، أَجمعوا لحربِهم وإخراجِهم من مكة، فآذَنُوهم بالحرب، فاقتتلوا، فغَلَبَتهم بنو بكر وغُبْشان فنَفَوهم من مكة، وكانت مكةُ في الجاهلية لا تُقِرُّ فيها ظلماً ولا بَغْياً، ولا يَبْغي فيها أحدٌ إلا أخرجته، فكانت تُسمَّى النّاسَّةَ[1]، ولا يريدُها ملكٌ يستحلُّ حرمتها إلا هَلَكَ مكانَه، فيقال: ما سُمِّيَت ببَكَّةَ إلا أنها كانت تَبُكُّ[2] أعناقَ الجبابرة إذا أحدَثوا فيها.

قال ابن هشام: أخبرني أبو عُبيدة: أن بَكّة اسم لبَطْن مكّة، لأنهم يتباكُّون فيه، أي: يزدحمون، وأنشدني:

إذا الشَّريبُ أخَذَتْهُ أكَّهْ فخَلِّـهِ حتى يَبُـكَّ بَكَّـهْ[3]

أي: فدَعْه يبُكُّ إبلَه، أي: يخلِّيها إلى الماء فتزدحمُ عليه، وهو موضع البيت والمسجد. وهذان البيتانِ لعامانَ بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَنَاة بن تَميم.

قال ابن إسحاق: فخرج عمرو بن الحارث بن مِضَاض الجُرهُميّ بغزالَي الكعبةِ[4] وبحَجَرِ الرُّكن فدَفَنَهما في زمزمَ، وانطلق هو ومَن معه من جُرهُمَ إلى اليمن، فحَزِنوا على ما فارَقُوا من مكّة ومُلكِها حزناً شديداً، فقال عمرو بن الحارث بن مِضَاضٍ في ذلك، وليس بمِضَاضٍ الأكبر:

---

(١) الناسّة، بالنون: مِن نَسَّتِ الشيءَ: إذا أذهبَته. قاله السهيليّ في «الروض»، والخشنيّ في «الإملاء».

(٢) أي: تكسرها وتدقّها.

(٣) الشَّريب: الذي يسقي إبله مع إبلك. والأكّة: الشِّدّة.

(٤) وهما غزالان من ذهب، وسيأتي ذكرهما في قصة حفر عبد المطّلب بئرَ زمزم.

كأنْ لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفا ... أَنيسٌ ولم يَسمُرْ[1] بمكّةَ سامرُ
بلى نحنُ كنَّا أهلَها فأزالَنا ... صُروفُ الليالي والجُدودُ العواثرُ[2]
وكنَّا وُلاةَ البيتِ من بعدِ نابتٍ ... نطوفُ بذاكَ البيتِ والخيرُ ظاهرُ
ونحن وَلِينا البيتَ من بعدِ نابتٍ ... بعِزٍّ فما يَحظَى لدينا المُكاثِرُ
مَلَكْنا فعُزِّزْنا فأعظِمْ بمُلكِنا ... فليس لحيٍّ غيرِنا ثَمَّ فاخِرُ
ألم يُنكِحوا من خيرِ شخصٍ عَلِمتُه[3] ... فأبناؤه منَّا ونحنُ الأصاهرُ
فإن تَنثَنِ الدُّنيا علينا بحالِها ... فإنَّ لها حالاً وفيها التّشاجُرُ
فأخرَجَنا منها المَليكُ بقُدْرةٍ ... كذلكَ يا لَلنّاسِ تجري المَقادرُ
أقولُ إذا نام الخَلِيُّ ولم أنَمْ: ... أذا العرشِ لا يَبعَدْ سُهيلٌ وعامرُ[4]
وبُدِّلتُ منها أوجُهاً لا أُحبُّها ... قبائلَ منها حِميَرٌ ويَحابرُ[5]
وصِرْنا أحاديثاً وكنَّا بغِبْطةٍ ... بذلك عَضّتْنا السِّنونُ الغَوابرُ[6]
فسَحَّت دُموعُ العينِ تبكي لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المَشاعرُ[7]
وتبكي لبيتٍ ليس يُوذَى حَمامُهُ ... يظَلُّ به أمْناً وفيه العَصافرُ

---

(١) في (ص) و(م) و(ي): يلعب. والسامر: هو الذي يتحدّث بالليل.

وأما الحَجُون: فهو جبل مشرف على مكة من جهة الشمال الشرقيّ، وفي سفحه من الجنوب الغربيّ مقبرة أهل مكة القديمة المسمّاة بالمَعْلاة، وفيها قبر خديجة رضي الله عنها.

(٢) الجدود: جمع جَدٍّ، وهو: البخت والحظّ.

(٣) يريد إسماعيل عليه السلام، وكان قد تزوّج امرأة منهم.

(٤) أذا: الهمزة للنداء، يعني: يا ذا العرش. ولا يَبعَدْ: دعاء خرج مخرج النهي، أي: لا يَهلِكنّ.

(٥) يَحابر، بفتح الياء ويقال بضمِّها: وهو مراد، من مَذحِج باليمن، قال ابن الأثير في «اللباب» ٣/ ١٨٨: يُنسَب إلى مراد خلق كثير من الجاهلية والصحابة ومَن بعدهم.

(٦) في (ت): العواثر. من العَثَرات، وأما الغوابر، فجمع غابرة، أي: السنون الماضية.

(٧) سحَّت، أي: سالت وتدفَّقت. والمشاعر: الأماكن المشهورة التي فيها مناسك الحجّ.

وفيــه وُحــوشٌ ـ لا تُــرامُ ـ أَنيســةٌ   إذا خَرَجــتْ منــه فليســت تُقــادَرُ[1]

قال ابن هشام: قوله: فأبناؤه منّا، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن الحارث أيضاً، يذكر بَكراً وغُبْشانَ وساكنَ مكّة الذين خَلَفوا فيها بعدَهم:

يا أيها الناسُ سِيروا إنَّ قَصْرَكمُ   أن تُصبِحوا ذاتَ يومٍ لا تَسِيرونا[2]

حُثُّوا المَطِيَّ وأرْخُوا من أزِمَّتِها   قبلَ المماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونا[3]

كنَّا أُناساً كما كنتُم فغيَّرَنا   دهرٌ فأنتم كما كنَّا تَكونُونا

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ له منها، وحدَّثني بعضُ أهل العلم بالشِّعر: أن هذه الأبيات أولُ شعرٍ قيل في العرب، وأنها وُجِدَت مكتوبةً في حَجَر باليمن، ولم يُسمِّ لي قائلها.

استبداد قوم من خُزاعة دون كِنانة بولاية البيت

قال ابن إسحاق: ثم إنّ غُبْشانَ من خُزاعة وَلِيَت البيتَ دون بني بكر بن عبد مَنَاة، وكان الذي يَليهِ منهم عمرُو بن الحارث الغُبْشاني، وقريشٌ إذ ذاك حُلُولٌ وصِرَمٌ[4]، وبيوتاتٌ متفرِّقون في قومهم من بني كِنانة، فوَلِيَت خُزاعةُ البيتَ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرَهم حُلَيلُ بن حُبْشيّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخُزاعيّ.

---

(١) أي: ليس يُقدَر عليها لتوحُّشها.

(٢) قَصْركم، أي: غايتكم ونهايتكم.

(٣) حُثُّوا، أي: أَسرعوا. والمَطيّ: الإبل. والأزِمَّة: جمع زِمام، وهو حبل يكون في رأس البعير يُقاد به.

(٤) الحلول: جماعات البيوت المجتمعة. والصِّرَم: الجماعات المنقطعة.

تزوُّج قُصيّ بن كلابٍ حُبَّى بنت حُلَيل

ثم إن قصيَّ بن كِلابٍ خَطَبَ إلى حُليل بن حُبشيّة ابنتَه حُبَّى، فرَغِبَ فيه حُليلٌ فزوَّجه، فوَلَدَت له عبدَ الدار وعبدَ مناف وعبدَ العُزَّى وعبداً.

فلما انتشر ولدُ قصيٍّ وكَثُرَ مالُه وعَظُمَ شرفُه، هَلَكَ حُليل، فرأى قصيٌّ أنه أَولى بالكعبة وبأمر مكّة من خُزاعة وبني بَكْر، وأن قريشاً فَرْعةُ[1] إسماعيل بن إبراهيم وصَريحُ ولده، فكلَّم رجالاً من قريش وبني كِنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعةَ وبني بكر من مكّة، فأجابوه.

وكان ربيعةُ بن حَرَام بن عُذْرة بن سعد بن زيد قد قَدِمَ مكّة بعد هُلْك كِلاب، فتزوَّج فاطمةَ بنت سعد بن سَيَلٍ، وزُهْرةُ يومئذٍ رجل وقُصيٌّ فَطِيم، فاحتمَلَها إلى بلادِه، فحَمَلَت قصيّاً معها وأقام زُهْرةُ، فولدت لربيعة رِزَاحاً. فلما بلغ قصيٌّ وصار رجلاً أتى مكّةَ فأقام بها، فلما أجابه قومُه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمِّه رِزاح بن ربيعة يدعوه إلى نُصْرته والقيامِ معه، فخرج رِزاحُ بن ربيعة ومعه إخوته: حُنٌّ بن ربيعة، ومحمودُ[2] بن ربيعة، وجُلهُمَةُ بن ربيعة ـ وهم لغيرِ فاطمةَ ـ فيمن تَبِعَهم من قُضَاعة في حاجِّ العرب، وهم مُجمِعون لنصر قصيٍّ.

وخزاعةُ تَزعُم: أن حُلَيلَ بن حُبْشيّة أَوصى بذلك قُصيّاً وأمره به حين انتَشَرَ له من ابنته من الولد ما انتَشَر، وقال: أنت أَولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكّة من خُزاعةَ، فعند ذلك طَلَبَ قصيٌّ ما طَلَب. ولم أسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

(١) يعني أعلى ولد إسماعيل.

(٢) في (ص) و(ي): محمودة.

ما كان يليهِ الغَوثُ بن مُرٍّ من الإجازة للناس بالحج

وكان الغَوْثُ بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر يلي الإجازةَ[1] للناس بالحجِّ من عَرَفة، وولدُه من بعده، وكان يقال له ولولده: صُوفَةُ[2].

وإنما وَلِيَ ذلك الغَوثُ بن مُرٍّ؛ أنّ أمَّه كانت امرأةً من جُرهُم، وكانت لا تلدُ، فنَذَرَت لله إن هي ولدت رجلاً[3] أن تتصدَّق به على الكعبة عبداً لها يَخدُمُها ويقومُ عليها، فوَلَدَت الغَوْثَ.

فكان يقوم على الكعبة في الدَّهر الأوّل مع أخواله من جُرهُم، فوَلِيَ الإجازةَ بالناس من عرفة، لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولدُه من بعده حتى انقَرَضوا. فقال مُرّ بن أُدٍّ، لوفاءِ نَذْر أمّه[4]:

إنِّـي جعلـتُ ربِّ مـن بَنِيَّـهْ رَبيطـةً بمكّـةَ العَلِيَّـهْ
فبـارِكنَّ لـي بهـا أَلِيَّـهْ[5] واجعَلْه لي من صالحِ البَرِيَّهْ

وكان الغوثُ بن مُرٍّ ـ زعموا ـ إذا دَفَعَ بالناس قال:

---

(١) أي: الإفاضة.

(٢) قال أبو ذر الخُشنيّ في «إملائه» ص٣٩: يقال: إنَّما يقال له: صوفة، لأنها حين جعلته يَخدُم الكعبة عبداً لها، ربطت عليه صوفةً ليكون ذلك علامة له، فلُقِّب بذلك، وغلب اللَّقب عليه وعلى بنيه من بعده.

(٣) في (ص): غلاماً.

(٤) يعني أمَّ الغوث امرأة مرٍّ.

ونسب الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ١٨٧ هذا الرَّجز إلى أم الغوث، وجعل الغوث هذا: هو الغوث بن أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأَسْد.

(٥) قال الخُشنيّ: أصل الأليَّة اليمينُ، فجعله هنا للنَّذر الذي نذرته أمُّه.

اللهــمَّ إنِّـــي تـــابعٌ تَبَاعَـــهْ إنْ كـان إثـمٌ فعَلَـى قُضَـاعَهْ[1]

قال ابن إسحاق: حدَّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عبَّاد[2] قال: كانت صوفةُ تَدفَعُ بالناس من عرفةَ، وتُجِيزُ بهم إذا نَفَروا من مِنى، إذا كان يومُ النَّفْر أَتوا لرمي الجِمَار، ورجل من صوفةَ يرمي للناس، لا يَرمُون حتى يرمي، فكان ذَوُو الحاجاتِ المُتعجِّلون[3] يأتونه فيقولون له: قُمْ فارْمِ حتى نرميَ معك، فيقول: لا والله، حتى تميلَ الشمسُ، فيَظَلُّ ذوو الحاجات الذين يحبُّون التعجُّل يَرمُونه بالحجارة يستعجلونه بذلك، ويقولون له: وَيلَك! قم فارمِ، فيَأْبى عليهم، حتى إذا مالت الشمسُ قام فرَمَى ورَمَى الناسُ معه.

قال ابن إسحاق: فإذا فَرَغُوا من رمي الجِمَار[4] وأرادوا النَّفْرَ من مِنى، أَخَذَت صوفةُ جانبَي العَقَبةِ فحَبَسوا الناس وقالوا: أَجِيزي صُوفةُ، فلم يُجزْ أحدٌ من الناس حتى يمرُّوا، فإذا نَفَذَت[5] صوفةُ ومَضَت خُلِّيَ سبيلُ الناس فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك حتى انقَرَضُوا، فوَرِثَهم ذلك من بعدهم بالقُعْدُدِ[6] بنو سعد بن زيد مَنَاة بن

---

(١) التَّبَاعة: مايتّبعه الإنسان ويقتدي به.

وقوله: إن كان إثم فعلى قضاعة؛ إنما قال ذلك لأنَّه كان من قضاعة من يستحلُّ الأشهر الحُرُم، فجعل إثم ذلك عليهم.

(٢) يحيى وأبوه تابعيّان ثقتان.

(٣) في (ص) و(ي): المستعجلون.

(٤) الجِمار: صِغار الحصى، واحدها: جَمْرة.

(٥) في (ص): نفرت. ومعنى نفذت: مرَّت.

(٦) يريد قربَ النَّسب، يقال: رجلٌ قُعدُد، إذا كان قريب الآباء إلى الجدّ الأكبر. وذلك أن جدَّ سعدٍ تميماً هو ابن مُرّ بن أُدٍّ، وكان سعد أقعدَ بالغوث بن مرٍّ من غيره من العرب.

تَمِيم، وكانت من بني سعدٍ في آل صفوان بن الحارث بن شِجْنة[1].

قال ابن هشام: صفوان بن جَنَاب بن شِجْنة بن عُطارِد بن عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مَنَاة بن تَميم.

قال ابن إسحاق: فكان صفوان هو الذي يُجِيزُ للناس بالحج من عرفة، ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرَهم الذي قام عليه الإسلامُ كَرِبُ بن صفوان، وقال ابن مَغْراءَ السَّعْديّ:

لا يَبْرَحُ الناسُ ـ ما حَجُّوا ـ مُعرَّفَهم[2] حتى يقالَ: أَجيزوا آلَ صفوانا

قال ابن هشام: هذا البيت في قصيدة لأَوس بن مَغْراء[3].

ما كانت عليه عَدْوانُ من إفاضة المُزدلِفة

وأما قول ذي الإصبَعِ العَدْواني، واسمه حُرْثان بن عمرو[4]:

---

(١) كذا قُيِّد في (ت) و(ش١) بكسر الشين، وقُيِّد في (ص) و(ي) بفتحها، والشِّجْنة: الشُّعبة من كل شيء، وهي مثلَّثة الشين كما في «القاموس» للفيروزآباديّ.

وقد وقع خلاف في تسمية والد صفوان، والأشهر في اسمه جنابٌ كما قال ابن هشام، وهو كذلك عند خليفة بن خياط في «الطبقات» ص٩٠ و٣٠٦، ومحمد بن حبيب في «المحبَّر» ص١٨٣، والبَلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١٢/ ٨.

(٢) أي: لا يزال الناس واقفين في عرفة إذا حجُّوا.

(٣) انظر «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٦٨٧، و«المحبَّر» لابن حبيب ص١٨٣، و«أنساب الأشراف» للبلاذُري ١٢/ ٣٦٢-٣٦٤.

(٤) وسمّاه الأصمعيُّ في «أصمعيّاته» ص٧٢ الحارث بن السَّمَوأل. وانظر أبياته هذه وتخريجها هناك بتحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون. ويقال في اسمه أيضاً: حُرثان بن الحارث ابن مُحرِّث، فيما قاله السهيليّ.

عَـذِيرَ الحـيِّ مـن عَـدْوا نَ كـانوا حيّـةَ الأرضِ[1]
بَغَـى بعضُـهم ظلمـاً فلـم يُـرْعِ علـى بعـضِ[2]
ومـنهم كانـتِ السـادا تُ والمُوفُـون بـالقَرْضِ[3]
ومـنهم مَـن يُجِيـزُ النّـا سَ بالسُّـنّةِ والفَـرْضِ
ومـنهم حَكَـمٌ يَقضـي فـلا يُـنقَضُ مـا يَقضـي

وهذه الأبيات في قصيدةٍ له، فلأن الإفاضة من المُزدلِفة كانت في عَدْوان ـ فيما حدَّثني زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق ـ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرَهم الذي قام عليه الإسلام أبو سَيّارة عُمَيلةُ بن الأعزَل، ففيه يقول شاعرٌ من العرب:

نحـن دَفَعْنـا عـن أبـي سـيّارَهْ وعــن مَواليــهِ بنـي فَـزَارَهْ[4]
حتـى أجـازَ سـالماً حِمـارَهْ مستقبلَ القِبلةِ يدعو جارَهْ[5]

وكان أبو سيّارة يَدفَعُ بالناس على أتَانٍ له[6]، فلذلك يقول: سالماً حمارَه.

---

(١) قال السهيليّ في «الروض» ٢/ ٤١: نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره، كأنه يقول: هاتوا عذيرَه، أي: من يَعذِره، فيكون العذير بمعنى العاذر.

وحيّة الأرض: يريد أنَّهم كان أهلُ الأرض يهابونهم كما يهابون الحيَّة.

(٢) فلم يُرْعِ، أي: لم يُبقِ، يقال: ما أرعى فلانٌ على فلان، أي: ما أبقى عليه.

(٣) القرض هنا الجزاء، أي: من فعل لهم شيئاً جازَوْه به.

(٤) يعني بمواليه: بني عمِّه، لأنه من عَدوان، وعدوان وفزارة من قيس عَيْلان.

(٥) أي: يدعو الله عز وجل، يقول: اللهم كن لنا جاراً مما نخافه، أي: مُجيراً.

(٦) الأَتان: أنثى الحمار.

أمر عامر بن ظَرِب بن عمرو
ابن عِيَاذ[1] بن يَشكُر بن عَدْوان

قال ابن إسحاق: وقوله: حَكَمٌ يقضي؛ يعني عامرَ بن ظَرِبٍ العَدْواني، وكانت العرب لا يكون بينها نائرةٌ[2] ولا عُضْلةٌ في قضاءٍ إلا أَسندوا ذلك إليه، ثم رَضُوا بما قضى فيه، فاختُصِمَ إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه؛ في رجلٍ خُنثَى له ما للرجل وله ما للمرأة: أتجعلُه رجلاً أو امرأةً؟ ولم يأتوه بأمرٍ كان أعضلَ منه، فقال: حتى أنظرَ في أمركم، فوالله ما نَزَلَ بي مثلُ هذه منكم يا معشر العرب! فاستَأخَروا عنه، فبات ليلتَه ساهراً يُقلِّب أمرَه، ويَنظُر في شأنه، لا يَتوجَّهُ له منه وجهٌ.

وكانت له جاريةٌ يقال لها: سُخَيلة، ترعى عليه غنمَه، فكان يعاتبُها إذا سَرَحَت فيقول: صَبَّحتِ واللهِ يا سُخَيلُ، وإذا أراحت عليه قال: مَسَّيتِ واللهِ يا سُخَيلُ، وذلك أنها كانت تؤخِّر السَّرْحَ حتى يَسبِقَها بعض الناس، وتؤخِّر الإراحةَ حتى يَسبِقَها بعض الناس، فلما رأت سهرَه وقلَّةَ قَرَاره على فراشه، قالت: ما لك لا أبا لك، ما عَرَاكَ[3] في ليلتك هذه؟ قال: وَيلَكِ، دَعِيني، أمرٌ ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه: عسى أن تأتيَ مما أنا فيه بفَرَج، قال: وَيحَكِ، اختُصِم إليَّ في

---

(١) في (ص): عياد، وفي (ت) و(ش١): عبّاد، وهما تصحيف، والمثبت من (م) و(ي)، وهو الموافق لما ذكره الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٥٢٧، وابن ماكولا في «الإكمال» ٦/ ٦٣.

(٢) في (ت): ثائرة؛ ومعناها: الغضب والهيَجان. والمثبت من بقية النسخ: نائرة؛ ومعناها: الكائنة الشَّنيعة تكون بين القوم.

والعُضْلة: الأمر الشديد الذي لا يُعلَم له وجه.

(٣) أي: ما أصابك وما نزل بك؟ يقال: عَرَاه يَعرُوه، إذا ألَمَّ به ونزل.

ميراث خُنثَى، أأجعلُه رجلاً أو امرأةً؟ فوالله ما أدري ما أصنعُ، وما يَتوجَّه لي فيه وجهٌ، قال: قالت: سبحان الله! لا أبا لك، أَتبِعِ القضاءَ المَبالَ، أَقعِدْه، فإن بالَ من حيث يبولُ الرجلُ، فهو رجل، وإن بالَ من حيث تبولُ المرأةُ، فهي امرأة، قال: مَسِّي سُخَيلُ بعدها أو صَبِّحي، فرَّجتِها والله. ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذي أشارت به عليه.

غَلَبُ قُصيّ بن كِلاب على أمر مكّة وجمعُه أمرَ قريش ومعونةُ قُضاعة له

قال ابن إسحاق: فلما كان ذلك العامُ فَعَلَت صُوفَةُ كما كانت تفعل، قد عَرَفَت ذلك لها العرب، هو دِينٌ في أنفسهم في عهد جُرْهُمَ وخُزاعةَ وولايتِهم.

فأتاهم قصيٌّ بن كِلاب بمن معه من قومه من قُريشٍ وكِنانةَ وقُضاعةَ عند العَقَبة، فقال: لا نحن[1] أَولى بهذا منكم، فقاتَلُوه، فاقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم انهزمت صوفةُ وغَلَبَهم قصيٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك.

وانحازت عند ذلك خزاعةُ وبنو بكر عن قصيٍّ، وعرفوا أنه سيَمنعُهم كما منع صوفةَ، وأنه سيَحُول بينهم وبين الكعبة وأمر مكّة، فلما انحازوا عنه باداهم[2] وأجمَعَ لحربهم، وخرجت له خزاعةُ وبنو بكر فالتَقَوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كَثُرَت القتلى في الفريقين جميعاً، ثم إنهم تَداعَوا إلى الصلح وإلى أن يُحكِّموا بينهم رجلاً من العرب، فحكَّموا يَعمَرَ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَنَاة ابن كِنانة، فقضى بينهم بأن قُصيّاً أَولى بالكعبة وأمر مكّة من خُزاعة، وأن كلَّ دم

(١) في (غ): لَنحنُ. واللام للتوكيد، وكذا «لا» تدخل في الكلام زائدةً لمجرّد تقويته وتوكيده.

(٢) أي: كاشفهم بالعداوة.

أصابه قصيٌّ من خزاعةَ وبني بكر موضوعٌ يَشدَخُه[1] تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعةُ وبنو بكر من قريشٍ وكِنانة وقُضاعة ففيه الدِّيَةُ مُؤدّاة، وأن يُخلَّى بين قصيٍّ وبين مكّة والكعبة.

فسُمِّيَ يَعمَرُ بن عوف يومئذٍ: الشُّدّاخَ، لِما شَدَخَ من الدِّماء ووَضَعَ منها.

قال ابن هشام: ويقال: الشَّدّاخ[2].

قال ابن إسحاق: فوَلِيَ قصيٌّ البيتَ وأمرَ مكّة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملَّك على قومه وأهل مكة فملَّكوه، إلا أنه قد أقَرَّ للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دِيناً في نفسه لا ينبغي تغييرُه، فأقرَّ آلَ صفوان وعَدْوانَ والنَّسَأةَ ومُرّةَ بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام فهَدَمَ اللهُ تعالى به ذلك كلَّه.

فكان قصيٌّ أولَ بني كعب بن لُؤيٍّ أصاب مُلكاً أطاع له به قومُه، فكانت إليه الحِجابةُ، والسِّقايةُ، والرِّفادةُ، والنَّدْوةُ، واللِّواءُ[3]، فحازَ شرفَ مكّة كلَّه. وقَطَّع

---

(١) قال أبو ذر الخشنيّ: أصل الشَّدْخ الكسرُ، يقال: شَدَخَ الشيءَ، إذا كسره، وأراد به هاهنا أنّه أبطل تلك الدّماءَ ولم يجعل لها حظّاً، ولذلك قال: تحت قدميه.

(٢) على حاشية (ص): قال الكلبي: الضم أصوب.

قلنا: وقال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٥٢: الشَّدّاخ بفتح الشين كما قال ابن هشام، والشُّدّاخ بضمها إنما هو جمع، وجائز أن يُسمَّى هو وبنوه: الشُّدّاخ، كما يقال: المناذرة في المنذر وبنيه، والأشعرون في بني الأشعر من سبأ، وهو باب يَكثُر ويطول.

(٣) الحِجابة: حجابة البيت، وهو أن تكون مفاتيح البيت عنده، فلا يدخله أحدٌ إلا بإذنه.

والسِّقاية: يعني سقاية زمزم، وكانوا يصنعون بها شراباً في الموسم للحاجِّ الذي يوافي مكّة، ويَمزُجونه تارةً بالعسل وتارةً بلبن وتارةً بنبيذٍ يتطوَّعون بذلك من عند أنفسهم.

والرِّفادة: طعام كانت قريش تَجمَعُه كلَّ عام لأهل الموسم، ويقولون: هم أضياف الله تعالى.

والنَّدوة: الاجتماع للمَشُورة والرأي، وكانت الدار التي اتَّخذها قصيٌّ لذلك يقال لها: دار =

مكّة رِباعاً بين قومه، فأنزل كلَّ قوم من قريش منازلَهم من مكّة التي أصبحوا عليها.

ويَزعُم الناسُ: أن قريشاً هابُوا قطعَ شجر الحَرَم في منازلهم، فقَطَعها قصيٌّ بيده وأعوانُه[1]، فسمَّته قريشٌ مُجمِّعاً لِما جمَّع من أمرها، وتيمَّنت بأمره، فما تُنكَح امرأةٌ، ولا يُزوَّج رجلٌ من قريش، ولا يتشاورون في أمرٍ نَزَلَ بهم، ولا يَعقِدون لواءً لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يَعقِدُه لهم بعضُ ولده، وما تُدرَّعُ جاريةٌ إذا بَلَغَت أن تُدرَّعَ من قريش إلا في داره، يُشَقُّ عليها فيها دِرعُها ثم تُدرَّعُه[2]، ثم يُنطَلق بها إلى أهلها، فكان أمرُه في قومه من قريشٍ في حياته ومن بعد موته، كالدِّين المُتَّبَعِ لا يُعمَل بغيره، واتَّخَذ لنفسه دارَ النَّدوة وجعل بابَها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريشٌ تقضي أمورَها.

قال ابن هشام: وقال الشاعر[3]:

قُصيٌّ لعَمْري كان يُدْعى مجمِّعاً ... بـه جمَّـع اللهُ القبائـلَ مـن فِهـرِ

= النَّدوة.

واللِّواء: يعني في الحرب، لأنَّه كان لا يَحمِلُه عندهم إلا قوم مخصوصون.

(١) ونقل السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ٥٣ عن الواقديّ أنه قال: الأصح في هذا الخبر: أن قريشاً حين أرادوا البنيان قالوا لقصيّ: كيف نصنع في شجر الحرم، فحذَّرهم قطعَها وخوَّفهم العقوبةَ في ذلك، فكان أحدهم يَحُوف بالبنيان حولَ الشجرة حتى تكون في منزله. قال: فأوّل من ترخَّص في قطع شجر الحرم للبنيان عبدُ الله بن الزُّبير حين ابتنى دُوراً بقُعيقِعان، لكنه جعل ديةَ كل شجرة بقرةً، وكذلك يُروى عن عمر رضى الله عنه: أنه قطع دَوحةً كانت في دار أسد بن عبد العزَّى، كانت تنال أطرافُها ثيابَ الطائفين بالكعبة، وذلك قبل أن يوسِّع المسجد، فقطعها عمر رضي الله عنه ووَدَاها بقرةً. ثم ذكر السهيليّ آراء أئمّة المذاهب في هذه المسألة.

(٢) الدِّرع هنا: قميص تلبسه المرأة.

(٣) سمّاه الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ١٠٧ حُذافة بن غانم الجُمَحي.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الملك بن راشد، عن أبيه قال: سمعت السائبَ بن خَبّابٍ صاحبَ المقصورة يحدِّث: أنه سمع رجلاً يحدِّث عمرَ بن الخطّاب، وهو خليفةٌ، حديثَ قُصيٍّ بن كِلاب وما جمَّع من أمرِ قومه، وإخراجِه خُزاعةَ وبني بكرٍ من مكّة، وولايتِه البيتَ وأمرَ مكّة، فلم يَرُدَّ ذلك عليه ولم يُنكِرْه[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ قصيٌّ من حربه انصرف أخوه رِزاحُ بن ربيعةَ إلى بلاده بمن معه من قومه، وقال رِزاحٌ في إجابته قُصيّاً:

لمّا أتى من قصيٍّ رسولٌ ... فقال الرسولُ أَجِيبوا الخَليلا
نَهَضْنا إليه نقودُ الجيادَ ... ونَطرحُ عنّا المَلُولَ الثَّقيلا
نسيرُ بها الليلَ حتى الصباحِ ... ونَكْمي النهارَ لئلّا نَزُولا[2]
فهنَّ سِراعٌ كورْدِ القَطَا ... يُجِبنَ[3] بنا من قصيٍّ رسولا
جَمَعْنا من السِّرِّ من أشمذِينَ[4] ... ومن كلِّ حيٍّ جَمَعْنا قَبِيلا

(١) في إسناده لِينٌ، عبد الملك بن راشد لم يرو عنه غير ابن إسحاق، وذكره ابن حبان في «ثقاته» ٧/ ١٠٣، وأبوه لا يُعرَف، والسائب بن خبّاب مختلف في صحبته كما في ترجمته من «التهذيب».

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٥٩ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

(٢) نكمي، أي: نستتر، يقال: كَمَى يَكْمي، إذا استَتَر.

(٣) في (ص) و(م): يَجِئن.

وقوله: كورد القَطَا، الوِردُ هاهنا: الواردة للماء، والقطا: نوع من طائر اليمام، يُؤْثر الحياة في الصحراء، واحدتها: قَطَاة.

(٤) جاء على حاشية (ي): الأشمذِين بكسر الذال المعجمة وفتحها، والرواية بالكسر، وفُسِّر بأنه اسم قبيلتين فيسوغ الكسر، وقيل: بل هما جبلان، فيتعيّن الفتح.

قلنا: والصواب أنهما جبلان أو جبل ذو رأسين، فقد بيّن ذلك الأستاذ عاتق البلاديّ رحمه الله =

فيــا لــكِ حَلْبــةَ مــا ليلــةٍ … تزيدُ على الألفِ سَيْباً رَسِيلا[1]

فلمــا مَــرَرنَ علــى عَســجَرٍ … وأسـهَلْنَ مـن مُسـتناخٍ سَـبيلا[2]

وجـاوَزْنَ بـالرُّكنِ مـن وَرِقـانٍ … وجـاوَزنَ بـالعَرْجِ حيّاً حُلـولا[3]

مَـرَرنَ علـى الحَـلْي مـا ذُقنَـهُ … وعـالَجْنَ مِـن مَـرٍّ لـيلاً طـويلا[4]

نُــدَنّي مــن العُــوذِ أفْلاءَهــا … إرادةَ أن يَســتَرِقنَ الصَّــهيلا[5]

فلمــا انتَهَينــا إلــى مكّــةٍ … أبَحْنـا الرجـالَ قَبـيلاً قَبـيلا[6]

= في كتابه «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» ص١٥٦ في رسم السِّر، فقال: يذكر رِزاحٌ في هذه القصيدة أن قيامه وقومه كان من السِّر من أشمذين، وعدَّد مراحلَ الطريق إلى مكة... وأشمذين ما زالا معروفَين، جبل ذو رأسين يُشرِف على الصُّلصُلة من الجنوب الغربي، والصُّلصُلة على ١١٨ كيلاً من المدينة على طريق خيبر، ولم يذكر أحدٌ من الجغرافيِّين السرَّ هذا الذي قرنه الشاعر مع أشمذين، إنما هناك السَّرير، كان أحدَ أودية خيبر، ويُطلَق الاسم اليوم على أَكَمة بوادي الدَّوم ثم عُمّم على ذلك الوادي، وهو يجاور أشمذين، ويبدو أن السِّياق لم يستقم بالسرير فعَدَلَ عنه الشاعر إلى السِّر، فهو إذاً السَّرير الموضَّح آنفاً.

(١) الحَلْبة: جماعة خيل تُجمَع من كل ناحيةٍ لا من مكان واحد. والسَّيب: المشي السريع في رِفق كما تنساب الحيّة. والرَّسيل: الذي فيه تمهُّل.

(٢) عسجر: اسم موضع، وهو على حسب ما جاء من أسماء المواضع الأخرى في هذا الشعر من نواحي المدينة على الطريق شمالها أو جنوبها، ولا يُعرَف اليوم. وأسهلنَ، أي: حَلَلنَ الموضع السهل. والمستناخ: الموضع الذي تُنِيخ فيه الإبل وغيرها، أي: تَبـرُك فيه وتستريح.

(٣) وَرِقان: جبل أسود بين العَرْج والرُّوَيثة، على يمين المارِّ من المدينة إلى مكة.

(٤) الحَلْي: اسم موضع فيه ماء كما قال أبو ذر الخُشَنيُّ، وغلَّط السهيليَّ في كونه اسماً لنبتةٍ. ومَرٌّ: اسم موضع. وقوله: عالجنَ... أي: عانَينَ معاناة طويلة.

(٥) العُوذ: التي لها أولاد من الإبل أو من الخيل. والأفلاء: جمع فَلُوٍّ، وهو المُهر العظيم. ويسترقن الصَّهيل، أي: يُخفين أصواتهن حتى لا يشعر بهم أحد.

(٦) قبيلاً، أي: جماعة، وإباحتهم بمعنى استباحة دمائهم.

نُعـاوِرُهم ثَـمَّ حـدَّ السـيوفِ   وفي كـل أَوْبٍ خَلَسْـنا العقـولا[1]

نُخبِّـزُهم بصِـلابِ النُّسـو   رِ خَبْزَ القـويِّ العزيـزِ الـذَّليلا[2]

قَتلْنـا خُزاعـةَ في دارِهـا   وبَكـراً قتلْنـا وجِـيلاً فجِـيلا

نَفَينـاهمُ مـن بـلادِ المَليـكِ   كمـا لا يَحُلُّـونَ أرضـاً سُـهُولا

فأصـبحَ سَـبْيُهُمُ في الحديـدِ   ومـن كـلِّ حـيٍّ شَـفَينا الغَلِـيلا[3]

وقال ثَعلَبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيم القُضَاعيّ في ذلك من أمر قصيٍّ حين دعاهم فأجابوه:

جَلَبْنـا الخيـلَ مُضـمَرةً تَغَـالى   من الأعـرافِ أعـرافِ الجِنـابِ[4]

إلـى غَـوْرَي تِهامـةَ فالتَقَينـا   مـن الفَيفـاءِ في قـاعٍ يَبَـابِ[5]

فأمّـا صُـوفَةُ الخُنثَـى فخَلَّـوا   منـازلَهم مُحـاذَرةَ الضِّـرابِ

وقـام بنـو عَلـيٍّ إذْ رأَونـا   إلى الأسيافِ كالإبِلِ الطِّرابِ[6]

---

(١) نعاورهم، أي: نداولُهم مرّةً بعد مرّة. والأوب: الرجوع.

(٢) نخبِّزهم: نسوقهم سَوقاً شديداً، ونخبِّزهم أيضاً: نقطّعهم. وصلاب النُّسور: جمع نَسْر، وهو اللحم اليابس الذي في باطن الحافر.

(٣) السَّبي: جماعة الأَسرى.

(٤) الخيل المُضمَرة: التي اشتدّ لحمها وهي غير مترهّلة. وتَغالَى، أي: ترتفع في السَّير وتسرع. والأعراف: جمع عُرْف، وهو الرمل المرتفع المستطيل.

والجِناب: أرض واسعة تقع شمال خيبر وتمتد إلى تيماء، يعرف جُلّها اليوم باسم الجهراء، كانت منازل قُضاعة. «معجم المعالم الجغرافية» لعاتق البِلاديّ ص٨٦.

(٥) الغَور: المنخفض، وغور تِهامة: ما انخفض من أرض الحجاز. والفَيفاء: الصّحراء. والقاع: المنخفض من الأرض. واليَبَاب: القَفْر.

(٦) في (ت): الظراب، وهو جمع ظَرِبٍ: وهو الجُبيل الصغير، شبَّه الإبل بها، ومن رواه =

وقال قصيّ بن كِلاب:

أنا ابنُ العاصِمِينَ بني لؤيٍّ[1] بمكّـةَ منزلـي وبهـا رَبِيتُ

إلـى البطحـاءِ قـد عَلِمَـت مَعَـدٌّ ومَرْوتِهـا رَضِيتُ بهـا رَضِيتُ

فلسـتُ لغالـبٍ إن لـم تَأثَّـلْ بهـا أولادُ قَيـذَرٍ والنَّبِيـتُ[2]

رِزاحٌ ناصـري وبـه أُسـامي فلستُ أخاف ضَيماً ما حَيِيتُ[3]

فلما استقرَّ رِزاحُ بن ربيعة في بلاده، نَشَرَه الله تعالى ونَشَر حُنّاً[4]، فهما قَبيلا عُذْرةَ اليوم.

وقد كان بين رِزاح بن ربيعة حين قَدِمَ بلادَه، وبين نَهْد بن زيد وحَوتَكة بن أَسلُم ـ وهما بطنان من قُضاعة ـ شيءٌ، فأخافهم حتى لَحِقوا باليمن وجَلَوْا من بلاد قُضاعة، فهم اليومَ باليمن. فقال قُصيُّ بن كِلاب، وكان يحبُّ قُضاعةَ ونَماءَها واجتماعَها ببلادها لِما بينه وبين رِزاحٍ من الرَّحِم، ولبلائِهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نُصْرته، وكَرِهَ ما صنع بهم رِزاحٌ:

= بالطاء المهملة فهي الإبل التي حنَّت إلى مواطنها واشتاقت، يقال: طَرِبَت الإبلُ، إذا حنَّت.

وبنو عليٍّ، قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٥٨: هم بنو كِنانة، وإنما سُمُّوا ببني عليٍّ لأن عبد مَناة ابن كِنانة كان ربيباً لعليّ بن مسعود بن مازن من الأزْد، جدِّ سَطيح الكاهن، فقيل لبني كنانة: بنو عليٍّ، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بكر بن عبد مَنَاة، لأنهم قاموا مع خزاعة.

(١) أراد أنهم يَعصِمون الناس ويمنعونهم لكونهم أهلَ البيت والحرم.

(٢) قوله: إن لم تأثَّل بها، أي: إن لم تُقِم بها إقامة ثابتة، يقال: تأثَّل فلانٌ بموضع كذا، إذا أقام به واستقرّ ولم يبرح. وأولاد قَيذَرٍ والنَّبيتُ، يعني بني إسماعيل عليه السلام.

(٣) أُسامي: أُفاخر. والضَّيم: الظُّلم.

(٤) على حاشية (ي): أي: نشر الله ولده ونشر ولد حُن.

ألا مَن مُبلِغٌ عني رِزاحاً ... فإني قد لَحَيتُكَ[1] في اثنتينِ
لَحَيتُك في بني نهدِ بن زيدٍ ... كما فرَّقتَ بينَهمُ وبيني
وحَوتكةُ بن أسلُمَ إنّ قوماً ... عَنَوْهم بالمَساءةِ قد عَنَوني

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لزُهير بن جَنابٍ الكلبيّ.

قال ابن إسحاق: فلما كَبِرَ قصيٌّ ورَقَّ عظمُه، وكان عبد الدار بِكرَه، وكان عبد مَنافٍ قد شَرُفَ في زمان أبيه وذهب كلَّ مذهب، وعبدُ العزى وعبدٌ، قال قصيٌّ لعبد الدار: أما والله يا بنيّ لأُلحقنَّك بالقوم وإن كانوا قد شَرُفوا عليك؛ لا يدخلُ رجل منهم الكعبةَ حتى تكون أنت تفتحُها له، ولا يَعقِدُ لقريش لواءً لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشربُ رجلٌ بمكّة إلا من سِقايتك، ولا يأكلُ أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطعُ قريش أمراً من أمورها إلا في دارك. فأعطاه دارَه دارَ النَّدْوة، التي لا تقضي قريشٌ أمراً إلا فيها، وأعطاه الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة.

وكانت الرِّفادةُ خَرْجاً تُخرِجه قريشٌ في كل موسم من أموالها إلى قصيٍّ بن كِلاب، فيَصنَعُ به طعاماً للحاجِّ، فيأكله من لم يكن له سَعَةٌ ولا زادٌ، وذلك أن قصيّاً فَرَضَه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشرَ قريش، إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته وأهلُ الحَرَم، وإن الحاجَّ ضيفُ الله وزُوّار بيته، وهم أحقُّ الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيامَ الحج حتى يَصدُروا[2] عنكم، ففعلوا، فكانوا يُخرِجون لذلك في كلِّ عام من أموالهم خَرْجاً فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيامَ مِنى، فجرى ذلك من أمره في الجاهليّة على قومه حتى قام الإسلامُ، ثم جَرَى في الإسلام

(١) أي: لُمْتك، يقال: لَحيتُ الرجلَ، إذا لمتَه.

(٢) أي: يخرجوا ويرجعوا إلى بلدانهم.

إلى يومِك هذا، فهو الطعام الذي يَصنَعُه السلطانُ كلَّ عام بمِنى للناس حتى ينقضي الحج.

قال ابن إسحاق: حدَّثني بهذا من أمر قصيٍّ بن كِلاب، وما قال لعبد الدّار فيما دَفَعَ إليه مما كان بيده، أبي إسحاقُ بنُ يسارٍ، عن الحسن بن محمّد بن علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنهم؛ قال: سمعتُه[1] يقول ذلك لرجل من بني عبد الدّار يقال له: نُبَيه بن وهب بن عامر بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار.

قال الحسن: فجعل إليه قصيٌّ كلَّ ما كان بيده من أمر قومه، وكان قصيٌّ لا يُخالَف، ولا يُرَدُّ عليه شيء صَنَعه.

ذكر ما جرى من اختلاف قريشٍ بعد قصيٍّ وحِلْف المطيَّبين

قال ابن إسحاق: ثم إن قصيَّ بن كِلاب هَلَكَ، فأقام أمرَه في قومه بنوه من بعده، فاختطُّوا مكّةَ رِباعاً ـ بعد الذي كان قَطَعَ لقومه بها ـ فكانوا يُعطونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها، فأقامت على ذلك قريشٌ معهم ليس بينهم اختلاف ولا تَنازُع، ثم إن بني عبدِ مَنَاف بن قصيٍّ عبدَ شمسٍ وهاشماً والمُطَّلبَ ونوفلاً[2] أجمعوا أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدّار بن قصيٍّ مما كان قصيٌّ جعل إلى عبد

(١) أي: سمعتُ الحسن بن محمد، والحسن هذا من علماء أهل البيت وأفاضلهم، وأبوه هو المعروف بابن الحنفيّة. وإسحاق بن يسار والد محمد من الثِّقات.

(٢) ذكر محمد بن السائب الكلبي فيما نقله عنه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٥٦ أن عبد مناف ولد ستة رجال وست نسوة، وأن أكبرهم كان المطِّلب، وذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٨٣ عن بعض أهل النسب: أنّ أولاده من الرجال كانوا خمسة. وسيأتي في شعر مطرود الخزاعي بعد حلف الفضول أنهم أربعة، ولم يذكر ابن حزم في «جمهرة الأنساب» ص١٤ غير هذا.

الدّار من الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة، ورأَوا أنهم أَولى بذلك منهم لشَرَفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرَّقَت عند ذلك قريشٌ، فكانت طائفةٌ مع بني عبد مَنَاف على رأيهم يَرَون أنهم أحقُّ به من بني عبد الدّار لمكانهم في قومهم، وكانت طائفة مع بني عبد الدّار، يَرَون أن لا يُنزَعَ منهم ما كان قصيٌّ جعل إليهم.

فكان صاحبُ أمرِ بني عبد مَنافٍ عبدَ شمس بن عبد مَناف، وذلك أنه كان أسنَّ بني عبد مَناف، وكان صاحبُ أمرِ بني عبد الدّار عامرَ بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدّار.

فكان بنو أَسَد بن عبد العُزَّى بن قصيّ وبنو زُهْرة بن كِلاب وبنو تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ وبنو الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضر، مع بني عبد مَنافٍ، وكان بنو مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب وبنو جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيص وبنو عَدِيّ بن كعب، مع بني عبد الدّار، وخَرَجَت عامرُ بن لؤيّ ومُحارِبُ بن فِهْر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعَقَدَ كلُّ قوم على أمرهم حِلْفاً مؤكَّداً على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسلِمَ بعضُهم بعضاً ما بلَّ بحرٌ صُوفةً[1].

فأخرج بنو عبد مَنافٍ جَفْنةً مملوءةً طِيباً، فيَزعُمون أن بعض نساءِ بني عبد مَناف أخرَجَتها لهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غَمَسَ القومُ أيديَهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مَسَحُوا الكعبةَ بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسُمُّوا المُطَيَّبين.

(١) هذا من أقوالهم في الأبديّات، بمعنى: لا يفعلون هذا الشيء أبداً، وصوف البحر: نوع من الطحالب على شكل هذا الصوف الحيواني يطفو على سطحه.

وتعاقَدَ بنو عبد الدّار وتعاهَدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حِلْفاً مؤكَّداً، على أن لا يتخاذلوا ولا يُسلِمَ بعضُهم بعضاً، فسُمُّوا الأحلاف.

ثم سُونِدَ بين القبائل ولُزَّ بعضُها ببعض[1]، فعُبِّيَت بنو عبد مَنافٍ لبني سَهْم، وعُبِّيَت بنو أَسد لبني عبد الدّار، وعُبِّيَت زُهْرةُ لبني جُمَح، وعُبِّيَت بنو تَيْم لبني مخزوم، وعُبِّيَت بنو الحارث بن فِهر لبني عَدِيِّ بن كعب، وقالوا: لتُغْنِ كلُّ قبيلة من أُسنِدَ إليها[2].

فبَيْنا الناسُ على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعَوْا إلى الصلح، على أن يُعْطُوا بني عبد مَنافٍ السِّقايةَ والرِّفادةَ، وأن تكون الحجابةُ واللواءُ والنَّدوةُ لبني عبد الدّار كما كانت، ففعلوا ورضيَ كلُّ واحد من الفريقين بذلك، وتَحاجَزَ الناسُ عن الحرب، وثَبَتَ كلُّ قومٍ مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء اللهُ تعالى بالإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان من حِلفٍ في الجاهليّةِ، فإن الإسلامَ لم يَزِدْه إلا شِدَّةً»[3].

---

(١) سُوند: من السِّناد، وهي مقابَلة في الحرب بين كل فريق وما يليه من عدوّه. ولُزَّ: شُدَّ.

(٢) أي: لتَكفِ كلُّ قبيلة أحلافها مؤنة قتال القبيلة التي أُوكلت إليها.

(٣) حديث صحيح، روي من حديث جبير بن مُطعِم عند أحمد (١٦٧٦١) ومسلم (٢٥٣٠) وغيرهما، ومن حديث ابن عباس عند أحمد (٢٩٠٩) وابن حبان (٤٣٧٠)، ومن حديث عبد الله ابن عمرو عند أحمد أيضاً (٦٦٩٢) والترمذي (١٥٨٥)، وفي هذه الأحاديث من الزيادة قول النبي ﷺ: «لا حلف في الإسلام».

قال ابن الجوزي في «كشف المُشكِل من حديث الصحيحين» ٤/ ٤٨: أصل الحِلف: المعاقَدة والمعاهَدة على المعاضَدة، فما كان منه في الجاهليّة على القتال والغارات، فذلك الذي أبطله الشَّرع بقوله: «لا حلف في الإسلام»، وما كان منه في الجاهليّة على نصر المظلوم وصِلَة الأرحام، فهو الذي لم يزده الإسلام إلا شدّة.

حِلفُ الفُضول

قال ابن هشام: وأمّا حلفُ الفضول، فحدَّثني زياد بن عبد الله البَكَّائيّ عن محمد ابن إسحاق قال: تداعَتْ قبائلُ من قريشٍ إلى حلفٍ، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جُدْعانَ بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، لشرفِه وسنِّه، فكان حِلفُهم عنده: بنو هاشم، وبنو المُطَّلِب، وأَسَد بن عبد العُزَّى، وزُهْرة بن كِلاب، وتَيْم بن مُرَّة، فتعاقَدوا وتعاهَدوا على أن لا يَجِدُوا بمكّة مظلوماً من أهلِها وغيرِهم ممّن دخلها من سائر الناس إلّا قاموا معه، وكانوا على من ظَلَمَه حتى تُردَّ عليه مَظلِمتُه، فسمَّت قريشٌ ذلك الحلفَ حلفَ الفُضول[1].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمّد بن زيد بن المُهاجِر بن قُنفُذٍ التَّيْميّ، أنه سمع طلحةَ بن عبد الله بن عوفٍ الزُّهْريَّ يقول: قال رسول الله ﷺ: «لقد شَهِدتُ في دارِ عبدِ الله بن جُدْعانَ حِلفاً، ما أُحِبُّ أنَّ لي به حُمْرَ النَّعَمِ، ولو أُدعَى به في الإسلام لَأَجبتُ»[2].

---

(١) ذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٧٢-٧٣ أن هذا الحلف كان قبل مبعث النبي ﷺ بعشرين سنة، وكان أكرمَ حلفٍ سُمِع به وأشرفَه في العرب، وكان أول من تكلَّم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطَّلب، ثم ذكر سببه في قصة رجل من زُبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل السَّهميّ، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقَّه، فاستعدى عليه الزبيديُّ الأحلافَ: عبد الدار ومخزوماً وجمح وسهماً وعَديّ بن كعب، فأبَوا أن يُعِينوه عليه وانتهروه، فقام في نصرته الزبيرُ بن عبد المطّلب عمُّ النبي ﷺ ومعه قبائل من المطيَّبين، فتعاقَدوا وتعاهَدوا بالله: ليكونُنَّ يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدَّى إليه حقُّه، فسمَّت قريشٌ ذلك الحلفَ حلفَ الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضلٍ من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزُّبيديّ فدفعوها إليه.

(٢) حديث صحيح، وهذا إسناد مرسل رجاله ثقات، وطلحة هذا من الطبقة الوسطى من =

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادِ اللَّيثيّ، أن محمّد ابن إبراهيم بن الحارث التَّيميّ حدَّثه: أنه كان بين الحسين بن عليّ بن أبي طالب

= التابعين.

وأخرجه الطبري في مسند عبد الرحمن بن عوف من «تهذيب الآثار» ص٢٠، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٦/ ٣٦٧ من طريقين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد مرسلاً.

وقد وصله الزبير بن بكّار كما في «أخبار مكة» للفاكهي ٥/ (١٢٦) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ.

ووصله أيضاً الواقديُّ من وجه آخر فقال: عن طلحة، عن عبد الرحمن بن أزهر، عن جبير بن مطعم، ذكره ابن حجر في «نتائج الأفكار» ٥/ ٩، وأشار إلى ضعف إسناد كلٍّ من هذين الموصولين، إلا أنه قال: لكن يتقوّى بهما المرسل؛ يعني مرسل طلحة الزهري.

وأخرجه قاسم بن ثابت في «الدلائل في غريب الحديث» ٢/ ٤٨٦-٤٨٧ من طريق الحميديّ، عن سفيان، عن عبد الله، عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر، عن النبي ﷺ. وزاد فيه: «تحالفوا أن تُرَدَّ الفضولُ على أهلها، وألّا يَعُزَّ ظالمٌ مظلوماً». وهذا إسناد مرسلٌ أيضاً، فمحمد وعبد الرحمن أغلب الظنّ أنهما ابنا أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزوميّ، وهما تابعيّان وعبد الرحمن أجلُّهما، ذكره ابن حبان في «ثقاته» ٧/ ٦٤ وفي «مشاهير علماء الأمصار» (١٠١٠)، ومحمد لا يُعرَف حاله، وعبد الله الراوي عنهما: هو ابن عمرو بن علقمة الكِنانيّ المكيّ، وهو ثقة، وسفيان: هو ابن عيينة. وقوله فيه: الفضول، أي: أشياء ذات فَضْل، ويَعُزُّ: يَغلِب ويقهر.

وأخرج أحمد (١٦٥٥) و(١٦٧٦)، وابن حبان (٤٣٧٣)، والحاكم (٢٩٠٦) وغيرهم بإسناد حسن عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، عن النبي ﷺ قال: «شهدتُ حلفَ المطيَّبين مع عُمومتي وأنا غلام، فما أحبُّ أن لي حُمْرَ النَّعم وإني أنكُثُه». وحُمر النَّعَم: هي الإبل، وما كان من ألوانها فيه حُمْرة فهو أنفسها وأفضلها عند العرب. وأما قوله فيه: حلف المطيَّبين، فالمراد به الحلف الذي اجتمعت فيه قبائل من أصحاب حلف المطيَّبين، أما الحلف عينُه فإنه كان قديماً في الجاهلية كما سبق، ولم يدركه النبي ﷺ. وانظر «شرح مشكل الآثار» للطحاوي ١٥/ ٢٢٠-٢٢١.

رضي الله عنه وبين الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان ـ والوليدُ يومئذٍ أميرُ المدينة، أمَّرَه عليها عمُّه معاويةُ بن أبي سفيان ـ منازعةٌ في مالٍ كان بينهما بذي المَرْوة[1]، فكأنَّ الوليد تَحامَل على الحسين رضي الله عنه في حقِّه لسلطانه، فقال له الحسين: أَحلِفُ بالله لتُنصِفَنِّي من حقِّي أو لآخُذنَّ سيفي ثم لأقومَنَّ في مسجد رسول الله ﷺ، ثم لأدعُوَنَّ بحِلْفِ الفُضول، قال: فقال عبد الله بن الزُّبير ـ وهو عند الوليد حين قال الحسينُ ما قال ـ: وأنا أحلفُ بالله، لَئِنْ دعا به لآخُذنَّ سيفي ثم لأقومَنَّ معه حتى يُنصَفَ من حقِّه أو نموتَ جميعاً، قال: وبَلَغَت المِسوَرَ بن مَخرَمة بن نوفل الزُّهْريّ، فقال مثلَ ذلك، وبَلَغَت عبدَ الرَّحمن بن عثمان بن عُبيد الله التَّيْميّ، فقال مثلَ ذلك، فلمّا بَلَغَ ذلك الوليدَ بن عُتْبة أنصَفَ الحسينَ من حقِّه حتى رضيَ[2].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادِ اللَّيثيّ، عن محمّد ابن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ قال: قَدِمَ محمّدُ بن جُبَير بن مُطعِم بن عَديٍّ بن نوفل ابن عبد مَنَاف ـ وكان محمّدُ بن جُبَير أعلمَ قريشٍ ـ على عبدِ الملك بن مروان بن الحَكَم حين قُتِلَ ابنُ الزُّبيرِ واجتَمَعَ الناسُ على عبد الملك، فلمّا دخل عليه قال:

---

(١) بلدة تقع شمال غرب المدينة المنوّرة على قرابة ١٨٠ كم، وهي من بلاد جُهينة، معدودة من وادي القُرى. وانظر «بلاد ينبع» لحمد الجاسر رحمه الله ص٢١١ وما بعدها.

والمال المتنازَع عليه بينهما أرضٌ ذات نخل وزرع.

(٢) رجاله ثقات.

وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» ١٥/ ٢٢٢-٢٢٣ عن أبي الروّاد عبد الله بن عبد السلام، عن عبد الملك بن هشام، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه الطبري في مسند عبد الرحمن بن عوف من «تهذيب الآثار» ص٢١-٢٢ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

يا أبا سعيد، ألم نكن نحن وأنتم ـ يعني بني عبدِ شمس بن عبد مَناف وبني نَوفَل بن عبد مَناف ـ في حِلْف الفُضول؟ قال: أنت أعلمُ، قال عبد الملك: لتُخبِرَنّي يا أبا سعيدٍ بالحقِّ من ذلك، قال: لا واللهِ، لقد خَرَجْنا نحن وأنتم منه، قال: صدقتَ[١].

تمَّ خبر حلف الفضول[٢]

قال ابن إسحاق: فوَلِيَ الرِّفادةَ والسِّقايةَ هاشمُ بن عبد مَنَاف، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفّاراً قَلَّما يقيمُ بمكّة، وكان مُقِلّاً ذا ولدٍ، وكان هاشمٌ مُوسِراً، فكان ـ فيما يَزعُمون ـ إذا حَضَرَ الحجُّ قام في قريشٍ فقال: يا معشرَ قريش، إنكم جِيرانُ الله وأهلُ بيته، وإنه يأتيكم في هذا المَوسِم زُوّارُ الله وحُجّاجُ بيته، وهم ضيفُ الله، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضيفُه، فاجمَعُوا لهم ما تصنعون به لهم طعاماً أيّامَهم هذه التي لا بُدَّ لهم من الإقامة لها، فإنّه والله لو كان مالي يَسَعُ لذلك ما كَلَّفتُكُموه. فيُخرِجون لذلك خَرْجاً من أموالهم، كلُّ امرِئٍ بقَدْرِ ما عنده، فيصنع للحُجّاج طعاماً حتى يَصدُروا منها[٣].

وكان هاشمٌ ـ فيما يَزعُمون ـ أوّلَ من سَنَّ الرِّحلتين لقريشٍ رحلةَ الشتاء والصيف،

(١) رجاله ثقات كسابقه.

وأخرجه الطحاوي أيضاً في «مشكل الآثار» ١٥/ ٢٢٣-٢٢٤ عن أبي الروّاد، عن عبد الملك ابن هشام، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السِّفر الثالث من «تاريخه» (٢٢٥٤) من طريق سلمة بن الفضل، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٢/ ١٨٦-١٨٧ من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

(٢) قوله: تم خبر حلف الفضول، من (م) و(ي) ونسخة على هامش (ص).

(٣) أي: يخرجوا منها ويرجعوا إلى بلدانهم.

وأوّلَ من أطعَمَ الثَّريدَ بمكّة، وإنما كان اسمه عَمْراً، فما سُمّيَ هاشماً إلا بهَشْمِه[1] الخبزَ بمكّة لقومه، فقال شاعرٌ من قريش أو من بعض العرب[2]:

عَمرُو الّذي هَشَمَ الثَّريدَ لقومِهِ   قومٍ بمكّةَ مُسنِتِينَ عِجافِ[3]

سُنَّتْ إليه الرِّحلتانِ كِلاهما   سَفَرُ الشتاءِ ورِحلةُ الأصيافِ

قال ابن هشام: أنشدني بعضُ أهل العلم بالشِّعر من أهل الحجاز قولَه:

قومٍ بمكّةَ مُسنِتِينَ عِجافِ

قال ابن إسحاق: ثم هَلَكَ هاشمُ بن عبد مَناف بغَزّة من أرض الشام تاجراً، فوَلِيَ السِّقايةَ والرِّفادةَ من بعده المُطَّلِب بن عبد مَناف، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرفٍ في القوم وفضل، وكانت قريشٌ إنما تُسمِّيه الفَيْضَ لسماحتِه وفضلِه.

---

(١) الهَشْم: التكسير والتفتيت.

(٢) سمّاه ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه كما في «الروض الأنف» للسهيليّ ٢/ ٨٤ و٨٦ عبدَ الله بن الزِّبَعرى السَّهميّ، وكذلك نسب هذه الأبيات إليه غير واحد كما في «الطبقات» لابن سعد ١/ ٥٧، و«أنساب الأشراف» للبَلاذُريّ ١/ ٥٨، و«الزاهر في معاني كلمات الناس» لابن الأنباري ٢/ ١٢٣، وهو المشهور.

ونسبها إسماعيل بن أبي أُويس في روايته عن محمد بن إسحاق عند البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٤-٥ و«الأوسط» ١/ ٢٧٢ إلى مسافر بن أبي عمرو، أحد سادات بني أُمية وأجوادهم في الجاهلية.

ونسبها محمد بن حبيب في «المنمَّق في أخبار قريش» ص٢٧، وابن دريد في «الاشتقاق» ص١٣ إلى مطرود بن كعب الخزاعيّ، ثم عاد ابن حبيب فنسبها في «المنمّق» ص٩٨ إلى حذافة بن غانم العدويّ.

(٣) الثَّريد: هو أن تفتَّ الخبز بالمَرَق. والمسنِتون: هم الذين أصابتهم السَّنَةُ، وهي سنة القَحْط والجوع. وعِجَاف: من العَجَف، وهو الهُزَال والضّعف.

وكان هاشمُ بن عبد مَناف قَدِمَ المدينةَ فتزوَّج سَلْمى بنت عمرٍو أحدِ بني عَديٍّ ابن النَّجّار، وكانت قبله عند أُحَيْحة بن الجُلَاح بن الحَرِيش ـ قال ابن هشام: ويقال: الحَرِيس ـ بن جَحْجَبَى بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأَوس، فوَلَدَت له عمرَو بن أُحَيحة، وكانت لا تَنكِحُ الرجالَ لشرفِها في قومها حتى يَشرِطُوا لها أن أمرَها بيدها، إذا كَرِهَت رجلاً فارَقَته.

فوَلَدَت لهاشمٍ عبدَ المُطَّلِب، فسمَّته شَيْبة، فتركه هاشمٌ عندها حتى كان وَصِيفاً[1] أو فوقَ ذلك، ثم خرج إليه عمُّه المُطَّلِب ليَقبِضَه فيُلحِقَه ببلده وقومه، فقالت له سَلْمى: لست بمُرسِلتِه معك، فقال لها المُطَّلِب: إني غير منصرفٍ حتى أخرجَ به معي، إن ابن أخي قد بَلَغَ، وهو غريبٌ في غير قومه، ونحن أهل بيتِ شرفٍ في قومنا، نَلِي كثيراً من أمرهم، وقومُه وعشيرتُه وبلدُه خيرٌ له من الإقامة في غيرِهم، أو كما قال. وقال شَيْبةُ لعمِّه المُطَّلِب ـ فيما يَزعُمون ـ: لست بمُفارِقِها إلا أن تأذنَ لي، فأَذِنَت له ودَفَعَته إليه، فاحتَمَلَه فدخل به مكّةَ مُردِفَه معه على بعيره، فقالت قريشٌ: عبدُ المُطَّلِب ابتاعه، فبها سُمِّيَ شيبةُ عبدَ المُطَّلِب، فقال المُطَّلِب: وَيحَكُم، إنما هو ابنُ أخي هاشمٍ قَدِمتُ به من المدينة.

ثم هَلَكَ المُطَّلِبُ برَدْمانَ[2] من أرض اليمن، فقال رجل من العرب يبكيهِ:

قد ظَمِئَ الحَجيجُ بعد المُطَّلِبْ　　بعدَ الجِفانِ والشرابِ المُنثعِبْ[3]

---

(١) الوصيف: الغلام الذي قارب سنَّ البلوغ.

(٢) في اليمن موضعان بهذا الاسم: الأول جبل في صَعْدة شمال اليمن، والثاني في البيضاء وسط اليمن.

(٣) ظمئ، أي: عطش. والشراب المنثعب: هو الكثير السائل.

لَيـتَ قريشـاً بعـدَه علـى نَصَـبْ[1]

وقال مطرودُ بن كعب بن عُرفُطَة، أحدُ بني سعد بن كعب بن عمرو بن لُحَيٍّ الخُزاعيّ، يبكي المُطَّلِبَ وبني عبد مَناف جميعاً حين أتاه نَعْيُ نوفل بن عبد مَناف، وكان نوفلٌ آخرَهم هُلْكاً:

يـا ليلـةً هيَّجـتِ لَـيلاتي إحـدى ليـاليَّ القَسِـيّاتِ[2]

ومـا أُقاسِـي مـن هُمـومٍ ومـا عالَجـتُ مـن رُزْءِ المَنِيّـاتِ[3]

إذا تـذكَّرتُ أخـي نَـوفلاً ذكَّـرَني بالأوّلِيّـاتِ

ذكَّـرني بـالأُزُرِ الحُـمْرِ والْـ أرديَـةِ الصُّـفْرِ القَشِـيباتِ[4]

أربعـةٌ كلُّهـمُ سـيّدٌ أبنـاءُ سـاداتٍ لسـاداتِ

مَـيْتٌ برَدْمـانَ ومَـيْتٌ بسَلْـ ـمـانَ ومَـيْتٌ بـينَ غَـزّاتِ[5]

ومَـيْتٌ أُسكِنَ لَـحْداً لـدى المحجوبِ شرقيَّ البَنيّاتِ[6]

أخلَصَـهم عبـدُ مَنـافٍ فهُـمْ مـن لَـومِ مـن لامَ بمَنجـاتِ[7]

---

(١) أي: على تعب ومشقّة.

(٢) القسيّات: الشدائد، والقاسي والقسِيّ: الشديد.

(٣) الرُّزْء: المصيبة.

(٤) القشيبات: الجديدات، وثوبٌ قَشيبٌ، أي: جديد. والأُزر: جمع إزار، وهو ما يستر وسط الجسم فما دون، والرِّداء ما يُلبَس في أعلاه.

(٥) أراد غزّة، وهي من أرض الشام، فجَمَعها مع ما حولها. وردمان مرَّ قريباً. وسلمان: ماء قديم جاهلي قريب من حدود العراق، وكان من مياه بكر بن وائل.

(٦) قوله: لدى المحجوب، يعني بيتَ الله الكعبة، والبَنيّات: يعني البَنيّة، وهي الكعبة، وجمعها كما جمع غزّة.

(٧) أي: بناجيةٍ من اللَّوم، يقال: هو بمَنجاة من كذا، أي: بريء منه لا يلحقه. وكتبت بتاء =

إن المُغيـــراتِ وأبناءَهـــا مـن خيـرِ أحيـاءٍ وأمـواتِ[1]

وكان اسم عبد مَنافٍ المُغِيرة، وكان أولَ بني عبد مَنافٍ هُلْكاً هاشمٌ[2] بغزَّة من أرض الشام، ثم عبدُ شمس بمكّة، ثم المُطَّلِبُ برَدْمانَ من أرض اليمن، ثم نوفلٌ بسَلْمانَ من ناحية العراق.

فقيل لمطرودٍ ـ فيما يَزعُمون ـ: لقد قلتَ فأحسنتَ، ولو كان أفحلَ مما هو كان أحسن، فقال: أَنظِروني لياليَ، فمَكَثَ أياماً ثم قال:

يا عَينُ جُودِي وأَذْري الدّمعَ وانهَمِري وابكي على السِّرِّ من كعبِ المُغِيراتِ[3]

يا عينُ واسحَنْفِري بالدمعِ واحتَفِلي وابكـي خَبيئـةَ نفسـي في المُلِمّـاتِ[4]

وابكـي علـى كـلِّ فيّـاضٍ أخـي ثِقـةٍ ضـخمِ الدَّسِـيعةِ وهّـابِ الجَـزيلاتِ[5]

مَـحْضِ الضَّـريبةِ عـالي الهَـمِّ مُختلَـقٍ جَـلْدِ النَّحِيـزةِ نـابٍ بالعَظيمـاتِ[6]

= مفتوحة في نسخنا الخطية.

(١) المُغِيرات، أي: بنو المغيرة، وهو عبد مناف.

(٢) كذا في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١): هاشم، وكذا نوفل في (ت) و(غ)، بلا ألف على أن هذه الأسماء اسم لكان، وفي (ص) و(م) و(ي) بألف منصوبين، على أنها خبر لكان، والرفع أفصحُ.

(٣) أَذري: صُبِّي، وكذا انهَمِري. والسِّر هنا: الخالص النسب. والمغيرات، أي: بنو المغيرة، وهو عبد مناف كما سبق، وكعبٌ في عمود نسبه، وهو كعب بن لؤي بن غالب.

(٤) اسحنفري، أي: أَديمي الدّمع. واحتفلي، أي: اجمعيه، من احتفال الضَّرْع: وهو اجتماع اللَّبن فيه. والخبيئة: الشيء المخبوء، يريد أنه ذخيرة عند نزول الشدائد. والمُلمّات: حوادث الدَّهر، أي: التي تُلِمُّ بالإنسان، أي: تَنزل به.

(٥) الفيّاض: الكثير المعروف. وضخم الدَّسِيعة، أي: كثير العطاء. والجزيلات: الكثيرات.

(٦) محض الضريبة، أي: خالص الطبيعة غير متصنِّع لأخلاقه. والمختلَق: تامُّ الخَلْق، =

صعبِ البَديهةِ لا نِكْسٍ ولا وَكَلٍ ... ماضي العزيمةِ مِتلافِ الكريماتِ[1]

صقرٍ تَوسَّطَ من كعبٍ إذا نُسِبوا ... بُحبُوحةَ المجدِ والشُّمَّ الرَّفيعاتِ[2]

ثم اندُبي الفَيضَ والفيّاضَ مُطَّلِباً ... واستَخرِطي[3] بعد فَيضاتٍ بجَمّاتِ

أَمسَى برَدْمانَ عنّا اليومَ مُغتَرِباً ... يا لَهْفَ نفسي عليه بينَ أمواتِ[4]

وابكي، لكِ الويلُ، إمّا كنتِ باكيةً ... لعبدِ شمسٍ بشَرْقيِّ البَنِيّاتِ

وهاشمٍ في ضريحٍ وَسْطَ بَلْقَعةٍ ... تَسْفِي الرياحُ عليه بين غَزّاتِ[5]

ونوفلٍ كان دونَ القومِ خالِصَتي ... أمسَى بسَلْمانَ في رَمْسٍ بمَوْماتِ[6]

لم ألقَ مِثلَهمُ عُجْماً ولا عَرَباً ... إذا استَقلَّتْ بهم أُدْمُ المَطِيّاتِ[7]

أمسَتْ ديارُهمُ منهمْ مُعطَّلةً ... وقد يكونون زَيناً في السَّرِيّاتِ[8]

= أو معتدل في أموره. وجَلْد النَّحيزة، أي: شديد الطبيعة. ونابٍ: مرتفِع، وفي نسخة (ش١) وعلى حاشيتي (م) و(ي): ناءٍ، أي: ناهض.

(١) النِّكس: الضعيف الدنِيُّ من الرجال. والوَكَلُ، بفتح الكاف وكسرها: العاجز الذي يكل أمره إلى غيره.

(٢) البُحبوحة: وسط الشيء. والشُّمّ: العالية.

(٣) في (ت): واستخرجي. ومعنى استخرطي: استكثري من الدَّمع. والجمَّات: المجتمع من الماء، فاستعاره هنا للدمع.

(٤) يا لهف نفسي، أي: يا حُزنها ويا حَسْرتها.

(٥) الضَّريح: وسط القبر. والبَلقَعة: القَفْر، يريد أنه بأرض نائية بعيدة. وتَسفي الرِّياح، أي: تصبُّ عليه التّراب.

(٦) الرَّمس: القبر أيضاً. والمَوماة: القَفْر.

(٧) استقلّت: نهضت وارتفعت. والأُدم: من الإبل البِيضُ الكِرام. والمَطيّات: جمع مَطيّة، وهي الناقة التي يُركَب مَطَاها، أي: ظهرها.

(٨) السَّرِيَّات: جمع سَرِيَّة، وهي القِطعة من الخيل يخرجون للغارَة.

أفْنـاهمُ الـدَّهرُ أم كَلَّـتْ سـيوفُهمُ ... أم كُـلُّ مـن عـاشَ أزوادُ المَنيّـاتِ[1]

أصبحتُ أَرضَى من الأقوامِ بعدَهمُ ... بَسْـطَ الوجـوهِ وإلقـاءَ التحيّـاتِ

يا عينُ وابكي أبا الشُّعْثِ الشَّجيّاتِ ... يَبْكينَـهُ حُسَّـراً مثـلَ البَلِيّـاتِ[2]

يَبكِينَ أكرمَ مَن يمشي على قَدَمٍ ... يُعوِلْنَـهُ بـدموعٍ بعـدَ عَـبْراتِ[3]

يَبكِينَ شخصاً طويلَ الباعِ ذا فَجَرٍ ... آبـي الهَضِـيمةِ فـرَّاجَ الجَلـيلاتِ[4]

يَبكِينَ عمرَو العُلَا إذ حانَ مَصرَعُه ... سَـمْحَ السَّـجِيّةِ بسّـامَ العَشِـيّاتِ[5]

يَبكِينَـه مُسـتكيناتٍ علـى حَـزَنٍ ... يـا طُولَ ذلك من حُزْنٍ وعَوْلاتِ

يَبكِـينَ لمّـا جَلاهـنَّ الزمـانُ لـه ... خُضْـرَ الخـدودِ كأمثـالِ الحَميّـاتِ[6]

مُحتزِمـاتٍ علـى أوسـاطِهنَّ لِمَـا ... جَرَّ الزمانُ من أحداثِ المُصيباتِ

---

(١) في نسخة على حاشية (ي): أوراد، قال أبو ذر الخُشنيّ: يريد القوم الذين يَرِدُون الموتَ، شبَّههم بالذين يَرِدُون الماء، ومن رواه: أزواد المنيَّات، فمعناه: أنهم طعام للمنيَّات.

(٢) الشُّعث: جمع شَعثاء، أي: منتفشة الشَّعر. والشَّجيّات: الحزينات. وحسَّراً، أي: مكشوفات الوجوه. والبليّات: جمع بَلِيَّة، وهي الناقة تُحبَس على قبر صاحبها، فلا تُسقَى ولا تُعلَف حتى تموت.

(٣) يُعوِلنه، أي: يرفعن أصواتهن بالبكاء عليه. والعَبرات: الدُّموع، وكان الوجه أن يقول: عَبَرات، بتحريك الباء، ولكنه خفَّفه فسكّن الباء لضرورة الشِّعر.

(٤) الباع: قدر مدّ اليدين، أراد به الكرم. والفَجَر: العطاء، كما سيأتي تفسيره لابن هشام. والهَضيمة: الذُّلّ والنَّقص. والجليلات: الأمور العِظام.

(٥) عمرو: هو اسم هاشم بن عبد مناف. والسَّجِيّة: الطبيعة. وقوله: بسّام العشيّات: يريد أنه يتبسم عند لقاء الأضياف، لأن الأضياف عندهم أكثر ما يأتون عشيّةً.

(٦) قوله: جلاهنّ الزمان له، أي: كشفهنَّ وجعلهنّ متعرّضات لحوادثه ومصائبه، وهذا المعنى يوضحه البيت الذي بعده. والحميّات: الإبل التي حُمِيَت الماء، أي: مُنِعَته.

أَبِيتُ ليلي أُراعي النجمَ من ألمٍ ... أبكي وتَبكي معي شَجْوي[1] بُنَيّاتي

ما في القُرُومِ لهم عِدلٌ ولا خَطَرٌ ... ولا لمن تركوا شَرْوَى بَقِيّاتِ[2]

أبناؤُهم خيرُ أبناءٍ وأنفُسُهم ... خيرُ النفوسِ لدى جَهدِ الأَلِيّاتِ[3]

كم وَهَبوا من طِمِرٍّ سابحٍ أَرِنٍ ... ومن طِمِرَّةٍ نَهبٍ في طِمِرّاتِ[4]

ومن سيوفٍ من الهِنديِّ مُخلَصةٍ ... ومن رماحٍ كأشطانِ الرَّكِيّاتِ[5]

ومِن توابعَ مما يُفضِلُون بها ... عند المسائلِ من بَذْلِ العَطيّاتِ

فلو حَسَبتُ وأَحصى الحاسبونَ معي ... لم أَقضِ أفعالَهم تلك الهَنيّاتِ

همُ المُدِلُّون[6] إمّا مَعشرٌ فَخَرُوا ... عند الفَخارِ بأنسابٍ نَقيّاتِ

زَينُ البيوتِ التي خلَّوْا مساكنَها ... فأصبَحَت منهم وَحْشاً خَلِيّاتِ

أقولُ والعينُ لا تَرقَا مَدامعُها ... لا يُبعِدُ اللهُ أصحابَ الرَّزِيّاتِ[7]

---

(١) في (ت): شجواً. والشَّجْو: الهم والحزن.

(٢) القروم: سادات الناس، وأصله الفحولُ من الإبل. وعِدْل: مِثْل. وخَطَر، أي: قَدْر ورِفعة. وشَرْوى: كلمة بمعنى: مِثل، يقال: هذا شروى هذا، أي: مِثلُه.

(٣) الأليّات: الشدائد التي يُقصِّر الإنسان بسببها، وهي أيضاً جمع أَلِيّةٍ: وهي اليمين.

(٤) طِمِرّة: فرس خفيف. وسابح، أي: كأنه يسبح في جَرْيه، أي: يَعُوم. وأَرِن: نَشِطٌ. والنهب: ما انتُهب من الغنائم.

(٥) من الهندي، أي: المنسوبة إلى الهند. والأشطان: جمع شَطَنٍ، وهو الحبل. والرَّكِيات: جمع رَكِيّة، وهي البئر.

(٦) أي: المفتخِرون بالشمائل الحميدة من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر.

(٧) لا ترقا مدامعها، أي: لا تنقص ولا تجف، وأصله الهمز فخفّفه للضرورة. والرزيّات: جمع رَزِيَّة، وهي المصيبة، وأراد بأصحاب الرزيّات هنا: الذين يحملون الناس في مصائبهم ويواسونهم بأنفسهم وأموالهم، ولذلك دعا بأن لا يُبعدَهم الله، أي: لا يُفنيهم من الوجود.

قال ابن هشام[1]: الفَجَرُ: العطاء، قال أبو خِراشٍ الهُذَليّ[2]:

عَجَّفَ أضيافي جميلُ بنُ مَعمَرٍ ... بذي فَجَرٍ تأوي إليه الأراملُ

قال ابن إسحاق: أبو الشُّعثِ الشَّجِيّات: هاشمُ بن عبد مَناف.

ثم وَلِيَ عبدُ المُطَّلِب بن هاشم السِّقايةَ والرِّفادةَ بعد عمّه المُطَّلِب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرِهم، وشَرُفَ في قومه شرفاً لم يَبلُغه أحدٌ من آبائه، وأحبَّه قومه وعَظُم خَطَرُه[3] فيهم.

ذكر حَفْر زمزم وما جرى من الخُلْف فيها

ثم إن عبد المُطَّلِب بينما هو نائم في الحِجْر إذ أُتي فأُمر بحفر زمزمَ.

وكان أولَ ما ابتُدِئَ به عبد المُطَّلِب من حفرها، كما حدَّثني يزيدُ بن أبي حَبيب المِصْري، عن مَرثَد بن عبد الله اليَزَني، عن عبد الله بن زُرَيرٍ الغافقيّ: أنه سمع عليَّ ابن أبي طالبٍ رضي الله عنه يحدِّث حديثَ زمزمَ حين أُمر عبدُ المُطَّلِب بحفرها، قال: قال عبد المُطَّلِب: إني لنائمٌ في الحِجْر إذ أتاني آتٍ فقال لي: احفِرْ طَيْبَةَ، قال: قلت: وما طَيبةُ؟ قال: ثم ذهب عنّي، قال: فلما كان الغدُ رجعتُ إلى مَضجَعي فنمتُ فيه، فجاءني فقال لي: احفِرْ بَرَّةَ، قال: قلت: وما برَّةُ؟ قال: ثم ذهب عنّي، فلما كان

(١) قول ابن هشام وبيت أبي خراش لم يردا في (غ) و(ي)، وقد تقدّما في (ت) و(ص) و(م) بعد قوله: بأنساب نقيّات، وموضعهما هنا أليَق كما في (ش١) و(ق١).

(٢) يرثي ابنَ عمه زهير بن العَجْوة، وكان قتله جميلُ بن معمر الجُمَحي يوم حُنين، كما سيأتي في قصة غزوة حنين وما قيل فيها من أشعار ٤/ ١٧٩ . وانظر أيضاً «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكَّريّ ٣/ ١٢٢١، وكتاب «الاختيارَين» للأخفش الأصغر ص٦٨٠، وفيهما: فجَّع أضيافي؛ من الفَجيعة: وهي المصيبة، وأما عجَّف فمعناه: هَزَلهم وأجَاعهم.

(٣) أي: قدرُه ومكانته.

الغدُ رجعتُ إلى مَضجَعي فنمتُ فيه، فجاءني فقال: احفِر المَضنونةَ، قال: قلت: وما المضنونةُ[1]؟ قال: ثم ذهب عنّي، فلما كان الغدُ رجعتُ إلى مَضجَعي فنمتُ فيه، فجاءني فقال: احفِرْ زمزمَ، قال: قلت: وما زمزمُ؟ قال: لا تُنزَفُ أبداً ولا تُذَمّ، تَسقي الحجيجَ الأعظَم، وهي بين الفَرْثِ والدَّم، عند نَقْرةِ الغرابِ الأعصَم، عند قرية النَّمل[2].

فلما بُيِّنَ له شأنُها، ودُلَّ على موضعها، وعَرَفَ أنه قد صُدِقَ، غَدَا بمِعوَلِه ومعه ابنه الحارث بن عبد المُطَّلِب، ليس له يومئذٍ ولدٌ غيرُه، فحَفَرَ، فلما بدا لعبد المُطَّلِب

---

(١) ذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ١١٢: أنها سُميَت طَيبة، لأنها للطيّبين والطيّبات من ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقيل لها: بَرَّة، لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجّار، وقيل لها: المضنونة، لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتضلَّع (أي: يمتلئ شِبَعاً وريّاً) منها منافق.

وأما زمزمُ، فقال أبو ذرّ الخُشنيّ في «إملائه» ص٤٩-٥٠: أصل الزمزمة كلامٌ بصوت لا يُفهَم، فشُبّه صوت الماء فيها بالزَّمزَمة.

(٢) لا تُنزَف أبداً، أي: لا ينقضي ماؤُها ولا يَنفَد. ولا تُذَم، أي: لا توجد قليلةَ الماء، وبئرٌ ذَمّةٌ: قليلة الماء، لأنها تُذَمّ. والفَرْث: ما يكون في كَرِش ذوات الكَرِش من الأنعام. والغراب الأعصم: الذي في ساقيه بياض.

وقد روى عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧١٨) عن معمر عن الزُّهريّ: أن عبد المطّلب لما رأى هذه الرؤيا قام فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينظر ما خُبِئ له من الآيات، فنُحِرَت بقرةٌ بالحَزْورة (وهي ربوة صغيرة من الجهة الغربيّة من المسجد الحرام، وكان عندها سوق من أسواق مكة)، فأفلتت من جازرها بحُشَاشة نفسها (أي: ببقيّة روحها لم تمت بعدُ) حتى غلبها الموتُ في المسجد في موضع زمزم، فجُزِرَت تلك البقرة في مكانها حتى احتُمِل لحمها، فأقبل غرابٌ يهوي حتى وقع في الفَرْث، فبَحَثَ (أي: حفر) في قرية النمل، فقام عبد المطّلب يحفر هنالك.

الطَّيُّ[1] كبَّر، فعرفت قريشٌ أنه قد أَدرك حاجَتَه، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المُطَّلِب، إنها بئرُ أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقّاً فأَشرِكْنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِصتُ به دونكم، وأُعطيتُه من بينكم، فقالوا له: فأنصِفْنا، فإنّا غيرُ تارِكِيك حتى نخاصمَك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أُحاكِمْكم إليه، قالوا: كاهنةُ بني سعد بن هُذَيم[2]، قال: نعم، قال: وكانت بأشرافِ الشام[3].

فرَكِبَ عبد المُطَّلِب ومعه نفرٌ من بني أَبيه من بني عبد مَنَاف، وركب من كل قبيلةٍ من قريش نفرٌ ـ قال: والأرضُ إذ ذاك مَفَاوزُ[4] ـ قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحِجاز والشام، فَنِيَ ماءُ عبد المُطَّلِب وأصحابِه، فظَمِئوا حتى أيقَنوا بالهَلَكة، فاستَسقَوا مَن معهم من قبائل قريش، فأبَوْا عليهم وقالوا: إنا بمَفازَة، ونحن نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم، فلما رأى عبد المُطَّلِب ما صَنَعَ القومُ وما يَتخوَّف على نفسه وأصحابه، قال: ماذا تَرَون؟ قالوا: ما رأيُنا إلا تَبَعٌ لرأيك، فمُرْنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفرَ كل رجل منكم حفرتَه لنفسه بما بكم الآن من القوّة، فكلّما مات رجل دفعه أصحابُه في حفرته ثم وارَوْه، حتى يكونَ آخرُكم رجلاً واحداً، فضَيْعةُ رجل واحد أيسرُ من ضَيْعة رَكْبٍ جميعاً، قالوا: نِعمَ

(١) المِعول: الفأس. والطَّيّ: حجارة البئر المبنيّة.

(٢) قال الخشنيّ: كذا روي هنا، ورواه ابن سراجٍ (وهو إمام اللغة بالأندلس أبو مروان عبد الملك بن سراج) سعدَ هُذيم، وهو الصواب، لأن هُذيماً لم يكن أباه وإنما كَفَلَه بعد أبيه فأُضيف إليه، وهذا النحو كثير. قلنا: وسعد هذيم هؤلاء من قُضَاعة، واسم أبيه زيدٌ كما في «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٤٤٧.

(٣) أشراف الشام: ما ارتفع من أرضه، واحده: شَرَفٌ.

(٤) أي: تجمّعات الناس فيها متباعدة، يهلك في الطرق بينهم السُّفّارُ.

ما أمرتَ به.

فقام كلُّ رجل منهم فحَفَرَ حفرتَه لنفسه، ثم قَعَدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المُطَّلِب قال لأصحابه: واللهِ إنَّ إلقاءَنا بأيدينا هكذا للموت، لا نَضربُ في الأرض ونبتغي لأنفسنا، لعَجْزٌ، فعسى اللهُ أن يَرزُقَنا ماءً ببعض البلاد، فارتَحِلوا، فارتَحَلوا[1]، حتى إذا فَرَغُوا، ومَن معهم من قبائل قريشٍ ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدَّم عبدُ المُطَّلِب إلى راحلته فركبها، فلما انبَعَثَت به[2] انفَجَرت من تحت خفِّها عينُ ماءٍ عَذْب، فكبَّر عبد المُطَّلِب وكبَّر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستَقَوْا حتى مَلَؤوا أسقيتَهم، ثم دعا القبائلَ من قريش فقال: هلمَّ[3] إلى الماءِ، فقد سقانا الله، فاشربوا واستَقُوا، فجاؤوا فشربوا واستَقَوا، ثم قالوا: قد واللهِ قُضِيَ لك علينا يا عبد المُطَّلِب، واللهِ لا نخاصمُك في زمزمَ أبداً، إنّ الذي سقاك هذا الماءَ بهذه الفَلَاة، لهو سقاك زمزمَ، فارجِعْ إلى سقايتك راشداً. فرَجَعَ ورجعوا معه ولم يَصِلوا إلى الكاهنة، وخلَّوْا بينه وبينها[4].

---

(١) يقال: ارتَحَل ناقتَه، إذا شدَّ عليها الرَّحْل، وهو كالسَّرج للفرس.

(٢) أي: قامت من بُروكها وقعودها.

(٣) في (ت): هلمّوا. وهذا في لغة تميم، يقولون للواحد: هلمَّ، وللاثنين: هلمّا، وللجماعة: هلمُّوا، أما لغة أهل الحجاز ـ وهي اللغة العالية ـ فيقولون للكل: هلمَّ، على لفظٍ واحدٍ. انظر «المقتضَب» للمبرّد ٣/ ٢٥ و٢٠٣.

وهلمَّ: اسم فعل أمرٍ معناه: تعالَ.

(٤) إسناده إلى عليٍّ صحيح، إلا أنه ـ كما أبوه أبو طالب ـ لم يدرك زمن هذه القصة، وأغلب الظن أنه سمعه من أبيه أو بعض عمومته يحدّثون به عن جدّه عبد المطَّلب، والله تعالى أعلم.

وأخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» ٢/ ٤٤-٤٦، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٠٦٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ٩٣-٩٥ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

قال ابن إسحاق: فهذا الذي بلغني من حديث عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه في زمزمَ، وقد سمعت مَن يحدِّث عن عبد المُطَّلِب أنه قيل له حين أُمر بحفر زمزم:

ثم ادعُ بالماءِ الرِّوَا غيرِ الكَدِرْ يَسقي حَجيجَ اللهِ في كلِّ مَبَرّ[1]

ليس يُخافُ منه شيءٌ ما عَمِرْ[2]

فخرج عبد المُطَّلِب حين قيل له ذلك إلى قريشٍ، فقال: تَعلَّموا[3] أني قد أُمِرتُ أن أحفرَ زمزم، قالوا: فهل بُيِّن لك أين هي؟ قال: لا، قالوا: فارجِعْ إلى مَضجعِك الذي رأيت فيه ما رأيت، فإن يكن حقّاً من الله يُبيَّنْ لك، وإن يكن من الشيطان فلن يعودَ إليك، فرجع عبدُ المُطَّلِب إلى مضجعِه فنام فيه، فأُتي فقيل له: احفِرْ زمزم، إنك إن حفرتَها لم تَندَم، وهي تُراثٌ من أبيك الأعظَم، لا تُنزَفُ أبداً ولا تُذَم، تَسقي الحجيجَ الأعظم، مثلُ نعامٍ جافلٍ[4] لم يُقسَم، يَنذِرُ فيها ناذرٌ لمُنعِم، تكون ميراثاً وعَقداً مُحكَم، ليست كبعضِ ما قد تَعلَم، وهي بين الفَرْث والدَّم.

قال ابن هشام: هذا الكلام والكلام الذي قبله في حديث عليٍّ في حفر زمزم من قوله: «لا تُنزَف أبداً ولا تُذَم» إلى قوله: «عند قرية النَّمل» عندنا سَجْعٌ وليس بشِعر.

قال ابن إسحاق: فزَعَموا أنه حين قيل له ذلك، قال: وأين هي؟ قيل له: عند قرية النمل، حيث يَنقُر الغراب غداً. فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

---

(١) الماء الرِّوا: مسهَّل الرواء، وهو الماء الكثير. والمَبَرّ: هو مَفعَل من البِر، يريد مناسك الحج ومواضع الطاعة.

(٢) من العُمر، أي: ما بقي. ويروى: ما غَبَر، أي: ما بقي، وغَبَرَ من الأضداد، يكون بمعنى بقيَ، وبمعنى ذَهَبَ.

(٣) أي: اعلموا.

(٤) الجافل: الكثير الذي يجيء ويذهب، وهو السريع أيضاً.

فغَدَا عبدُ المُطَّلِب ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذٍ ولدٌ غيرُه، فوجد قرية النمل، ووجد الغرابَ يَنقُر عندها بين الوثنَين: إسافٍ ونائلةَ، اللَّذين كانت قريش تَنحَرُ عندهما ذبائحها، فجاء بالمِعوَل وقام ليحفرَ حيث أُمر، فقامت إليه قريش حين رأَوا جِدَّه فقالوا: والله لا نَترُكُك تَحفِرُ بين وَثَنَينا هذين اللَّذين نَنحَرُ عندهما، فقال عبد المُطَّلِب لابنه الحارث: ذُدْ[1] عني حتى أَحفِر، فوالله لأَمضِيَنَّ لما أُمرت به. فلما عرفوا أنه غيرُ نازعٍ، خلَّوْا بينه وبين الحفر وكفُّوا عنه، فلم يَحفِرْ إلا يسيراً حتى بدا له الطَّيُّ، فكبَّر وعَرَف أنه قد صُدِق.

فلما تمادَى به الحفرُ وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دَفَنَت جُرهُمُ فيها حين خَرَجَت من مكّة، ووجد فيها أَسيافاً قَلَعيّةً[2] وأدراعاً، فقالت له قريش: يا عبد المُطَّلِب، لنا معك في هذا شِركٌ وحقٌّ، قال: لا، ولكن هَلُمَّ إلى أمرٍ نَصَفٍ[3] بيني وبينكم؛ نضربُ عليها بالقِدَاح[4]، قالوا: وكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قِدْحَين، ولي قِدْحين، ولكم قِدْحين، فمن خرج قِدْحاه على شيء كان له، ومن تخلَّف قِدْحاه فلا شيء له، قالوا: أنصفتَ. فجعل قِدْحين أَصفرين للكعبة، وقِدْحين أسودين لعبد المُطَّلِب، وقِدْحين أبيضين لقريش، ثم أَعطَوْا صاحب القِداح الذي يَضرِبُ بها عند هُبَل[5] - وهُبَلُ: صنم في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم،

(١) في (ت): رُدَّ. ومعنى ذُد عني: امنع عني.

(٢) بالتحريك وبسكون اللام، نسبة إلى موضع تُصنع فيه السيوف باليمن، وقيل: بالهند.

(٣) من الإنصاف.

(٤) القِدَاح، جمع قِدْح، بالكسر: وهو السهم قبلَ أن يُراشَ ويُنصَل، ويُجمع أيضاً على أقدُح وأقاديح، وكانوا يستقسمون بها، وهي التي تُسمَّى الأزلام.

(٥) في (ت): ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هبل.

وهو الذي يعني أبو سفيان بن حَرْب يوم أُحدٍ حين قال: اعلُ هُبَل[1] أي: ظَهَر دينُك ـ وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله عزَّ وجلَّ، وضرب صاحبُ القِداح، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبدِ المُطَّلِب، وتخلَّف قِدْحا قريش، فضرب عبدُ المُطَّلِب الأسيافَ باباً للكعبة، وضرب في البابِ الغزالَينِ من ذهب، فكان أوّلَ ذهب حُلِّيَتْه الكعبةُ فيما يَزعُمون.

ثم إن عبد المُطَّلِب أقام سِقايةَ زمزم للحاجِّ.

ذكر بِئار قبائلِ قريش بمكّة

قال ابن هشام: وكانت قريشٌ قبل حفرِ زمزمَ قد احتَفَرَت بِئاراً بمكّة، فيما حدَّثني زياد بن عبد الله البَكّائي عن محمّد بن إسحاق قال: حَفَرَ عبدُ شمس بن عبد مَناف الطَّوِيَّ، وهي البئر التي بأعلى مكّة عند البيضاءِ دارِ محمّد بن يوسف[2].

وحَفَرَ هاشمُ بن عبد مَنافٍ بَذَّرَ[3]، وهي البئر التي عند المُستندَرِ خَطْمِ الخَندَمة[4] على فم شِعْب أبي طالب، وزَعَموا أنه قال حين حَفَرَها: لأجعلنَّها بلاغاً للناس[5].

---

(١) كما وقع في حديث البراء عند البخاري (٣٠٣٩)، وانظر ما سيأتي في غزوة أُحد ٣/ ٨٥.

(٢) هو الثَّقَفي أخو الحجّاج بن يوسف، وكان أميراً على اليمن، ظالماً غشوماً كأخيه. انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢/ ١١٦٦.

(٣) قال السهيليّ في «الروض» في ٢/ ١٢٦: من التبذير، وهو التفريق، ولعلَّ ماءها كان يخرج متفرّقاً من غير مكان واحد.

(٤) الخندمة: سلسلة جبلية في شرق مكة، فيكون المستندَرُ منها وهو أقربها إلى مكة، وخَطْم الجبل: ما خرج منه، ويقال له أيضاً: أنْف الجبل. والشِّعب: الموضع المنفرِج بين جبلين. وشِعب أبي طالب يعرف اليوم بشِعب عليٍّ كما في «معالم مكة» لعاتق البِلاديّ ص١٤٥.

(٥) أي: يتبلّغون بمائها ويتوصلون به إلى مطلوبهم من حاجتهم إلى الماء.

قال ابن هشام: وقال الشاعر[1]:

سَقَى اللهُ أمواهاً عَرَفتُ مكانَها جُرَاباً ومَلْكوماً وبَذَّرَ والغَمْرا

قال ابن إسحاق: وحَفَر سَجْلةَ، وهي بئر المُطعِم بن عَدِيّ بن نَوفَل بن عبد مَنافٍ التي يَسقُون عليها اليومَ، تَزعُم بنو نوفلٍ أن المُطعِمَ ابتاعها من أسد بن هاشم، وتَزعُم بنو هاشم أنه وَهَبَها له حين ظَهَرَت زمزمُ، فاستَغنَوْا بها عن تلك الآبار.

وحَفَر أُميّةُ بن عبد شمسٍ الحَفْرَ[2] لنفسه، وحَفَرَت بنو أسدِ بن عبد العُزَّى شُفَيَّةَ، وهي بئرُ بني أسد بن عبد العُزَّى، وحَفَرَت بنو عبد الدّار أمَّ أَحراد، وحَفَرَت بنو جُمَحَ السُّنبُلَةَ، وهي بئر خَلَف بن وهب، وحَفَرَت بنو سَهمٍ الغَمْرَ، وهي بئر بني سَهْم.

وكانت آبارٌ حفائرُ خارجاً من مكّة قديمةٌ من عهد مُرّة بن كعب وكِلَاب بن مُرّة وكُبراءِ قريشٍ الأوائل، منها يَشرَبُون، وهي: رُمٌّ، ورُمٌّ بئرُ مرّة بن كعب، وخُمٌّ، وخمٌّ بئرُ بني كِلاب بن مرّة، والحَفْرُ.

وقال حُذيفة بن غانمٍ أخو بني عَدِيٍّ بن كعب بن لُؤيٍّ ـ قال ابن هشام: وهو أبو أبي جَهْم بن حُذيفة[3] ـ:

(١) هو كُثيِّر عزّة، وانظر «ديوانه» جمع وشرح إحسان عباس ص٥٠٣.

(٢) هكذا هو في أكثر نسخنا الخطية، بالحاء، وكذا ذكرها ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ١٧٥، ثم ذكر عن الحازمي أنها جَفْرة بالجيم (كما في نسختَي ش١، ق١)، وهذا في كتاب «الأماكن» للحازمي بتحقيق حمد الجاسر ص٣٦٧ ونقل ذلك عن الزبير بن بكّار عن أبي عبيدة معمر بن المثنَّى، وذكر الجاسر في حاشيته: أن جميع هذه الآبار بمكة قد انطمرت وذهبت ولم يبق إلا زمزم.

(٣) أسلم أبو جَهْم يوم الفتح، وكان من مشيخة قريش ونُسّابهم، انظر «سير النبلاء» ٢/ ٥٥٦.

وقِـدْماً غَنِينـا قبـلَ ذلـك حِقْبـةً   ولا نَسـتَقي إلا بخُـمٍّ أو الحَـفْرِ

قال ابن هشام: وهذا البيتُ في قصيدةٍ له، سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها[1].

قال ابن إسحاق: فعَفَّتْ[2] زمزمُ على البِئار التي كانت قبلها، يَسْقي عليها الحاجُّ، وانصَرَفَ الناسُ إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلِها على ما سواها من المياه، ولأنها بئرُ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وافتَخَرَت بها بنو عبدِ مَنافٍ على قريش كلِّها وعلى سائر العرب، فقال مسافرُ بن أبي عَمرو بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنافٍ، وهو يَفخَرُ على قريشٍ بما وَلُوا عليهم من السِّقاية والرِّفادة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبزمزمَ حين ظَهَرَت لهم، وإنما كان بنو عبد مَنافٍ أهلَ بيتٍ واحدٍ، شَرَفُ بعضهم لبعضٍ شَرَفٌ، وفضلُ بعضهم لبعضٍ فضلٌ:

وَرِثْنـا المجـدَ مـن آبـا ئِنـا فنَمَـى بنـا صُـعُدا

ألـم نَسـقِ الحجيجَ ونَنـ ـحَـرِ الدَّلّافـةَ الرُّفُـدا[3]

ونُلْفَى عنـد تَصـريفِ الـ ـمَنايـا شُـدَّداً رُفُـدا[4]

فإن نَهلِكْ فلم نُملَكْ[5]   ومَـن ذا خالـدٌ خَلَـدا

---

(١) قريباً في رثاء حذيفة لعبد المطّلب ص١٩٥.

(٢) أي: غطّت عليها وأذهبتها.

(٣) الدلافة يريد بها هنا الإبلَ التي تمشي متمهّلة لكثرة سِمَنها. والرُّفُد: جمع رَفُودٍ، وهي التي تملأ الرِّفدَ: وهو قَدَحٌ يُحلَب فيه.

(٤) نُلفى، أي: نوجَد، وفي نسخة (ص): ونُلقَى، وهو واضح. وشُدَّداً، أي: أشدّاء. والرُّفُد هنا من الرَّفْد: وهو الإعانة والإعطاء.

(٥) أي: لم يكن علينا والٍ ولا مَلِك.

وزمــزمُ في أَرُومَتِنــا[1] ونَفْقأُ عـينَ مَـن حَسَـدا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: وقال حُذَيفة بن غانم أخو بني عَديّ بن كعب بن لُؤيّ:

وساقي الحجيجِ ثـمّ للخَـيْرِ هاشـمٍ وعبـدِ مَنـافٍ ذلـك السـيّدِ القَهـرِ[2]

طوى زمزماً عند المقام فأصبَحَت سِـقايتُه فخـراً علـى كـل ذي فَخـرِ

قال ابن هشام: يعني عبدَ المُطَّلِب بن هاشم، وهذان البيتان في قصيدةٍ لحذيفة سأذكرُها في موضعها إن شاء الله تعالى[3].

ذكر نَذْرِ عبد المُطَّلِب ذبحَ ولده

قال ابن إسحاق: وكان عبد المُطَّلِب بن هاشم ـ فيما يَزعُمون والله أعلم ـ قد نَذَرَ حين لَقِيَ من قريشٍ ما لقيَ عند حفر زمزم: لَئِن وُلِدَ له عَشَرةُ نَفَرٍ، ثم بَلَغوا معه حتى يَمنَعوه، لَينحرنَّ أحدَهم لله عند الكعبة، فلما تَوافَى بَنُوه عشرةً وعرف أنهم سيَمنَعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنَذْره، ودعاهم إلى الوفاءِ لله تعالى بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنعُ؟ قال: ليأخُذْ كلُّ رجل منكم قِدْحاً ثم يكتبْ فيه اسمه، ثم ائتوني. ففعلوا، ثم أَتَوه، فدخل بهم على هُبَلَ في جوف الكعبة، وكان هبلُ على بئرٍ في جوف الكعبة، وكانت تلك البئرُ هي التي يُجمَعُ فيها ما يُهدَى للكعبة.

---

(١) أي: في أصلنا.

(٢) في (ت) و(ش١) و(ق١): الفِهري، نسبة إلى جدّه فِهر بن مالك بن النضر بن كِنانة، وأما القَهْر، فمعناه: القاهر، وصفه بالمصدر، كما يقال: رجلٌ عَدْلٌ، ويُروى كما في «إملاء الخُشني» ص٥٢: السيد الغَمْر، والغَمرُ: الكثير العطاء.

(٣) ص١٩٣.

وكان عند هبلَ قِداحٌ سبعة، كلُّ قِدحٍ منها فيه كتابٌ: قِدحٌ فيه العَقْل[1]؛ إذا اختلفوا في العَقْل من يَحمِلُه منهم، ضربوا بالقِداحِ السبعة، فإن خرج العقلُ فعلى من خرج حَملُه، وقِدحٌ فيه «نَعَم» للأمر إذا أرادوه يُضرَبُ به في القِداح، فإن خرج قِدحُ «نعم» عَمِلوا به، وقِدحٌ فيه «لا» إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القِداح، فإذا خرج ذلك القِدحُ لم يفعلوا ذلك الأمر، وقِدحٌ فيه «منكم»، وقِدحٌ فيه «مُلصَق»، وقِدحٌ فيه «مِن غيرِكم»، وقِدحٌ فيه «المياه» إذا أرادوا أن يَحفِروا للماء ضربوا بالقِداح وفيها ذلك القِدحُ، فحيثما خرج عَمِلوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يَختِنوا غلاماً، أو يُنكِحوا مَنكَحاً، أو يَدفِنوا ميتاً، أو شَكُّوا في نسبِ أحدهم، ذهبوا به إلى هُبَلَ وبمئة درهمٍ وجَزُور، فأعطَوْها صاحب القِداح الذي يَضرِبُ بها، ثم قرَّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلٰهنا، هذا فلانُ بن فلان، قد أردنا به كذا وكذا، فأخرجِ الحقَّ فيه، ثم يقولون لصاحب القِداح: اضرِبْ، فإن خرج عليه «منكم» كان منهم وَسِيطاً[2]، وإن خرج عليه «مِن غيركم» كان حَليفاً، وإن خرج عليه «مُلصَق» كان على منزلته فيهم، لا نسبَ له ولا حِلْفَ، وإن خرج فيه شيء ممّا سوى هذا مما يَعمَلون به «نعم» عَمِلوا به، وإن خرج «لا» أخَّروه عامَه ذلك حتى يأتُوه به مرّةً أخرى، يَنتَهُون في أمورهم إلى ذلك ممّا خرجت به القِداحُ.

فقال عبد المُطَّلِب لصاحب القِدَاح: اضرِبْ على بَنِيَّ هؤلاءِ بقِداحِهم هذه، وأخبره بنَذْره الذي نَذَر، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدحَه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله

---

(١) أي: الدِّيَة.

(٢) يعني خالصَ النَّسب فيهم، أو شريفاً فيهم.

ابن عبد المُطَّلِب أصغرَ بني أَبيه[1]، كان هو والزُّبيرُ وأبو طالبٍ لفاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عَبْد بن عِمران بن مَخزُوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن هشام: عائذٌ ابنُ عِمران بن مخزومٍ[2].

قال ابن إسحاق: وكان عبد الله ـ فيما زَعَموا ـ أحبَّ ولدِ عبد المُطَّلِب إليه، وكان عبد المُطَّلِب يرى أن السَّهمَ إذا أخطأَه فقد أَشوَى[3]، وهو أبو رسولِ الله ﷺ، فلما أخذ صاحبُ القِداحِ القِداحَ ليضربَ بها، قام عبد المُطَّلِب عند هُبَلَ يدعو الله، ثم ضرب صاحبُ القِداح، فخرج القِدْحُ على عبد الله، فأخذه عبد المُطَّلِب بيده وأخذ الشَّفْرة ثم أقبل به إلى إسافٍ ونائلةَ ليذبحَه، فقامت إليه قريشٌ من أنديَتِها[4] فقالوا: ماذا تريد يا عبدَ المُطَّلِب؟ قال: أَذبحُه، فقالت له قريش وبَنُوه: والله لا تذبحُه أبداً حتى تُعذِرَ فيه[5]، لئن فعلتَ هذا لا يزالُ الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحَه، فما بقاءُ الناس على هذا؟! وقال له المغيرةُ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يَقَظة، وكان

(١) قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ١٣٧: هذا غير معروف، ولعلَّ الرواية: أصغر بني أمّه، وإلا فحمزةُ كان أصغر من عبد الله، والعباسُ أصغر من حمزة... لكن رواه البكّائي كما تقدم، ولروايته وجهٌ: وهو أن يكون أصغرَ ولد أبيه حين أراد نحرَه، ثم وُلِدَ له بعد ذلك حمزة والعباس.

(٢) قال السهيليّ ٢/ ١٣٠: الصحيح ما قاله ابن هشام؛ لأن الزُّبيريِّين ذكروا أن عبداً هو أخو عائذ بن عِمران... وقد تكرَّر هذا النسب في السيرة مراراً، وفي كل ذلك يقول ابن إسحاق: عائذ ابن عبد بن عمران، ويخالفه ابنُ هشام.

(٣) أي: لم يُصب مَقتلَه، يعني مقتل عبد المطّلب.

(٤) جمع نادٍ: وهو المجلس يكون فيه جماعة من الناس.

(٥) أي: تفعل أقصى جهدك في العذُرْ مما ستفعله به.

عبدُ الله ابنَ أختِ القوم: واللهِ لا تذبحُه أبداً حتى تُعذِرَ فيه، فإن كان فِداؤُه بأموالنا فَدَيناه، وقالت له قريش وبَنُوه: لا تفعلْ، وانطَلِقْ به إلى الحجاز، فإنّ به عَرّافةً لها تابعٌ[1]، فسَلْها، ثم أنت على رأسِ أمرك، إن أمَرَتْك بذبحِه ذبحتَه، وإن أمَرَتك بأمرٍ لك وله فيه فَرَجٌ قَبِلتَه.

فانطَلَقوا حتّى قَدِموا المدينة، فوجدوها ـ فيما يَزعُمون ـ بخَيبَرَ، فركبوا حتى جاؤوها فسألوها، وقَصَّ عليها عبد المُطَّلِب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونَذْرَه فيه، فقالت لهم: ارجِعوا عنّي اليوم حتى يأتيَ تابعي فأسألَه. فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم غَدَوْا عليها، فقالت لهم: قد جاءَني الخبر، كم الدِّيَةُ فيكم؟ قالوا: عشرٌ من الإبل، وكانت كذلك، قالت: فارجِعُوا إلى بلادكم، ثم قرِّبوا صاحبَكم وقرِّبوا عشراً من الإبل، ثم اضرِبوا عليها وعليه بالقِداح، فإن خَرَجَت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربُّكم، وإن خَرَجت على الإبل فانحَرُوها عنه، فقد رضيَ ربُّكم، ونجا صاحبُكم.

فخرجوا حتّى قَدِمُوا مكّة، فلما أَجمعوا ذلك من الأمر، قام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم قرَّبوا عبدَ الله وعشراً من الإبل، وعبدُ المُطَّلِب عند هُبلَ يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبلُ عشرين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل ثلاثين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل أربعين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل خمسين،

---

(١) أي: تابع يتبعها من الجنّ.

وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل ستِّين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل سبعين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل ثمانين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل تسعين، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبَلَغَت الإبل مئةً، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدحُ على الإبل، فقالت قريشٌ ومن حَضَرَ: قد انتهى رضا ربِّك يا عبد المُطَّلِب، فزَعَمُوا أن عبد المُطَّلِب قال: لا واللهِ حتى أضربَ عليها ثلاث مرّات، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المُطَّلِب يدعو الله، فخرج القِدحُ على الإبل، ثم عادوا الثانيةَ، وعبد المُطَّلِب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القِدحُ على الإبل، ثم عادوا الثالثةَ، وعبد المُطَّلِب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القِدحُ على الإبل، فنُحِرَت ثم تُرِكَت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمنَع[1].

---

(١) قصة نذر عبد المطلب بهذا السياق لم يسندها ابن إسحاق، ولم نقف عليها عند غيره.

وقد أشار إلى أصل هذه القصة ابنُ عباس فيما أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٣٩ من طريق يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن ابن عباس قال: كان عبد المطلب بن هاشم نَذَرَ إن تَوافَى له عشرةُ رهط، أن ينحر أحدهم، فلما تَوافَى له عشرة أقرع بينهم أيُّهم ينحر! فطارت القرعةُ على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحبَّ الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهمّ هو أو مئة من الإبل، ثم أقرَعَ بينَه وبينَ الإبل، فطارت القرعةُ على المئة من الإبل. ورجال الإسناد ثقات.

وروي نحو خبر ابن عباس هذا عن الزهري أيضاً مرسلاً فيما رواه عنه معمرٌ عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧١٨)، والأزرقي في «أخبار مكة» ٢/ ٤٣-٤٤، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٧. =

قال ابن هشام: ويقال: إنسانٌ ولا سَبُعٌ.

قال ابن هشام: وبين أضعافِ هذا الحديث رَجَزٌ لم يصحَّ عندنا عن أحدٍ من أهل العلم بالشِّعر.

ذكرُ المرأةِ المتعرِّضة لنكاح عبد الله بن عبد المُطَّلِب

قال ابن إسحاق: ثم انصرف عبدُ المُطَّلِب آخذاً بيد عبد الله، فمَرَّ به ـ فيما يَزعُمون ـ على امرأةٍ من بني أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر، وهي أخت وَرَقة بن نَوفَل بن أسد بن عبد العزَّى، وهي عند الكعبة، فقالت حين نَظَرَت إلى وجهه: أين تذهبُ يا عبد الله؟ قال: مع أَبي، قالت: لك مثلُ الإبل التي نُحِرَت عنك وقَعْ عليَّ الآن، قال: أنا مع أَبي، ولا أستطيعُ خِلافَه ولا فِراقَه.

فخرج به عبد المُطَّلِب حتى أَتى به وهبَ بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة ابن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وهو يومئذٍ سيّدُ بني زُهْرة سِنّاً وشَرَفاً، فزوَّجه ابنتَه آمنةَ بنت وهبٍ، وهي يومَئذٍ أفضلُ امرأةٍ في قريش نَسَباً وموضعاً.

هي لبَرَّة[1] بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدّار بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وبرَّةُ لأم حبيبٍ بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ ابن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأمُّ حبيبٍ لبَرَّةَ بنت عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر.

= وروي أيضاً مختصراً عن معاوية بن أبي سفيان من قوله عند الحاكم (٤٠٨٠) وغيره بإسناد ضعيف فيه مجاهيل.

(١) يريد أن أمّها برّةُ.

فزَعَموا أنه دخل عليها حين أُملِكَها مكانَه فوَقَعَ عليها، فحَمَلَت برسول الله ﷺ، ثم خرج من عندها فأتى المرأةَ التي عَرَضَت عليه ما عَرَضَت، فقال لها: ما لكِ لا تَعرِضين عليَّ اليومَ ما كنتِ عَرَضتِ عليَّ بالأمسِ؟ قالت له: فارَقَك النُّورُ الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليومَ حاجةٌ. وقد كانت تسمع من أخيها وَرَقةَ بن نوفلٍ ـ وكان قد تَنصَّر واتَّبع الكتب ـ: أنه كائنٌ في هذه الأمَّة نبيٌّ[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ أنه حُدِّث: أنَّ عبد الله إنّما دخل على امرأةٍ كانت له مع آمنةَ بنت وهبٍ وقد عَمِلَ في طينٍ له، وبه آثارٌ من الطِّين، فدعاها إلى نفسه فأبطأَت عليه لِما رأَت به من أثرِ الطِّين، فخرج من عندها فتوضَّأ[2] وغَسَل ما كان به من ذلك الطِّين، ثم خرج عامداً إلى آمنةَ، فمرَّ بها، فدَعَتْه إلى نفسها، فأَبى عليها، وعَمَدَ إلى آمنة فدخل عليها فأصابها، فحَمَلَت بمحمّدٍ رسولِ الله ﷺ، ثم مرَّ بامرأته تلك، فقال لها: هل لكِ؟ قالت: لا، مررتَ بي وبين عينيك غُرّةٌ[3]، فدعوتُك فأَبَيتَ، ودخلتَ على آمنةَ فذَهَبَت بها.

---

(١) هذا الخبر في ذكر المرأة المتعرّضة من الزَّعم الذي لا يصح من وجه مُسنَد، ولم يسنده ابن إسحاق إنما ساقه معضَلاً.

ورواه عنه كذلك يونسُ بن بكير كما في القطعة المطبوعة من «سيرة ابن إسحاق» ص٤٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ١/ ١٠٢، وسلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٤٣.

وقد ذُكر في معنى هذه القصة ـ كما في «دلائل البيهقي» ١/ ١٠٥-١٠٨ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ٣/ ٤٠٣-٤٠٧ ـ بضعة أخبار مضطربة، ولا يخلو إسناد أيٍّ من هذه الأخبار من ضعفٍ وآفةٍ تسقطه.

(٢) المراد بالوضوء هنا المعنى اللُّغوي، وهو غسل وتنظيف بعض الأعضاء.

(٣) الغُرَّة: البياض والوَضاءة.

قال ابن إسحاق: فزَعَموا أنّ امرأته تلك كانت تُحدِّث: أنّه مرَّ بها وبين عَينَيهِ مثلُ غُرَّة الفَرَس، قالت: فدَعَوتُه رجاءَ أن تكون تلك بي، فأَبى عليَّ ودخل على آمنةَ فأصابها، فحَمَلَت برسول الله ﷺ[1].

فكان رسولُ الله ﷺ أَوسطَ قومه نَسَباً[2]، وأعظمَهم شَرَفاً، من قِبَل أبيه وأمِّه.

ذكر ما قيل لآمنةَ عند حَمْلها برسول الله ﷺ

ويَزعُمون ـ فيما يتحدَّث الناسُ والله أعلم ـ: أنَّ آمنةَ بنت وهبٍ أمَّ رسول الله ﷺ كانت تحدِّث: أنها أُتِيَت حين حَمَلَت برسول الله ﷺ، فقيل لها: إنكِ قد حَمَلتِ بسيِّد هذه الأُمّة، فإذا وَقَعَ إلى الأرض فقولي: أُعِيذُه بالواحد، من شرِّ كلِّ حاسد، ثم سمِّيه محمّداً[3].

ورأَت حين حَمَلَت به، أنَّه خرج منها نورٌ رأَت به قصورَ بُصْرَى[4] من أرضِ الشّام[5].

---

(١) هذا خبر لا يصحُّ كسابقه.

(٢) يعني أشرفهم وأخيرهم نسباً.

(٣) لا أصل لهذا مسنَداً، وقد رواه بنحوه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٧٨) من طريق أبي غَزيّة محمد بن موسى الأنصاريّ، عن أبي عثمان سعيد بن زيد الأنصاريّ، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: رأت آمنة بنت وهب... وهذا إسناد تالف، أبو غزيّة هذا اتهمه ابن حبّان والدارقطنيّ بوضع الأحاديث.

(٤) بُصْرى: بلدة في بادية الشام، تقع شرق مدينة دِرْعا في جنوب سوريا، تبعد عنها ٤٠ كم، وعن مدينة دمشق حوالي ١٤٠ كم، وكانت إذ ذاك عاصمة لملوك الغساسنة التابعين للإمبراطورية الرومانيّة، وبها قصورهم وآثارهم.

(٥) رؤيا النور هذه قد وردت من غير وجهٍ يشدُّ بعضها بعضاً، فتتقوّى، وسيأتي التعليق عليها لاحقاً في الفصل التالي ص ١٨١-١٨٢.

ثمّ لم يَلبَثْ عبدُ الله بن عبد المُطَّلِب ـ أبو رسولِ الله ﷺ ـ أن هَلَكَ وأمُّ رسولِ الله ﷺ حاملٌ به[1].

---

(١) وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق كما في القطعة المطبوعة من «سيرته» ص٤٥ ـ ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٨٧ ـ قال: هَلَكَ أبوه عبدُ الله وهي حُبلَى، ويقال: إن عبد الله هَلَكَ والنبيُّ ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهراً، فالله أعلم أيُّ ذلك كان. ثمّ قال البيهقي: وقال بعضهم: مات أبوه وهو ابن سبعة أشهر. وانظر «مستدرك الحاكم» (٤٢٣٦).

قال السهيليّ في «الروض» ٢/ ١٦٠: أكثر العلماء على أنه كان في المَهْد، ذكره الدُّولابيّ وغيره، قيل: ابن شهرين، ذكره ابن أبي خيثمة، وقيل أكثر من ذلك، ومات أبوه عند أخواله بني النَّجار (يعني بيثربَ)، ذهب ليمتارَ لأهله (أي: يجلب لهم) تمراً.

قلنا: ما ذُكر أولاً عن ابن إسحاق من أنّ عبدَ الله توفي وآمنةُ حاملٌ برسول الله ﷺ، هو ما رواه أيضاً الواقديُّ عن جماعة من شيوخه كما في «طبقات ابن سعد» ١/ ٧٩ و١٢٨-١٢٩، وهو الذي رجّحه الواقديُّ وكاتبُه ابنُ سعد.

وهو قول ابن شهاب الزُّهري كما أخرجه عنه عبد الرزاق (٩٧١٨)، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٨ و١٨٧، وقول داود بن أبي هند كما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٨٠).

ورجَّحه أيضاً البلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١/ ٩٢، وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٢٠، وصحَّحه الذهبيُّ في الترجمة النبوية من «تاريخ الإسلام» ١/ ٤٩٩، وابن ناصر الدين الدمشقي في «جامع الآثار في السير ومولد المختار» ٢/ ٤٢٩ فقال: هو الصحيح عند جمهور أهل السير.

وخالف في ذلك آخرون، فروى ابن سعد ١/ ٨٠ عن هشام بن السائب الكَلْبي عن أبيه، وعن عَوَانة بن الحكم أنهما قالا: توفي عبدُ الله بعدما أَتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهراً، ويقال: سبعة أشهر. ثم قال ابن سعد: والأول أثبتُ أنه توفي ورسول الله ﷺ حَمْلٌ.

وروى الزبير بن بكّار ـ ومن طريقه ابنُ أبي خيثمة في «تاريخه» كما في «جامع الآثار» ٢/ ٤٣١، وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» ٣/ ٧٨ ـ عن محمد بن الحسن بن زَبَالة، عن عبد السلام بن عبد الله، عن معروف بن خرَّبوذ قال: توفي عبدُ الله ورسول الله ﷺ ابنُ شهرين.

قلنا: والراجح إن شاء الله قولُ من قال: توفي عبدُ الله ورسولُ الله ﷺ حَمْلٌ، والله تعالى أعلم.



ولادة رسول الله ﷺ ورَضاعه

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبد الله البَكّائيّ عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ قال: ووُلِدَ رسول الله ﷺ يومَ الاثنينِ لاثنتي عشرةَ ليلةً مَضَت من شهر ربيعٍ الأول عامَ الفِيل[1].

---

(١) أما كونه ﷺ وُلد يومَ الاثنين، فهذا قد صحَّ مرفوعاً إليه ﷺ من قوله كما في حديث أبي قتادة الأنصاريّ عند مسلم في «صحيحه» (١١٦٢) وغيره: أنّه ﷺ سُئل عن صوم الاثنين، فقال: «فيه وُلِدتُ، وفيه أُنزِلَ عليّ».

وأما كونه في عام الفيل، فهذا مما اجتُمِع عليه كما قال خليفة بن خيّاط في «تاريخه» ص٥٣، وذكر ابن عبد البر في أول كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ص٢٨ أنه لا خلاف في ذلك.

ثم ذكر ابن عبد البر الخلافَ في اليوم والشهر، هل هو اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول أم غيرهما، والجمهور على أنه في ربيع الأول على خلافٍ منهم في أيِّ يوم هو على أقوالٍ، أشهرُها:

الأول: أنه وُلد لليلتين خَلَتا منه، نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار، ولم ينسبه الزبير إلى أحد، وهو قول أبي مَعشَر نَجيح المدني كما في «الطبقات» لابن سعد ١/ ٨١ عن الواقدي عنه. وهذا القول اختاره مُغُلطاي في «الإشارة إلى سيرة المصطفى» ص٥٦، فقد صدّر به الأقوال في مولده ﷺ كالمُقرِّ له.

والثاني: لثمانٍ خَلَون منه، وهو ما ذهب إليه ابن حَزْم في «جوامع السيرة» ص٧، وصحّحه كثيرٌ من العلماء كما في «خلاصة السير» للمحبّ الطبري ص٢٣-٢٤، وكما في «البداية والنهاية» لابن كثير ٣/ ٣٧٥.

والثالث: لعشرٍ خَلَون منه، وهو قول أبي جعفر الباقر إن صحَّ عنه، فقد رواه ابن سعد ١/ ٨١ بإسناد واهٍ عنه، وروي عن الأعمش أيضاً كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٣/ ٧٥، وصحّح هذا القولَ الدِّمياطيُّ في «السيرة النبوية» له ص٣٠.

والرابع: لاثنتي عشرةَ خَلَت منه، وهو قول ابن إسحاق هنا، وقد ذهب إليه ابن سيّد الناس في «عيون الأثر» ١/ ٣٣، وهذا هو المشهور عند الجمهور كما قال ابن كثير، والله تعالى أعلم. =

قال ابن إسحاق: وحدَّثني المُطَّلِب بن عبد الله بن قيس بن مَخرَمَة، عن أبيه، عن جدِّه قيس بن مَخرَمة قال: وُلِدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عامَ الفيل، فنحن لِدَانِ[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عوف، عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن سعد بن زُرَارة الأنصاريِّ قال: حدَّثني مَن شئتُ من رجال قومي عن حسّان بن ثابتٍ قال: واللهِ إني لغلامٌ يَفَعةٌ، ابنُ سبعِ سنينَ أو ثمانٍ، أَعقِلُ كلَّ ما سمعتُ، إذ سمعتُ يهودياً يَصرُخُ على أُطُمِه بيَثرِبَ: يا معشرَ يهودَ، حتى إذا اجتَمَعوا إليه قالوا له: وَيلَك، ما لك؟ قال: طَلَعَ اللّيلةَ نجمُ أحمدَ الذي وُلِدَ به[2].

قال ابن إسحاق: فسألتُ سعيدَ بن عبد الرَّحمن بن حسّان بن ثابت فقلت: ابنُ كم كان حسّانُ بن ثابتٍ مَقدَمَ رسولِ الله ﷺ المدينةَ؟ فقال: ابن ستّينَ سنةً؛ وقَدِمَها

= تنبيه: زعم الحاكم في «المستدرك» ٥/ ١٥١ أن الأخبار تواترت أن رسول الله ﷺ وُلِد مختوناً مسروراً، فتعقّبه الذهبيُّ في «تلخيصه» فقال: ما أعلمُ صحّةَ ذلك، فكيف متواتراً؟! وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٣٨٨: زعم بعضهم أنه متواتر، وفي هذا كلِّه نظر. قلنا: وقد رُوِيَ ذلك في غيرِ ما حديثٍ بأسانيد ضعيفة جدّاً أو تالفة كما هو محرَّر في التعليق على «المستدرك» طبعة دار الرسالة العالمية.

(١) إسناده حسن من أجل المطّلب بن عبد الله، فقد روى عنه ابن إسحاق كما هنا وآخرُ عند ابن أبي شيبة في «مصنفه»، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وحسّن له الترمذيُّ هذا الخبر.

وأخرجه أحمد (١٧٨٩١)، والترمذي (٣٦١٩)، والحاكم (٤٢٢٨) من طرق عن ابن إسحاق، به. وحسّنه الترمذي، وصحّحه الحاكم.

قوله: لِدَانِ، أي: تِرْبانِ، يعني متساويان أو متقاربان في السنّ.

(٢) رجاله ثقات غير رجال قوم يحيى بن عبد الله الأنصاري فمجهولون لا يُعرَفون.

وأخرجه ابن راهويه في «مسنده» كما في «المطالب» لابن حجر (٤٢٠٥) من طريق جرير بن حازم، وابن عساكر في «تاريخه» ١٢/ ٣٨٣ من طريق إبراهيم بن سعد، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

الأُطُم: بناء مرتفع، وجمعه: آطامٌ.

رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثلاثٍ وخمسين سنةً، فسمع حسّانُ ما سمع وهو ابن سبع سنين.

قال ابن إسحاق: فلمّا وَضَعَته أمُّه ﷺ، أرسَلَت إلى جدِّه عبد المُطَّلِب: أنه قد وُلِدَ لك غلام، فأْتِه فانظرْ إليه، فأتاه فنظر إليه، وحدَّثَته بما رأَت حين حَمَلَت به، وما قيل لها فيه، وما أُمِرَت به أن تسمِّيَه.

فيَزعُمون أن عبد المُطَّلِب أخذه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله، ويَتشكّرُ له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمِّه فدَفَعَه إليها، والتُمِسَ لرسول الله ﷺ الرُّضَعاءُ[1].

---

(١) وكان أوّلَ من أرضعه ﷺ ثُوَيبةُ بلبن ابنٍ لها يقال له: مسروح، أياماً قبل أن تَقدَمَ حليمةُ، وكانت ثُوَيبةُ قد أرضَعَت قبلَه عمَّه حمزةَ، وأرضَعَت بعده أبا سلمة بن عبد الأَسد المخزوميّ، رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٨٧ عن شيخه الواقديّ بسنده إلى بَرّة بنت أبي تَجْراة رضي الله عنها.

ويشهد له حديث أم المؤمنين أم حَبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها: أنها قالت للنبي ﷺ: إنَّا نُحدَّثُ أنك تريد أن تَنكِحَ بنتَ أبي سَلَمة! فقال: «لو أنها لم تكن رَبيبتي في حَجْري ما حَلَّت لي، إنها لابنةُ أخي من الرَّضاعة، أرضَعَتْني وأبا سلمة ثُوَيبةُ». أخرجه البخاري (٥١٠١) ومسلم (١٤٤٩).

وثويبةُ هذه كانت مولاةً لأبي لهبٍ عمِّ النبي ﷺ، وقد زاد البخاري في الحديث السابق ـ وهو من رواية عروة بن الزبير عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة ـ عن عروة أنه قال: وثويبة مولاة لأبي لهب، كان أبو لهبٍ أعتَقَها، فأرضَعَت النبيَّ ﷺ، فلما مات أبو لهب أُرِيَه بعضُ أهله بشرِّ حِيبَةٍ (أي: على أسوأ حال) قال له: ماذا لَقِيتَ؟ قال أبو لهب: لم أَلقَ بعدكم (أي: راحةً) غير أني سُقِيتُ في هذه (وأشار إلى النُّقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع، كما في روايةٍ) بعَتاقتي ثُوَيبةَ.

وأما كون حمزة أخاه من الرَّضاعة، فقد جاء ذلك نصّاً أيضاً عنه ﷺ في حديث ابن عباس عند البخاري (٢٦٤٥) ومسلم (١٤٤٧)، وفي حديث عليٍّ عند مسلم (١٤٤٦)، وفي حديث أم سلمة عنده أيضاً (١٤٤٨).

قال ابن هشام: المَراضِع؛ وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ في قصة موسى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص:١٢][١].

قال ابن إسحاق: فاستُرضِعَ له امرأةٌ من بني سَعْد بن بَكْر يقال لها: حَليمة بنت أبي ذُؤَيب[٢].

وأبو ذُؤيبٍ: عبدُ الله بن الحارث بن شِجْنة[٣] بن جابر بن رِزَام بن ناصرة بن قُصَيّة[٤] بن نَصْر بن سَعْد بن بَكْر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن

---

(١) قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ١٦٣: الذي قاله ابن هشام ظاهر؛ لأن المَراضع جمع مُرضِع، والرُّضَعاء جمع رَضِيع، ولكن لرواية ابن إسحاق مَخرَج من وجهين، أحدهما: حذف المضاف، كأنه قال: ذوات الرُّضَعاء، والثاني: أن يكون أراد بالرُّضَعاءِ الأطفالَ على حقيقة اللفظ، لأنهم إذا وَجَدوا له مرضعةً تُرضِعه، فقد وجدوا له رضيعاً يَرضَعُ معه، فلا يَبعُد أن يقال: التَمَسوا له رضيعاً، عِلماً بأن الرضيع لا بدَّ له من مُرضِع.

ثم قال: وأما دفعُ قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادَهم إلى المراضع، فقد يكون ذلك لوجوه، أحدها: تفريغ النساء إلى الأزواج... وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفلُ في الأعراب، فيكون أفصح للسانه، وأجلَدَ لجسمه، وأجدرَ أن لا يفارق الهيئة المَعَدِّيّة (يعني مَعَدّ بن عدنان، وقد كان مشهوراً بينهم بالشدّة والخشونة)... فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرُّضعاءِ إلى المَراضع الأعرابيّات.

(٢) اختلف الباحثون المعاصرون في موضع ديار بني سعد بن بكر حيث استُرضع النبي ﷺ، هل هي المعروفة الآن جنوب شرق الطائف، أم كانت شرق مكة، والراجح ـ والله أعلم ـ أن ديارهم كانت شرق مكة، فمن المستبعَد أن تأتي المراضع من مكان بعيد كجنوب الطائف إلى مكة متجاوزاتٍ الطائفَ مع شهرتها وتنافس رجالها مع رجال مكة في الغنى والجاه.

(٣) في نسخة (ص) إشارة إلى تثليث الشين، أي: بالفتح والكسر والضم، ولم يذكر ابن ماكولا في «الإكمال» ٥/ ٤٦ سوى الكسر. والشّجنة: عروق الشجر المشتبكة.

(٤) كذا وقع في نسخ «السيرة» بالقاف، وأشار السهيليُّ والخُشنيُّ إلى أنه يقال فيه: فُصَيّة، =

قيس بن عَيْلان.

واسم أبيه الذي أرضَعَه ﷺ: الحارثُ بن عبد العُزَّى بن رِفَاعة بن مَلّان بن ناصرة ابن قُصيّة بن نَصْر بن سعد بن بكر بن هَوَازن.

قال ابن هشام: ويقال: هِلال بن ناصرة.

قال ابن إسحاق: وإخوتُه من الرَّضَاعة: عبد الله بن الحارث، وأُنيسة بنت الحارث، وخِذَامة بنت الحارث، وهي الشَّيماءُ، غَلَبَ ذلك على اسمها فلا تُعرَفُ في قومها إلا به، وهم لحَليمةَ بنت أبي ذُؤَيبٍ عبدِ الله بن الحارث، أمِّ رسول الله ﷺ.

ويَذكُرون أن الشَّيماء كانت تَحضُنه مع أمِّه إذ كان عندهم.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني جَهْمُ بن أبي جَهْم مولى الحارث بن حاطبٍ الجُمَحيّ عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ـ أو عمَّن حدَّثه عنه ـ قال: كانت حَليمةُ بنت أبي ذُؤَيبٍ السَّعديّةُ أمُّ رسول الله ﷺ التي أرضَعَتْه تُحدِّث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابنٍ لها صغيرٍ تُرضِعه في نسوةٍ من بني سعد بن بكر يَلتمِسنَ الرُّضَعاءَ، قالت: وفي سَنَةٍ شَهباءَ[1] لم تُبقِ شيئاً. قالت: فخرجتُ على أتَانٍ لي قَمْراءَ، معنا شارفٌ لنا، واللهِ ما تَبِضُّ بقَطْرة[2]، وما ننام ليلَنا أجمعَ مع صبيِّنا الذي معي من بكائه من الجوع، ما في ثدييّ ما يُغنِيهِ، وما في شارِفِنا ما يُغدّيه ـ قال ابن هشام: ويقال: يُغذّيهِ[3] ـ

= بالفاء تصغير فَصاةٍ: وهي النَّواة من التمر.

(١) السنة الشهباء: ذات قَحْط وجَدْب، والشهباء: الأرض البيضاء التي لا خضرة فيها لقلّة المطر.

(٢) الأتان: أنثى الحمار. والقمراء: التي في لونها بياض. والشارف: الناقة المُسنّة. وما تبضّ، أي: ما تسيل وما تقطر بشيء من اللبن.

(٣) يعني بالذال المنقوطة من الغِذاء، قال السهيليّ: وهو أتمُّ في المعنى من الاقتصار على =

ولكنّا كنّا نرجو الغيثَ والفَرَجَ، فخرجتُ على أتاني تلك، فلقد أَدَمتُ بالرَّكْب حتى شقَّ ذلك عليهم ضَعفاً وعَجَفاً[1].

حتى قَدِمْنا مكةَ نلتمسُ الرُّضعاءَ، فما منَّا امرأةٌ إلا وقد عُرِضَ عليها رسولُ الله ﷺ، فتَأْباه إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنّا إنما كنّا نرجو المعروفَ من أَبي الصبيِّ، فكنّا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنعَ أمُّه وجدُّه؟! فكنّا نكرهُه لذلك، فما بَقِيَت امرأةٌ قدمت معي إلا أَخَذَت رضيعاً غيري، فلما أجمَعْنا الانطلاقَ قلت لصاحبي: واللهِ إني لأكرَهُ أن أرجِعَ من بين صواحبي ولم آخذْ رضيعاً، واللهِ لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخُذنَّه، قال: لا عليكِ أن تفعلي، عسى اللهُ أن يجعلَ لنا فيه بركةً. قالت: فذهبتُ إليه فأخذتُه، وما حَمَلَني على أخذه إلا أني لم أَجِدْ غيرَه.

قالت: فلما أخذتُه رجعتُ به إلى رَحْلي، فلمّا وضعتُه في حَجْري أقبل عليه ثَدْيايَ بما شاء من لبنٍ، فشَرِبَ حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيا، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبلَ ذلك، وقام زوجي إلى شارِفِنا تلك فإذا بها حافلٌ[2]، فحَلَبَ منها ما شَرِب، وشربتُ معه حتى انتَهَينا رِيّاً وشِبَعاً، فبِتْنا بخيرِ ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبَحْنا: تَعلَّمي[3] واللهِ يا حليمةُ، لقد أخذتِ نَسَمةً[4] مباركةً، قالت: قلت:

= ذكر الغَداء دون العَشاء.

(١) قولها: أَدَمتُ بالرَّكب، أي: أطلت عليهم المسافة لتمهُّلهم عليها، مأخوذ من الشيء الدائم. والعَجَف: الهُزال.

(٢) هكذا في (ت) و(ش١)، وفي (ص) و(ق١) و(م): فإذا إنها لحافل، وكانت كذلك في (ي) ثم صُحّحت كما في (ت). والحافل: الممتلئة الضَّرْع من اللبن.

(٣) معناه: اعلمي.

(٤) النَّسَمة: النّفْس.

واللهِ إني لأرجو ذلك.

قالت: ثم خرجنا ورَكِبتُ أَتاني وحَمَلتُه عليها معي، فواللهِ لقطعتُ بالرَّكْب ما يَقدِرُ عليَّ شيء من حُمُرهم، حتى إنَّ صواحبي ليقلنَ لي: يا ابنةَ أبي ذُؤيب، وَيحَكِ! ارْبَعي علينا[١]، أليست هذه أتانُك التي كنتِ خرجتِ عليها؟ فأقول لهنّ: بلى واللهِ، إنها لهيَ هيَ، فيقلن: والله إن لها لَشأناً.

قالت: ثم قَدِمْنا منازلَنا من بلاد بني سَعْدٍ وما أعلمُ أرضاً من أرضِ الله أجدبَ منها، فكانت غنمي تَرُوحُ عليَّ حين قَدِمْنا به معنا شِباعاً لُبَّناً[٢]، فنَحلُبُ ونَشرَبُ وما يَحلُبُ إنسانٌ قطرةَ لبنٍ ولا يَجِدُها في ضَرْع، حتّى كان الحاضرُ[٣] من قومنا يقولون لرُعيانِهم: وَيلَكم، اسرَحُوا حيث يَسرَحُ راعي بنت أبي ذُؤيب، فتَرُوحُ أغنامُهم جِياعاً ما تَبِضُّ بقطرةِ لبن، وتَرُوحُ غنمي شِباعاً لُبَّناً، فلم نَزَلْ نتعرَّفُ من الله الزيادةَ والخِيَرةَ حتى مضت سَنَتاه وفَصَلتُه[٤].

وكان يَشِبُّ شَباباً لا تَشِبُّه الغِلمانُ، فلم يَبلُغْ سنتَيهِ حتى كان غلاماً جَفْراً[٥].

قالت: فقَدِمْنا به على أُمّه ونحن أحرصُ شيءٍ على مُكْثِه فينا، لِمَا كنّا نرى من بركتِه، وكلَّمْنا أمَّه وقلت لها: لو تركتِ بُنَيِّي عندي حتى يَغلُظَ، فإني أخشى عليه وَباءَ مكّة، قالت: فلم نَزَلْ بها حتى ردَّته معنا.

---

(١) قولهن: اربَعِي علينا، أي: أَقيمي وانتظري، يقال: رَبَعَ فلانٌ على فلان، إذا أقام عليه وانتظره.

(٢) اللُّبَّن: الغزيرات اللَّبن.

(٣) الحاضر: القوم النزول على ماءٍ يقيمون به ولا يرحلون عنه.

(٤) أي: فطمتُه.

(٥) الجَفْر: الغليظ الشديد.

قالت: فرَجَعْنا به، فواللهِ إنه بعد مَقدَمِنا به بأشهرٍ مع أخيه لفي بَهْمٍ لنا[1] خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتدُّ، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشيُّ قد أخذه رجلانِ عليهما ثيابٌ بِيضٌ، فأضجَعَاه فشقَّا بطنه، فهما يَسُوطانِه[2]. قالت: فخرجتُ أنا وأبوه نحوَه، فوَجَدْناه قائماً مُنتقَعاً وجهُه[3]، قالت: فالتزمتُه والتزَمَه أبوه، فقلنا: ما لك يا بنيَّ، قال: جاءني رجلانِ عليهما ثيابٌ بِيضٌ، فأضجَعَاني فشَقَّا بطني، فالتَمَسا فيه شيئاً لا أدري ما هو. قالت: فرَجَعْنا به إلى خِبائنا[4].

قالت: وقال لي أبوه: يا حليمةُ، لقد خَشِيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أُصيب، فألحِقيهِ بأهله قبل أن يَظهَرَ ذلك به.

قالت: فاحتَمَلْناه فقَدِمْنا به على أمِّه، فقالت: ما أقدَمَكِ به يا ظِئرُ[5] وقد كنتِ حريصةً عليه وعلى مُكثِه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلَّغ اللهُ بابني وقضيتُ الذي عليَّ، وتخوَّفتُ الأحداثَ عليه، فأدَّيتُه عليكِ كما تُحبِّين، قالت: ما هذا شأنُكِ، فاصدُقِيني خبرك. قالت: فلم تَدَعْني حتى أخبرتُها، قالت: أفتخَوَّفتِ عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كلّا واللهِ ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لِبُنَيَّ لشأناً، أفلا أخبِرُكِ خبرَه؟ قالت: قلت: بلى، قالت: رأيتُ حين حَمَلتُ به أنه خرج منّي نورٌ أضاءَ لي قصورَ بُصرَى من أرض الشام، ثم حَمَلتُ به، فواللهِ ما رأيت من حملٍ قطُّ كان أخفَّ عليَّ ولا أيسرَ منه، ووقع حين ولدتُه وإنه لواضعٌ يديه بالأرض، رافعٌ

(١) البَهْم: الصِّغار من الغنم، واحدتها: بَهْمة.
(٢) يقال: سُطْتُ اللبنَ أو الدمَ أو غيرهما أَسُوطُه، إذا ضربتَ بعضَه ببعض.
(٣) أي: متغيِّراً وجهُه، يقال: انتُقِعَ وجهُ الرجل، إذا تغيَّر لونه، ويقال: امتُقِع، بالميم أيضاً.
(٤) في (ت): خيامنا. والخِباء: الخيمة.
(٥) الظِّئر: المرأة التي تُرضِع ولد غيرها.

رأسَه إلى السماء، دَعِيهِ عنكِ وانطَلِقي راشدةً[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني ثَوْر بن يزيد، عن بعض أهل العِلم - ولا أحسبُه إلا عن خالد بن مَعْدانَ الكَلَاعيّ -: أنّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله، أخبِرْنا عن نفسك؟ قال: «نعم، أنا دَعوةُ أَبي إبراهيمَ، وبُشْرى عيسى، ورأَت أمِّي حين حَمَلَت بي أنّه خَرَجَ منها نورٌ أضاءَ لها قصورَ الشام.

واستُرضِعتُ في بني سعدِ بنِ بَكْرٍ، فبَيْنا أنا مع أخٍ لي خلفَ بُيوتِنا نَرعَى بَهْماً لنا، إذ أتاني رجلانِ عليهما ثيابٌ بِيضٌ بطَسْتٍ من ذهبٍ مملوءةٍ ثلجاً، فأخذاني فشَقَّا بطني، ثم استَخرَجا قلبي فشَقَّاه فاستَخرَجا منه عَلَقةً سوداءَ فطَرَحاها، ثمّ غَسَلا قلبي وبطني بذلك الثّلجِ حتّى أنقَيَاهُ، قال: ثم قال أحدُهما لصاحبِه: زِنْهُ بعَشَرةٍ من

---

(١) إسناده ضعيف لانقطاعه المحتمَل بين جهمٍ وعبد الله بن جعفر وبين عبد الله وحليمة السعديّة، وجهمٌ قد انفرد بخبر حليمة هذا ولم يتابع عليه، وهو مجهول الحال، وقال الذهبيّ في «الميزان»: لا يُعرَف، وأدخله في كتابه «ديوان الضعفاء»، وقال الحسينيّ في «الإكمال»: مجهول. وانفرد ابن حبان فذكره في «ثقاته» على عادته في إدخال جماعة كثيرة من المجاهيل في جملة الثقات.

وأخرجه ابن راهويه في «مسنده» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٤٢٠٥) و(٤٢٠٦)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ١٥٨-١٦٠، وأبو يعلى (٧١٦٣)، وابن حبان (٦٣٣٥)، والطبراني في «الكبير» ٢٤/ (٥٤٥)، والآجرّيُّ في «الشريعة» (٩٦٤)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٩٤)، وفي «معرفة الصحابة» (٧٥٦٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٣٢-١٣٩، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣/ ٨٨-٩١ و٩١-٩٤، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٦/ ٦٨ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وفي بعض هذه الطرق عن عبد الله بن جعفر قال: حدَّثتني حليمة، وفي بعضها: حُدّثت عن حليمة، وهو الصواب، إذ من المستبعَد إدراك ابن جعفرٍ لحليمة وسماعه منها مع صغر سنّه وبُعد ديارها.

أُمَّتِه، فوَزَنَني بعشرةٍ فوَزَنتُهم، ثم قال: زِنْهُ بمئةٍ من أُمّتِه، فوَزَنَني بهم فوَزَنتُهم، ثم قال: زِنْهُ بألفٍ من أمّتِه، فوَزَنَني بهم فوَزَنتُهم، فقال: دَعْهُ عنك، فلو وَزَنتَه بأُمّتِه لوَزَنَها»[1].

(١) صحيح لغيره، وهذا إسناد ليّن من أجل إرساله، فخالد بن معدان من التابعين، لكن روي هذا الحديث عنه موصولاً كما سيأتي لاحقاً.

وهو بطوله في «السيرة» لابن إسحاق برواية يونس بن بكير ص٥١، ومن طريق يونس أخرجه مختصراً بأوّله الحاكم (٤٢١٩)، وعنه البيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٣-٨٤. وقد جوّد ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٤١٣ هذا الإسناد وقوّاه ولم يشر إلى إرساله.

ورواه عن ابن إسحاق أيضاً بطوله سلمةُ بن الفضل الأبرش عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ١٦٥.

ووصله بقيّةُ بن الوليد فيما أخرجه الدارمي (١٣)، وأحمد (١٧٦٤٨)، والحاكم (٤٢٧٦) وغيرهم من طريقه عن بَحِير بن سعد، عن خالد بن مَعْدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السُّلميّ، عن عُتبة بن عبدٍ السُّلميّ رضي الله عنه: أن رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ فقال: كيف كان أولُ شأنك يا رسول الله؟... فذكر نحوه بطوله. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد.

ويشهد لأوله دون قصة استرضاعه في بني سعدٍ حديث العِرْباض بن ساريَة عند أحمد (١٧١٥٠) و(١٧١٦٣)، والحاكم (٤٢٢٠)، وإسناده أيضاً حسن في المتابعات والشواهد.

وحديث أبي أمامة الباهليّ عند أحمد (٢٢٢٦١)، وإسناده كذلك حسن في المتابعات والشواهد.

وفي الباب أيضاً غيرُ ما مرسلٍ رواها ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٨٢ و٨٣.

ويشهد لقصة شقّ صدره ﷺ وهو عند ظِئره حليمةَ حديثُ أنس بن مالك عند أحمد (١٢٢٢١)، ومسلم (١٦٢)(٢٦١)، وابن حبّان (٦٣٣٤) وغيرهم. وقال ابن حبّان بإثره: شُقَّ صدر النبيّ ﷺ وهو صبيّ يلعب مع الصبيان وأُخرج منه العَلَقة، ولمّا أراد الله جلَّ وعلا الإسراءَ به، أَمر جبريل بشقِّ صدره ثانياً، وأخرج قلبَه فغَسَلَه ثم أعاده مكانه؛ مرَّتين في موضعين، وهما غير متضادَّينِ. قلنا: يشير في شقّ الصدر في قصة الإسراء إلى حديث أنس عن أبي ذرٍّ الغِفاريّ عند البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٢)(٢٦٠) و(٢٦٢). فهاتان الحادثتان صحيحتان بلا ريبٍ.

وثمّةَ حادثة ثالثة رُوِيَت في شقّ الصدر في أول مَبعَثه ﷺ فيما أخرجه الطيالسي في «مسنده» (١٦٤٣) وأبو نعيم في «الدلائل» (١٦٣) من حديث عائشة، وإسناده ضعيف لا يصحُّ. =

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبيٍّ إلا وقد رَعَى الغنمَ» قيل: وأنت يا رسولَ الله؟ قال: «وأَنا»[1].

قال: وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابِه: «أنا أعرَبُكم، أنا قُرَشيٌّ واستُرضِعتُ في بني سعدِ بن بكرٍ»[2].

قال ابن إسحاق: وزَعَمَ الناسُ فيما يتحدَّثون ـ والله أعلم ـ: أن أمَّه السَّعديّةَ لمّا

= ويشهد لبقيّته في وزنه ﷺ بأمّته حديث أبي ذرٍّ عند الدارمي (١٤)، والبزار (٤٠٤٨)، إلا أنه وقع فيه: أن ذلك كان ببطحاء مكة، وليس ببني سعد حيث كان مستَرضَعاً! ورجاله لا بأس بهم إلا أنه منقطع.

(١) قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ١٨٢: إنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايتَه الغنمَ في بني سعد مع أخيه من الرَّضاعة، وقد ثبت في «الصحيح» أنه رعاها بمكة أيضاً على قراريطَ لأهل مكة، ذكره البخاريّ.

قلنا: أخرجه البخاري (٢٢٦٢)، وابن ماجه (٢١٤٩) من طريق سعيد بن أبي أُحيحة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما بَعَثَ الله نبيّاً إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أَرعاها على قراريطَ لأهل مكة». انتهى، والقراريط: جمع قِيراط، وهو جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في أكثر البلاد. قاله ابن الأثير في «النهاية».

(٢) حديث ضعيف، ولم يبيّن ابن إسحاق فيه إسناده.

لكن رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٩٣ عن شيخه محمد بن عمر الواقديّ، عن زكريا بن يحيى ابن يزيد السعديّ، عن أبيه، عن النبي ﷺ مرسلاً. وهذا إسناد ضعيف جداً، الواقدي متروك الحديث، وزكريا وأبوه لا يُعرَفان.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (٥٤٣٧) من حديث أبي سعيد الخُدْريّ مرفوعاً: «أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المُطَّلب، أنا أعربُ العرب، وَلَدَتني قريش، ونشأتُ في بني سعد بن بكر، فأنَّى يأتيني اللَّحنُ؟!». وإسناده تالف، فيه مبشِّر بن عبيد، متَّهم بوضع الحديث.

قوله: «أنا أعربكم» أي: أفصحكم لساناً.

قَدِمَت به مكّةَ أضَلَّها في الناس وهي مُقبِلة به نحوَ أهله، فالتمسته فلم تَجِدْه، فأتَت عبدَ المُطَّلِب فقالت له: إني قد قَدِمتُ بمحمّدٍ هذه الليلةَ، فلما كنت بأعلى مكّة أضَلَّني، فوالله ما أدري أين هو، فقام عبد المُطَّلِب عند الكعبة يدعو اللهَ أن يردَّه، فيَزعُمون أنه وَجَدَه وَرَقةُ بن نَوفَل بن أسد ورجلٌ آخرُ من قريش، فأتَيا به عبد المُطَّلِب، فقالا: هذا ابنُك وَجَدْناه بأعلى مكّة، فأخذه عبد المُطَّلِب فجعله على عُنقِه وهو يَطُوف بالكعبة يعوِّذُه ويدعو له، ثم أرسَل به إلى أمّه آمنة.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعض أهل العلم: أنَّ ممّا هاجَ أمَّه السَّعديّة على ردِّه إلى أمّه، مع ما ذَكَرَت لأمِّه مما أخبرتها عنه، أن نَفَراً من الحَبَشة نصارى رأَوه معها حين رجعت به بعد فِطامِه، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلَّبُوه، ثم قالوا لها: لنأخُذَنَّ هذا الغلام فلنذهَبَنَّ به إلى مَلِكنا وبلدنا، فإن هذا غلامٌ كائنٌ له شأنٌ نحن نعرف أمرَه، فزَعَمَ الذي حدَّثني أنها لم تَكَدْ تَنفلِتُ به منهم[1].

وفاة آمنة وحالُ رسول الله ﷺ مع جدِّه عبد المُطَّلِب بعدها

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ مع أمّه آمنةَ بنت وهبٍ وجدِّه عبد المُطَّلِب ابن هاشم في كِلاءَة[2] الله وحفظه، يُنبِتُه الله نباتاً حسناً لِمَا يريد به من كرامته، فلمّا بَلَغَ رسولُ الله ﷺ ستَّ سنين، توفِّيَت أمُّه آمنة بنت وهب.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْم: أنَّ أمّ رسول الله ﷺ آمنةَ توفِّيَت، ورسولُ الله ﷺ ابنُ ستِّ سنينَ، بالأَبْواءِ بين مكّة

(١) لا أصل لهذا الخبر، إذ لم نقف له على إسناد، ولم يذكره سوى ابن إسحاق عن أُناس مجهولين لم يسمِّهم، فهذا مما لا يصحُّ.

(٢) الكِلاءة: الحفظ والحراسة.

والمدينة[1]، كانت قد قَدِمَت به على أخواله من بني عَديٍّ بن النَّجّار تُزِيرُه إيّاهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكّة.

قال ابن هشام: أمُّ عبد المُطَّلِب بن هاشم: سَلْمى بنت عمرو النَّجّاريَّة، فهذه الخُؤولة التي ذكر ابنُ إسحاق لرسول الله ﷺ فيهم.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جدِّه عبد المُطَّلِب بن هاشم، وكان يُوضَعُ لعبد المُطَّلِب فراشٌ في ظلِّ الكعبة، فكان بَنُوه يَجلِسون حول فراشِه ذلك حتى يَخرُجَ إليه، لا يَجلِسُ عليه أحدٌ من بَنيهِ إجلالاً له، قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ جَفْرٌ[2] حتى يجلسَ عليه، فيأخذُه أعمامه ليؤخِّروه عنه، فيقول عبد المُطَّلِب إذا رأى ذلك منهم: دَعُوا ابني، فوالله إنَّ له لشأناً، ثم يُجلِسُه معه عليه ويمسح ظهرَه بيده، ويَسرُّه ما يراه يصنع.

فلمّا بلغَ رسولُ الله ﷺ ثمانيَ سنينَ هَلَكَ عبدُ المُطَّلِب بن هاشم، وذلك بعد الفيلِ بثماني سنين.

وفاة عبد المُطَّلِب وما رُثِيَ به من الشعر

قال ابن إسحاق: حدَّثني العبّاس بن عبد الله بن مَعبَد بن العبّاس[3]، عن بعض أهله: أن عبد المُطَّلِب تُوفِّي ورسول الله ﷺ ابنُ ثماني سنين.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن سعيد بن المُسيَّب: أن عبد المُطَّلِب لمّا حَضَرَته الوفاةُ وعَرَفَ أنه ميّت جَمَعَ بناتِه، وكنَّ ستَّ نِسوةٍ: صَفيّة، وبَرّة، وعاتكة،

---

(١) وهو إلى المدينة أقرب، إذ يقع في الجنوب الغربيّ منها على بعد ١٧٠كم تقريباً.

(٢) الجَفْر: الصبيُّ إذا اشتدّ عودُه وقويَ على الأكل.

(٣) العبّاس الجَدُّ هذا: هو العباس بن عبد المُطَّلب عمُّ النبيّ ﷺ، والعباس الحفيد يروي عن أبيه وأخيه إبراهيم، وكلاهما له رواية عن عبد الله بن عباس.

وأمّ حَكِيم البيضاء، وأُمَيمة، وأَروى، فقال لهنّ: ابكِينَ عليَّ حتى أسمع ما تَقُلنَ قبل أن أموت.

قال ابن هشام: ولم أرَ أحداً من أهل العلم بالشِّعر يَعرِفُ هذا الشِّعر، إلا أنه لمّا رواه عن محمّد بن سعيد بن المُسيّب كتبناه.

فقالت صَفيّةُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

أَرِقتُ لصوتِ نائحةٍ بلَيلٍ ... على رجلٍ بقارعةِ الصَّعيدِ[1]

ففاضَتْ عندَ ذٰلكُمُ دموعي ... على خدِّي كمُنحدَرِ الفَريدِ[2]

على رجلٍ كريمٍ غيرِ وَغْلٍ ... له الفضلُ المُبينُ على العبيدِ[3]

على الفيّاضِ شَيْبةَ ذي المَعَالي ... أبيكِ الخَيْرِ وارثِ كلِّ جُودِ[4]

صدوقٍ في المواطنِ غيرِ نِكْسٍ ... ولا شَخْتِ المقامِ ولا سَنيدِ[5]

طويلِ الباعِ أروَعَ شَيظَميٍّ ... مُطاعٍ في عَشيرتِه حَميدِ[6]

---

(١) الصعيد: وجه الأرض، وقارعتُه: ما ظهر منها ووَطِئَته الأقدام.

(٢) الفريد: هو الخيط المنظوم باللؤلؤ والجُمَان. والجُمَان: حبٌّ يُصاغ من الفضّة على مثال الجوهر.

(٣) الوَغْل: الفاسد. وقولها: المُبين على العَبيد، أرادت العِباد، فأوقعت العبيد موقعَه. والمُبين: الظاهر.

(٤) قولها: أبيك الخَيْر، أرادت: الخيِّر، فخفَّفت، كما يقال: هَيْن وهَيِّن.

(٥) النِّكس: الضعيف الدَّنِيء من الرجال. والشَّخت: الضئيل الحقير. والسَّنيد: الضعيف الذي يُسنِد أموره إلى غيره.

(٦) الباع: قدر مدّ اليدين، أرادت به الكرم. الأروَع: الذي يَرُوعك بجَماله. والشَّيظَميّ هنا: الطويل من الفِتيان.

رفيـعِ البيـتِ أبلَـجَ ذي فُضـولٍ وغَيثِ الناسِ في الـزمنِ الجَـرُودِ[1]

كـريمِ الجَـدِّ لـيس بـذِي وُصُـومٍ يَـرُوقُ علـى المُسـوَّدِ والمَسُـودِ[2]

عظـيمِ الحِـلْمِ مـن نَفَـرٍ كِـرامٍ خَضـارِمةٍ مَلاوِثـةٍ أُسـودِ[3]

فلـو خَلَـدَ امـرُؤٌ لقـديمِ مَجـدٍ ولكـنْ لا سـبيلَ إلـى الخُلُـودِ

لكـانَ مُخلَّـداً أُخـرى اللَّيـالي لفضلِ المجدِ والحَسَبِ التَّليدِ[4]

وقالت بَرّةُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

أعَينَـيَّ جُـودا بـدمعٍ دِرَرْ علـى طيِّـبِ الخِـيْمِ والمُعتصَـرْ[5]

علـى ماجِـدِ الجَـدِّ واري الزِّنـادْ جميـلِ المُحيّـا عظـيمِ الخَطَـرْ[6]

على شَيْبةِ الحَمدِ ذي المَكرُماتْ وذي المجـدِ والعـزِّ والمُفتخَـرْ

وذي الحِلمِ والفضلِ في النّائباتْ كثيـرِ المكـارمِ جـمِّ الفَجَـرْ[7]

---

(١) أبلج: مشهور. والزمن الجَرُود: زمن القحط، لأنه يَجرُد الأرض من النبات.

(٢) الوُصوم: العُيوب، واحدها: وَصْم. وقولها: يروق على... أي: يزيد فضلاً على أسياد الناس وعوامّهم.

(٣) الخضارمة: الأجواد الذين يَكثُر عطاؤهم. والمَلاوثة هنا: جمع مِلْواث، وهو القوي الشديد.

(٤) التليد: القديم.

(٥) بدمع دِرَر، أي: سائل. والخِيمُ: الخُلق الحسن، ويقال: الأصل. والمعتصَر: الأصل.

(٦) الماجد: الشريف صاحب المجد. والزِّناد: جمع زَنْد، وهو عود تُقدَح به النار، والواري: الذي يشعل النار بقدح الزَّند، وأرادت بقولها: واري الزناد، أنه كريم كثير الإطعام للناس. وجميل المحيّا: جميل الوجه. والخَطَر: القَدْر.

(٧) النائبات: جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان، أي: ينزل به من المُهمّات وحوادث الدهر. وجمّ: كثير. والفَجَر: العطاء الكثير.

لــه فضــلُ مجــدٍ علــى قومِــهِ ... منيــرٍ يَلُــوحُ كضَــوءِ القمَــرْ

أتَتــهُ المَنايــا فلــم تُشْــوِهِ ... بصَــرْفِ الليــالي ورَيــبِ القَــدَرْ(١)

وقالت عاتكةُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

أعَينَــيَّ جُــودا ولا تَــبخَلا ... بــدَمعِكما بعــد نــوم النِّيــامْ

أعَينَــيَّ واســحَنفِرا واســكُبا ... وشُــوبا بكاءَكمــا بالْتِــدَامْ(٢)

أعينــيَّ واســتَخرِطا واسـجُما ... علـى رجـلٍ غيـرِ نِـكْسٍ كَهَـامْ(٣)

على الجَحفَلِ الغَمْرِ في النائباتْ ... كـريمِ المَسـاعي وَفِـيِّ الـذِّمَامْ(٤)

علـى شَـيبةِ الحمـدِ واري الزِّنـادْ ... وذي مَصدَقٍ بَعدُ ثَـبْتِ المَقـامْ

وسيفٍ لَدى الحـربِ صَمْـصامةٍ ... ومُرْدي المُخاصِمِ عند الخِصامْ(٥)

وسـهلِ الخَليقـةِ طَـلْقِ اليَـدَينْ ... وَفِــيٍّ عُــدْمُلِيٍّ صَـمِيمٍ لُهَـامْ(٦)

تَـبَنَّــكَ في بــاذِخٍ بيتُــهُ ... رفيـعِ الذُّؤَابـةِ صـعبِ المَـرَامْ(٧)

---

(١) المنايا: جمع مَنيّة، وهو الموت. فلم تُشوِه، أي: لم تُصِب الشَّوَى (وهي جلدة الرأس وأطراف الإنسان)، بل أصابت المَقتَل، والمعنى: لم تُخطِئه المنايا. وصرف الليالي، أي: ما يتصرّف فيها من أمور. وريب القدر: حوادثه.

(٢) اسحنفِرا، أي: امتدّا في البكاء واجمَعا الدمع. واسكبا: أَسِيلا. وشُوبا: اخلِطا. والالتدام: ضرب الصَّدر باليدين عند الحزن والنِّياحة.

(٣) استخرِطا، أي: أَسيلا الدمع، وكذا اسجُما. والنِّكس: الضعيف. والكَهَام: الكَليل الذي يقصّر في أموره.

(٤) الجحفل: الكثير العطاء، والغَمْر كذلك. والذِّمام والذِّمّة واحدٌ: وهو العهد والضمان.

(٥) الصَّمصامة: السيف القاطع. والمُرْدي: الرجل الذي يفوز على صاحبه عند الخصام.

(٦) عُدمُليّ: شديد. وصميم: خالص. ولُهَام: شديد أيضاً.

(٧) تبنَّك، أي: تأصّل، من البُنْك: وهو الأصل. والباذخ: المُشرِف العالي. والذؤابة: مَنبِت =

وقالت أمُّ حَكيمٍ البيضاءُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

أَلَا يا عينُ جُودِي واستهِلِّي ... وبَكِّي ذا النَّدَى والمَكرُماتِ[١]

أَلَا يا عينُ وَيحَكِ أَسعِديني ... بدمعٍ من دموعٍ هاطلاتِ[٢]

وبَكِّي خيرَ من رَكِبَ المَطَايا ... أباكِ الخَيْرَ تيّارَ الفُراتِ[٣]

طويلَ الباعِ شَيبةَ ذا المَعَالي ... كريمَ الخِيْمِ محمودَ الهِبَاتِ[٤]

وَصُولاً للقَرابةِ هِبْرِزِيّاً ... وغَيثاً في السنينَ المُمحِلاتِ[٥]

ولَيثاً حين تَشتَجرُ العَوالي ... تَرُوقُ له عيونُ الناظراتِ[٦]

عَقِيلَ بني كِنانةَ والمُرجَّى ... إذا ما الدَّهرُ أَقبلَ بالهَنَاتِ[٧]

ومَفزَعَها إذا ما هاجَ هَيْجٌ ... بداهيةٍ وخَصْمَ المُعضِلاتِ[٨]

= الناصية من الرأس، تريد أنه عزيز رفيع القدر.

(١) استهلِّي، أي: أَظهري البكاء، يقال: استهلَّ الدمعُ، إذا سال وظَهَر. وذو النَّدى: صاحب السخاء والكرم.

(٢) أسعِديني، أي: أعِينيني، والإسعاد: الإعانة.

(٣) المطايا: جمع مَطيّة، وهي الناقة التي يُركَب مَطَاها، أي: ظَهْرها. والخَيْر كالخيِّر. والتيار: معظم الماء. والفرات: الماء العذب.

(٤) الباع: قدر مدّ اليدين، أرادت به الكرم. والخِيمُ: الخُلق الحسن، ويقال: الأصل.

(٥) الهِبْرزي: الحاذق في أموره.

(٦) تشتجر العوالي، أي: تختلط الرِّماح في الحرب، والعوالي: أعالي الرِّماح. وتروق له... أي: تنظر له بإعجاب.

(٧) عَقيل بني كنانة، أي: ملجؤُهم. والهَنات: جمع هَنَةٍ، وهي هنا كناية عن المصائب.

(٨) مفزعها: ملجؤها. وهاج: ثار وانتشر. والداهية: الأمر العظيم. والمعضلات: الأمور الشداد التي لا يُعلَم كيف التخلص منها.

فبكِّيـــهِ ولا تَسْـــمِيْ بحُـــزنٍ　　وأَبْكـي، مـا بَقِيـتِ، الباكيـاتِ[1]

وقالت أُمَيمةُ بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

أَلَا هَلَـــك الرّاعـــي العَشـــيرةَ ذو الفَـــقْدِ

وسـاقي الحَجِـيجِ والمُحَـامي عـن المَجـدِ[2]

ومَن يُؤلِـفُ الضيفَ الغريـبَ بيوتَهُ　　إذا مـا سـماءُ الناسِ تَبخَـلُ بالرَّعـدِ

كَسَبتَ وَلِيداً خيرَ ما يَكسِبُ الفتى　　فلم تَنفَكِكْ تـزدادُ يا شَيْبةَ الحمـدِ

أبـو الحارثِ الفَيّاضُ خلَّى مكانَهُ　　فـلا تبعَـدَنْ فكـلُّ حـيٍّ إلـى بَعْـدِ[3]

فـإنّي لَبَـاكٍ مـا بَقِيـتُ ومُوجَـعٌ[4]　　وكـان لـه أَهـلاً لِما كـان مـن وَجْـدِ

سقاكَ وليُّ الناسِ في القَبـرِ مُمطِـراً　　فسـوفَ أُبكّيـهِ وإنْ كـان في اللَّحـدِ

فقــد كــان زَيْنــاً للعَشــيرةِ كلِّهــا　　وكان حَميداً حيثُ ما كان من حَمدِ

وقالت أَروى بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها:

بَكَـت عَيْنـي وحُـقَّ لهـا البكـاءُ　　علـى سَـمحٍ سَـجِيَّتُه الحَيـاءُ[5]

علـى سـهلِ الخَليقـةِ أَبطَحـيٍّ　　كـريمِ الخِـيْمِ نِيَّتُـه[6] العَـلاءُ

---

(١) قولها: ولا تَسْمي، أرادت: ولا تسأَمي، فنقلت حركة الهمزة وحذفتها، أي: لا تَمَلِّي.

(٢) الراعي العشيرة: الحافظ لعشيرته. وذو الفقد: الذي يُفتقَد عند عدم وجوده لشدّة الحاجة إليه.

(٣) لا تَبعَدن، أي: لا تَهلِكَن، والبَعَدُ: الهلاك، وتسكين العين للضرورة الشعرية.

(٤) أَخبرت عن نفسها إخبارَ المذكَّر على معنى الشخص، أي: شخصٌ باكٍ ومُوجَع.

(٥) السَّجيّة: الطبيعة.

(٦) في (ت) ونسخة على حاشية (ص): نبتّه، وفي (ش١): همّتُه.

والأبطحيّ: منسوب إلى بطحاء مكّة، وهو الموضع السَّهل منها. والخِيم تقدم قريباً.

على الفيّاضِ شَيبةَ ذي المَعَالي أبيـكِ الخَـيْرِ لـيس لـه كِفـاءُ[1]

طويـلِ البـاعِ أملـسَ شَـيظَمِيٍّ أَغـرَّ كـأنَّ غُرّتَـه ضِـياءُ[2]

أَقَبِّ الكَشْحِ أروَعَ ذي فُضولٍ لـه المجـدُ المُقـدَّمُ والسَّـناءُ[3]

أَبـيِّ الضَّـيمِ أبلَـجَ هِـبْرِزِيٍّ[4] قَـدِيمِ المَجـدِ لـيس بـه خَفـاءُ

ومَعقِـلِ مالـكٍ وربيـعِ فِهـرٍ وفاصـلِها إذا الـتُمِسَ القَضـاءُ[5]

وكـان هـو الفتـى كَرمـاً وجُـوداً وبأسـاً حـين تنسـكبُ الـدِّماءُ

إذا هـابَ الكُمَـاةُ المـوتَ حتّـى كـأنَّ قلـوبَ أكثـرِهم هَـواءُ[6]

مضـى قُدُماً بـذي رُبَـدٍ خَشِـيبٍ عليـه حـين تُبصِـرُه البَهـاءُ[7]

قال ابن إسحاق: فزَعَمَ لي محمّدُ بن سعيد بن المُسيّب أنه أشار برأسه وقد أَصمَتَ[8]: أنْ هكذا فابكِينَني.

قال ابن هشام: المُسيّب بن حَزْن بن أبي وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عِمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقال حُذَيفة بن غانمٍ أخو بني عَدِيٍّ بن كعب بن لُؤيٍّ يبكي

(١) أي: ليس له مِثْل.

(٢) تقدم قريباً تفسير الباع والشيظمي.

(٣) الأقبّ: الضامر. والكشح: الخَصْر. والسَّناء: الرِّفعة والشرف.

(٤) الضَّيم: الذّل. وأبلج وهبرزيّ قد تقدّم تفسيرهما.

(٥) الفاصل: الذي يحكم ويفصل بين الناس في الخصومات.

(٦) الكُماة: الشُّجعان، واحدهم: كَمِيٌّ.

(٧) قولها: بذي رُبَد خشيب، تريد السَّيف، وسيفٌ ذو رُبَدٍ، أي: فيه لُمَع أو علامات تزيّنه، والخَشيب: الصَّقيل. والبهاء: حُسْن الهيئة وعِظَمها.

(٨) أي: سكت وعجز عن الكلام.

عبدَ المُطَّلِب بن هاشم، ويَذكُر فضلَه وفضلَ قُصيٍّ على قُريش، وفضلَ ولدِه من بعدِه عليهم، وذلك أنه أُخذَ بغُرْمِ أربعة آلاف درهمٍ بمكّة، فوُقِّفَ بها[1] فمَرَّ به أبو لَهبٍ عبدُ العزَّى بن عبد المُطَّلِب فافتَكَّه:

أعَينَيَّ جُودَا بالدُّموعِ على الصَّدرِ ولا تَسأَما أُسقِيتُما سَبَلَ القَطْرِ[2]

وجُودَا بدمعٍ واسفَحَا كلَّ شارِقٍ بكاءَ امرِئٍ لم يُشْوِهِ نائبُ الدَّهرِ[3]

وسُحّا وجُمّا واسجُمَا ما بَقِيتُما على ذي حياءٍ من قريشٍ وذي سِتْرِ[4]

على رجلٍ جَلْدِ القُوَى ذي حَفيظةٍ جميلِ المُحيَّا غيرِ نِكْسٍ ولا هَذْرِ[5]

على الماجدِ البُهلولِ ذي الباعِ والنَّدَى

ربيعِ لُؤَيٍّ في القُحوطِ وفي العُسْرِ[6]

---

(١) أي: أُخذ ورُبط من أجل ذلك.

وقد ذكر الزُّبير بن بكّار في «نسب قريش» ص٣٧٥ القصيدة الآتية لحُذافة بن غانم أخي حُذيفة، وذكر قصةً غيرَ هذه التي ذكرها ابن إسحاق في سبب أخذ حذافة، وهو أنه اتُّهم بقتل رجل من جُذام في زمن الحج بمكّة، فافتكّه منهم عبد المطَّلب وابنه أبو لهب، فمدحهما بهذا الشِّعر، ولعلّ هذا أوجه ـ والله أعلم ـ ففي آخر القصيدة يقول: فخارجُ إما أهلِكَنَّ فلا تَزَل... وخارجٌ هذا: هو ابنه خارجة بن حُذافة العدويّ، وهو من مُسلِمة الفتح.

(٢) السَّبَل: المطر.

(٣) كل شارق، أي: عند طلوع الشمس كلَّ يوم. ولم يُشوِه، أي: لم يُخطئه.

(٤) سُحّا: صُبّا. وجُمّا: أجمِعا وأكثِرا. واسجُما: أَسِيلا.

(٥) المحيَّا: الوجه. والنِّكس: الضعيف الدَّنِيء من الرجال. والحفيظة: الغضب مع عِزّة. والهَذْر: الكلام الكثير في غير فائدة.

(٦) الماجد: الشريف. والبُهلول: السيّد. والنُّهى: العقول، واحدتها: نُهْية. وأراد بذي الباع والنَّدى: السخاء والكرم.

عَلى خيرِ حافٍ من مَعَدٍّ وناعِلٍ ... كريمِ المَساعي طيّبِ الخِيْمِ والنَّجْرِ[1]
وخيرِهم أصلاً وفَرْعاً ومَعدِناً ... وأحظاهُمُ بالمَكرُماتِ وبالذِّكرِ
وأَوْلاهُمُ بالمجدِ والحِلمِ والنُّهى ... وبالفضلِ عند المُجحِفاتِ من الغُبْرِ[2]
على شَيبةِ الحمدِ الذي كان وجهُهُ ... يُضيءُ سوادَ الليلِ كالقمرِ البَدْرِ
وساقي الحَجيجِ ثم للخَيْرِ هاشمٍ ... وعبدِ مَنافٍ ذلك السيّدِ القَهرِ[3]
طَوَى زمزماً عند المَقامِ فأصبَحَت ... سِقايتُه فَخراً على كلِّ ذي فخرِ[4]
لِيَبكِ عليه كلُّ عانٍ بكُرْبةٍ ... وآلُ قُصيٍّ من مُقِلٍّ وذي وَفْرِ[5]
بَنُوه سَراةٌ كَهلُهم وشَبابُهم ... تَفَلَّقُ عنهم بَيضةُ الطائرِ الصَّقرِ[6]
قُصيٌّ الذي عادَى كِنانةَ كُلَّها ... ورابَطَ بيتَ الله في العُسرِ واليُسرِ[7]
فإنْ تكُ غالَتْه المَنايا وصَرْفُها ... فقد عاشَ ميمونَ النَّقيبةِ والأمرِ[8]
وأبقى رجالاً سادةً غيرَ عُزَّلٍ ... مَصاليتَ أمثالَ الرُّدَينيّةِ السُّمْرِ[9]

---

(١) الخِيمُ: الخُلق الحسن، ويقال: الأصل. والنَّجْر: الأصل كذلك.

(٢) الغُبر: السنون المُقحِطات. والمجحفات: التي تذهب بالأموال.

(٣) في (ت) و(ق١): الفِهري، نسبة إلى جدّه فِهر بن مالك بن النضر بن كِنانة. وأما القَهْر، فمعناه: القاهر، وصفه بالمصدر، كما يقال: رجلٌ عَدْلٌ، ويُروى كما في «إملاء الخُشني» ص٥٢: السيّد الغَمْر، والغَمرُ: الكثير العطاء. وأراد بالخَيْر: الخيِّر، كما يقال: هَيْن وهيِّن.

(٤) طوى زمزماً، أي: بناها وأصلحها بالحجارة.

(٥) العاني: الأسير. والكُربة: الشِّدّة.

(٦) سَرَاة: أشرافٌ خِيار.

(٧) عادَى كنانة، من العَدْو: وهو الجري، فكأنه أراد: نافَسَهم في التقدّم والجاه فسبقهم.

(٨) غالته: ذَهَبَت به وأهلكته. والنقيبة: النفس. والميمون: السعيد المحظوظ.

(٩) عُزَّل: ضِعاف لا سلاح معهم. ومصاليت: شجعان. والرُّدينيّة: رماح تُنسَب إلى رُدينة، =

أَبــو عُتْبَــةَ المُلْقِــي إلــيَّ حِبــاءَهُ ... أغــرُّ هِجَــانُ اللــونِ مــن نَفَــرٍ غُــرِّ[1]

وحَمــزةُ مثــلُ البَــدرِ يَهتَــزُّ للنَّــدَى ... نقــيُّ الثيــابِ والــذِّمامِ مــن الغَــدْرِ[2]

وعبــــدُ مَنــــافٍ ماجــــدٌ ذو حَفِيظَــــةٍ ... وَصُــولٌ لــذي القُربَــى رحــيمٌ بــذي الصِّــهرِ

كُهــولُهمُ خيــرُ الكُهــولِ ونَســلُهمْ ... كنَســلِ الملــوكِ لا تَبُــورُ ولا تَــحْرِي[3]

متــى مــا تُلاقــي مــنهمُ الــدَّهرَ ناشــئاً ... تَجِــدْه بإِجْرِيّــا أَوائلُــه يَــجْرِي[4]

هــم مَلَــؤوا البَطْحــاءَ مجــداً وعِــزّةً ... إذا استُبِقَ الخيراتُ في سالفِ العَصرِ

وفــيهم بُنــاةٌ للعُــلَا وعِمــارةٌ ... وعبــدُ مَنــافٍ جَــدُّهم جــابرُ الكَسـرِ

بإنكــاحِ عــوفٍ بِنتَــه ليُجِيرَنــا ... مــنَ أعْــدائِنا إذْ أســلَمَتْنا بنــو فِهــرِ[5]

فسِــرْنا تِهــاميَّ الــبلادِ ونَجْدَهــا ... بأمنِهِ حتّى خاضتِ العِيرُ في البحرِ[6]

= وهي امرأة في الجاهلية كانت تسوّي الرِّماح بخَطّ هَجَر، موضع باليمامة.

(١) أبو عتبة: هي كنية أبي لهب. والحِباء: العَطاء. وهِجَان اللون، أي: أبيض. والغُر: جمع أغرّ، وهو الشريف.

(٢) النَّدى: السخاء والكرم. والذِّمام: الذِّمّة، وهي العهد والضمان.

(٣) لا تبور، أي: لا تَهلِك. ولا تحري، أي: لا تَنقُص.

(٤) الناشئ: الصغير. والإجريّا: السيرة، وهي ما يجري عليه الرجل من أفعال آبائه ويتعوّده.

(٥) هكذا وقع لابن إسحاق: بنو فهر، والصواب كما في «المنمَّق في أخبار قريش» لمحمد بن حبيب البغداديّ ص٢٣٢: بنو بكر، وأراد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكانوا قد استعلَوا على قريش في مكة، فحالف عبدُ مناف بن قصيٍّ بطوناً من العرب وسُمُّوا الأحابيش، منهم من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة عوفُ بن عامر، فزوّجه عبدُ مناف ابنتَه رَيطة، ليزيدَ من شدّة الحِلْف.

(٦) تِهاميّ البلاد: ما انخفض منها، ونجدها: ما علا منها. والعِير: الإبل.

وهم حَضَروا والناسُ بادٍ فريقُهمْ ... وليس بها إلا شيوخُ بني عَمرِو[1]
بَنَوْها دِياراً جَمّةً وطَوَوْا بها ... بِئاراً تَسِحُّ الماءَ من ثَبَجٍ بَحرِ[2]
لكيْ يشربَ الحُجّاجُ منها وغيرُهم ... إذا ابتَدَرُوها صُبحَ تابعةِ النَّحرِ
ثلاثةَ أيامٍ تَظَلُّ رِكابُهم ... مُخيَّسةً[3] بين الأخاشبِ والحِجْرِ
وقِدْماً غَنِينا قبلَ ذلك حِقْبةً ... ولا نَستَقي إلا بخُمٍّ أَو الحَفْرِ[4]
هُمُ يَغفِرون الذَّنبَ يُنقَمُ دونَهُ ... ويَعفُونَ عن قولِ السَّفاهةِ والهُجْرِ[5]
وهمْ جَمَعوا حِلفَ الأحابيشِ كُلِّها ... وهمْ نَكَّلوا عنها غُواةَ بني بَكرِ[6]
فخارِجُ[7]، إمَّا أَهلِكَنَّ فلا تَزَلْ ... لهم شاكراً حتّى تُغيَّبَ في القَبرِ

(١) حضروا، أي: صاروا أهل حَضَرٍ، وهو خلاف البادية. وأراد ببني عمرٍو بني هاشم، فهاشم لقب واسمه عمرو.

(٢) في (ت): ثبجٍ يَجْري، وفي نسخة على حاشية (ص): تَجْرِ، وفي (ش١) و(ق١): ثبج البحر.

ومعنى جمّة: كثيرة. وتسحُّ: تصب. وثَبَج الشيء: معظمه وأعلاه.

(٣) في (ت): مُحيِّسة، وفي (ق١) و(ي): مُحبَّسة. وكلّها صحيحة، فمحيِّسة من الحَيس، وهو من أنواع الأطعمة، يريد أصحاب الرِّكاب، وهي الإبل، ومحبَّسة من الربط والحبس، يريد الرِّكاب، ومعنى مخيَّسة: مذلَّلة. والأخاشب: جبال مكّة، وهما جبلان، فجَمَعَهما مع ما يليهما.

(٤) خمّ والحفر: اسم بئرين.

(٥) دونه، أي: أقل منه. والهُجْر: القبيح من الكلام الفاحش.

(٦) على هامش (ي) هنا: قال ابن هشام: الأحابيش يريد بني كنانة. وصحح عليها.

والأحابيش: مَن حالف قريشاً من القبائل ودخل في عهدها وذمّتها. ونكّلوا: صرفوا وزجروا.

(٧) أراد: يا خارجةُ، فحذف حرف النداء ورخَّم. وخارجة هذا تقدم التعريف به عند أول القصيدة.

ولا تنسَ ما أَسدَى ابنُ لُبْنى فإنّهُ قدَ اسْدَى يداً محقوقةً منكَ بالشُّكرِ [1]
وأنت ابنَ لُبْنى من قُصيٍّ إذا انتَموا بحيثُ انتهى قَصْدُ الفؤادِ من الصَّدْرِ
وأنت تناولتَ العُلَا فجمعتَها إلى مَحتِدٍ للمَجدِ ذي ثَبَجٍ جَسْرِ [2]
سبقتَ وفُتَّ القومَ بَذْلاً ونائلاً وسُدْتَ وَليداً كلَّ ذي سُودَدٍ غَمْرِ [3]
وأُمُّكَ سِرٌّ من خُزاعةَ جَوهَرٌ إذا حَصَّل الأنسابَ يوماً ذَوُو الخُبْرِ
إلى سَبأِ الأبطالِ تُنمَى وتَنتَمي وأَكرِمْ بها منسوبةً في ذُرَا الزُّهْرِ [5]
أبو شَمِرٍ منهمْ وعمرُو بنُ مالكٍ وذو جَدَنٍ من قومِها وأبو الجَبْرِ [6]
وأسعدُ قادَ الناسَ عشرينَ حِجّةً يؤيَّدُ في تلكَ المواطنِ بالنصرِ [7]

قال ابن هشام: قوله: وأمُّك سِرٌّ من خُزاعة، يعني أبا لهبٍ، أمُّه لُبنى بنت هاجِرٍ الخُزاعيّ. وقوله: بإجْرِيّا أوائلِه، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال مطرودُ بن كعبٍ الخُزاعيُّ يبكي عبدَ المُطَّلِب وبني عبدِ مَنافٍ:

---

(١) أسدى: أعطى. وابن لبنى: هو أبو لهب، ولبنى أمّه.

(٢) المحتِد: الأصل. والجَسر: الماضي في أموره القويّ عليها.

(٣) السُّودد ـ بالواو ويُهمَز ـ: الشرف والسِّيادة. والغَمْر: الكثير العطاء.

(٤) سرٌّ، أي: خالصة النَّسب.

(٥) الذُّرى: الأعالي، والزُّهر: جمع الأزهَر، وهو الأبيض المُشرِق الوجه.

(٦) أبو شَمِر وعمرو وذو جَدَن وأبو الجبر وأسعد، كلُّهم ملوك اليمن، وأسعدُ كان أعظمهم. وهؤلاء من التبابعة ملوك اليمن، وإنما جعلهم مَفخراً لأبي لهبٍ، لأن أمّه خُزاعيّة من سبأ، والتبابعة كلهم من حِميَر بن سبأ، قاله السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٢١٠، لكن كون خزاعة من سبأ من اليمن ممّا فيه خلاف، وقد تقدم ص٨٤ و١٠٠ عند المصنف ذكرُ هذا.

(٧) حجّة، أي: سنة.

يـا أيُّهـا الرجـلُ المُحـوِّلُ رَحْلَـهُ ... هـلّا سـألتَ عـنَ الِ عبـدِ مَنـافِ
هَبَلَتكَ أمُّكَ لـو حَلَلتَ بـدارِهم ... ضَـمِنُوك مِن جُرْمٍ ومن إقـرافِ[1]
المُنعِمِـينَ إذا النجـومُ تغيَّـرَت ... والظـاعِنينَ لِرِحْلـةِ الإيـلافِ[2]
والمُطعِمينَ إذا الرِّيـاحُ تناوَحَـت ... حتى تَغِيبَ الشمسُ في الرَّجَّافِ[3]
إمّا هَلَكتَ أبا الفِعَالِ فما جَـرَى ... من فوقِ مِثلِك عِقدُ ذاتِ نِطافِ[4]
إلّا أَبيكَ[5] أَخي المكارمِ وحدَهُ ... والفَيضِ مُطَّلِبٍ أبي الأضيافِ

قال ابن إسحاق: فلمّا هَلَك عبدُ المُطَّلِب بن هاشمٍ، وَلِيَ زمزمَ والسِّقايةَ عليها بعده العبّاسُ بن عبد المُطَّلِب، وهو يومئذٍ من أحدثِ إخوته سِنّاً، فلم تَزَلْ إليه حتى قام الإسلام وهي بيده، فأقرَّها رسولُ الله ﷺ له على ما مضى من ولايتِه، فهي إلى آل العبّاس، بولاية العبّاس إياها، إلى هذا اليوم.

---

(١) هبلتك، أي: فقدتك. والإقراف: مقاربة الهُجنة في النسب.

وروى السهيليُّ ٢/ ٢١١ هذا الشعر: منعوكَ من جَوْر ومن إقراف، ثم شرحه فقال: أي: منعوك من أن تُنكِح بناتك أو أخواتك من لئيم، فيكون الابن مُقرفاً للُؤم أبيه وكرم أمّه، فيلحقه وَصْم من ذلك.

(٢) إذا النجوم تغيرت، يعني: استحالت عن عادتها من المطر، على مذهب العرب في النجوم. والظاعنين: الراحلين.

(٣) تناوحت: تقابلت، يقال: تناوح الجبلان، إذا تقابلا. والرَّجّاف: البحر، لأنه يَرجُف، أي: يضطرب.

(٤) قال أبو ذرٍّ الخُشنيّ في «إملائه» ص٦١: من روى: عِقْد ذات نطاف، بكسر العين، فالنِّطاف جمع نَطَفة، وهي القُرْط الذي يُعلَّق في الأذن، ومن رواه: عَقْد، بفتح العين، فالنِّطاف جمع نُطْفة من الماء، وهو القليل الصافي منه.

(٥) على حاشيتي (ص) و(م): أراد: إلا فوق أبيك.

كفالة أبي طالبٍ لرسول الله ﷺ

فكان رسول الله ﷺ بعد عبد المُطَّلِب مع عمِّه أبي طالب، وكان عبد المُطَّلِب ـ فيما يَزعُمون ـ يُوصِي به عمَّه أبا طالب، وذلك لأنّ عبد الله ـ أبا رسول الله ﷺ ـ وأبا طالبٍ أَخَوان لأبٍ وأمٍّ، أمُّهما فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذٌ ابنُ عِمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: فكان أبو طالب هو الذي يَلِي أمرَ رسول الله ﷺ بعد جدِّه، فكان إليه ومعه.

قال ابن إسحاق: حدَّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، أن أباه[1] حدَّثه: أن رجلاً من لِهْبٍ ـ قال ابن هشام: لِهبٌ من أزدِ شَنُوءة ـ كان عائفاً[2]، فكان إذا قَدِمَ مكّة أتاه رجالٌ من قريش بغِلْمانهم يَنظُرُ إليهم ويَعتافُ لهم فيهم. قال: فأَتى به أبو طالبٍ وهو غلام مع من يأتيه، فنَظَر إلى رسول الله ﷺ، ثمّ شَغَلَه عنه شيءٌ، فلما فَرَغَ قال: الغلامُ عليَّ به، فلما رأى أبو طالب حِرصَه عليه غيَّبَه عنه، فجعل يقول: وَيلَكم، رُدُّوا عليَّ الغلامَ الذي رأيت آنفاً، فواللهِ ليكونَنَّ له شأن. قال: وانطَلَق به أبو طالب.

قال ابن إسحاق: ثم إنّ أبا طالب خرج في رَكْبٍ تاجراً إلى الشام، فلمّا تَهيَّأ للرَّحيل

---

(١) يحيى وأبوه تابعيّان ثقتان، فالخبر مرسلٌ.

(٢) العائف: هو الذي يَزجُر الطير، أي: يرميها بحصاة فتطير، فيتكهّن عند ذلك من أحوال طيرانها يمنةً أو يسرةً وأين تسقط، وكان أشهر العرب بالعِيافة في الجاهليّة بنو لِهب، قبيلة من اليمن.

وأجمَعَ المَسِيرَ ضَبَّ به[1] رسولُ الله ﷺ ـ فيما يَزعُمون ـ فرَقَّ له أبو طالب وقال: واللهِ لأخرُجنَّ به معي، ولا يُفارِقُني ولا أفارِقُه أبداً ـ أو كما قال ـ فخرج به معه، فلمّا نزل الرَّكْبُ بُصرَى[2] من أرضِ الشام، وبها راهبٌ يقال له: بَحِيرا في صَومَعةٍ له، وكان إليه عِلمُ أهل النَّصرانيّة[3]، ولم يَزَلْ في تلك الصَّومعة منذُ قَطُّ[4] راهبٌ، إليه يصيرُ عِلمُهم عن كتابٍ فيها[5] ـ فيما يَزعُمون ـ يَتوارثُونه كابراً عن كابرٍ.

فلما نزلوا ذلك العامَ ببَحِيرا، وكانوا كثيراً ما يَمرُّون به قبل ذلك فلا يُكلّمُهم ولا يَعرِضُ لهم حتّى كان ذلك العامُ، فلمّا نزلوا به قريباً من صومعتِه، صَنَعَ لهم طعاماً كثيراً، وذلك فيما يَزعُمون عن شيءٍ رآه وهو في صومعته، يَزعُمون أنه رأى رسولَ الله ﷺ ـ وهو في صومعته ـ في الرَّكْب حين أَقبَلوا، وغَمامةٌ تُظِلُّه من بين القوم، ثم أَقبَلوا فنَزَلُوا في ظلِّ شجرةٍ قريباً منه، فنَظَرَ إلى الغَمَامةِ حين أظلَّت الشجرةَ، وتَهصَّرت أغصانُ الشجرة[6] على رسول الله ﷺ حتى استظلَّ تحتَها، فلما

(١) هكذا في (ش١) و(ص) و(ق١) و(م) بالضاد، ومعناه: تعلّق به وامتسك، وفي (ت) و(غ) و(ي): صبَّ، بالمهملة، ومعناه: مال إليه ورقَّ قلبه إليه. وذكر السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ٢٢١ أنه عند بعض رواة «السيرة»: ضَبِثَ به، أي: لَزِمَه.

(٢) الرَّكب: المسافرون.

وبُصرى تقدّم التعريف بها عند ولادة النبي ﷺ ورؤيا أمه آمنة عندما حملت به ص١٧١.

(٣) كذا وقع لابن إسحاق أنه نصراني، وذكر الزهريُّ ـ كما في رواية معمر عنه في «مصنف عبد الرزاق» (٩٧١٨) ـ أنه كان حَبْراً من أحبار يهود بتيماءَ ولم يسمِّه، وأنه أمر عمَّه بالرجوع به، فرجع به من تيماء. وذكر قصّته مختصرة ليس فيها شيء من هذه الآيات المذكورة.

(٤) القَطُّ: الدهر أو الزمن الماضي.

(٥) لفظ «فيها» من (ت) و(ش١) و(غ) دون البقية النسخ، والضمير فيه يعود إلى الصومعة.

(٦) أي: مالت وتدلَّت، تقول: هَصَرتُ الغصنَ، إذا جذبتَه إليك حتى يميل.

رأى ذلك بَحِيرا نَزَلَ من صومعته، وقد أَمر بذلك الطعامِ فصُنِعَ، ثم أَرسل إليهم فقال: إني قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشرَ قريش، فأنا أحبُّ أن تَحضُروا كلُّكم، صغيرُكم وكبيرُكم، وعبدُكم وحُرُّكم، فقال له رجل منهم: واللهِ يا بَحِيرا إنَّ لك لشأناً اليومَ، ما كنتَ تَصنَعُ هذا بنا، وقد كنَّا نَمرُّ بك كثيراً، فما شأنُك اليومَ؟ قال له بَحِيرا: صدقتَ، قد كان ما تقول، ولكنّكم ضَيفٌ، وقد أحببتُ أن أُكرِمَكم وأصنعَ لكم طعاماً فتأكلوا منه كلُّكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلَّف رسولُ الله ﷺ من بين القوم لحَدَاثةِ سِنِّه في رِحَال القوم تحت الشَّجرة، فلمّا نَظَرَ بَحِيرا في القوم لم يرَ الصِّفةَ التي يَعرِفُ ويَجِدُ عنده، فقال: يا معشرَ قريش، لا يَتخلَّفنَّ أحدٌ منكم عن طعامي، قالوا له: يا بَحِيرا، ما تَخلَّف عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيَك إلا غلام، وهو أحدَثُ القوم سنّاً، فتخلَّف في رِحَالهم، فقال: لا تفعلوا، ادْعُوه فليَحضُرْ هذا الطعامَ معكم، قال: فقال رجلٌ من قريشٍ مع القوم: واللَّاتِ والعُزَّى، إن كان للُؤْماً بنا أن يَتخلَّف ابنُ عبد الله بن عبد المُطَّلِب عن طعامٍ من بيننا، ثم قام إليه فاحتَضَنَه[1] وأجلَسَه مع القوم.

فلمّا رآه بَحِيرا جعل يَلحَظُه لَحْظاً شديداً ويَنظُرُ إلى أشياءَ من جسده، قد كان يَجِدُها عنده من صِفَتِه، حتى إذا فَرَغَ القومُ من طعامهم وتفرَّقوا، قام إليه بَحِيرا، فقال له: يا غلامُ، أسألُك بحقِّ اللّاتِ والعُزَّى إلّا ما أخبرتَني عمّا أسألُك عنه. وإنما قال له بَحِيرا ذلك، لأنه سمع قومَه يَحلِفُون بهما، فزَعَمُوا أنَّ رسول الله ﷺ قال له: لا تسألْني باللّاتِ والعُزَّى شيئاً، فو اللهِ ما أبغَضتُ شيئاً قطُّ بُغْضَهما، فقال له بَحِيرا: فباللهِ إلّا ما أخبرتَني عمّا أسألُك عنه، فقال له: سَلْني عمّا بَدَا لك. فجعل

---

(١) أي: أخذه مع حِضْنه، أي: مع جنبه.

يسألُه عن أشياءَ من حالِه من نومِه وهيئتِه وأمورِه، فجعل رسولُ الله ﷺ يخبره، فيوافقُ ذلك ما عند بَحِيرا من صفتِه، ثم نَظَرَ إلى ظَهرِه فرأَى خاتمَ النبوَّة بين كَتِفَيه على موضعه من صفتِه التي عنده.

قال ابن هشام: وكان مثلَ أَثرِ المِحجَم[1].

قال ابن إسحاق: فلمّا فَرَغَ، أقبَلَ على عمِّه أبي طالب، فقال: ما هذا الغلامُ منك؟ قال: ابني، قال له بَحِيرا: ما هو بابنِك، وما يَنبَغي لهذا الغلامِ أن يكون أبوه حيّاً، قال: فإنه ابنُ أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمُّه حُبْلى به، قال: صدقتَ، ارجِعْ بابن أخيك إلى بلده، واحذَرْ عليه يهودَ، فواللهِ لَئِن رأَوْه وعَرَفوا منه ما عَرَفتُ لَيَبْغُنَّه شرّاً، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم، فأَسرِعْ به إلى بلاده. فخرج به عمُّه أبو طالب سريعاً حتى أقدَمَه مكّةَ حين فَرَغَ من تجارتِه بالشام[2].

---

(١) المِحجَم: اسم للآلة التي يُحجَم بها. وأراد بهذا الوصف لخاتم النبوّة أنه ناتئٌ، وقد صحَّ في وصف هذا الخاتم حديث السائب بن يزيد الكِنديّ عند البخاري (١٩٠) ومسلم (٢٣٤٥): أنه كان بين كتفيه ﷺ مثلُ زرّ الحَجَلة؛ أي: بَيض الحجلة، وهو طائر، ومثله حديث جابر بن سَمُرة عند مسلم (٢٣٤٤) وقال فيه: كأنه بيضة حمام. وزاد في حديث عبد الله بن سَرجِس عند مسلم (٢٣٤٦): أنه كان على هذا الخاتم خِيلانٌ كهيئة الثآليل؛ والخِيلان: جمع خالٍ، وهو الشامَة.

(٢) قصة بحيرا هذه في «سيرة ابن إسحاق» براوية يونس بن بكير عنه أيضاً ص٧٣-٧٥، ولم يُسنِدها ابن إسحاق فنتبيَّن حال رواتها عنده، وعدَّ الحافظ قِوام السنّة الأصبهاني في كتابه «المبعث والمغازي» ١/ ١٣٣ قصة بحيرا هذه من الغرائب.

وقد أسندها بنحو هذا السِّياق ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٢٨-١٢٩ عن شيخه محمد بن عمر الواقديّ عن ثلاثة من أتباع التابعين معضَلةً لم يبيِّنوا عمّن رَوَوها، والواقدي متروك عند جمهور أهل الحديث.

ورواها بنحو هذا مسنَدَةً الترمذي (٣٦٢٠)، والحاكم (٤٢٧٥) وغيرهما من طريق أبي نوح =

فزَعَمُوا فيما روى الناسُ: أن زُرَيراً وتَمّاماً ودَريساً، وهم نفرٌ من أهل الكتاب، قد كانوا رأَوا من رسول الله ﷺ مثلَ ما رأى بَحِيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع

= عبد الرحمن بن غَزوان ، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعريّ، عن أبيه قال: خرج أبو طالب... وذكر الخبر. وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلنا: وقد تفرّد فيه أبو نوحٍ بألفاظٍ مُنكَرة، نبَّه على نكارتها الحافظ الذهبيّ في الترجمة النبويّة من «تاريخ الإسلام» ١/ ٥٠٣ وغيره من أهل العلم، فانظر التعليق على هذا الخبر في «مستدرك الحاكم» طبعة دار الرسالة العالمية.

وأحسن ما جاء في أصل هذه القصّة مُرسَلان: أحدهما: ما رواه معمر عن الزُّهريّ عند عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧١٨): أن رسول الله ﷺ لمّا ناهَزَ الحُلُمَ (أي: قارَبه) ارتَحَل به أبو طالب تاجراً قِبَلَ الشام، فلما نزلا تَيماءَ رآه حَبْرٌ من يهود، فقال لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ فقال: هو ابن أخي، قال له: أشفيقٌ أنت عليه؟ قال: نعم، قال: فوالله لئِن قَدِمتَ به إلى الشام لا تصلُ به إلى أهلك أبداً، ليَقتُلُنَّه، إنَّ هذا عدوُّهم، فرَجَعَ أبو طالب من تيماءَ إلى مكّة.

والثاني: ما رواه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٩٩ عن خالد بن خِدَاش، عن معتمِر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي مِجلَز لاحق بن حُميد: أن عبد المُطَّلب ـ أو أبا طالب، شكَّ خالد ـ لمّا مات عبدُ الله عَطَفَ على محمد ﷺ، قال: فكان لا يسافر سفراً إلا كان معه فيه، وإنه توجه نحو الشام، فنزل منزله فأتاه فيه راهب فقال: إنّ فيكم رجلاً صالحاً، فقال: إنَّ فينا من يَقْري الضيف، ويفكّ الأسير، ويفعل المعروف، أو نحواً من هذا، ثم قال: إنّ فيكم رجلاً صالحاً، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال: فقال: ها أنَذا وليُّه ـ أو قيل: هذا وليُّه ـ قال: احتفِظْ بهذا الغلام ولا تذهبْ به إلى الشام، إن اليهود حُسد، وإني أخشاهم عليه، قال: ما أنت تقول ذاك ولكنّ الله يقوله! فردَّه، قال: اللهم إني أستودعُك محمداً، ثم إنه مات.

ورجال إسناد هذين المرسَلين ثقات، إلا أنّ المرسَل أحد أقسام الضعيف عند أهل الحديث، لكن مجيء هذا الخبر من غير وجهٍ يدلّ على أن له أصلاً لكن ليس بالسَّرد الذي عند ابن إسحاق والواقديّ، والله تعالى أعلم.

عمِّه أبي طالب، فأرادُوه[1] فردَّهم عنه بَحِيرا، وذكَّرهم اللهَ وما يَجِدُون في الكتاب من ذكرِه وصفتِه، وأنهم إن أَجمَعُوا لِما أرادوا به لم يَخلُصوا إليه، ولم يَزَلْ بهم حتّى عرفوا ما قال لهم، وصدَّقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه[2].

فشَبَّ رسولُ الله ﷺ يَكلَؤُه اللهُ ويَحفَظُه ويَحُوطه من أقذارِ الجاهليّة، لِما يريد به من كرامته ورسالته، حتّى بَلَغَ أن كان رجلاً، أفضلَ قومِه مُروءةً، وأحسنَهم خُلُقاً، وأكرمَهم حَسَباً، وأحسنَهم جِواراً، وأعظمَهم حِلماً، وأصدقَهم حديثاً، وأعظمَهم أمانةً، وأبعدَهم من الفُحْش والأخلاق التي تُدنِّس الرجال، تنزُّهاً وتكرُّماً، حتى ما اسمُه في قومه إلا الأمينَ، لِما جَمَعَ الله فيه من الأمور الصالحة.

وكان رسول الله ﷺ ـ فيما ذُكِرَ لي ـ يحدِّث عمّا كان الله يحفظُه به في صِغَرِه وأمرِ جاهليّته، أنه قال: «لقد رأيتُني في غِلْمانِ قريشٍ نَنقُلُ حجارةً لبعضِ ما يَلعَبُ به الغِلمانُ، كلُّنا قد تَعرَّى وأخَذَ إزارَه فجعله على رَقَبتِه يَحمِلُ عليه الحجارةَ، فإني لأُقبِلُ معهم كذلك وأُدبِرُ، إذ لَكَمَني لاكمٌ ما أَراه لَكْمةً وَجِيعةً، ثم قال: شُدَّ عليك إزارَك، قال: فأخذتُه فشَدَدتُه عليَّ، ثم جعلتُ أحمِلُ الحجارةَ على رَقَبتي وإزاري عليَّ من بينِ أصحابي»[3].

---

(١) أي: بسوءٍ.

(٢) هذا الخبر لا يصح، فلم يسنده ابن إسحاق ولم يذكره غيره، وأورده قوام السنة في كتابه «المبعث والمغازي» ١/ ١٣٥ وعدَّه من الغرائب.

(٣) ضعيف بهذا السياق، وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٧٩ ـ ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٣٠-٣١ ـ عن أبيه إسحاق بن يسار عمّن حدّثه عن رسول الله ﷺ. وهذا ضعيف لإرساله، فإسحاق من صغار التابعين.

والذي صحَّ أن هذه القصة إنما وردت في بُنيان الكعبة كما عند البخاري (٣٦٤) و(٣٨٢٩) =

حرب الفِجَار

قال ابن هشام: فلمّا بَلَغَ رسولُ الله ﷺ أربعَ عشرةَ سنة أو خمسَ عشرةَ سنة ـ فيما حدَّثني أبو عُبيدة النَّحْوي عن أبي عمرو بن العلاءِ ـ: هاجت حربُ الفِجَار[1] بين قريشٍ ومَن معها من كِنانةَ، وبين قيسِ عَيْلانَ.

وكان الّذي هاجَها أنَّ عُرْوةَ الرَّحّالَ بن عُتْبة بن جعفر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن، أجارَ لَطِيمةً للنُّعمان بن المُنذِر[2]، فقال له البَرّاضُ بن قيس، أحدُ بني ضَمْرة بن بكر بن عبد مَناةَ بن كِنانة: أتُجِيرُها على كِنانةَ؟ قال: نعم، وعلى الخَلْق. فخرج فيها عروةُ الرَّحّال، وخرج البَرَّاضُ يَطلُب غَفْلتَه، حتى إذا كان بتَيْمَنَ ذي طَلَالٍ[3] بالعاليَةِ غَفَلَ عُرْوةُ، فوَثَبَ عليه

= ومسلم (٣٤٠) من حديث جابر بن عبد الله قال: لمّا بُنِيَت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعبّاسٌ ينقلان الحجارة، فقال عبّاسٌ للنبي ﷺ: اجعل إزارَك على رقبتك يَقِكَ من الحجارة، فخَرَّ إلى الأرض وطَمَحَت (أي: نظرت وارتفعت) عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: «إزاري إزاري»، فشَدَّ عليه إزارَه.

(١) بكسر الفاء، بمعنى: المُفاجَرة، كالقِتال والمُقاتَلة، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام، ففَجَروا فيه جميعاً، واستحلُّوا فيه من المحارم بينهم كما سيأتي، فسُمِّي الفِجارَ.

(٢) هو أحد ملوك المناذرة بالحِيرة في العراق، واللَّطيمة هنا: الإبل تحمل التجارة والطِّيب والبَزّ وأشباهها. والمراد أنّ عروة الرَّحّال هذا منع قبائل كنانة من التعرض لهذه القافلة، وكان من عادة النعمان هذا أن يبعث إلى سوق عُكَاظ في كل عام لطيمةً في جِوَار رجل شريف من أشراف العرب، يُجِيرها له حتى تُباعَ هناك ويُشتَرى له بثمنها من أَدَم الطائف (أي: جلودها) وغيره مما يحتاج إليه. انظر «العِقد الفريد» لابن عبد ربه ٦/ ١٠٣، و«الأغاني» للأصفهاني ٢٢/ ٥٧.

(٣) في (ت): ظِلال، وهو بالظاء في (ي) أيضاً إلا أن صاحب النسخة لم يقيّدها هنا ثم قيّدها بفتح أوله وتشديد اللام في الموضع التالي، وفي بقية النسخ: طَلَال، بالطاء المفتوحة وتخفيف =

البَرَّاضُ فقتله في الشَّهر الحرام، فلذلك سُمِّيَ الفِجَار.

وقال البَرّاض في ذلك:

وداهيَـةٍ تُهِـمُّ النـاسَ قَبْلـي ... شَدَدتُ لها بني بَكرٍ ضُلُوعي

هَدَمتُ بها بيوتَ بني كِلابٍ ... وأرضَعتُ المَوَاليَ بالضُّرُوعِ[1]

رَفَعتُ له بذِي طَلَّالَ[2] كفِّي ... فخَرَّ يَمِيدُ كالجِذْعِ الصَّريعِ

وقال لَبِيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلَاب:

أبلِغْ، إن عَرَضتَ، بني كِلابٍ ... وعامرَ والخُطوبُ لها مَوَالي[3]

وبلِّغْ، إن عَرَضتَ، بني نُميرٍ ... وأخوالَ القتيلِ بني هلالِ

بأنَّ الوافدَ الرَّحّالَ أَمسى ... مُقيماً عند تَيمَنَ ذي طَلَالِ[4]

= اللام، وهو الموافق لما ذكره عاتق البِلاديّ في كتابه «معجم المعالم الجغرافية» ص١٨٨، وذكر أنه ماءٌ بعالية نجدٍ، وأما السهيليّ فذهب إلى أنه مشدَّد وإنّما خفّفه لبيدٌ في شعره الآتي لضرورة الشِّعر، وذكره ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٦١ بالظاء واللّام المشدَّدة، وذكر الخلاف فيه.

وأمّا العاليَةُ، فالمراد بها هنا عالية نَجْد، وهي الجزء الغربيّ المرتفع من هضبة نجد، من جهة المدينة المنوَّرة، وأمّا تَيمَن فقال البِلادي: توجد اليوم هضبة قرب طلال تُسمَّى (تيما)، فهي ولا شكَّ تحريفٌ لتَيْمن.

(١) جمع: ضَرْع، هو في معنى قولهم: لئيمٌ راضعٌ، أي: ألحقتُ المواليَ بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع، وأظهرت فَسَالتهم (أي: رذالتهم) وهتكت بيوتَ أشراف بني كلاب وصُرحائهم.

(٢) في (ت) و(ي): ظلّال، بالظاء.

ويَميد، أي: يتمايل.

(٣) إن عرضتَ، أي: إن مررتَ بهم. وعامر: أراد بني عامر بن صعصعة. والخُطوب: جمع خَطْبٍ، وهو هنا الأمر العظيم. ومَوَالي، أي: ملازمات لهم.

(٤) في (ت): ظِلال، بالظاء مكسورة، وفي (ي) بالظاء مفتوحة.

وهذه الأبيات في أبياتٍ له فيما ذَكَرَ ابن هشام[1].

فأَتى آتٍ قريشاً فقال: إن البَرّاض قد قَتَلَ عُرْوةَ وهو في الشَّهر الحرام، بعُكَاظٍ[2]، فارتَحَلوا وهَوَازنُ لا تَشعُرُ، ثم بَلَغَهم الخبرُ فأتبَعُوهم، فأدرَكُوهم قبل أن يدخلوا الحَرَم، فاقتتلوا حتى جاءَ الليل ودخلوا الحرم، فأمسَكَت عنهم هوازنُ، ثم التَقَوا بعد هذا اليوم أياماً، والقومُ مُتسانِدون[3]، على كلِّ قَبيلٍ من قريشٍ وكنانةَ رئيس منهم، وعلى كلِّ قَبيلٍ من قيسٍ رئيس منهم.

وشَهِدَ رسول الله ﷺ بعضَ أيامهم، أخرجه أعمامُه معهم، وقال رسول الله ﷺ: «كنتُ أُنبِّلُ على أَعمامي»[4]، أي: أردُّ عليهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رَمَوهم بها.

---

(١) انظر «ديوان لبيد» جمع وتحقيق إحسان عباس ص٢٧٦، ولم يذكر له سوى هذه الأبيات الثلاثة. وفي البيت الأول عنده: فأبلِغ، بزيادة فاءٍ، وكذلك هو في «معجم البلدان» لياقوت ٤/ ٦١، وبذلك يسلم من الخَرْم الحاصل عند ابن هشام.

(٢) اسم موضع في الشمال الشرقيّ من مدينة الطائف على بعد ٣٥ كم تقريباً، وكانت تقام فيه كلَّ سنة سوقٌ من أشهر أسواق العرب في الجاهلية، لمدّة عشرين يوماً من أول شهر ذي القَعدة.

(٣) أي: تحت رايات شتَّى، ليس لهم أمير واحد يجمعهم.

(٤) ضعيف لا يصحُّ، ولم يذكر له ابن إسحاق إسناداً، وذكره بنحوه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٠٦ عن شيخه محمد بن عمر الواقديّ، ولفظه عنده: «قد حضرتُه مع عُمومتي ورَمَيتُ فيه بأسهُمٍ، وما أُحِبُّ أني لم أكن فعلتُ»، وهذا ضعيف جداً، فالواقديُّ متروك الحديث، والصواب أن هذا القول من النبي ﷺ - دون ذكر رمي الأسهم - إنما وقع منه في الإشادة بحلف الفُضول كما تقدم فيه ص١٤٤.

وروى ابن سعد عن الواقديّ أيضاً، عن الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ، عن عبد الله بن عُروة، عن حكيم بن حِزام قال: رأيت رسول الله ﷺ بالفِجَار، وقد حَضَرَه. والقول فيه كسابقه.

وروى قاسم بن ثابت في «الدلائل في غريب الحديث» ١/ ٥٣ من طريق محمد بن سلّام =

قال ابن إسحاق: هاجت حربُ الفِجَار ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرين سنة، وإنما سُمّيَ يومَ الفِجَار، بما استَحلَّ هذان الحيّانِ ـ كِنانةُ وقيسُ عَيْلان ـ فيه من المَحارِمِ بينهم.

وكان قائدَ قريشٍ وكِنانةَ حَرْبُ بن أُميّة بن عبد شمس، فكان الظَّفَرُ في أول النهار لقيسٍ على كِنانة، حتى إذا كان في وَسَطِ النهار كان الظَّفَرُ لكِنانةَ على قيس.

قال ابن هشام: وحديثُ الفِجَار أطولُ ممّا ذكرتُ، وإنما مَنَعَني من استقصائه قطعُه حديثَ سيرةِ رسول الله ﷺ.

نكاح رسول الله ﷺ خديجةَ

قال ابن هشام: فلمّا بَلَغَ رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، تزوَّج خديجةَ بنت خُوَيلِد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب، فيما حدَّثني غيرُ واحد من أهل العلم عن أبي عمرٍو المَدَنـيّ.

قال ابن إسحاق: وكانت خديجةُ بنت خُوَيلدٍ امرأةً تاجرةً ذاتَ شرفٍ ومال، تستأجر الرجال في مالها وتُضارِبُهم إياه بشيءٍ تَجعلُه لهم[1]، وكانت قريش قوماً تجّاراً، فلمّا بَلَغَها عن رسول الله ﷺ ما بَلَغَها من صدقِ حديثه، وعُظْمِ أمانته، وكرمِ أخلاقه، بَعَثَت إليه فعَرَضَت عليه أن يَخرُجَ في مال لها إلى الشام تاجراً، وتُعطيَه

= الجُمحي، عن عمر ـ ويقال: عمرو ـ بن معاذ التيميّ قال: قال النبي ﷺ: «رَميتُ يوم الفِجار بضعةَ عشرَ سهماً من قَضي». وهذا لا يصحُّ أيضاً لإعضاله وجهالة عمر بن معاذ هذا، فإنه لا يُعرف عند أهل الحديث، وله بصرٌ في الشِّعر كما ذكر ابن سلّام في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٩٨، ومعنى «من قَضي» كما قال قاسم: من صنعتي وعملي.

(١) وهذا ما يُسمَّى بالمُضارَبة: وهو أن تعطي مالاً لغيرك يتَّجر فيه فيكون له سهمٌ معلومٌ من الربح، وهي مُفاعَلة من الضَّرْب في الأرض والسَّير فيها للتّجارة.

أفضلَ ما كانت تعطي غيرَه من التجار، مع غلامٍ لها يقال له: مَيسَرة، فقَبِلَه رسولُ الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامُها مَيسَرة حتى قَدِمَ الشام.

فنَزَلَ رسولُ الله ﷺ في ظلِّ شجرة قريباً من صَومَعة راهبٍ من الرُّهبان[1]،

---

(١) وسُمِّي في رواية الواقديّ: نسطور.

وخبر هذا الراهب وقصة رؤية ميسرة إظلال الملَكين لرسول الله ﷺ، لا يصحُّ، فلم يُسنده ابن إسحاق، وأسنده الواقديُّ عند ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٣٠-١٣١ ـ ومن طريقه أبو نعيم في «الدلائل» (١١٠) ـ عن موسى بن شَيْبة، عن عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك، عن أم سعد بنت سعد، عن نفيسة بنت مُنْية قالت: لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة... وذكر هذا الخبر بطوله. وهذا إسناد ضعيف جداً، عدا أنّ فيه الواقديّ وهو متروك، فيه موسى بن شيبة ـ وهو ابن عمرو بن عبد الله بن كعب الأنصاريّ ـ وقد وصفه أحمد بنكارة الحديث، وعمّة أبيه عميرة لا يُعرَف حالها.

وذكر قصة الراهب هذه الذهبيُّ في الترجمة النبوية من «تاريخ الإسلام» ١/ ٥٠٦ وقال: هو حديث منكر.

قلنا: ولم يذكر الزُّهريُّ في سِيَره هذا الراهب وخبره، كما أنه لم يذكر اتّجار النبي ﷺ بمال خديجة إلى الشام، وإنما ذكر اتّجاره بمالها إلى سوق حُبَاشة ـ وهو سوق بتِهامةَ جنوب مكة على ستّ ليالٍ منها كما قال الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ١٧٩ ـ روى ذلك عن الزهريِّ معمرٌ عند عبد الرزاق (٩٧١٨) وابن سعد ٦/ ٥١، ويونسُ بنُ يزيدَ عند الدُّولابيّ في «الذريّة الطاهرة» (٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٦٨.

ووقع في حديث أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله عند الحاكم (٤٨٩٤): أن خديجة استأجرت رسولَ الله ﷺ سفرتين إلى جرش، كل سفرة بقَلُوص؛ أي: بناقة فتيّة. وإسناده فيه لِينٌ من أجل عنعنة أبي الزبير، فهو لم يصرِّح بسماعه له من جابر. وجرش بلدان: الأول بضمّ أوله، وهو في جهة اليمن، والثاني بفتح أوله، وهو من الشام، قال ابن القيّم في «زاد المعاد» ١/ ١٦١: إن صحَّ الحديث فإنما هو جَرَش بفتح الجيم والراء، وهو بلد بالشام.

فاطَّلَعَ الرّاهبُ إلى مَيسَرة فقال: مَن هذا الرجلُ الذي نَزَل تحت هذه الشَّجرة؟ قال له مَيسَرة: هذا رجلٌ من قريشٍ من أهل الحَرَم، قال له الرّاهب: ما نَزَل تحت هذه الشّجرة قطُّ إلا نبيٌّ.

ثم باع رسول الله ﷺ سِلعتَه التي خرج بها، واشتَرى ما أراد أن يَشتَري، ثم أقبل قافلاً إلى مكّة ومعه مَيسَرةُ، فكان ميسرة ـ فيما يَزعُمون ـ إذا كانت الهاجرةُ واشتدَّ الحرُّ، يرى مَلَكينِ يُظِلّانِه من الشمس وهو يسيرُ على بعيره، فلمّا قَدِمَ مكّةَ على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعَفَ أو قريباً، وحدَّثها مَيسَرةُ عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إظلال المَلَكينِ إيّاه.

وكانت خديجةُ امرأةً حازمة شريفة لَبيبة، معَ ما أراد اللهُ تعالى بها من كرامتِه، فلمّا أخبرها ميسرةُ بما أخبرها، بَعَثَت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له ـ فيما يَزعُمون ـ: يا ابن عمٍّ، إني قد رَغِبتُ فيك لقَرابتِك وسِطَتِكَ[1] في قومك، وأمانتِك وحُسنِ خُلُقك، وصدقِ حديثك، ثم عَرَضَت عليه نفسَها، وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ نساءِ قريش نسباً، وأعظمَهنَّ شَرفاً، وأكثرَهنَّ مالاً، كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يَقدِرُ عليه.

هي خَديجةُ بنت خُوَيلِد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأمُّها فاطمةُ بنت زائدة بن الأصَمّ بن رَوَاحة بن حَجَر بن عَبْد بن مَعِيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأمُّ فاطمةَ هالةُ بنت

(١) أي: شرفك، فالسِّطَة: من الوَسَط، مصدر كالعِدَة والزِّنَة، والوسط في ذكر النَّسب من أوصاف المدح والتفضيل.

وانظر كلام السهيليّ في ذلك في «الروض الأنف» ٢/ ٢٣٧-٢٣٨.

عبد مَنَاف بن الحارث بن عمرو بن مُنقِذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأمُّ هالةَ قِلَابةُ بنت سُعَيد بن سَعْد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمُّه حمزةُ بن عبد المُطَّلِب يرحمُه الله حتى دخل على خُوَيلِد بن أسد، فخَطَبَها إليه، فتزوَّجها[1].

(١) هكذا ذكر ابن إسحاق، وكذا الزهريُّ في سِيَره (وهو عنه أيضاً عند الحاكم: ٤٨٩٥، بسند جيّد): أن الذي زوَّجها لرسول الله ﷺ هو أبوها خويلد، أما الواقديُّ فقد قال ـ كما في «طبقات ابن سعد» ١/ ١١٠ ـ بعد أن ذكر ما قيل في ذلك: هذا كله عندنا غلطٌ ووَهَلٌ، والثَّبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أنَّ أباها خويلد بن أسد مات قبل الفِجَار، وأن عمَّها عمرو بن أسد زوَّجها رسولَ الله ﷺ. وإلى هذا ذهب المبَرّد وطائفة معه كما قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٢٣٨، وأن أبا طالبٍ هو الذي نَهَض مع رسول الله ﷺ وهو الذي خطبها عليه، وصحّح السهيليّ هذا القول.

وسيأتي في آخر هذه السيرة في ذكر أزواجه ﷺ قولٌ ثالث: أن عمرو بن خُويلد أخاها هو الذي أنكَحَها.

واختُلف أيضاً في قدر عُمر خديجة وعُمر رسول الله ﷺ حينئذٍ على أقوال، أصحُّها أنه كان عمره خمساً وعشرين سنة وعمرها أربعين سنة، قال ابن الهائم في «الغرر المضيّة» ـ كما في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» للصالحي ٢/ ١٦٦ ـ: هو الصحيح الذي عليه الجمهور، وقطع به الحافظ عبدُ الغنيّ المقدسيّ.

قلنا: ومن هذه الأقوال في قدر سنّ خديجة رضي الله عنها عندما تزوجها رسول الله ﷺ ما رواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق من قوله عند الحاكم (٤٨٩٧): أنها كان لها يوم تزوَّجها ثمانٍ وعشرون سنة.

وروي مثله عن ابن عباس فيما أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ١٨ بإسناد تالف إليه لا تقوم به حُجّة. والجمهور على خلافه كما سبق.

قال ابن هشام: وأصدَقَها رسولُ الله ﷺ عشرين بَكْرةً[1]، وكانت أولَ امرأة تزوَّجها، ولم يتزوَّج عليها غيرها حتى ماتت[2].

قال ابن إسحاق: فوَلَدَت لرسول الله ﷺ ولدَه كلَّهم إلا إبراهيم: القاسمَ، وبه كان يُكنَى ﷺ، والطاهرَ، والطيِّبَ[3]، وزينبَ، ورُقيّةَ، وأمَّ كُلثومٍ، وفاطمةَ.

قال ابن هشام: أكبر بَنِيه القاسمُ، ثمّ الطيّبُ، ثمّ الطاهرُ، وأكبر بناته رُقيّةُ، ثمّ زينبُ[4]، ثمّ أمُّ كُلثوم، ثمّ فاطمةُ.

قال ابن إسحاق: فأمّا القاسمُ والطاهرُ والطيّبُ، فهَلَكوا في الجاهليّة[5]، وأمّا بناتُه فكلُّهنّ أدركنَ[6] الإسلام، فأسلمنَ وهاجرنَ معه ﷺ.

---

(١) البَكْرة: الفَتِيّة من الإبل، والذّكر بَكْرٌ.

(٢) وكانت وفاتها قبل أن يخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين كما في حديث عروة بن الزبير عند البخاري (٣٨٩٦).

(٣) كذا قال ابن إسحاق، وذكر الزُّبير بن بكّار كما في «المعجم الكبير» للطبراني ٢٢/ (٩٨٧) أن الطاهر والطيّب ما هما إلا واحد، وهو عبد الله، وهذان لقبٌ له لأنه وُلِدَ بعد النبوّة. قال الصالحيّ في «سبل الهدى والرشاد» ١١/ ١٦: وهو قول أكثر أهل النّسب، وقال الدارقطني: وهو الأثبت، وصححه الحافظ عبد الغنيّ المقدسيّ.

(٤) الجمهور على أن أكبر بناته زينب كما ذكر الصالحيّ، وفي قول الزُّبير بن بكّار عند الطبراني ٢٢/ (٩٨٧): أن النبيّ ﷺ ولدَ القاسم وهو أكبر ولده، ثم زينب، ثم عبد الله بعد النبوّة، ومات صغيراً، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقيّة، هكذا الأوّل فالأوّل. وكذلك هو بهذا الترتيب عند مصعب الزُّبيريّ في «نسب قريش» ص٢١.

(٥) القاسم نعم، أما غيره فلا، وقد ساق السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٢٤٣ هنا حديثاً يستدرك به على ابن إسحاق، وأن القاسم تُوفّي بعد المبعث، ولا يصحُّ الاحتجاج به، وهو مخرَّج عند ابن ماجه في «سننه» (١٥١٢) من حديث الحسين بن عليٍّ، والإسناد إليه واهٍ.

(٦) في (ت) و(ص): أدرك.

قال ابن هشام: وأمّا إبراهيم فأمُّه مارِيَةُ، حدَّثنا عبدُ الله بن وَهْب عن ابن لَهِيعة قال: أمُّ إبراهيم: ماريَةُ سُرِّيَّةُ النبيّ ﷺ التي أهداها له المُقَوقِسُ من حَفْنٍ من كُورةِ أَنْصِنا[1].

قال ابن إسحاق: وقد كانت خديجةُ بنت خُوَيلد قد ذَكَرَت لوَرَقةَ بن نَوفَل بن أسد بن عبد العُزَّى ـ وكان ابنَ عمِّها، وكان نصرانيّاً قد تتبَّع الكتبَ وعَلِمَ من عِلْم الناس ـ ما ذَكَرَ لها غلامُها مَيسَرةُ من قول الراهب، وما كان يَرَى منه إذ كان المَلَكانِ يُظلّانه، فقال ورقةُ: لئن كان هذا حقّاً يا خديجةُ، إن محمّداً لنبيُّ هذه الأُمّة، قد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمّة نبيٌّ يُنتظَر، هذا زمانه؛ أو كما قال[2].

قال: فجعل ورقةُ يستبطئُ الأمرَ ويقول: حتّى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لَجِجتُ وكنتُ في الذِّكرى لَجُوجا ... لِهَمٍّ طالما بَعَثَ النَّشِيجا[3]

ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصفٍ ... فقد طالَ انتظاري يا خديجا

---

(١) أنْصِنا: مدينة من نواحي الصعيد على شرقي النيل، وحَفْن من قراها. والكُورة يراد بها الناحية أو الإقليم.

(٢) لم يُسنِد ابن إسحاق هذا الخبر في مبدئ تبشير ورقة بن نوفل بنبوّة النبيّ ﷺ، وكذلك رواه عنه يونسُ بن بكير ـ كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ١٢٧-١٢٨ ـ إلا أنه ذكر فيه عن ورقة أبياتاً غير هذه بقافية مختلفة أولها:

أتبكِّر أم أنت العشيَّةَ رائحُ ... وفي الصَّدْر من إضمارِك الحزنَ فادحُ

وهذا مما يدلّ على اضطراب هذا الخبر وعدم ضبطه.

والذي صحَّ عن ورقة بن نوفل في تبشيره بنبوّة النبيّ ﷺ، أنه كان عند مبدأ نزول الوحي عليه ﷺ في غار حِراء كما سيأتي لاحقاً في قصة مبعثه ص٢٧٠، وليس عند زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها.

(٣) النَّشيج: البكاء مع صوت.

ببَطْنِ المَكَّتينِ على رَجائي[1] حديثَكِ أن أَرى منه خُروجا
بما خَبَّرتِنا من قولِ قَسٍّ[2] منَ الرُّهبانِ أكرَهُ أن يَعُوجا
بأنَّ محمّداً سيَسُودُ يوماً[3] ويَخصِمُ من يكونُ له حَجيجا
ويُظهِرُ في البلادِ ضياءَ نورٍ يقيمُ به البَرِيّةَ أن تَمُوجا[4]
فيَلقَى مَن يحاربُهُ خَساراً ويَلقَى مَن يسالمُه فُلُوجا[5]
فيا ليتَني إذا ما كان ذاكُمْ شَهِدتُ وكنتُ أولَهمْ وُلوجا[6]
وُلوجاً في الّذي كَرِهَت قريشٌ ولو عجَّت بمكّتِها عَجيجا[7]
أُرجِّي بالّذي كَرِهوا جميعاً إلى ذي العَرشِ إن سَفُلُوا عُروجا[8]
وهلْ أمرُ السُّفَالةِ غيرُ كفرٍ بمَن يختارُ مَن سَمَكَ البُروجا[9]

---

(١) ثنَّى مكةَ وهي واحدة؛ لأن لها بِطاحاً وظواهرَ، والبِطاح والبطائح: ما انبسط من الأراضي واستوى، والظواهر: ما علا منها، على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة وجمعها ـ كما قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٢٥٢ ـ نحو قوله: وميت بغَزّاتٍ، يريد: بغزّة، وبَغَادِين في بغداد، وأما التثنية فكثيرٌ... وإنما يقصد العربُ في هذا الإشارةَ إلى جانبَي كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى.

(٢) القَسُّ: واحد القِسّيسين، وهم عُبّاد النصارى.

(٣) في (ص) و(غ) و(م): قوماً، وفي (ش١) و(ق١): فينا.

(٤) البريّة: الخَلْق. وتَمُوج، أي: يضطرب بعضها في بعض.

(٥) الفُلوج: الظهور على الخصم والعدوّ.

(٦) الوُلوج: الدخول في الشيء، يريد الدخول في دينه.

(٧) العجّ والعجيج: رفع الصوت.

(٨) العروج: الصعود والعلوّ.

(٩) سَمَكَ: رفع. والبروج: ما في السماء من أفلاك ونجوم.

فـإنْ يَبقُـوا وأبْـقَ تكـنْ أُمـورٌ   يَضِـجُّ الكـافرونَ لهـا ضَـجيجا[1]
وإنْ أهلِـكْ فكـلُّ فتًـى سـيَلقَى   مـنَ الأقـدارِ مَتْلَفَـةً خَرُوجـا[2]

حُكْم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحَجَر[3]

قال ابن إسحاق: فلمّا بَلَغ رسولُ الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة، اجتمعت قريشٌ لبُنْيان الكعبة، وكانوا يَهُمُّون بذلك ليُسقِّفوها ويهابون هدمَها، وإنما كانت رَضْماً[4] فوق القامَةِ، فأرادوا رفعَها وتسقيفَها، وذلك أنّ نفراً سرقوا كَنْزاً للكعبة، وإنما كان يكون في بئرٍ في جوف الكعبة[5]، وكان الذي وُجِدَ عنده الكَنزُ دُوَيكاً[6] مولًى لبني مُلَيح بن عمرٍو من خُزَاعة، فقَطَعَت قريشٌ يده، وتَزعُم قريش أن الذين سرقوه وَضَعُوه عند دُوَيك.

وكان البحرُ قد رَمَى بسفينةٍ إلى جُدّةَ لرجل من تجّار الرُّوم، فتحطَّمَت، فأخذوا خشبها، فأعدُّوه لتسقيفها، وكان بمكّة رجلٌ قِبطيٌّ نجّار، فتهيّأ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصلِحُها.

وكانت حيّةٌ تخرج من بئرِ الكعبة التي كانت يُطرَحُ فيها ما يُهدَى لها كلَّ يوم،

(١) يضجّ: يصيح.

(٢) متلفة: مَهلَكة. والخَرُوج: الكثيرة التصرّف.

(٣) في (غ) و(ق١) مكان هذا العنوان: حديث بنيان الكعبة.

(٤) الرَّضم: الحجارة تُجعَل بعضها على بعض من غير طينٍ يشدّها.

(٥) وذكر موسى بن عُقبة في مغازيه سبباً آخر حمل قريشاً على بنيانها مع ما حصل من سرقة بعض ما في الكعبة، وهو أن السيل كان يأتي من فوقها، من فوق الرَّدم الذي صنعوه فأخربه، فخافوا أن يدخلها الماء.

(٦) هكذا في (ش١) و(ي)، وفي سائر النسخ: دويك، بلا ألف.

فتَتَشرّقُ[1] على جدار الكعبة، وكانت ممّا يَهَابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا احزَألّت وكَشَّت[2] وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبَيْنا هي يوماً تَشَرَّقُ على جدار الكعبة، كما كانت تصنعُ، بَعَثَ اللهُ إليها طائراً فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله قد رَضِيَ ما أَرَدْنا، عندنا عاملٌ رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا اللهُ الحيّةَ.

فلمّا أَجمَعوا أمرَهم في هَدْمها وبُنيانها، قام أبو وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عَبْد ابن عِمران بن مخزوم ـ قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم ـ فتناوَل من الكعبة حَجراً، فوَثَبَ من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشرَ قريش، لا تُدخِلوا في بنائها[3] من كَسْبِكم إلا طيِّباً، لا يُدخَلُ فيها مَهرُ بَغِيٍّ[4]، ولا بيعُ رِباً، ولا مَظلِمةُ أحدٍ من النّاس. والنّاسُ يَنحَلُون هذا الكلامَ الوليدَ بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني عبد الله بن أبي نَجِيح المكّيُّ، أنه حُدِّث عن عبد الله ابن صَفْوان بن أُميّة بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤيٍّ: أنه رأى ابناً لجَعْدة بن هُبَيرة بن أبي وهب بن عمرٍو يطوفُ بالبيت، فسأَل عنه، فقيل: هذا ابنٌ لجَعْدة بن هُبيرة، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك: جَدُّ هذا ـ يعني أبا وهب ـ الّذي أَخذ حجراً من الكعبة حين اجتَمَعَت قريشٌ لهدمِها فوَثَبَ من يده حتى رجع إلى موضعِه، فقال عند ذلك: يا معشرَ قريش، لا تُدخِلوا في

(١) أي: تبرز للشمس.

(٢) احزألّت: رفعت ذنبَها. وكشَّت: خرج لها صوت، والكَشيش: صوت جلدها إذا تحرّكت.

(٣) في (ت) و(غ): بنيانها.

(٤) أي: أُجرة امرأة فاجرة.

بنائها[1] من كَسبِكم إلا طيِّباً، لا تُدخِلوا فيها مهرَ بَغيٍّ، ولا بيعَ رِباً، ولا مَظلِمةَ أحدٍ من النّاس[2].

قال ابن إسحاق: وأبو وهبٍ خالُ أَبي رسول الله ﷺ، وكان شريفاً، وله يقول شاعر من العرب:

لـو بـأَبي وهـبٍ أَنَخـتُ مَطِيَّتـي ... غَدَت من نَدَاهُ رَحْلُها غيرُ خائبِ[3]

بأبيَضَ من فَرعَيْ لؤيٍّ بـن غالـبٍ ... إذا حُصِّلَت أنسابُها في الـذَّوائبِ[4]

أَبـيٍّ لأخـذِ الضَّـيمِ يرتـاحُ للنَّـدَى ... توسَّـطَ جَـدّاه فُـروعَ الأطايـبِ[5]

عظـيمِ رمـادِ القِـدْرِ يَمْـلا جِفانَـهُ ... من الخُبزِ يَعلُوهنَّ مثلُ السَّبائبِ[6]

ثمّ إن قريشاً تجزَّأَت الكعبة، فكان شِقُّ الباب[7] لبني عبد مَناف وزُهْرة، وكان ما بين الرُّكن الأسود والرُّكن اليَمانِي لبني مخزومٍ وقبائلَ من قريشٍ انضمُّوا إليهم، وكان ظهرُ الكعبة لبني جُمَحَ وسَهْمٍ ابنَي عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، وكان شِقُّ الحِجْر لبني عبد الدّار بن قُصيّ ولبني أسد بن عبد العُزَّى بن قصيّ ولبني

---

(١) في (ت) و(م): بنيانها.

(٢) في هذه الرواية انقطاع وجهالة بين ابن أبي نجيح وعبد الله بن صفوان، وعبد الله بن صفوان رواه مرسلاً، فإنه لم يدرك زمن أبي وهب، هو صغيرٌ يقال: له رؤية للنبيّ ﷺ.

(٣) أنختُ: أبركتُ. والمَطيّة: الراحلة، وهي الناقة أو البعير. والندى: الكرم والسخاء.

(٤) الذوائب: الأعالي، وأراد به الأنساب الكريمة.

(٥) الضيم: الذُّل.

(٦) الجِفان: جمع جَفْنة، وهي وعاء كبير يوضع فيه الطعام. والسبائب: جمع سَبيبةٍ، وهى ثياب رِقاق بِيض، فشبَّه الشَّحم الذى يعلو الجفان بها.

(٧) أي: ناحية أو جهة الباب.

عَديِّ بن كعب بن لؤيّ، وهو الحَطِيم[1].

ثم إن الناس هابُوا هدمَها وفَرِقُوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤُكم في هدمِها، فأخذ المِعوَلَ[2] ثم قام عليها وهو يقول: اللهمَّ لم تُرَعْ - قال ابن هشام: ويقال: لم نَزِغْ[3] - اللهمَّ إنا لا نريدُ إلا الخير. ثم هَدَم من ناحية الرُّكنَين، فتَربَّص الناسُ تلك الليلةَ وقالوا: نَنظُر، فإن أُصيبَ لم نَهدِمْ منها شيئاً، ورَدَدْناها كما كانت، وإن لم يُصبْه شيءٌ، فقد رَضِيَ اللهُ ما صنعنا، هَدَمْنا[4].

فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله، فهَدَمَ وهَدَمَ الناسُ معه، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس، أساسِ إبراهيم عليه السلام، أفضَوْا إلى حجارة خُضْر كالأسِنَّة[5]، آخذٌ بعضُها بعضاً.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني بعضُ من يروي الحديث: أن رجلاً من قريش ممَّن

---

(١) يقال: سُمّي حَطيماً لأن الناس يزدحمون فيه حتى يَحطِمَ بعضُهم بعضاً.

(٢) فَرِقوا: خافوا. والمِعول: الفأس.

(٣) قوله: لم تُرَع، أي: لم تَفزَع، ومن قال: لم تُرَع، فإنما يعني الكعبةَ، فأضمرها لتقدُّم ذكرها، ومن قال: لم نَزِغ، فمعناه: لم نَمِلْ عن دينك ولا خرجنا عنه، يقال: زاغ عن كذا، إذا خرج عنه. قاله أبو ذرٍّ الخُشنيّ في «إملائه» ص٦٤.

(٤) في (ش١): فهدمنا، وفي (ي): من هدمِنا، وفي (ت): من هدمها. والمثبت من (ص) و(غ) و(ق١) و(م).

(٥) هكذا وقع لابن إسحاق كما قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ٢٨١، ثم قال: وهو وهمٌ من بعض النَّقَلة عن ابن إسحاق والله أعلم؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ، لا عند الواقديِّ ولا غيره، وقد ذكر البخاريُّ (١٥٨٦) في بُنيان الكعبة - يعني أيام ابن الزُّبير - عن يزيد بن رُومان قال: قد رأيت أساس إبراهيم حجارةً كأسنمة الإبل؛ وتشبيهُها بالأسنّة (رؤوس الرِّماح) لا يُشبِه إلا في الزُّرْقة، وتشبيهها بأسنمة الإبل أَولى، لعِظَمِها. انتهى بتصرّف.

كان يَهدِمُها، أدخل عَتَلَةً[1] بين حجرين منها ليَقلَعَ بها أحدَهما، فلما تحرَّكَ الحجرُ تَنقَّضَت[2] مكّةُ بأَسْرها، فانتَهَوا عن ذلك الأساس.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ: أن قريشاً وجدوا في الرُّكن كتاباً بالسُّريانيّة، فلم يدروا ما هو حتّى قرأه لهم رجلٌ من يهودَ، فإذا هو: أنا اللهُ ذو بَكّةَ[3]، خلقتُها يوم خلقتُ السماواتِ والأرض، وصوَّرتُ الشمس والقمر، وحَفَفتُها بسبعة أملاكٍ حُنفاء، لا تزولُ حتى يزولَ أَخشَبَاها ـ قال ابن هشام: أخشَبَاها: جَبَلاها[4] ـ مبارَكٌ لأهلها في الماء واللَّبَن.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ: أنهم وجدوا في المَقامِ كتاباً فيه: مكةُ اللهِ[5] الحرامُ يأتيها رزقُها من ثلاثة سُبُل، لا يُحِلُّها أَوَّلُ مِن أَهلِها[6].

قال ابن إسحاق: وزَعَمَ ليثُ بن أبي سُلَيم[7]: أنهم وجدوا حَجراً في الكعبة قبل مَبعَثِ النبيّ ﷺ بأربعين سنة ـ إن كان ما ذَكَرَ حقّاً ـ مكتوباً فيه: مَن يَزرَعْ خيراً يَحصُدْ

---

(١) هي حديدة كبيرة يُقلَع بها الشجر والحجر.

(٢) أي: اهتزَّت أو صوَّتت.

(٣) أي: صاحب بكّة، وبكّة من أسماء مكّة، يقال: سُمِّيت كذلك لأن الناس يتباكُّون فيها، أي: يزدحمون.

(٤) تفسير ابن هشام هذا في (ت) و(ق١) فقط.

(٥) في نسخة (ش١) وحدها: مكة بيت الله، بزيادة لفظِ بيت.

(٦) أي: أن أهلها هم أول من يُحِلُّون القتال فيها. والسُّبل: الطُّرق.

وهذه الأخبار التي ساقها ابن إسحاق، أخبار معضَلة عن رواة مجاهيل، الله أعلم بصحّتها.

(٧) ليثٌ هذا لخّص حاله أبو زُرْعة الرازيّ فقال: ليِّن الحديث، لا تقوم به الحُجّة عند أهل العلم بالحديث. وخبره هذا معضلٌ فلا يصحُّ.

غِبطةً، ومَن يَزرَعْ شرّاً يَحصُدْ ندامةً، تعملون السيِّئات وتُجزَونَ[1] الحسنات! أجل، كما لا يُجتَنى من الشَّوكِ العنبُ.

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ القبائل من قريشٍ جَمَعَت الحجارةَ لبنائها، كلُّ قبيلة تَجمَعُ على حِدَةٍ، ثمّ بَنَوها، حتّى بلغ البُنيانُ موضعَ الرُّكن[2] فاختصموا فيه، كلُّ قبيلة تريد أن ترفعَه إلى موضعه دونَ الأخرى، حتّى تَحاوَزُوا[3] وتَحالَفوا وأعدُّوا للقتال، فقرَّبَت بنو عبد الدّار جَفْنةً مملوءةً دماً، ثمّ تَعاقَدوا هم وبنو عَديٍّ بن كعب ابن لؤيٍّ على الموت، وأدخلوا أيديَهم في ذلك الدّم في تلك الجَفْنة، فسُمُّوا لَعَقةَ الدَّم، فمَكَثَت قريشٌ على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً، ثمّ إنَّهم اجتمعوا في المسجد وتشاوَرُوا وتناصَفُوا.

فزَعَمَ بعضُ أهل الرِّواية: أن أبا أُميَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ، وكان عامَئذٍ أسنَّ قريشٍ كلِّها، قال: يا معشرَ قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوّلَ من يَدخُل من باب هذا المسجد يَقْضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أوّلَ داخلٍ رسولُ الله ﷺ، فلمّا رأَوه قالوا: هذا الأَمينُ، رَضِينا، هذا محمّدٌ، فلمّا انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ: «هَلُمَّ إليَّ ثوباً»، فأُتِي به، فأَخذ الرُّكنَ فوَضَعَه فيه بيده، ثمّ قال: «لتأخُذْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثَّوبِ، ثمَّ ارفَعُوه جميعاً»، ففعلوا، حتّى إذا بَلَغُوا به موضعَه، وَضَعَه هو بيدِه ﷺ ثمّ بَنَى عليه[4].

(١) في (ص): وترجون، وأشار في الحاشية إلى ما في بقيّة النسخ.

(٢) يعني بالرُّكن هنا الحَجَر الأسود، وسُمّي ركناً لأنه مبنيٌّ في الرّكن.

(٣) أي: انحازت كل قبيلة إلى جهة.

(٤) حديث صحيح، وقد روى هذا الخبر عن ابن إسحاق أيضاً بلا إسنادٍ يونسُ بن بكير في «سيرة ابن إسحاق» ص١٠٨، وسلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٩٠. =

وكانت قريشٌ تسمّي رسولَ الله ﷺ قبل أن يَنزِلَ عليه الوحيُ الأَمِينَ.

فلمّا فَرَغوا من البُنيان، وبَنَوها على ما أَرادوا، قال الزُّبير بن عبد المُطَّلِب، فيما كان من أمر الحيّة التي كانت قريش تهابُ بنيانَ الكعبة لها:

عَجِبتُ لَمَا[1] تَصوَّبَتِ العُقَابُ ... إلى الثُّعبانِ وهْيَ لها اضطِرابُ

وقد كانت يكونُ لها كَشِيشٌ[2] ... وأحياناً يكونُ لها وِثابُ

إذا قمنا إلى التأسيسِ شَدَّت ... تُهيِّبُنا البناءَ وقد تُهابُ

فلمّا أنْ خَشِينا الرِّجزَ[3] جاءت ... عُقابٌ تَتلَئِبُّ لها انصِبابُ

= وروي نحوه مسنَداً من حديث مولى مجاهد بن جَبْر، وهو السائب بن أبي السائب المخزوميّ أو ابنه عبد الله بن السائب ـ وكلاهما له صُحبة، لكن الراجح في هذا الخبر أنه السائب ـ فيما أخرجه أحمد (١٥٥٠٤) والحاكم (١٧٠١) من طريق هلال بن خبّاب، حدّثنا مجاهد عن مولاه: أنه كان فيمن بنى البيت... قال: وإنَّ قريشاً اختلفوا في الحَجَر حين أرادوا أن يضعوه، حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف، فقالوا: اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب، فدخل رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا الأمين، وكانوا يسمُّونه في الجاهليّة الأمينَ، فقالوا: يا محمد، قد رضينا بك، فدعا بثوب فبسطه ووضع الحجر فيه، ثم قال لهذا البطن ولهذا البطن ـ غير أنه سمى بطوناً ـ: «ليأخذ كل بطن منكم بناحية من الثوب»، ففعلوا، ثم رفعوه، وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه بيده. وإسناده صحيح.

وروي نحوه أيضاً من حديث عليّ بن أبي طالب عند الحاكم (١٧٠٢)، وإسناده حسن.

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق: أنَّ رسول الله ﷺ كان يومئذٍ ابن خمس وثلاثين سنة.

(١) هكذا قُيّدت في نسخنا الخطية، وهي مخفَّفة عن لمّا الظرفية التي بمعنى: حينَ. وتصوَّبت: هَوَت وانحدرت من السماء. والعُقاب: طائر معروف من الجوارح.

(٢) أي: صوت لجلدها إذا تحرّكت.

(٣) كذا في نسخنا الخطية غير (ت) ففيها: الزجر، أي: المنع، وأما الرجز فهو العذاب. وتتلئبُّ، أي: تتابعُ في انقضاضها، يقال: اتلأَبَّ على طريقه، إذا لم يُعرّج يمنةً ولا يسرةً، =

فضَمَّتها إليها ثمَّ خَلَّت ... لنا البُنيانَ ليس له حِجابُ
فقُمنا حاشدِينَ إلى بناءٍ ... لنا منه القواعدُ والتُّرابُ
غَداةَ نُرفِّعُ التأسيسَ منهُ ... وليس على مُسَوِّينا[1] ثيابُ
أعزَّ به المَليكُ بني لُؤيٍّ ... فليس لأَصلِه منهم ذَهابُ
وقد حَشَدَت هناك بنو عَديٍّ ... ومُرّةُ قد تَقدَّمَها كِلابُ
فبوَّأَنا[2] المَليكُ بذاكَ عِزّاً ... وعندَ الله يُلتَمسُ الثوابُ

قال ابن هشام: ويُروى: وليس على مَساوِينا[3] ثيابُ.

وكانت الكعبة على عهد رسول الله ﷺ ثمانيَ عشرةَ ذراعاً[4]، وكانت تُكسَى القَبَاطِيَّ، ثم كُسِيَت البُرودَ، وأوّل من كَسَاها الدِّيباجَ الحجّاجُ بن يوسف[5].

أمرُ الحُمْس

قال ابن إسحاق: وقد كانت قريشٌ ـ لا أدري أقبلَ الفيلِ أم بعده ـ ابتَدَعَت أمرَ

= والاسم منه التُّلَأبيبة كالطُّمَأنينة والقُشَعريرة.

(١) أي: مسوّي البنيان، يعني: أنهم كانوا ينقلون الحجارة لبنيانها عراةً، كما جاء في حديث جابر عند البخاري (٣٦٤) ومسلم (٣٤٠).

(٢) أي: أحلَّنا وأوطَنَنا، يقال: بوّأتُه موضع كذا وكذا، إذا أوطنتَه إيّاه.

(٣) يريد: السَّوءات، فهو جمع مَساءَة، مَفعَلة من السَّوءة، والأصل: مَساوِئ، فسُهِّلت الهمزة. قاله السهيليُّ ٢/ ٢٨٣.

(٤) والذراع تساوي ستّة وأربعين سنتيمتراً ونصفاً تقريباً (٤٦,٥ سم).

(٥) ويقال: أول من كساها الديباج يزيد بن معاوية، ويقال: عبد الله بن الزبير، كما في «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢٥٣.

والقَباطيّ: ثياب رِقاق بِيضٌ، وكانت تُصنَع بمصر. والبُرود: ضربٌ من ثياب اليمن. والدّيباج: ثياب منسوجة من أحسن الحرير.

الحُمْس[1]، رأياً رأَوه وأداروه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهلُ الحُرْمة، ووُلاة البيت، وقاطنُ مكّة وساكنُها، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حقِّنا، ولا مثلُ منزلنا، ولا تَعرِفُ له العرب مثلَ ما تَعرِف لنا، فلا تُعظِّموا شيئاً من الحِلِّ كما تعظِّمون الحَرَم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفَّت العربُ بحُرمتكم، وقالوا: قد عظَّموا من الحِلّ مثلَ ما عظَّموا من الحَرَم، فتركوا الوقوفَ على عَرَفة والإفاضةَ منها، وهم يعرفون ويُقِرّون أنها من المَشاعرِ والحجِّ ودينِ إبراهيم عليه السلام، ويَرَون لسائر العرب أن يَقِفوا عليها وأن يُفِيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحَرَم، فليس ينبغي لنا أن نَخرُج من الحُرْمة، ولا نُعظِّمَ غيرَها كما نعظِّمها، نحن الحُمْس، والحُمْس أهل الحَرَم، ثم جعلوا لمن وَلَدوا من العرب من ساكن الحِلّ والحَرَم مثلَ الذي لهم بوِلادتِهم إياهم، يَحِلُّ لهم ما يَحِلُّ لهم، ويَحرُم عليهم ما يَحرُم عليهم، وكانت كِنانةُ وخُزَاعةُ قد دخلوا معهم في ذلك.

قال ابن هشام: وحدَّثني أبو عُبيدة النَّحْوي: أن بني عامر بن صَعصَعة بن معاوية ابن بكر بن هَوَازِن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني لعمرو بن مَعدِي كَرِبَ[2]:

---

(١) الحُمس جمع الأحمَس، سُمُّوا حُمساً لأنهم تحمَّسوا في دينهم، أي: تشدَّدوا، والحَمَاسة: الشَّجاعة.

(٢) الزُّبيديّ، فارس اليمن وشجاعها، وهو من مُراد بن مَذحِج، وشهد عمرٌو اليرموك والقادسية وغيرها من المشاهد في الشام والعراق.

وهذا البيت من قصيدة أجاب بها قصيدةً لعبّاس بن مِرداس السُّلمي، وكانت بنو سُلَيم ـ فيما قاله أبو عُبيدة في كتاب «أيام العرب» كما في «خزانة الأدب» للبغداديّ ٨/ ٣٢٢ ـ ورئيسهم عبّاس بن مِرداس قد غَزَت مُراداً، فجمع لهم عمرو بن معدي كرب، فالتقوا بتثليثَ من أرض اليمن، وهي من بلاد مَذحِج من قحطان، فاقتتلوا قتالاً شديداً. وانظر «شعر عمرو بن معدي كرب» =

أعبّـاسُ لـو كانـت شِـيَاراً جِيادُنـا بتَثلِيثَ ما ناصَيتَ بَعدِي الأَحامِسا[1]

قال ابن هشام: تثليثُ: موضعٌ من بلادهم[2]، والشِّيَار: السِّمَان الحِسان.

يعني بالأحامسِ: بني عامر بن صَعصَعة[3]، وعبّاسٍ: عبّاسَ بن مِرداسٍ السُّلميّ، وكان أغار على بني زُبيدٍ بتثليثَ، وهذا البيت في قصيدةٍ لعمرو.

وأنشدني للَقِيط بن زُرَارة الدارِميّ في يوم جَبَلة[4]:

إِجـدَمْ[5] إليـكَ إنّهـا بنـو عَـبسٍ المَعشَـرُ الجِلَّـةُ في القـومِ الحُـمْسِ

لأنّ بني عَبْسٍ كانوا يوم جَبَلة حُلَفاءَ في بني عامر بن صَعصَعة.

ويومُ جَبَلةَ يومٌ كان بين بني حَنظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم، وبين بني

= جمع مطاع الطرابيشيّ ص١٢٥.

وعمرٌو بهذا البيت يعتذر بأن خيلهم لم تكن سِماناً، وأنه لولا ذلك لم ينل عبّاسٌ وقومه منهم الذي نالوه من قتل رجالهم.

(١) ما ناصيت، أي: ما أخذتَ بنواصي الأحامس، أراد: ما ساويتهم في المنزلة.

(٢) وهو واد عظيم فيه قرى ومزارع، يقع جنوب شرق وادي بِيشة جنوب الجزيرة العربية، وشمال شرق أبها، ويبعد عنها قرابة ٢٠٠ كم.

(٣) وذهب ابن قتيبة في كتابه «المعاني الكبير» ١/ ١٠١ إلى أنه أراد بالأحامسِ الأشدّاءَ.

(٤) كان هذا اليوم قبل بعثة النبي ﷺ بأربعين عاماً، وقيل: بخمسة وأربعين عاماً، كما في «شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة ٢/ ٤٠٤. وجَبَلة: هضبة في وسط نجدٍ ذات شِعاب وأودية، تقع شمال مدينة عَفيف.

(٥) في (ش١) و(ص): إجذم، بالذال، وفي بقيّة النسخ بالدال المهملة، وهي كلمة زجر للخيل، ويقال أيضاً: هِجدَم، كلاهما على وزن دِرهَم. انظر «تاج العروس» للزَّبيدي (جدم) و(هجدم)، وأما الإجذام بالذال: فهو الإقلاع عن الشيء.

والمعشرُ الجِلّة: القوم العظماء.

عامر بن صَعصَعة، فكان الظَّفَرُ فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حنظلة، وقُتل يومئذٍ لَقِيطُ بن زُرَارة بن عُدُس، وأُسِرَ حاجب بن زُرَارة بن عُدُس، وانهزم عمرو بن عمرو بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم بن مالك بن حَنظَلة، ففيه يقول جَريرٌ للفرزَدقِ:

كأنّك لم تَشهَدْ لَقِيطاً وحاجباً وعمرَو بنَ عمرٍو إذْ دَعَوْا[1] يا لَدارمِ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[2].

ثم التَقَوا يومَ ذي نَجَبٍ[3]، فكان الظَّفَرُ لحنظلةَ على بني عامر، وقُتِل يومئذٍ حسّانُ بن معاوية الكِنْديّ، وهو ابن كَبْشةَ، وأُسر يزيدُ بن الصَّعِق الكِلَابيّ، وانهزم الطُّفَيل بن مالك بن جعفر بن كِلابٍ أبو عامر بن الطُّفيل، ففيه يقول الفَرَزدَق:

ومنهنَّ إذْ نَجَّى طُفيلَ بن مالكٍ على قُرزُلٍ رِجْلا رَكُوضِ الهَزائمِ[4]

ونحن ضَرَبْنا هامَةَ ابنِ خُوَيلدٍ يزيدَ على أُمِّ الفِراخِ الجَواثمِ[5]

---

(١) هكذا في (ت) و(غ): دَعَوا، وهو الموافق لرواية «الديوان»، وفي سائر النسخ: دعا.

(٢) وهي في «ديوانه بشرح محمد بن حبيب» ٢/ ١٠٠٠، وهذا البيت رقم ٥٦ منها، وانظر أيضاً «شرح النقائض» ٢/ ٥٧٥. وجرير في هذا يعيّر الفرزدق - وهو تميميٌّ من بني دارم - بهزيمة قومه يوم جَبَلة.

(٣) وكان هذا اليوم بعد عام من يوم جبلة. وذو نَجَبٍ: واد بنجدٍ قرب ماوان، جنوب مدينة الرّياض.

(٤) قوله: ومنهن، أي: من أيام مفاخر قومه. وقُرزل: اسم فرس طفيل. وقوله: رَكُوض الهزائم، أي: ركوض عند الهزائم، يعني أنه هارب مهزوم.

(٥) الهامَة: الرأس. ويزيد: هو ابن خويلد بن نفيل الكِلابي، والصَّعِق لقبٌ لخويلد. وأم الفراخ: هي الدِّماغ، وكذا الجواثم.

وهذان البيتان في قصيدةٍ له[1].

فقال جَرير:

ونحـن خَضَـبْنا لابـنِ كَبْـشةَ تاجَـهُ ولاقَى امرَأً في ضَمّة الخيل مِصـقَعا[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له[3].

وحديثُ يوم جَبَلة ويوم ذي نَجَبٍ أطولُ ممّا ذكرتُ، وإنما مَنَعَني من استقصائه ما ذكرتُ في حديث الفِجَار[4].

قال ابن إسحاق: ثم ابتَدَعُوا في ذلك أموراً لم تكن لهم، حتى قالوا: لا يَنبَغي للحُمْس أن يأتَقِطُوا الأَقِطَ، ولا يَسلَؤُوا السَّمنَ[5] وهم حُرُم، ولا يدخلوا بيتاً من شَعَر، ولا يَستظلُّوا إن استَظلُّوا إلا في بُيوت الأَدَم[6] ما كانوا حُرُماً، ثم رَفَعوا في ذلك فقالوا: لا ينبغي لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعامٍ جاؤوا به معهم من الحِلِّ إلى الحَرَم إذا جاؤوا حُجّاجاً أو عُمّاراً، ولا يَطُوفوا بالبيت إذا قَدِمُوا أوّلَ طوافهم إلا في ثياب

(١) في قتل قُتيبة بن مسلم الباهليّ وهجاء قيس عَيلان وهجاء جرير، ومدح سليمان بن عبد الملك. انظر «ديوانه» ص٦١٧، و«شرح النقائض» ٢/ ٥٥٥-٥٥٦.

(٢) خضبنا تاجه، أي: بلّلناه بالدم. وضمّة الخيل، أي: اجتماع الخيل. والمِصقَع: أراد به هنا الماهر الحاذق، والله أعلم.

(٣) انظر «ديوانه» ٢/ ٩٠٨، و«شرح النقائض» ٣/ ٩٥١.

(٤) في (ص) و(م) و(ي): حديث يوم الفجار. قلنا: يعني أنه منعه من استقصائه قطعُه حديثَ سيرةِ رسول الله ﷺ كما ذكر هناك.

(٥) قوله: يأتقطوا الأَقِط، أي: يصنعوا الأقطَ، وهو شيء يُصنَع من اللَّبن ويُجفَّف فيؤكل، ويقال: إنما يُصنَع من اللَّبن الحامض خاصّة. ولا يسلؤوا السمن، أي: لا يُذيبوا الزُّبْد ويصيِّروه سمناً.

(٦) يعني الخِيام التي تُصنَع من الجلد.

الحُمْس، فإن لم يَجِدُوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةً، فإن تكرَّمَ منهم مُتكرِّم[1] من رجل أو امرأة ولم يجدْ ثيابَ أحمَسَ، فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ، أَلقاها إذا فَرَغَ من طوافه، ثمَّ لم ينتفع بها ولم يَمَسَّها هو ولا أحدٌ غيرُه أبداً، فكانت العرب تسمِّي تلك الثيابَ اللَّقى[2]، فحَمَلُوا على ذلك العربَ، فدانَتْ به، ووقفوا على عرفاتٍ وأفاضُوا منها، وطافوا بالبيت عُراةً: أمّا الرجالُ فيطوفون عُراةً، وأمّا النساءُ فتَضَعُ إحداهُنّ ثيابَها كلَّها إلا دِرعاً[3] مُفرَّجاً عليها، ثم تطوف فيه، فقالت امرأةٌ من العرب وهي كذلك تطوفُ بالبيت:

اليومَ يَبدُو بعضُهُ أو كلُّهُ ... وما بَدَا منه فلا أُحِلُّهُ

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلِّ ألقاها، فلم يَنتفِعْ بها هو ولا غيرُه، فقال قائل من العرب يَذكُر شيئاً تَرَكه من ثيابه فلا يَقرَبُه وهو يحبُّه:

كفى حَزَناً كَرِّي عليه[4] كأنّهُ ... لَقًى بين أيدي الطائفينَ حَريمُ

يقول: لا يُمَسُّ.

فكانوا كذلك حتى بَعَثَ الله تعالى محمّداً ﷺ، فأَنزل عليه حين أَحكَم له دينه، وشَرَعَ له سننَ حَجِّه: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٩٩] يعني قريشاً، والناسُ: العرب، فرفعهم في سُنّة الحجّ إلى عرفاتٍ والوقوفِ عليها والإفاضةِ منها.

(١) أي: تنزَّه وترفَّع عن الطواف عُرياناً.

(٢) اللَّقَى: الشيء المَلقيُّ المطَّرَح.

(٣) درع المرأة: قميص قصير تلبسه المرأة عادةً في بيتها.

(٤) أي: انعطافي ورجوعي إليه.

وأُنزل عليه ﷺ فيما كانوا حَرَّموا على الناس من طعامِهم ولَبُوسِهم عند البيت، حين طافوا عُراةً، وحرَّموا ما جاؤوا به من الحِلِّ من الطعام: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف:٣١-٣٢]، فوَضَعَ الله تعالى أمرَ الحُمْس وما كانت قريشٌ ابتَدَعَت منه عن[1] الناس بالإسلام حين بَعَثَ الله به رسولَه ﷺ.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْم، عن عثمان بن أبي سليمان بن جُبَير بن مُطعِم، عن عمِّه نافع بن جُبير، عن أبيه جُبير ابن مُطعِم قال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ قبل أن يُنزَلَ عليه الوحيُ، وإنه لواقفٌ على بعيرٍ له بعرفاتٍ مع الناس من بينِ قومه حتَّى يَدفَعَ معهم منها، توفيقاً من الله عزَّ وجلَّ له، ﷺ[2].

أمرُ حدوث الرُّجوم وإنذار الكُهّان

برسول الله ﷺ[3]

قال ابن إسحاق: وكانت الأحبارُ من يهودَ، والرُّهبانُ من النصارى، والكهّانُ من

(١) في (ش١) و(غ) و(ي): على، وكلاهما له وجهٌ مقبول المعنى.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٦٧٥٧)، والحاكم (١٧٢٢) و(١٧٩٢) وغيرهما من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه البخاري (١٦٦٤)، ومسلم (١٢٢٠) من طريق محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه جبير. وزاد فيه عن جبير قال: هذا ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ واللهِ من الحُمْس، فما شأنه هاهنا؟!

(٣) في (ش١) و(ق١): إخبار الكهان من العرب والأحبار من يهود والرهبان من النصارى.

العرب، قد تحدَّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مَبعَثه، لِمَا تَقارَب من زمانه؛ أمّا الأحبارُ من يهودَ والرّهبانُ من النصارى، فعَمَّا وَجَدُوا في كتبهم من صفتِه وصفةِ زمانه، وما كان من عهدِ أنبيائهم إليهم فيه، وأما الكُهّانُ من العرب، فأتَتْهم به الشياطين من الجنِّ فيما تَستَرقُ من السَّمع، إذ كانت وهي لا تُحجَبُ عن ذلك بالقَذْف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزالُ يقعُ منهما ذِكرُ بعض أموره، لا تُلْقي العربُ لذلك فيه بالاً، حتّى بَعَثَه الله عزَّ وجلَّ، ووَقَعَت تلك الأمور التي كانوا يَذكُرون، فعَرَفُوها.

فلمّا تَقارَب أمرُ رسول الله ﷺ وحَضَرَ مَبعثُه، حُجِبَت الشياطين عن السَّمع، وحِيلَ بينها وبين المَقاعد التي كانت تَقعُد لاستراق السّمع فيها، فرُمُوا بالنُّجوم، فعَرَفَت الجنُّ أن ذلك لأمرٍ حَدَثَ من أمر الله في العِباد، يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ حين بَعَثَه، وهو يقصُّ عليه خبر الجنِّ إذ حُجِبوا عن السّمع، فعَرَفوا ما عَرَفوا، وما أنكروا من ذلك حين رأَوا ما رأَوا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)﴾ [الجن:١-١٠].

فلما سمعت الجنُّ القرآنَ، عَرَفَت أنها إنما مُنِعَت من السّمع قبل ذلك، لئلَّا يُشكِلَ الوحيُ بشيءٍ من خبر السماءِ فيَلبِسَ[1] على أهل الأرض ما جاءَهم من الله فيه، لوقوعِ الحُجَّة، وقَطْعِ الشُّبْهة، فآمنوا وصدَّقوا، ثمَّ ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

(١) في (ي): فيلتبس. وكلاهما بمعنًى، أي: يختلط.

﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ الآيةَ [الأحقاف:٢٩-٣٠].

وكان قولُ الجنِّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، أنَّه كان الرجل من العرب من قريشٍ وغيرِهم إذا سافر فنَزَلَ بطنَ وادٍ من الأرض ليَبِيتَ فيه، قال: إنّي أعوذُ بعَزيزِ هذا الوادي من الجنِّ الليلةَ من شرِّ ما فيه.

قال ابن هشام: الرَّهَق: الطُّغيان والسَّفَه، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

إذ تَستَبِي الهَيَّامةَ[1] المُرهَّقا

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

والرَّهَق أيضاً: طلبُك الشيءَ حتى تَدنُوَ منه، فتأخذَه أو لا تأخذَه، قال رُؤْبة يَصِفُ حميرَ وَحْشٍ:

بَصبَصْنَ واقشَعرَرْنَ من خوفِ الرَّهَقْ[2]

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

والرَّهَق أيضاً: مصدرٌ لقول الرجلِ للرجل: رَهَقتُ الإثمَ أو العُسرَ الذي أرهَقتَني رَهَقاً شديداً، أي: حَمَلتُ الإثمَ أو العسرَ الذي حمَّلتني حَمْلاً شديداً، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠]، وقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ

(١) في «ديوان رؤبة» بعناية وليم البروسي ص١٠٩، و«شرحه» لعالم لُغويّ مجهول ١/ ١٣٧: الهيّابة، بالباء، وهو تحريف، والصواب أنه بالميم كما في «السيرة» هنا، وقال أبو ذرٍّ الخشنيّ في «إملائه على السيرة» ص٦٧: الهيّامة: الكثير الهُيَام. قلنا: وهو الذي يُولَع ويَهِيم بالنساء عشقاً، وتستبي: تأسِر، يعني أن النساء يَأسِرن ويأخذن عقل السفيه فيُولَع بهنّ ويطيش عقلُه.

(٢) في «الديوان» ص١٠٨، و«شرحه» ١/ ٥٦: الزَّهق، بالزاي، وفسّره بالهلاك. وبصبصنَ، أي: حرّكن أذنابَهنَّ. واقشعررنَ، أي: اضطربنَ وتحرّكن. وهو بهذا يصف حُمُراً وَرَدَت الماء لتشرب، لكنها لا تشعر بالأمان من صائد أو مفترس فتضطرب وتحرّكُ أذنابها.

أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾ [الكهف:٧٣].

قال ابن إسحاق: حدَّثني يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَسِ أنه حُدِّث: أن أوّل العرب فَزِعَ للرَّمي بالنُّجوم حين رُمِيَ بها، هذا الحيُّ من ثَقِيف، وأنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أُميّة، أحدُ بني عِلَاجٍ ـ قال: وكان أَدهى العرب وأنكرَها رأياً ـ فقالوا له: يا عمرُو، ألم ترَ ما حَدَثَ في السماء من القَذْف بهذه النجوم؟ قال: بلى، فانظُروا، فإن كانت معالمُ النجوم التي يُهتدَى بها في البَرِّ والبحر، وتُعرَفُ بها الأَنواءُ من الصيف والشتاء، لِمَا يُصلِحُ الناسَ في مَعايشهم، هي التي يُرمَى بها، فهو واللهِ طيُّ الدنيا وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرَها وهي ثابتةٌ على حالها، فهذا لأمرٍ أراد اللهُ به هذا الخلق، فما هو؟![1]

قال ابن إسحاق: وذكر محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عن عبد الله بن العبّاس، عن نفرٍ من الأنصار: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «ما كنتُم تقولون في هذا النَّجمِ الذي يُرمَى به؟» قالوا: يا نبيَّ الله، كنّا نقول حين رأَيناها يُرمَى بها: مات مَلِك، مُلِّك مَلِك، وُلِد مولود، مات مولود، فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلكَ كذلك، ولكنَّ الله تبارك وتعالى كان إذا قَضَى في خلقِه أمراً سَمِعَه حَمَلةُ العرشِ فسبَّحُوا، فسبَّحَ مَن تحتَهم لتسبيحهم، فسبَّحَ مَن

(١) يعقوب بن عتبة هذا ثقفيٌّ وهو من أتباع التابعين، فخبره هذا مُعضَل، وخالفه الشعبيُّ ـ فيما رواه ابن عبد البر في «الدرر في اختصار المغازي والسير» ص٣٤-٣٥ ـ فذكر أن الذي أَتوه هو عبد يالِيل بن عمرو الثقفيّ، وخبر الشعبيّ هذا مُرسَل لم يسنده.

قوله: معالم النجوم، أي: النجوم المشهورة.

والأنواء: جمع نَوْءٍ، وهي منازل النجوم في السماء. وانظر كتاب «الأنواء في مواسم العرب» لابن قتيبة ص٦-٧.

تحتَ ذلك، فلا يزالُ التسبيحُ يَهبِطُ حتّى ينتهيَ إلى السماءِ الدُّنيا فيُسبِّحوا، ثم يقولُ بعضُهم لبعضٍ: ممَّ سبَّحتُم؟ فيقولون: سبَّحَ مَن فوقَنا فسبَّحنا لتسبيحِهم، فيقولون: ألا تَسألون مَن فوقَكم ممَّ سبَّحُوا؟ فيقولون مثلَ ذلك حتّى يَنتَهُوا إلى حَمَلةِ العرش، فيقال لهم: ممَّ سبَّحتُم؟ فيقولون: قَضَى اللهُ عزَّ وجلَّ في خلقِه كذا وكذا؛ للأمرِ الذي كان، فيَهبِطُ به الخبَرُ من سماءٍ إلى سماءٍ حتّى ينتهيَ إلى السماءِ الدُّنيا، فيتحدَّثوا به، فتستَرِقَه الشياطينُ بالسَّمع، على تَوهُّمٍ واختلافٍ، ثمّ يأتوا به الكُهّانَ من أهل الأرض فيُحدِّثُوهم به، فيُخطِئوا ويُصِيبوا[1]، فتتحدَّثَ به الكهّانُ، فيُصِيبوا بعضاً ويُخطِئوا بعضاً[2]، ثمّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ حَجَبَ الشياطينَ بهذه النُّجومِ التي يُقذَفُون بها، فانقَطَعَت الكَهَانةُ اليومَ فلا كَهانةَ»[3].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عمرو بن أبي جعفر، عن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي لَبِيبةَ، عن عليِّ بن الحسين بن عليٍّ[4]، بمثل حديث ابن شِهابٍ عنه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعضُ أهل العلم: أن امرأةً من بني سَهْم يقال لها:

---

(١) في (ش١) و(ص) و(ق١): فيخطئون ويصيبون.

(٢) في (ش١) و(ق١): فيصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً.

(٣) حديث صحيح، وابن إسحاق لم يصرِّح بسماعه فيه من الزهريّ في رواية ابن هشام عن زياد البكّائيّ، لكن أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٨٧) عن عمرو بن زُرارة عن زياد، فصرّح فيه بسماع ابن إسحاق من الزهريّ. وعمرو بن زرارة أحد الثقات الأثبات.

وقد توبع ابن إسحاق فيه، فقد أخرجه بنحوه أحمد (١٨٨٢) و(١٨٨٣)، ومسلم (٢٢٢٩)، والترمذيّ (٣٢٢٤)، والنسائيّ في «الكبرى» (١١٢٠٨) من طرق عن الزهريّ، به.

(٤) هذا إسناد ضعيف، عمرو بن أبي جعفر لم نتبيَّنه، وابن أبي لبيبة ـ ويقال: ابن لبيبة ـ ضعيف، لكن الحديث صحيح كما تقدّم.

الغَيطَلة، كانت كاهنةً في الجاهليّة، جاءَها صاحبها ليلةً من الليالي، فانقَضَّ تحتها[1]، ثم قال: أَدْرِ ما أَدْر، يومَ عَقْرٍ ونَحْر، فقالت قريشٌ حين بَلَغَها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلةً أخرى فانقضَّ تحتها، ثم قال: شُعُوبٌ ما شُعُوب، تُصرَعُ فيه كعبٌ لِجُنُوب[2]، فلما بَلَغَ ذلك قريشاً قالوا: ماذا يريد؟ إنَّ هذا لأمرٍ هو كائنٌ، فانظُروا ما هو؟ فما عَرَفُوه حتّى كانت وقعةُ بدرٍ وأُحدٍ بالشِّعْب، فعَرَفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبته.

قال ابن هشام: الغَيطَلَةُ من بني مُرَّة بن عبد مَنَاة بن كِنانة، إخوة مُدلِج بن مُرّة، وهي أم الغَياطِل الذين ذكر أبو طالبٍ في قوله:

لقد سَفُهَت أحلامُ قومٍ تَبدَّلوا   بني خَلَفٍ قَيضاً بنا والغَياطِلِ[3]

---

(١) أي: سقط تحتها، قال الخُشنيّ: من رواه أَنقَضَ، فمعناه: صوَّتَ، أي: تكلَّم بصوت خفيّ.

(٢) قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٣١٢: كعب هاهنا هو: كعب بن لؤيّ، والذين صُرِعوا لجُنوبهم ببدر وأُحد من أشراف قريشٍ معظمهم من كعب بن لؤيّ، وشعوب هاهنا أحسَبُه بضم الشِّين، ولم أجده مقيَّداً، وكأنه جمع شِعْب، وقول ابن إسحاق يدلّ على هذا حين قال: فلم يُدرَ ما قالت حتى قُتل من قُتل ببدر وأُحد بالشِّعب.

وقال الخُشنيّ في «إملائه» ص٦٨: من رواه بالضم فهو جمع شِعْب، وهو الموضع الخفيّ بين جبلين، ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمَنِيّة لا يُصرَف.

(٣) الأحلام: العقول. وقيضاً بنا، أي: عِوَضاً عنّا. والغَيطَلة: الظُّلمة الشديدة.

وهذا البيت قاله أبو طالب في قصيدة طويلة ـ كما سيأتي في الكلام على ابتداء دعوة النبي ﷺ قومَه إلى الإسلام ص٣١٩ ـ دفاعاً عن النبي ﷺ وأنّه غير مُسلِمِه لهم ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه، ويذكّر في هذه القصيدة بمآثر بني هاشمٍ.

ومعنى البيت: جَهِلَت عقولُ قوم اتخذوا بني خلف والغياطلَ ندماءَ وأصحاباً عِوَضاً عنّا، وأراد ببني خلف أبناءَ خلف بن وهب الجُمحي، وهم أُميّة وأُبيّ وإخوتهما.

فقيل لولدها: الغَياطِل، وهم من بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص. وهذا البيت في قصيدةٍ له سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عليُّ بن نافع الجُرَشيُّ[1]: أن جَنْباً ـ بَطْناً من اليمن ـ كان لهم كاهن في الجاهليّة، فلمّا ذُكِرَ أمرُ رسول الله ﷺ وانتشر في العرب، قالت له جَنْب: انظُرْ لنا في أمر هذا الرَّجل، واجتمعوا له في أسفلِ جَبَلِه، فنَزَلَ عليهم حين طَلَعَت الشمس فوقف لهم قائماً متَّكئاً على قوسٍ له، فرفع رأسَه إلى السماءِ طويلاً ثمَّ جعل يَنزُو[2]، ثم قال: أيُّها الناس، إنّ الله أكرَمَ محمّداً واصطفاه، وطهَّر قلبَه وحَشَاه، ومُكْثُه فيكم أيّها الناس قليل، ثم أَسنَدَ في جبله[3] راجعاً من حيث جاء.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني من لا أتَّهِمُ عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفَّان: أنه حَدَّث عن عمرَ بن الخطّابِ بَيْنا هو جالسٌ في الناس في مسجدِ رسول الله ﷺ، إذ أقبَلَ رجلٌ من العرب داخلَ المسجد يريدُ عمرَ بن الخطّاب، فلمّا نَظَرَ إليه عمرُ قال: إن الرجل لعلى شِركِه ما فارَقَه بعدُ، أو لقد كان كاهناً في الجاهليّة، فسَلَّم عليه الرجلُ ثم جلس، فقال له عمر: هل أسلمتَ؟ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، قال: فهل كنتَ كاهناً في الجاهليّة؟ فقال الرجل: سبحانَ الله يا أميرَ المؤمنين! لقد خِلْتَ فِيَّ[4]، واستقبلتَني بأمرٍ ما أُراك قُلتَه لأحدٍ من رعيَّتك منذ وَلِيتَ ما وَلِيتَ، فقال عمر: اللهمَّ غَفْراً[5]، قد كنّا في الجاهليّة على شرٍّ من هذا، نعبدُ الأصنام،

(١) علي بن نافع الجُرشيّ هذا لم نقف له على ترجمة فنتبيّن حاله، فهو مجهول.

(٢) أي: يقفز.

(٣) أي: ارتفع فيه.

(٤) أي: ظننتَ فِيَّ ظنَّ السوء، فحذف المفعول.

(٥) هي كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجلُ على الرجل، ومعناها: اللهمَّ اغفِرْ لي غَفراً.

ونَعتنِقُ الأوثان، حتّى أكرَمَنا اللهُ برسوله ﷺ وبالإسلام، قال: نَعَم واللهِ يا أميرَ المؤمنين، لقد كنتُ كاهناً في الجاهليّة، قال: فأخبِرْني ما جاءَك به صاحبُك، قال: جاءني قُبَيلَ الإسلام بشهرٍ أو شَيْعِه[1]، فقال: ألم ترَ إلى الجنِّ وإبلاسِها، وإياسِها من دينِها، ولُحوقِها بالقِلَاصِ وأحلاسِها[2].

قال ابن هشام: هذا الكلام سَجْعٌ وليس بشِعْر.

قال ابن إسحاق: قال عبدُ الله بن كعب: فقال عمرُ عند ذلك يحدِّثُ الناسَ: والله إني لعندَ وَثَنٍ من أوثان الجاهليّة في نفرٍ من قريش، قد ذَبَحَ له رجلٌ من العرب عِجلاً، فنحن ننتظرُ قَسْمَه لِيُقسَمَ لنا منه، إذ سمعتُ من جوفِ العجلِ صوتاً ما سمعتُ صوتاً قطُّ أنفذَ منه، وذلك قُبيلَ الإسلامِ بشهرٍ أو شَيْعِه، يقول: يا ذَرِيح، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ يَصِيح، يقول: لا إله إلّا الله[3].

---

(١) أو شَيْعه، أي: دونه بقليل. وأراد بالصاحب هنا رَئيَّه من الجنّ.

(٢) عجبتُ للجنِّ وإبلاسها، يقال: أَبلَسَ الرجلُ، إذا سكت ذليلاً ومغلوباً. والإياس واليأس واحد. والقِلاص: الإبل الفَتيّة، واحدها: قَلُوص. والأحلاس: جمع حِلْس، وهو كساء أو جلد يوضع على ظَهْر البعير ثم يوضع عليه الرَّحل ليحمي ظهرَه من الجروح ونحوها.

قال الكرمانيُّ في «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» ١٥/ ٨٨: فإن قلت: ما الغرضُ منه؟ وهل للجنِّ قُلُص وأحلاس؟ قلت: الظاهر ـ والله أعلم ـ أن الغرض منه بيانُ ظهور النبيّ العربيّ ﷺ ومتابعة الجنِّ للعرب ولُحوقِهم بهم في الدِّين، إذ هو رسولُ الله إلى الثَّقَلين... ويراد بالقَلُوص أهلَ القلوص، وهم العرب، على طريق الكناية.

وقال ابن الملقِّن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» ٢٠/ ٥٠٠: قوله: «ولحوقها بالقِلاص وأحلاسها» يعني: تفرُّقَهم ونِفارَهم كراهةَ الإسلام.

(٣) خبر صحيح، وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق، ثم إن عبد الله بن كعب هذا من صغار التابعين لم يدرك زمن عمر، فهو مرسل، لكن روي هذا الخبر بنحوه من وجه آخر =

قال ابن هشام: ويقال: رجلٌ يَصِيح، بلسانٍ فَصِيح، يقول: لا إله إلّا الله.

وأنشَدَني بعض أهل العلم بالشِّعر:

عَجِبْتُ للجِنِّ وإبلاسِها ... وشَدِّها العِيسَ بأحلاسِها[1]

تَهْوي إلى مكّةَ تَبغِي الهُدَى ... ما مُؤمِنو الجنِّ كأنجاسِها

قال ابن إسحاق: فهذا ما بَلَغَنا عن الكهّان من العرب.

إنذارُ يهودَ برسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن رجالٍ من قومِه قالوا: إنَّ ممّا دعانا إلى الإسلام ـ معَ رحمةِ الله تعالى وهُداه ـ لَمَا كنّا نسمع من رجالِ يهودَ، كنّا أهلَ شركٍ أصحابَ أوثان، وكانوا أهلَ كتاب، عندهم علمٌ ليس لنا، وكانت لا تزالُ بيننا وبينهم شُرورٌ، فإذا نِلْنا منهم بعضَ ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تَقارَبَ زمانُ نبيٍّ يُبعَث الآنَ، نَقتلُكم معه قتلَ عادٍ وإرَمَ، فكنّا كثيراً ما نسمعُ ذلك منهم، فلمّا بَعَثَ اللهُ رسولَه ﷺ أجَبْناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعَرَفْنا ما كانوا يتوعَّدُوننا

= صحيح عن عمر.

فقد أخرجه البخاري (٣٨٦٦) من طريق سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله قال: ما سمعت عمرَ لشيءٍ قطُّ يقول: إني لأظنُّه كذا، إلا كان كما يظنُّ، بينما عمرُ جالسٌ إذ مرَّ به رجل ... وذكره.

أما طريق ابن إسحاق، فقد أخرجه أيضاً ابن بشكُوال في «غوامض الأسماء المبهمة» ٢/ ٧٢٠ من طريق عبد الملك بن هشام.

وقد روي أن هذا الرجل صاحب القصّة مع عمر، هو سواد بن قارب، من أوجهٍ لا يصحُّ منها شيء، انظر «مستدرك الحاكم» (٦٧٠٣) والتعليق عليه بتحقيق عادل مرشد ورفاقه.

(١) العِيس: الإبل الكِرام.

به، فبادَرْناهم إليه فآمنّا به، وكَفَروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاءِ[1] الآياتُ من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[2].

قال ابن هشام: يَستفتِحون: يَستنصِرون، ويَستفتِحون أيضاً: يتحاكَمُون، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عَوف، عن محمود بن لَبِيد أَخي بني عبد الأشهَلِ، عن سَلَمة بن سَلَامة بن وَقْشٍ ـ وكان سَلَمةُ من أصحاب بدرٍ ـ قال: كان لنا جارٌ من يهودَ في بني عبد الأشهَلِ، قال: فخرج علينا يوماً من بيتِه حتّى وَقَفَ على بني عبد الأشهَلِ ـ قال سلمةُ: وأنا يومئذٍ أحدَثُ مَن فيه سِنّاً، عليَّ بُرْدةٌ لي، مُضطجِعٌ فيها بفِناءِ أهلي[3] ـ فذَكَرَ القيامةَ والبَعْثَ والحِسابَ والميزانَ والجنّةَ والنارَ، قال: فقال ذلك لقومٍ أهلِ شركٍ أصحابِ أَوثان، لا يَرَونَ أنّ بَعثاً كائنٌ بعد الموت، فقالوا له: وَيحَكَ يا فلانُ، أَوَتُرَى هذا كائناً، أنّ الناس يُبعَثُون بعد موتِهم إلى دارٍ فيها جنّةٌ ونارٌ يُجزَونَ فيها بأعمالهم؟! قال: نعم، والذي يُحلَفُ به، ولَوَدَّ أنَّ له بحَظِّه من تلك النارِ أعظمَ تَنُّورٍ[4] في الدّار، يُحْمُونه ثم يُدخِلونه

---

(١) في (ت): نزلت هذه.

(٢) عاصم بن عمر بن قتادة أنصاريٌّ أَوسيٌّ، من صغار التابعين، وهو ثقة عالم بالمغازي، والرجال من قومه الظاهر أن فيهم من له صحبة، فالإسناد على هذا متصلٌ صحيح.

وهو بنحوه عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٣٧، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٧٥-٧٦ من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(٣) الفِناء: الأرض المتَّسعة أمام الدار.

(٤) التنُّور: فُرْن النار الذي يُخبز به.

إيّاه فيُطيِّنونه عليه، بأنْ يَنجُوَ من تلك النارِ غداً، فقالوا له: وَيحَكَ يا فلانُ، فما آيةُ ذلك؟ قال: نبيٌّ مبعوثٌ من نحوِ هذه البلاد؛ وأشارَ بيدِه إلى مكّة واليمن، قالوا: ومتى تُراهُ؟ قال: فنَظَرَ إليَّ وأنا من أحدَثِهم سِنّاً فقال: إن يَستنفِدْ هذا الغلامُ عُمرَه يُدرِكْه.

قال سلمةُ: فواللهِ ما ذهب الليلُ والنهارُ حتّى بَعَثَ اللهُ رسولَه ﷺ وهو حيٌّ بين أظهُرِنا، فآمَنّا به وكَفَرَ به بَغْياً وحَسَداً، قال: فقلنا له: وَيحَكَ يا فلانُ، ألستَ بالّذي قلتَ لنا فيه ما قلتَ؟! قال: بلى، ولكنْ ليس به[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصمُ بن عمر بن قَتَادة، عن شيخ من بني قُرَيظة؛ قال[2]: قال لي: هل تدري عمَّ كان إسلامُ ثَعلَبةَ بن سَعْية[3] وأَسِيدِ[4] بن سَعْية

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٥٨٤١) من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ، والحاكم (٥٨٧٣) من طريق عمرو بن زُرَارة، عن زياد البكّائيّ، كلاهما عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) القائل هنا هو عاصم، والشيخ القُرظي الظاهر أنه أدرك زمن القصة التي يسوقها، فهو على هذا خبر متصل صحيح، والله تعالى أعلم.

وهذا الخبر في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٨٥-٨٦، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «السنن» ٩/ ١١٤ و«دلائل النبوة» ٢/ ٨٠-٨١ و٤/ ٣١-٣٢.

وأخرجه هشامُ بن عمار في كتابه «المبعث» كما في «جامع الآثار في السير ومولد المختار» لابن ناصر الدين الدمشقي ١/ ١٦٨، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٢)، والبيهقيُّ في «الدلائل» ٤/ ٣١ من طرق أخرى عن ابن إسحاق، به.

(٣) في (ت) و(ق١): سعنة، في كلا الموضعين. قال ابن عبد البر: قيل: سَعية وسَعنة، وسعيةُ بالياء أكثر.

(٤) قُيّد في (ي): أُسَيد وأَسِيد، وكتب فوقه معاً. وهو بضمّ الهمزة في رواية إبراهيم بن سعد =

وأَسَدِ بن عُبيدٍ؟ ـ نفرٍ من هَدَلٍ إخوةِ بني قُرَيظة[1]، كانوا معهم في جاهليّتهم ثم كانوا سادتَهم في الإسلام ـ قال: قلت: لا، قال: فإنّ رجلاً من يهودَ من أهل الشّام يقال له: ابن الهَيِّبان، قَدِمَ علينا قبلَ الإسلام بسنِينَ، فحَلَّ بين أظهُرِنا، لا واللهِ ما رأينا رجلاً قطُّ لا يُصلِّي الخمسَ أَفضلَ منه، فأقام عندنا، فكنّا إذا قَحَطَ عنّا المطرُ قلنا له: اخرُجْ يا ابنَ الهيِّبان فاستَسقِ لنا، فيقول: لا واللهِ حتى تُقدِّموا بين يَدَيْ مَخرَجِكم صدقةً، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مُدَّينِ من شعير[2]، قال: فنُخرِجُها، ثم يخرجُ بنا إلى ظاهرِ حَرَّتِنا[3] فيَستَسقي اللهَ لنا، فواللهِ ما يَبـرَحُ مجلسَه حتى يَمُرَّ السَّحابُ ونُسقَى، قد فعل ذلك غيرَ مرّةٍ ولا مرّتينِ ولا ثلاثٍ.

قال: ثم حَضَرَته الوفاةُ عندنا، فلما عَرَفَ أنه ميِّت قال: يا معشرَ يهودَ، ما تُرَونَه أخرَجَني من أرض الخَمْر والخَمِير[4] إلى أرض البُؤْس والجوع؟ قال: فقلنا: أنت

= عن ابن إسحاق كما قال ابن عبد البر في ترجمته في باب أُسيد من «الاستيعاب» ص٤٦، ونقل الدارقطنيّ في كتاب «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٣٨٥ عن رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه أَسِيدٌ بالفتح، وصوَّبه، وكذا صحّحه بالفتح ابنُ ماكولا في «الإكمال» ١/ ٧٠، وذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٣٣٠ أنه قول الواقديِّ وغيره.

(١) سيأتي في غزوة بني قريظة ٣/ ٢٩٠ عن ابن إسحاق قال: هم نفرٌ من بني هَدَل، ليسوا من بني قُريظة ولا النَّضير، نسبُهم فوق ذلك، هم بنو عمِّ القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظةُ على حُكْم رسول الله ﷺ.

وتقدّم ص٢٢ بيان ضبط هدل.

(٢) الصاع والمُدّ مكيالان، والصاع أربعة أمداد، والمدُّ من الشعير أو البُرّ يزن ٥٤٤ غراماً تقريباً، وعليه فالصاع يزن ٢١٧٦ غراماً.

(٣) الحَرّة: كل أرض ذات حجار سُود.

(٤) يعني الخبز الذي يوضع في عجينه الخميرة.

أعلم، قال: فإنّي إنَّما قَدِمتُ هذه البلدةَ أتوكَّفُ خروجَ نبيٍّ قد أظَلَّ زمانُه[1]، هذه البلدةُ مُهاجَرُه، فكنت أرجو أن يُبعَثَ فأتّبعَه، وقد أظلَّكم زمانُه، فلا تُسبَقُنَّ إليه يا معشرَ يهود، فإنه يُبعَثُ بسَفْكِ الدِّماء[2]، وسَبْيِ الذَّراريِّ والنساءِ ممّن خالَفَه، فلا يَمنعنَّكم ذلك منه.

فلما بُعِثَ رسول الله ﷺ وحاصر بني قُريظَة، قال هؤلاء الفِتيةُ ـ وكانوا شباباً أحداثاً ـ: يا بني قُريظةَ، واللهِ إنه لَلنّبيُّ الذي كان عَهِدَ إليكم فيه ابنُ الهَيِّبان، قالوا: ليس به، قالوا: بلى واللهِ، إنه لَهُوَ بصِفَتِه، فنزلوا فأَسلموا، فأَحرَزُوا[3] دماءَهم وأموالَهم وأهلِيهِم.

قال ابن إسحاق: فهذا ما بَلَغَنا عن أحبار يهودَ.

أمرُ سلمان الفارسيّ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة الأنصاريُّ، عن محمود بن لَبيدٍ، عن عبد الله بن عبّاس قال: حدَّثني سلمانُ الفارسيُّ من فِيهِ قال: كنت رجلاً فارسيّاً من أهل أَصبَهانَ[4] من قرية يقال لها: جَيّ[5]، وكان أَبي دِهْقانَ قريته[6]،

(١) أتوكَّف، معناه: أنتظر وأستشعر. وأظلَّ زمانُه، معناه: أشرَف عليكم وقَرُب.

(٢) يعني أنه أُبيح له قتال من خالفه وعاداه بالسيف.

(٣) أي: حَفِظوا.

(٤) أصبهان أو أصفهان هي إحدى مدن إيران، على بعد ٣٤٠ كم جنوب طهران.

(٥) قال ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٢٠٢: اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة، وهي الآن كالخراب منفردة، وتُسمَّى الآن عند العجم شَهرَستان، وعند المحدِّثين المدينة.

(٦) الدِّهقان: شيخ القرية ورئيسها، العارف بالفِلاحة وما يَصلُح بالأرض من الشجر، يُلجَأ إليه في معرفة ذلك.

وكنت أحبَّ خلقِ الله إليه، لم يَزَلْ به حبُّه إيّاي حتى حَبَسَني في بيته كما تُحبَس الجارية، واجتهدتُ في المجوسيّة حتى كنت قَطَنَ النارِ الذي[1] يوقدُها، لا يتركها تَخبُو ساعةً.

قال: وكانت لأبي ضَيْعةٌ عظيمةٌ، فشُغِلَ في بُنْيان له يوماً، فقال لي: يا بنيَّ، إني قد شُغِلتُ في بنياني هذا اليومَ عن ضَيْعتي، فاذهب إليها فاطَّلِعْها، وأَمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي: ولا تَحتبِسْ عنّي، فإنك إن احتبستَ عنّي كنتَ أهمَّ إليّ من ضَيْعتي، وشَغَلتَني عن كل شيءٍ من أمري.

قال: فخرجتُ أُريد ضَيْعتَه التي بَعَثَني إليها، فمَرَرتُ بكنيسةٍ من كنائس النَّصارى فسمعتُ أصواتَهم فيها وهم يصلُّون، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس، لحَبْس أبي إيّايَ في بيته، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يَصنَعون، فلما رأيتُهم أعجبتني صلاتُهم ورَغِبتُ في أمرِهم، وقلت: هذا واللهِ خيرٌ من الدِّين الذي نحن عليه، فوالله ما بَرِحتُهم حتّى غَرَبَت الشمس، وتَرَكتُ ضَيْعةَ أَبي فلم آتِها، ثم قلت لهم: أين أصْلُ هذا الدِّين؟ قالوا: بالشام.

فرجعتُ إلى أَبي وقد بَعَثَ في طَلَبي، وشَغَلتُه عن عملِه كلِّه، فلمّا جئتُه قال: أيْ بُنيَّ، أين كنت؟ ألم أكن عَهِدتُ إليك ما عَهِدتُ؟ قال: قلت: يا أبتِ، مررتُ بأُناسٍ يُصلُّون في كنيسةٍ لهم، فأعجَبَني ما رأيتُ من دينِهم، فواللهِ ما زِلتُ عندهم حتى غَرَبَت الشمس، قال: أيْ بنيَّ، ليس في ذلك الدِّين خيرٌ، دينُك ودينُ آبائِك خيرٌ

(١) يعني أن سلمان كان هو الذي يوقدها، وفي (ت) و(ش١) و(ق١) و(م): التي؛ يعني أن أباه هو الذي كان يوقدها وسلمان كان قطنَ النار، أي: خادمها الذي يخدمها ويمنعها من أن تَطفَأ لتعظيمهم إياها.

منه، قال: قلت له: كلّا واللهِ، إنه لخيرٌ من ديننا، قال: فخافَني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حَبَسَني في بيته.

قال: وبَعَثتُ إلى النصارى فقلت لهم: إذا قَدِمَ عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبِروني بهم، قال: فقَدِمَ عليهم رَكْبٌ من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبَروني بهم، فقلت لهم: إذا قَضَوْا حوائجَهم وأرادوا الرَّجْعةَ إلى بلادهم، فآذِنُوني بهم. قال: فلمّا أرادوا الرَّجعةَ إلى بلادهم أخبَروني بهم، فألقَيتُ الحديدَ من رجلي، ثم خرجتُ معهم حتى قَدِمتُ الشامَ، فلمّا قَدِمتُها قلت: مَن أفضلُ أهلِ هذا الدِّينِ علماً؟ قالوا: الأُسقُفُّ[1] في الكنيسة.

قال: فجئتُه فقلت له: إني قد رَغِبتُ في هذا الدِّين، وأحببتُ أن أكونَ معك وأخدُمَك في كنيستك، فأتعلَّمَ منك وأصلِّيَ معك، قال: ادخُلْ، فدخلتُ معه، قال: فكان رجلَ سَوءٍ، يأمرُهم بالصَّدقةِ ويُرغِّبُهم فيها، فإذا جَمَعُوا له شيئاً منها اكتَنَزَه لنفسه ولم يُعطِه المساكين، حتّى جَمَعَ سبعَ قِلالٍ[2] من ذهبٍ ووَرِقٍ، قال: وأبغضتُه بُغضاً شديداً لِما رأيته يصنعُ، ثم مات، فاجتَمَعَت إليه النصارى ليَدفِنوه، فقلت لهم: إنّ هذا كان رجلَ سَوءٍ، يأمرُكم بالصَّدقة ويُرغِّبُكم فيها، فإذا جِئتُموه بها اكتَنَزَها لنفسه، ولم يُعطِ المساكينَ منها شيئاً، قال: فقالوا لي: وما عِلمُك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلُّكم على كَنْزِه، قالوا: فدُلَّنا عليه، قال: فأَرَيتُهم موضعَه، فاستخرجوا سبعَ قِلالٍ مملوءةً ذهباً ووَرِقاً، قال: فلمّا رأَوها قالوا: واللهِ لا نَدفِنُه

(١) الأُسقُفُّ: هو عالم النصارى الذي يقيم لهم أمرَ دينهم، ويقال: أُسقُفٌ، بالتخفيف أيضاً.

(٢) جمع قُلّة: وهي الجرّة الكبيرة. والوَرِق: الفضّة.

أبداً، قال: فصَلَبُوه ورَجَمُوه بالحجارة، وجاؤوا برجلٍ آخرَ فجعلوه مكانَه.

قال: يقول سلمانُ: فما رأَيت رجلاً لا يصلِّي الخمسَ، أُرى أنه كان أفضلَ منه؛ أزهدَ في الدنيا ولا أرغبَ في الآخرة، ولا أدأَبَ ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحبَبْتُه حبّاً لم أُحبَّه شيئاً قبلَه، قال: فأقمتُ معه زماناً، ثم حَضَرَته الوفاةُ، فقلت له: يا فلانُ، إنّي قد كنت معك وأحببتُك حبّاً لم أُحبَّه شيئاً قبلَك، وقد حَضَرَك ما ترى من أمرِ الله، فإلى مَن تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمُرُني؟ قال: أيْ بنيَّ، واللهِ ما أعلمُ اليومَ أحداً على ما كنتُ عليه، لقد هَلَكَ الناسُ وبدَّلوا وتركوا أكثرَ ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالمَوصِل، وهو فلانٌ، وهو على ما كنتُ عليه، فالحَقْ به.

قال: فلما مات وغُيِّبَ لَحِقتُ بصاحب المَوصِل، فقلت له: يا فلان، إنّ فلاناً أَوصاني عند موته أن أَلحَقَ بك، وأخبرني أنّك على أمرِه، فقال لي: أَقِمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمرِ صاحبه، فلم يَلبَثْ أن مات، فلمّا حَضَرَته الوفاةُ قلت له: يا فلانُ، إنّ فلاناً أَوصى بي إليك، وأمرني باللُّحوق بك، وقد حَضَرَك من أمرِ الله ما ترى، فإلى مَن تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمُرُني؟ قال: يا بنيَّ، واللهِ ما أعلمُ رجلاً على مثل ما كنّا عليه إلا رجلا بنَصِيبِينَ[1]، وهو فلانٌ، فالحَقْ به.

فلما مات وغُيِّبَ لَحِقتُ بصاحب نَصِيبِين، فأخبرتُه خَبَري وما أمرني به صاحبه، فقال: أقِمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه على أمر صاحبَيه، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ، فواللهِ ما لَبِثَ أن نزل به الموتُ، فلما حُضِرَ قلت له: يا فلانُ، إنّ فلاناً كان أَوصى بي إلى فلان، ثمّ أَوصى بي فلانٌ إليك، فإلى مَن تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمُرُني؟ قال: يا بنيَّ،

(١) مدينة تاريخيّة في الجزيرة الفراتيّة العُليا، تبعد عن الموصل قرابة ٢٠٠ كم، تقع حاليّاً جنوب شرقيّ تركيا على الحدِّ بينها وبين سوريا، ويقابلها في الجانب السوريّ مدينة القامشلي.

واللهِ ما أعلَمُه بقيَ أحدٌ على أمرنا آمرُك أن تأتيَه إلا رجلاً بعَمُّورِيّة[1] من أرض الرُّوم، فإنه على مثلِ ما نحن عليه، فإن أحببتَ فأْتِه، فإنّه على أمرنا.

فلما مات وغُيِّبَ لَحِقتُ بصاحب عمُّوريّة فأخبرته خَبَري، فقال: أقِمْ عندي، فأقمتُ عند خيرِ رجلٍ، على هَدْي أصحابِه وأمرِهم. قال: واكتسبتُ حتى كانت لي بَقَراتٌ وغُنَيمةٌ، قال: ثمّ نَزَلَ به أمرُ الله تعالى، فلمّا حُضِرَ قلت له: يا فلانُ، إنّي كنت مع فلان، فأَوصى بي إلى فلان، ثم أَوصى بي فلانٌ إلى فلان، ثم أَوصى بي فلانٌ إليك، فإلى مَن تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمرُني؟ قال: أيْ بنيَّ، واللهِ ما أعلمُه أصبح أحدٌ على مثل ما كنّا عليه من الناس آمرُك به أن تأتيَه، ولكنّه قد أظَلَّ زمانُ نبيٍّ هو مبعوثٌ بدينِ إبراهيم، يخرجُ بأرض العرب، مُهاجَرُه إلى أرضٍ بين حَرَّتَين، بينهما نخلٌ، به علاماتٌ لا تخفى، يأكلُ الهديّةَ ولا يأكلُ الصدقة، بين كَتِفَيهِ خاتمُ النبوّة، فإن استطعت أن تَلحَقَ بتلك البلاد فافعَلْ.

قال: ثم مات وغُيِّبَ، ومَكَثتُ بعمُّوريّة ما شاء الله أن أمكُثَ، ثم مرَّ بي نفرٌ من كَلْبٍ تجّارٌ، فقلت لهم: احمِلُوني إلى أرض العرب وأُعطيَكم بَقَراتي هذه وغُنَيمتي هذه، قالوا: نعم، فأعطَيتُهُموها وحَمَلوني معهم، حتى إذا بَلَغُوا واديَ القُرَى[2]

---

(١) كانت عمّوريّة مدينة عظيمة للروم في هضبة الأناضول وسط تركيا، فتحها المعتصم بالله سنة ٢٢٣هـ وفتح أنقرة أيضاً، وخلّدها أبو تمّام في قصيدته التي ذكر فيها هذا الفتح، وأولُها:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

وعمّورية الآن خراب ليس بها إلا آثار رومانيّة، تقع بقرب قرية اسمها حصار كوي في محافظة أفيون قره حصار جنوب غربيّ أنقرة على بعد ١٧٠ كم تقريباً.

(٢) هو واد ممتدّ بين خيبر ومدينة العُلا التي تقع شمال غرب المدينة المنوّرة على بعد ٣٠٠ كم تقريباً، سُمِّي بذلك لكثرة ما فيه من القرى، ويعرف اليوم بوادي العُلا.

ظَلَموني فباعوني من رجلٍ يهوديٍّ عبداً، فكنتُ عنده، ورأيت النَّخلَ، فرَجَوتُ أن يكون البلدَ الذي وَصَفَ لي صاحبي، ولم يَحُقَّ في نفسي[1]، فبَيْنا أنا عنده، إذ قدم عليه ابنُ عمٍّ له من بني قُرَيظةَ من المدينة، فابتاعني منه فاحتَمَلَني إلى المدينة، فواللهِ ما هو إلا أن رأيتُها فعرفتُها بصِفَةِ صاحبي، فأقمتُ بها، وبُعِثَ رسولُ الله ﷺ، فأقام بمكّة ما أقام، لا أسمعُ له بذِكْرٍ مع ما أنا فيه من شُغْل الرِّقّ، ثم هاجر إلى المدينة، فواللهِ إني لَفي رأس عَذْقٍ[2] لسيِّدي أعملُ له فيه بعضَ العمل، وسيِّدي جالسٌ تحتي، إذ أقبَلَ ابنُ عمٍّ له حتّى وَقَفَ عليه فقال: يا فلانُ، قاتَلَ اللهُ بني قَيْلَةَ، واللهِ إنهم الآنَ لمجتمعون بقُبَاءٍ[3] على رجلٍ قَدِمَ عليهم من مكّةَ اليومَ، يَزعُمون أنه نبيٌّ.

قال ابن هشام: قَيْلةُ: بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد بن زيد بن لَيث بن سُودِ بن أسلُم بن الْحافِ بن قُضاعةَ، أمُّ الأَوْس والخَزرَج.

قال النُّعمان بن بَشِير الأنصاريّ يَمدَحُ الأوسَ والخَزرجَ:

بَهالِيلُ مِن أولادِ قَيْلةَ لم يَجِدْ   عليهِمْ خَليطٌ في مُخالطةٍ عَتْبا[4]

---

(١) أي: لم أتيقَّن منه.

(٢) العَذْق بالفتح: النَّخلة، والعِذْق بالكسر: الكِبَاسة بما عليها من التمر. والكِباسة من النخل كالعُنقود من العنب.

(٣) قُباء في الأصل اسم بئر سُمّيَت القرية باسمها، وهي قرية بني عمرو بن عوف من الأوس، وهي اليومَ بلدة عامرة تُطيف بمسجد قُباء، كثيرةُ البساتين والسكّان، واتصلت عمرانياً بالمدينة المنوَّرة، مسجدها جنوب المسجد النبويّ على بُعد ٤ كم تقريباً، وهي واقعة في حَرّة تسمى حرّة قُباء، وهي الجزء الشرقيّ من حرَّة المدينة الغربيّة المسمّاة بالوَبَرة.

(٤) بهاليل: جمع بُهلولٍ، وهو السيِّد.

مَسـاميحُ أبطـالٌ يَراحُـونَ للنَّـدَى   يَـرَونَ عليـهم فِعـلَ آبائِهم نَحْبـا[1]

وهذان البيتانِ في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة الأنصاريُّ، عن محمود بن لَبِيد، عن عبد الله بن عبّاس قال: قال سلمانُ: فلمّا سمعتُها أخَذَتني العُرَوَاءُ ـ قال ابن هشام: العُرَوَاءُ: الرِّعْدةُ من البرد والانتفاضُ[2] ـ حتّى ظننتُ أني سأسقطُ على سيّدي، فنزلت عن النَّخلة فجعلتُ أقول لابن عمِّه ذلك: ماذا تقول؟ماذا تقول؟ فغَضِبَ سيِّدي فلَكَمَني لَكْمةً شديدةً، ثم قال: ما لك ولِهذا؟ أقبِلْ على عملِك، قال: فقلت: لا شيءَ، إنّما أردتُ أن أستَثبِتَه عمَّا قال.

قال: وقد كان عندي شيءٌ قد جمعتُه، فلمّا أمسيتُ أخذتُه ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُبَاءٍ، فدخلتُ عليه فقلت له: إنّه قد بَلَغَني أنك رجل صالح، ومعك أصحابٌ لك غُرباءُ ذَوُو حاجة، وهذا شيءٌ كان عندي للصَّدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، قال: فقرَّبتُه إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كُلُوا» وأمسَكَ يدَه فلم يأكُلْ، قال: فقلتُ في نفسي: هذه واحدةٌ، قال: ثم انصرفتُ عنه فجَمَعتُ شيئاً، وتَحوَّل رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئتُه به فقلت له: إني قد رأيتُك لا تأكلُ

(١) مساميح: أجوادٌ كِرام. وأبطالٌ: شُجعان. ويَراحون: يهتزُّون فرحاً. والنَّدى: السخاء والكرم. والنَّحْب: النَّذر، وما يجعله الإنسان على نفسه.

ويعني النعمان بذلك أن قومه الأنصار لا يجدُ من يخالطهم ويعاشرهم شيئاً يَعتَب فيه عليهم من بخل أو جُبن أو غيره من سيّئ الأخلاق، فهم سادة من صفاتهم الجُود والشجاعة، يجودون بما لديهم وهو فرحون ونفوسهم طيّبة من غير إبطاء ولا كسل، ويرون أن ذلك واجب عليهم وليس منّةً أو تفضلاً على أحد.

(٢) في (ص): وشدة الانتفاض.

الصَّدقةَ، وهذه هديّةٌ أكرمتُك بها، قال: فأكَلَ رسولُ الله ﷺ منها وأمَرَ أصحابَه فأكلوا معه، قال: فقلتُ في نفسي: هاتانِ ثِنتانِ، قال: ثم جئت رسولَ الله ﷺ وهو ببَقِيعِ الغَرقَدِ(١) قد تَبِعَ جِنازَةَ رجل من أصحابه(٢)، عليَّ شَملتانِ لي(٣)، وهو جالسٌ في أصحابه، فسلَّمتُ عليه ثم استَدَرتُ أنظرُ إلى ظهره، هل أَرى الخاتمَ الذي وَصَفَ لي صاحبي، فلمّا رآني رسولُ الله ﷺ استدبَرتُه عَرَفَ أني أَستَثبِتُ في شيءٍ وُصِفَ لي، فألقى رِداءَه عن ظهره فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه، فأكبَبتُ عليه أقبِّلُه وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تَحَوَّلْ» فتحوَّلتُ فجلستُ بين يديه، فقَصَصتُ عليه حديثي كما حدَّثتُك يا ابن عباس، فأَعجبَ رسولَ الله ﷺ أن يسمعَ ذلك أصحابُه. ثم شَغَلَ سلمانَ الرِّقُّ حتّى فاتَه مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُحدٌ.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتِبْ يا سلمانُ»، فكاتبتُ صاحبي على ثلاثِ مئةِ نخلةٍ أُحْييها له بالفَقِير(٤) وأربعينَ أُوقيّةً، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه:

---

(١) الغرقد: نوع من الشجر كان يكثر في هذا الموضع فسُمّي به، والبَقيع من الأرض: المكان المتّسع، ولا يسمَّى بقيعاً إلا وفيه شجر أو أصولها. والبقيع مقبرة أهل المدينة، وهو في جهة الجنوب الشرقيّ من المسجد النبويّ.

(٢) ذكر السهيليُّ والخشنيُّ أن صاحبه هذا هو كُلثوم بن الهِدْم الأوسيُّ، فهو الذي مات في تلك الأيام، وهو الذي نزل عليه النبي ﷺ في قُباء أولَ ما قَدِمَ المدينة، وهو أوّل من مات من أصحابه بعد مقدمه ﷺ.

(٣) الشَّملة: الكساء الغليظ يَشتمِل به الإنسان، أي: يلتحف به.

(٤) أي: بالحَفْر وبالغَرْس، يقال: فَقَرتُ الأرضَ، إذا حَفَرتها. ونقل الخشنيُّ في «إملائه» ص٧٠ عن أبي الوليد الوَقَّشيّ ـ وهو ممن ضبط السيرة في بلاد الأندلس ـ أن الصواب هنا: بالتفقير، أراد المصدر، واستحسنه الخشنيّ.

والمراد بالأُوقيّة ـ ويقال: وُقِيّة ـ الفضّة، والأُوقيّة الواحدة أربعون درهماً، والدرهم يعادل =

«أَعِينوا أخاكم»، فأعانوني بالنَّخل، الرجلُ بثلاثين وَدِيّةً[1]، والرجلُ بعشرين وَدِيّةً، والرجلُ بخمسَ عشرةَ، والرجلُ بعشرٍ، يُعِينُ الرجلُ بقَدْر ما عنده، حتّى اجتَمَعَت لي ثلاثُ مئة وَدِيَّة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهَبْ يا سلمانُ ففَقِّرْ لها، فإذا فَرَغتَ فأْتِني أكُنْ أنا أضعُها بيدي»، قال: ففَقَّرتُ وأعانني أصحابي، حتّى إذا فَرَغتُ جئتُه فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجَعَلْنا نُقرِّب إليه الوَدِيَّ ويَضَعُه رسولُ الله ﷺ بيده، حتّى فَرَغْنا، فوالّذي نفسُ سلمان بيده ما ماتت منها وَدِيّةٌ واحدةٌ.

قال: فأدَّيتُ النخلَ وبقيَ عليَّ المالُ، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بمثلِ بَيضةِ الدَّجاجة من ذهبٍ من بعض المَعادن[2]، فقال: «ما فَعَلَ الفارسيُّ المُكاتَبُ؟» قال: فدُعِيتُ له، فقال: «خُذْ هذه فأَدِّها ممّا عليك يا سلمانُ» قال: قلت: وأين تقعُ هذه يا رسولَ الله ممّا عليَّ؟ فقال: «خُذْها، فإنَّ الله سيُؤَدِّي بها عنك»، قال: فأخذتُها، فوَزَنتُ لهم منها ـ والّذي نفسُ سلمانَ بيده ـ أربعين أُوقِيّةً، فأَوفَيتُهم حقَّهم منها، وعَتَقَ سلمانُ، فشَهِدتُ مع رسول الله ﷺ الخندقَ حُرّاً، ثم لم يَفُتْني معه مَشهَدٌ[3].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن أبي حَبِيب، عن رجلٍ من عبد القَيْس، عن

= ٢,٩٧٥ غم، فالأُوقيّة ١١٩ غم. إذاً فالأربعون أُوقية التي كاتب بها سلمان تعادل ١٦٠٠ درهم.

(١) الوديّة: واحدة الوَدِيِّ، وهو فراخ النخل الصِّغار.

(٢) هي المواضع التي تُستخرَج منها جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك، واحدها: مَعدِن.

(٣) إسناد خبر إسلام سلمان هذا صحيح.

وأخرجه بطوله أحمد في «المسند» (٢٣٧٣٧) عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهريّ، عن أبيه، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وانظر تمام تخريجه فيه.

سلمان أنه قال: لمّا قلتُ: وأين تقعُ هذه من الّذي عليَّ يا رسول الله؟ أخَذَها رسول الله ﷺ فقَلَّبَها على لسانِه، ثم قال: «خُذْها فأَوفِهم منها»، فأخذتُها فأَوفَيتُهم منها حقَّهم كلَّه، أربعينَ أُوقيّةً[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، قال: حدَّثني مَن لا أتَّهِمُ عن عمر بن عبد العزيز بن مروانَ قال: حُدِّثتُ عن سلمانَ الفارسيِّ: أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبَره خَبَرَه: أنَّ صاحب عَمُّوريّة قال له: ائتِ كذا وكذا من أرض الشام، فإنَّ بها رجلاً بين غَيضَتَينِ[2]، يخرج في كلِّ سنةٍ من هذه الغَيْضةِ إلى هذه الغَيْضةِ مستجيزاً[3]، يعترضُه ذَوُو الأسقام، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شُفِيَ، فاسأَلْه عن هذا الدِّين الّذي تبتغي، فهو يخبرُك عنه.

قال سلمانُ: فخرجتُ حتّى جئتُ حيث وَصَفَ لي، فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمَرْضاهم هناك، حتّى خرج لهم تلك الليلةَ مستجيزاً من إحدى الغَيضَتَينِ إلى الأخرى، فغَشِيَه الناسُ بمَرْضاهم، لا يدعو لمريضٍ إلا شُفِيَ، وغَلَبُوني عليه، فلم أَخلُصْ إليه حتّى دخل الغَيْضةَ التي يريد أن يَدخُلَ إلا مَنكِبَه، قال: فتناولتُه، فقال: مَن هذا؟ والْتَفَتَ إليَّ، قال: قلت: يرحمُك الله، أخبِرني عن الحَنيفيّة دينِ إبراهيم، قال: إنك لتسأَلُ عن شيءٍ ما يَسأَلُ عنه الناسُ اليوم، قد أظَلَّك زمانُ نبيٍّ يُبعَثُ بهذا الدِّين من أهل الحَرَم، فأْتِه فهو يَحمِلُك عليه، قال: ثم دخل.

قال: فقال رسول الله ﷺ لسلمانَ: «لئِنْ كنتَ صَدَقتَني يا سلمانُ، لقد لَقِيتَ

---

(١) إسناده ضعيف لإبهام الرجل العبقسيّ.

وأخرجه أحمد (٢٣٧٣٨) عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

(٢) الغَيضة: الشجر الكثير المتشابك.

(٣) أي: سالكاً الطريق بينهما.

عيسى ابنَ مريم»[1].

أمر النَّفَر الأربعة المتفرِّقين عن عبادة الأوثان في طلب الأديان

قال ابن إسحاق: واجتمعت قريشٌ يوماً في عيدٍ لهم عند صَنَم من أصنامهم كانوا يُعظِّمونه ويَنحَرون له، ويَعكُفون عنده، ويُدِيرُون به[2]، وكان ذلك عيداً لهم في كلِّ سنة يوماً، فخَلَصَ منهم أربعةُ نفرٍ نَجِيّاً، ثم قال بعضهم لبعض: تَصادَقُوا وليَكتُمْ بعضُكم على بعض، قالوا: أجَلْ ـ وهم وَرَقةُ بن نَوفَل بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ابن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيٍّ، وعُبيدُ الله بن جَحْش بن رِئَاب بن يَعمَر بن صَبِرَة ابن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمةَ، وكانت أُمُّه أُمَيمةَ بنت عبد المُطَّلِب، وعثمانُ بن الحُوَيرِث بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ، وزيدُ بن عَمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رِزَاح[3] بن عَدِيّ بن كعب بن

(١) خبر ضعيف واهٍ لما في إسناده من الإبهام والانقطاع، ولنكارة متنه، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٥١٦: غريب جدّاً بل منكر.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٩٩، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢١/ ٣٨٩-٣٩٠ من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٧٤ من طريق عبد الله بن إدريس، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر، عن رجل من عبد القيس، عن عمر بن عبد العزيز، به.

(٢) أي: يدورون به.

(٣) كذا قُيِّد في نسخنا من «السيرة» بكسر الرّاء، وكذا قيّده الإمام النَّحويّ أبو بحر الأسديّ الأندلسيّ في نسخته من «السيرة» كما ذكر السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٣٥٦، أما الدارقطنيُّ ـ وتبعه ابن ماكُولا ـ فقيّده بفتح الرّاء، وكذلك قيّده ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص١٥٠.

تنبيه: خولف ابن إسحاق في هذا النسب، فإنه وقع له فيه حيثما ذكره: عبد العزى بن عبد الله ابن قرط بن رياح بن رزاح، وهذا مخالفٌ لما أَطبق عليه النسّابةُ والمؤرِّخون من أن رزاحاً وَلَدَ =

لُؤيٍّ ـ فقال بعضُهم لبعض: تَعلَّموا[1] واللهِ ما قومُكم على شيء، لقد أخطَؤُوا دينَ أبيهم إبراهيم، ما حَجَرٌ نُطِيفُ به لا يسمعُ ولا يبصرُ، ولا يضرُّ ولا ينفعُ؟! يا قوم، التَمِسُوا لأنفسكم، فإنكم واللهِ ما أنتم على شيء. فتفرَّقوا في البلدان يَلتمِسون الحَنِيفيّةَ دينَ إبراهيم.

فأمّا وَرَقةُ بن نَوفَل فاستَحكَم في النصرانيّة، واتَّبع الكتبَ من أهلها، حتّى عَلِمَ علماً من أهل الكتاب، وأما عُبيد الله بن جَحْشٍ فأقام على ما هو عليه من الالتباسِ حتّى أسلمَ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحَبَشة ومعه امرأتُه أمُّ حَبِيبة بنت أبي سفيان مُسلِمةً، فلمّا قَدِمَها تَنصَّر وفارقَ الإسلام، حتّى هَلَكَ هنالك نصرانيّاً.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمّد بن جعفر بن الزُّبَير قال: كان عُبَيدُ الله بن جَحْشٍ حين تَنصَّرَ يمرُّ بأصحاب رسول الله ﷺ ـ وهم هنالك من أرض الحَبَشة ـ فيقول: فَقَّحْنا وصَأصَأتُم؛ أي: أبصَرْنا وأنتم تَلتمِسُون البصرَ ولم تُبصِروا بعدُ، وذلك أن ولدَ الكلبِ إذا أراد أن يفتحَ عينيه للنَّظَر، صَأصَأَ لينظُرَ[2]. وقوله: فَقَّحَ: فَتَحَ عَينَيه.

قال ابن إسحاق: وخَلَفَ رسولُ الله ﷺ بعدَه على امرأته أمِّ حَبِيبة بنت أبي سفيان

= قُرطاً، وأن قرطاً وَلَدَ عبدَ الله، وأن عبد الله وَلَدَ رياحاً، وأن رياحاً وَلَدَ عبدَ العزى، فهو: عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح، وانظر مثلاً «نسب قريش» لمصعب الزبيري ص٣٤٦-٣٤٧، و«الجمهرة» لابن حزم ص١٥٠.

(١) أي: اعلموا.

(٢) في (ق١): أن يفتح عينيه لينظر صأصأ ليبصر.

وصأصأَ الجروُ: حاول النظر ولمَّا تنفتحْ عيناه.

وسيعيد ابن إسحاق الخبر مرة أخرى بعد غزوة خيبر ٣/ ٤٨٩، لكنه جعله هناك من رواية محمد بن جعفر بن الزبير عن عمّه عروة بن الزبير. وكلاهما عالمٌ ثقةٌ.

ابن حَرْب.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن عليّ بن حسين: أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ فيها إلى النَّجَاشيِّ عمرَو بنَ أُميّة الضَّمْريَّ، فخَطَبَها عليه النجاشيُّ فزوَّجه إيّاها، وأصدَقَها عن رسول الله ﷺ أربعَ مئةِ دينار ـ فقال محمّد بن عليٍّ: ما نُرَى عبدَ الملك ابنَ مروانَ وَقَفَ صَدَاقَ النساء على أربعِ مئة دينار إلا عن ذلك ـ وكان الّذي أمْلَكَها رسولَ الله ﷺ خالدُ بن سعيدِ بن العاصِ[1].

---

(١) حديث صحيح، وهو هنا مرسَل، فمحمد بن عليّ بن الحسين ـ وهو ابن عليّ بن أبي طالب، المعروف بالباقر ـ من صغار التابعين، وهو إمام حُجّة، وقد روي هذا الخبر من غير وجه مرسلاً وموصولاً يقوّي بعضها بعضاً.

وأخرجه بنحوه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٤٠٤) من طريق عيسى بن يونس، والبيهقي في «السنن» ٧/ ١٣٩، وفي «دلائل النبوة» ٣/ ٤٦١، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٩/ ١٤١ من طريق يونس بن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه كذلك ابن سعد في «الطبقات» ١٠/ ٩٦ ـ ومن طريقه الحاكم (٦٩٢٧) وغيره ـ عن محمد بن عمر الواقديّ، عن إسحاق بن محمد المخزوميّ، عن جعفر بن محمد بن عليّ، عن أبيه. والواقديّ فيه مقال كثير عند المحدِّثين لكنه غير متفرِّد بهذا الخبر، فهو مقبول في جملة المتابعات والشواهد.

وأخرجه بنحوه أيضاً أحمد (٢٧٤٠٨)، وأبو داود (٢١٠٧)، والنسائي في «المجتبى» (٣٣٥٠)، والحاكم (٢٧٧٦) من طريق الزهريّ، عن عُروة بن الزبير، عن أم حبيبة نفسها. ورجاله ثقات لكن اختُلف في وصله وإرساله. وفيه: أن النجاشيَّ أمهَرَها عن النبيّ ﷺ أربعة آلاف درهم. قلنا: وهي تعادل أربع مئة دينار تقريباً.

وذكر أبو نعيم في «دلائل النبوة» ـ فيما قاله الزيلعيُّ في «تخريج الكشّاف» ٣/ ٤٥٦ ـ أن زواج النبي ﷺ بأمّ حبيبة كان في سنة ستٍّ من الهجرة، وقال: بعد رجوع النبي ﷺ من خيبر، ولا أعلم في ذلك خلافاً. قلنا: كذا وقع فيه: سنة ستٍّ، والذي عليه جمهور أصحاب السيَر =

قال ابن إسحاق: وأمّا عثمانُ بن الحُوَيرِث، فقَدِمَ على قَيصرَ ملكِ الرّوم، فتنصَّر وحَسُنَت منزلتُه عنده.

قال ابن هشام: ولعثمان بن الحُوَيرث عند قيصرَ حديث، مَنَعَني من ذكره ما ذكرتُ في حديث الفِجَار[1].

قال ابن إسحاق: وأمّا زيدُ بن عمرو بن نُفَيل، فوَقَفَ فلم يدخل في يهوديّة ولا نصرانيّة، وفارَقَ دينَ قومه، فاعتَزَلَ الأوثانَ والمَيْتةَ والدمَ والذبائحَ التي تُذبَحُ على الأوثان، ونهى عن قتل المَوءُودة، وقال: أعبُدُ ربَّ إبراهيم، وبادَى قومَه[2] بعَيبِ ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن أمّه أسماءَ بنت أبي بكرٍ قالت: لقد رأيتُ زيدَ بن عمرو بن نُفَيلٍ شيخاً كبيراً مُسنِداً ظهرَه إلى الكعبة وهو يقول: يا معشرَ قريش، والّذي نفسُ زيدِ بن عمرٍو بيده، ما أَصبَحَ منكم أحدٌ على دينِ إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهمَّ لو أني أعلمُ أيُّ الوجوه أحبُّ إليك عبدتُك به،

= والمغازي أن غزوة خيبر إنما كانت في أوائل سنة سبع للهجرة وليس سنة ستٍّ، وأراد بزواجه منها: دخوله بها، كما في «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢/ ٤٤٧، وكان عمرها يومئذٍ بضعاً وثلاثين سنة.

وأما خالد بن سعيد بن العاص، فهو خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس، وكان أقرب مهاجري الحبشةِ نسباً إلى أم حبيبة، فهي أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس، واسمها رَمْلة.

(١) يعني أنه منعه من استقصائه قطعُه حديثَ سيرةِ رسول الله ﷺ كما ذكر هناك.

(٢) الوَأْدُ: شيء كان يفعله بعضُ العرب، كان إذا وُلِدَت له بنتٌ دَفَنَها في التراب أو في الرّمل حيّةً، وأصلُ وَأَدَ: أَثقَلَ، فسُمّيَت الموءودةَ لأنها أُثقِلت بالتراب.

وبادى قومَه، أي: أظهر لهم وجاهَرَهم.

ولكنْ لا أعلمُه، ثم يسجدُ على راحَتِه[1].

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ: أنّ ابنه سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل وعمرَ بن الخَطّاب ـ وهو ابن عمِّه ـ قالا لرسول الله ﷺ: أنستغفرُ لزيدِ بن عمرٍو؟ قال: «نَعَم، فإنَّه يُبعَثُ أُمّةً وحدَه»[2].

---

(1) إسناده صحيح.

وأخرجه بنحوه النسائيّ في «الكبرى» (٨١٣١)، والحاكم (٥٩٧٢) من طريق أبي أسامة حماد ابن أسامة، عن هشام بن عروة، به.

والراحة: باطن الكفّ.

(2) حديث حسن، وقد بيَّن يونس بن بُكير في روايته للسيرة عن ابن إسحاق إسناده فيه، ففيها ص١١٩ ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٩/ ٥١١ ـ أن ابن إسحاق قال: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصين التَّميمي: أن عمر ابن الخطاب وسعيد بن زيد، فذكره. وهذا مرسل، وهو عند الحاكم (٥٩٦٩) من طريق يونس عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزُّبير عن محمد بن عبد الله بن الحُصين، وهو وهمٌ.

ورواه موصولاً عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل، فقال: «يأتي يوم القيامة أمّة وحده»، أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٧٧٥)، وأبو يعلى (٩٧٣)، والآجرّي في «الشريعة» (١٧٨٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٥١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٥/ ٦٨٤، وابن عساكر ١٩/ ٥٠٩ و٦٣/ ٦، وإسناده حسن من أجل ابن أبي الزِّناد.

ورواه كذلك يونس بن بكير في زياداته على «السيرة» ص١١٩ ـ ومن طريقه الحاكم (٥٩٦٨) ـ عن المسعوديّ، عن نُفيل بن هشام، عن أبيه: أن جدَّه سعيد بن زيد سأل رسولَ الله ﷺ عن أبيه زيد بن عمرو فقال: يا رسول الله إنّ أَبي زيدَ بنَ عمرو كان كما رأيتَ، وكما بَلَغَك، فلو أدركك آمنَ بك، فأستغفرُ له؟ قال: «نعم، فاستغفِرْ له، فإنه يجيءُ يوم القيامة أمّة وحده»، وكان فيما =

فقال زيد بن عمرو بن نُفَيل في فِراق دين قومه، وما كان لقِيَ منهم في ذلك:

أربّاً واحداً أمْ ألفُ ربٍّ ... أَدِينُ إذا تُقُسِّمَت الأمورُ

عَزَلتُ اللّاتَ والعُزَّى جميعاً ... كذلك يفعلُ الجَلْدُ الصَّبورُ

فلا عُزَّى أَدِينُ ولا ابنَتَيها ... ولا صَنَمَي بني عمرٍو أَزُورُ

ولا غَنْماً[1] أَدِينُ وكان ربّاً ... لنا في الدَّهرِ إذ حِلْمي يسيرُ

= ذكروا يطلبُ الدِّين، فمات وهو في طلبه. وهو عند أحمد في «مسنده» (١٦٤٨) عن يزيد بن هارون، عن المسعوديّ، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، عن أبيه، عن جدِّه قال.. وهذا إسناد محتمل للتحسين من أجل نفيل وأبيه، والمسعوديُّ ـ وهو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عُتبة ـ وإن كان قد اختلط، فقد روى عنه هذا الخبرَ عبدُ الله بنُ رجاءٍ عند الطبرانيّ في «المعجم الكبير» (٣٥٠)، وهو ممّن روى عنه قبل اختلاطه.

وقوله: «يُبعَث يوم القيامة أمّة وحده» له شاهد من حديث زيد بن حارثة عند النسائيّ في «الكبرى» (٨١٣٢)، والحاكم (٥٠٢٢)، وإسناده حسن.

ومن حديث أسماء بنت أبي بكر عند النسائي أيضاً (٨١٣١)، وإسناده صحيح.

وروى أبو بكر الباغَنديّ ـ ومن طريقه ابن عساكر ١٩/ ٥١٢ ـ عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد الأشجّ قال: حدّثنا أبو معاوية، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: «دخلتُ الجنةَ فرأيتُ لزيد بن عمرو بن نُفيلٍ دَوحَتَينِ». وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٣٢٧ وقال: هذا إسناد جيّد، وليس هو في شيء من الكتب؛ يعني الكتب المشهورة.

قلنا: والأُمّة في هذا الحديث معناه: الرجل الواحد المعلِّم للخير المنفرِد به، أو انفرد بدينٍ لم يَشرَكه فيه أحدٌ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠].

(١) غُيِّر في طبعة السقّا وصاحبيه إلى: ولا هُبلاً ـ مخالفين أصول «السيرة» جميعها ـ موافقةً لما وقع في هذا الشعر في كتاب «الأصنام» لابن الكلبيّ ص٢٢، وعلّلوا ذلك بأنهم لم يجدوا بين أصنام العرب صنماً له هذا الاسم، وفاتهم أن ابن الكلبي نفسه قال بعد ذلك ص٣٠: وقد كانت العرب تسمي بأسماءٍ يعبِّدونها (أي: يقولون: عبد كذا) لا أدري أعبَّدوها للأصنام أم لا؟! =

عَجِبتُ وفي اللَّيالي مُعجِباتٌ ... وفي الأيّامِ يَعرِفُها البصيرُ

بأنَّ الله قد أَفنَى رجالاً ... كثيراً كان شأنَهمُ الفُجورُ

وأَبقى آخَرِينَ ببِرِّ قومٍ ... فيَربَلُ[1] منهمُ الطفلُ الصغيرُ

وبَيْنا المَرْءُ يَعثُرُ ثابَ يوماً ... كما يَتروَّحُ الغُصنُ المَطيرُ[2]

ولكنْ أعبُدُ الرَّحمنَ ربِّي ... ليغفرَ ذَنْبيَ الربُّ الغفورُ

فتقوى اللهِ ربِّكُمُ احفَظُوها ... متى ما تَحفَظُوها لا تَبُوروا[3]

تَرَى الأبرارَ دارُهمُ جِنانٌ ... وللكفّارِ حاميةً سَعيرُ[4]

وخِزيٌ في الحياةِ وإنْ يَمُوتوا ... يُلاقُوا ما تَضِيقُ به الصُّدورُ

= منها عبد ياليل وعبد غَنْم وعبد كُلَال وعبد رُضى.

وقوله: إذ حِلمي يسير، الحِلم هنا: العقل، واليسير: القليل؛ يريد أن قومه كانوا يتخذون غَنْماً هذا ربّاً حين كان صغيراً.

(١) على حاشية (ي): قال ابن هشام: يَربُل: يسمو، وصحَّح عليها. قلنا: وقُيّدت الباء في (ص) و(ق١) و(م) أيضاً بالضم، وقُيّدت في (ت) بالفتح، وهو الموافق لما قال السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٣٦٥، حيث قال: ألفيتُ في حاشية الشيخ أبي بحرٍ: رَبَلَ الطفلُ يَربَلُ: إذا شبَّ وعَظُم، يَربَلُ بفتح الباء، أي: يَكبَر ويُنبِت، ومنه أُخذ تربيلُ الأرض.

قلنا: وأما الزَّبيديُّ في «تاج العروس» (ربل) فقد ذكر في ضبط هذا الفعل أنه من حدَّي نَصَرَ وضَرَبَ، يعني أن الباء في المضارع مضمومة ومكسورة، ولم يذكر الفتح فيها، فيُستدرك عليه ما ذكره السهيليُّ ـ وهو إمام في اللّغة ـ فتكون الباء مثلَّثة.

(٢) يعثر، أي: يقع في الآثام والخطايا. وثاب يوماً، أي: رجع. وقوله: كما يتروّح الغصن المطيرُ، أي: يهتزّ وينبت ورقُه ويخضرُّ بعد سقوطه.

(٣) لا تبوروا، أي: لا تهلكوا.

(٤) قال السهيليُّ: نصب حاميةً على الحال من سعيرٍ؛ لأن نَعْت النَّكرة إذا تقدّم عليها نُصِب على الحال.

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل ـ قال ابن هشام: هي لأُميّة بن أبي الصَّلْت في قصيدة له، إلّا البيتين الأوَّلَين والبيتَ الخامس، وآخرُها بيتاً وعَجُزُ البيت الأول عن غير ابن إسحاق ـ:

إلــى الله أُهــدي مِــدحَتي وثَنائِيــا وقــولاً رَصِيناً[1] لا يَنِي الـدَّهرَ باقِيا

إلى الملِكَ الأعلى الّـذي لـيسَ فوقَـهُ إلٰــهٌ ولا ربٌّ يكــونُ مُــدانِيا

ألَا أيُّهــا الإنســانُ إيّــاكَ والـرَّدَى[2] فإنّــك لا تُخفِــي مــن الله خافِيــا

وإيّــاكَ لا تَجعــلْ مــعَ الله غيــرَهُ فــإنّ ســبيلَ الرُّشــدِ أصــبَحَ بادِيـا

حَنانَيـكَ[3] إنّ الجِنَّ كانـت رجاءَهمْ وأنــت إلٰهــي ربُّنــا ورجائِيــا

رَضِـيتُ بـك اللهـمَّ ربّـاً فلـن أُرى أَدِيــنُ إلٰهــاً غيــرَكَ اللهُ[4] ثانِيــا

وأنـت الّـذي مِن فضـلِ مـنٍّ ورحمـةٍ بعثـتَ إلـى موسـى رسـولاً مُنادِيـا

(١) في (ت): رضيّاً.

والرَّصين: الثابت المحكَم.

وقوله: لا يَنِي، أي: لا يَفتُر ولا يضعف.

(٢) الرَّدى: الهلاك.

(٣) أي: تحنُّناً بعد تحنُّن، والتحنُّن: الرأفة والرحمة.

قال السهيليُّ: قال النحويّون: يريد حناناً بعدَ حنان، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتّكرار، لا إلى القَصْر على اثنين خاصّة دون مَزيد، ويجوز أن يريد حناناً في الدنيا وحناناً في الآخرة.

(٤) أي: أَدين لإلهٍ، وحذف اللّام وعدَّى الفعل لأنه في معنى: أعبُد إلهاً.

قال السهيليُّ: وقوله: غيرَك اللهُ، برفع الهاء، أراد: يا أللهُ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام، إلا أن حُكْم الألف واللام في هذا اللفظ المعظَّم يخالف حكمَها في سائر الأسماء، ألا ترى أنك تقول: يا أيّها الرجل، ولا ينادى اسمُ الله بيا أيّها، وتَقطَع همزته في النداء فتقول: يا أَللهُ، ولا يكون ذلك في اسمٍ غيرِه، إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسمُ لغيره من الأسماء المعرَّفة.

فقلتَ له: يا اذهَبْ[1] وهارونَ فادعُوا ... إلـى الله فِرعَـونَ الـذي كـان طاغِيـا

وقـولا لـهُ: أأنـتَ سـوَّيتَ هـذِهِ[2] ... بـلا وَتِـدٍ حتّـى اطمأنَّـت كمـا هِيـا

وقـولا لـهُ: أأنـتَ رفَّعـتَ هـذِهِ ... بـلا عَمَـدٍ أَرفِـقْ إذنْ بـكَ بانِيـا[3]

وقـولا لـهُ: أأنـتَ سـوّيتَ وَسْطَهـا ... مُنِيـراً إذا مـا جَنّـهُ الليـلُ هادِيـا[4]

وقولا لهُ: مَن يُرسِلُ الشمسَ غُدْوةً ... فيصبحَ ما مَسَّت من الأرضِ ضاحِيا[5]

وقولا لهُ: مَن يُنبِتُ الحبَّ في الثَّرَى ... فيصـبحَ منـه البَـقْلُ يهتـزُّ رابِيـا[6]

ويُخـرِجُ منـه حبَّـه في رؤوسِـهِ ... وفي ذاكَ آيـاتٌ لمـن كـان واعِيـا

وأنـت بفضـلٍ منـك نجَّيـتَ يونُسـا ... وقدْ باتَ في أضعافِ حوتٍ[7] لَيالِيا

وإنّـي ولـو[8] سـبَّحتُ باسـمِكَ ربَّنـا ... لأُكثِـرُ ـ إلّا مـا غَفَـرتَ ـ خَطَائِيـا

---

(١) في (ت) ونسخة على حاشية (ي): تذهب.

وقوله: يا اذهب، على حذف المنادى، كأنه قال: يا هذا اذهب.

(٢) يعني الأرض، وأشار إليها للعِلم بها.

(٣) رفَّعت هذه: يعني السماء. وقوله: أرفِق إذاً بك بانياً، أي: ما أَرفَقَك على معنى التعجب.

(٤) منيراً، يعني القمر. وجنَّه الليلُ: أظلَمَ حتى يُستتَر بظُلمته.

(٥) الغُدوة: أول النهار. وضاحياً، أي: بارزاً للشمس.

(٦) الثَّرى: التراب. والبقل: كل نبات اخضرّت به الأرض. ورابياً، أي: ظاهراً على وجه الأرض.

(٧) أي: في أوساطه وأحشائه.

(٨) في (ت): وإني وإن.

ومعنى البيت ـ كما قال السهيليُّ ـ: إني لأكثرُ من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا، إلا ما غفرتَ، و«ما» بعد إلَّا زائدة، و«إن سبّحتُ» اعتراض بين اسم إنَّ وخبرها، كما تقول: إني لأكثرُ من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا واللهُ يغفرُ لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، =

فرَبَّ العباـدِ ألْقِ سَـيْباً[1] ورحمـةً   علـيَّ وبـارِكْ في بَنـيَّ ومالِـيـا

وقال زيد بن عمرٍو يعاتبُ امرأته صفيّة بنت الحضرميِّ.

قال ابن هشام: واسم الحضرميِّ عبدُ الله بن عبّاد بن أكبَرَ[2] أحدُ الصَّدِف، واسم الصَّدِفِ عمرُو بن مالكٍ أحدُ السَّكُون بن أشرَسَ بن كِندِيٍّ ـ ويقال: كِندَة ـ بن ثَوْر بن مُرتِّع بن عُفَير بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيد بن مِهسَع بن عَمرو بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ، ويقال: مُرتِّع بن مالك بن زيد بن كَهْلان ابن سَبَأ.

قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرٍو قد أَجمَعَ الخروجَ من مكّة ليضربَ في الأرض يطلبُ الحَنيفيّةَ دينَ إبراهيم، فكانت صَفيّةُ بنتُ الحضرميِّ كلَّما رأته قد تهيَّأ للخروج وأراده، آذَنَت به الخَطّابَ بن نُفَيل، وكان الخطّابُ بن نُفيل عمَّه وأخاه لأمِّه[3]، وكان يعاتبُه على فِرَاق دينِ قومه، وكان الخطّابُ قد وَكَّلَ صفيّةَ به، وقال: إذا رأيتيهِ قد هَمَّ بأمرٍ فآذِنيني به، فقال عند ذلك زيدُ بن عمرو:

= أي: لا أعتمدُ وإن صلّيتُ إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي.

(١) أي: عطاءً.

(٢) «بن أكبر» ليس في (ت) و(ش١) و(ق١)، وفي (ص): عماد، مكان عبّاد، لكن أثبت في حاشيتها عبّاد وصحّح عليه. وهذا الاسم مما اختلفوا فيه، فذكره غير واحد ممن ترجم للعلاء ابن الحضرميّ بالباء كما عند ابن هشام، وذكره الدارقطنيُّ في «المؤتلف والمختلف» ٤/ ١٨٠١ في رسم عِمَاد، بالميم، وصوّبه أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٧٢-٧٣ ونقله عن غير واحد.

(٣) وذلك أن عمرو بن نُفيل تزوّج امرأة أبيه نفيل بن عبد العزّى بعد موته ـ وكان هذا معروفاً في أهل الجاهليّة غير مستنكرٍ عندهم فجاء الإسلام فحرّمه ـ فولدت له زيد بن عمرو، وكانت ولدت لأبيه نوفلٍ الخطّابَ أبا عمر بن الخطّاب، فكان الخطّابُ عمَّ زيد وأخاه لأمّه.

لا تَحبِسِينى في الهَوا نِ صَفيٌّ ما دابي ودابُهْ[1]
إنّي إذا خِفتُ الهَوا نَ مُشيَّعٌ ذُلُلٌ رِكابُهْ[2]
دُعْموصُ أبوابِ المُلو كِ وجائبٌ للخَرْقِ نابُهْ[3]
قَطّاعُ أسبابٍ تَذِلُّ بغيرِ أقرانٍ صِعابُهْ[4]
ولَرُبَّما[5] أَخذَ الهَوا نَ العَيرُ إذْ يُوهَى إهابُهْ
ويقولُ: إنّي لا أَذِلُّ بصَكِّ جَنبَيهِ صِلابُهْ[6]

(١) الهوان: الذلّ والخضوع. والدَّأب: العادة والشأن، وسهّل هنا همزته بسبب القافية. يعني: ما شأني وشأن الهوان والذلّ حتى تحبسيني وتُبقيني فيه.

(٢) مشيَّع، أي: جريء شجاع. والرِّكاب: الإبل التي يُسارُ عليها، الواحدةُ: راحلةٌ، ولا واحد لها من لفظها، والجمع: رُكُب. والذُّلُل: جمع ذَلُول، وهي السهلة التي قد ارتاضت. يريد أنه لا يقيم على الذلّ والهوان، فهو شجاع سَرْعان ما يرتحل لا يعيقه شيء عن ذلك.

(٣) الدُّعموص: سمكة صغيرة كحيّة الماء، تغوص في الماء مرّةً بعد مرّة، يُشبَّه بها الرجل الذي يكثر الولوج في الأشياء، يريد أنه يكثر مخالطة الملوك والدخول عليهم. وجائبٌ، أي: قاطعٌ، يقال: جابَ الأرضَ يجوبُها، إذا قَطَعها. والخَرْق: الفَلاة الواسعة. وذكر الناب هنا كناية عن شدّته وجَلَده في قطع البلاد الشاسعة والسفر فيها.

(٤) الأسباب: النواحي والطُّرق. والأقران هنا: جمع قِرْنٍ، وهو كفؤُ الرجل في الشجاعة ونظيره فيها، وليس كما قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» أنه جمع قَرْن وهو الحَبْل، لأنه أراد هنا أنه قادر وحدَه على قطع البلاد والنواحي البعيدة والسفر فيها وتذليل الصِّعاب التي تلاقيه، ليس معه أحدٌ يُعينه في ذلك.

(٥) في (ت) و(ش١) و(ق١) و(م): وإنما.

والعَيْر: الحمار الوحشيّ والأهليّ أيضاً. ويُوهى، أي: يُشَقّ. والإهاب: الجِلد.

(٦) ويقول: إني لا أذل، أي: يقول العَير ذلك، بصكِّ صِلابه لجنبيه، أي: بضربهما بصِلاب ما يوضَع عليه، والصِّلاب: جمع الصُّلب الشديد. وهو يريد بهذين البيتين أنه حتى العَير ـ وهو هنا =

وأَخـي ابـنُ أُمِّـي ثـمَّ عَمِّـي لا يُـواتِيني خِطابُـهْ[1]

وإذا يُعـاتِبُني بِسُـو ءٍ قلـتُ: أَعْيـاني جوابُـهْ

ولـو أشـاءُ[2] لقلـتُ مـا عنـدي مَفاتِحُـه وبابُـهْ

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نُفيل: أنّ زيداً كان إذا استقبل الكعبةَ داخلاً المسجدَ قال: لبَّيكَ حقّاً حقًّا، تعبُّداً ورِقًّا.

عُـذْتُ بمـا عـاذَ بـه إبـراهِمُ[3] مُستقبِلَ الكعبـةِ وهْـوَ قـائمُ

إذ قالَ أَنفي لـك عـانٍ راغِـمُ[4] مَهْمـا تُجَشِّـمْني فـإنّي جاشـمُ

البِـرُّ أبقَـى لا الخـالْ ليس مُهجِّرٌ كمَن قالْ[5]

قال ابن هشام: ويقال:

البِـرَّ أَبغِـي لا الخـالْ ليس مهجِّرٌ كمَن قـالْ

قال: وقوله: مستقبلَ الكعبة، عن بعضِ أهل العلم.

= الحمار الوحشيّ - وإن كان مجروحاً متألماً يأبى أن يذلَّ ويُحمَل على ظهره شيء من المتاع.

(١) لا يواتيني، أي: لا يوافقني.

(٢) هكذا في (ش١) و(ق١) و(م)، وفي (ت): أن أشاء، وفي (ص) و(غ) و(ي): أني أشاء.

(٣) في النسخ: إبراهيم، بياء، وينكسر به وزن الشِّعر.

(٤) في (ت): غارم، وفي (ق١) و(م): أنفي لك اللهم عانٍ، بزيادة لفظ «اللهم»، ولا يصح، فبه ينكسر الوزن.

والعاني: الأسير. وتجشِّمني، أي: تكلِّفني.

(٥) اضطربت النسخ في تقييد مجزوء الرَّجَز هذا، وأثبتنا ما في (ت) و(ش١) و(م)، إذ هو أضبط شيء فيه.

والخال: الخُيَلاء والتكبّر. والمهجِّر: الذي يسير في الهاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحرّ، وهو وقت القائلة أو القيلولة. كمن قال، أي: كمن استراح في القائلة ولم يَسِرْ.

قال ابن إسحاق: وقال زيد بن عمرو:

أسلَمتُ وجهي لمَن أَسلَمَت ... له الأرضُ تَحمِلُ صخراً ثِقالا

دَحَاها فلمّا رآها استوَت ... على الماءِ أَرسَى عليها الجِبالا[١]

وأسلَمتُ وجهي لمَن أسلَمَت ... له المُزْنُ تَحملُ عَذْباً زُلالا[٢]

إذا هيَ سِيقَت إلى بلدةٍ ... أطاعتْ فصَبَّت عليها سِجَالا[٣]

وكان الخطّابُ قد آذى زيداً حتّى أخرجه إلى أعلى مكّة، فنزل حِراءً مقابلَ مكّة، ووَكَّلَ به الخطّابُ شباباً من شبابِ قُريشٍ وسفهاءَ من سفهائِها، فقال لهم: لا تتركوه يدخلُ مكّة، فكان لا يدخلُها إلا سرّاً منهم، فإذا عَلِموا بذلك آذَنوا به الخطّابَ، فأخرَجُوه وآذَوْه كراهيَةَ أن يُفسِدَ عليهم دينَهم، وأن يتابعَه أحدٌ منهم على فراقِه، فقال وهو يعظِّمُ حُرْمتَه على من استَحلَّ منه ما استَحلَّ من قومه:

اللهمَّ إنّي مُحرِمٌ لا حِلَّهْ ... وإنّ بيتي أوسَطَ المَحَلّهْ[٤]

عند الصَّفا ليس بذِي مَضِلَّهْ

ثم خرج يَطلُبُ دينَ إبراهيم، ويسأل الرُّهبان والأحبار، حتّى بَلَغَ المَوصِلَ والجزيرةَ[٥] كلَّها، ثم أقبل فجالَ الشامَ كلَّها، حتى انتهى إلى راهبٍ بمَيْفَعةَ من أرض

(١) دحاها، أي: بَسَطَها. وأَرسى، أي: أثبتَها عليها وثقَّلها بها.

(٢) المُزْن: السحاب، وقال بعضهم: هو السحاب الأبيض. والعَذْب الزُّلال: الماء الصافي لا يخالطه شيء.

(٣) السِّجال: جمع سَجْل، وهو الدَّلو المملوءة ماءً، فاستعارها لكثرة المطر.

(٤) مُحرِم، أي: ساكن بالحَرَم. ولا حِلَّه: أراد أهل الحِلّ، وهو ما خرج عن الحَرَم. والمحلّة: منزل القوم.

(٥) يعني الجزيرة الفُراتيّة، وهي الجزء الشمالي من الأرض الواقعة بين نهري دجلة =

البَلْقاءِ[1] كان ينتهي إليه علمُ أهلِ النَّصرانيّة فيما يَزعُمون، فسأله عن الحَنيفيّةِ دينِ إبراهيم، فقال: إنك لتطلبُ ديناً ما أنت بواجدٍ من يَحمِلُك عليه اليوم، ولكن قد أظَلَّك زمانُ نبيٍّ يخرج من بلادك التي خرجتَ منها يُبعَثُ بدين إبراهيم الحنيفيّة، فالحَقْ بها، فإنه مبعوثٌ الآن، هذا زمانُه. وقد كان شامَّ[2] اليهوديّةَ والنصرانيّةَ فلم يرضَ شيئاً منهما، فخرج سريعاً ـ حين قال له ذلك الراهبُ ما قال ـ يريد مكّةَ، حتّى إذا توسَّط بلادَ لَخْم عَدَوْا عليه فقتلوه، فقال وَرَقةُ بن نَوفَل بن أَسدٍ يبكيه:

رَشَدتَ وأنعَمتَ ابنَ عمرٍو وإنّما ... تجنَّبتَ تَنُّوراً من النارِ حامِيا[3]

بدِينِك ربّاً ليس ربٌّ كمِثلِه ... وتَركِك أَوثانَ الطَّواغِي كما هِيا[4]

وإدراكِك الدِّينَ الذي قد طَلَبتَهُ ... ولم تكُ عن توحيدِ ربِّك ساهِيا

فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مُقامُها ... تُعلَّلُ فيها بالكرامةِ لاهِيا[5]

= والفرات، وهي إقليم واسع يمتدّ عبرَ شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق وجنوب شرق تركيا.

(١) البلقاء: إقليم من الأردنّ، من أشهر مدنه عمّان والسلط ومادبا.

وأمّا مَيفَعة فلا تُعرَف اليوم، ولم يذكرها ياقوت في «معجم البلدان»، وذكرها أبو عبيد البكريّ في «معجم ما استعجم» ٤/ ١٢٨٤ ولم يزد على قوله: قرية من أرض البلقاء من الشام؛ وذلك بناء على ما وقع في السيرة من خبر زيد بن عمرو هذا. وقال الخشنيُّ في «إملائه» ص٧٤: ميفعةُ موضعٌ، وأصله الموضع المرتفع من البِقاع، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٢) هو فاعَلَ من الشمِّ، ومعناه: استَخبَر، فاستعاره من الشمّ.

(٣) قوله: رشدت وأنعمت، أي: رَشَدتَ وبالغتَ في الرّشد، كما يقال: أمعَنتَ النظرَ وأنعَمتَه. والتنُّور في الأصل: فُرن النار الذي يُخبَز به.

(٤) الطَّواغي: جمع طاغية، وهو هنا ما عُبد من دون الله تعالى.

(٥) التعليل: سقيٌ بعد سقيٍ، وجنيُ الثمرة مرّةً بعد أخرى. وأراد بالدارِ الجنّةَ.

تُلاقِي خليلَ الله فيها ولم تكنْ ... من الناسِ جبّاراً إلى النارِ هاوِيا

وقد تُدرِكُ الإنسانَ رحمةُ ربِّهِ ... ولو كان تحتَ الأرضِ سبعينَ وادِيا

قال ابن هشام: ويروى لأُميّة بن أبي الصَّلْت البيتانِ الأوَّلانِ منها وآخرُها بيتاً في قصيدةٍ له، وقوله: أَوثان الطَّواغي، عن غير ابن إسحاق.

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

قال ابن إسحاق: وقد كان، فيما بَلَغَني عمّا كان وَضَعَ عيسى ابنُ مريم عليه السلام فيما جاءَه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صِفَةِ رسول الله ﷺ، ممّا أَثبَتَ يُحنَّسُ[1] الحَوَاريُّ لهم، حين نسخ لهم الإنجيلَ من عهد عيسى ابن مريم في رسول الله ﷺ إليهم، أنه قال: مَن أبغَضَني فقد أبغَضَ الربَّ، ولولا أنّي صنعتُ بحَضرتِهم صنائعَ لم يَصنَعْها أحدٌ قبلي، ما كانت لهم خَطِيئةٌ، ولكنْ من الآن بَطِروا وظنُّوا أنهم يَعُزُّونني، وأيضاً للرَّبّ، ولكنْ لا بدَّ من أن تَتِمَّ الكلمةُ التي في النّامُوس: أنّهم أبغَضُوني مجّاناً ـ أي: باطلاً ـ فلو قد جاء المُنْحَمَنّا[2] هذا الّذي يرسلُه اللهُ إليكم من عند الرَّبِّ، رُوحُ القِسْط[3]، هذا الّذي من عند الربِّ خَرَجَ، فهو شهيدٌ

---

(١) هو يُوحنّا صاحب الإنجيل الرابع فى العهد الجديد، وقد ورد ما قاله ابن إسحاق هنا فى آخر الإصحاح الخامس عشر وأول السادس عشر من إنجيله، ولم يرد هذا إلا فيه، إلا أنه جاء فيه في الترجمة العربية مكان كلمة الرَّبّ: أَبي! ومكان كلمة المنحمنا: المُعزِّي، ومكانها في الترجمة اليونانيّة: البارقليط (Parakletos) وتعني المُحامي والمدافع، أي: الإنسان الذي يدافع عن حقوق الآخرين. انظر كتاب «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن» لإبراهيم خليل أحمد ص٥٠.

(٢) هكذا قُيّد في (ت) و(ق١) و(م) و(ي) بضم الميم الأولى، وقُيّد في (ص) بفتحها، وفي نسخة على حاشيتها: المَنحْمَنّا.

(٣) في (ت) و(ش١) و(ق١): من عند الرب روح القدس، زاد في (ت): وقد كان القسط. =

عليَّ وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي، هذا قلتُ لكم لكَيْما لا تَشكُّوا.

فالمُنْحَمَنّا بالسُّريانيّة: محمّد ﷺ، وهو بالرُّوميّة: البَرْقَلِيطِسْ[1].

ذكر ما أخَذه اللهُ عزَّ وجلَّ لرسوله من الميثاق على الأنبياء صلَّى الله عليهم أجمعين

حدَّثنا أبو محمّدٍ عبد الملك بن هشام قال: حدَّثنا عبد الله بن زياد البَكَّائيّ، عن محمّد بن إسحاق المُطَّلِبيّ[2] قال: فلمّا بَلَغَ محمّدٌ رسولُ الله ﷺ أربعين سنةً، بَعَثَه الله رحمةً للعالمين، وكافّةً للناس[3]، وكان الله قد أَخَذَ له الميثاقَ على كلّ نبيٍّ بَعَثَه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنَّصر له على مَن خالَفَه، وأَخَذَ عليهم أن يؤدُّوا ذلك إلى كلّ مَن آمن بهم وصدَّقهم، فأدُّوا من ذلك ما كان عليهم من الحقِّ فيه، يقول الله عزَّ وجلَّ لمحمّد ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ أي: ثِقَلَ ما حمَّلتُكم من عَهْدي ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]، فأخَذَ اللهُ ميثاقَ النبيِّين جميعاً بالتصديق له، والنّصر له ممّن خالَفَه، وأدَّوْا ذلك إلى مَن آمن بهم وصدَّقهم من أهل هذينِ الكتابَينِ.

= والمثبت من بقية النسخ، وفي الإنجيل المشار إليه: روح الحقّ.

(١) المثبت من (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١) و(ي)، وكذا في حاشية (ص) وصحَّح عليها، وفي (ص) و(م): البارَقْلِيطِسْ.

(٢) الإسناد إلى ابن إسحاق ليس في (ص) و(م) و(ي).

(٣) في (ص): للناس أجمعين، وفي (ش١) و(ق١): للناس بشيراً، وفي (م): للناس بشيراً ونذيراً أجمعين.

ما ابتُدِئ به النبيُّ ﷺ في النبوّة من الرؤيا الصادقة

قال ابن إسحاق: فذكر الزُّهْريُّ، عن عُرْوةَ بن الزُّبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدَّثَته: أنَّ أوّل ما ابتُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من النبوّة ـ حين أراد اللهُ كرامتَه ورحمةَ العباد به ـ الرُّؤيا الصادقةُ، لا يَرَى رسولُ الله ﷺ رُؤْيا في مَنامِه إلا جاءت كفَلَقِ الصُّبح، قالت: وحَبَّبَ اللهُ إليه الخَلْوَةَ، فلم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من أن يَخلُوَ وحدَه[1].

تسليم الحَجَر والشجر على النبيّ ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العَلاء بن جاريَةَ الثَّقفيّ ـ وكان واعيَةً[2] ـ عن بعض أهل العِلْم: أنَّ رسول الله ﷺ حين أراده الله بكرامتِه وابتدأَه بالنُّبوّة، كان إذا خَرَجَ لحاجتِه أبعَدَ حتى تَحسِرَ عنه البيوتُ[3]

---

(١) حديث صحيح، وظاهر إسناده أنه منقطع بين ابن إسحاق والزهريّ، مع أن الزهريَّ أحد مشايخ ابن إسحاق الذين روى عنهم السيرة والحديث، ومهما يكن من أمرٍ فإن ابن إسحاق قد توبع فيه عن الزهريّ.

وأخرجه الترمذي (٣٦٣٢) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وقال: حديث حسن صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٥٩٥٩)، والبخاري (٣) و(٤٩٥٣) و(٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) من طرق أخرى عن الزهريّ، به.

قولها: فَلَق الصبح، أي: ضياؤه ونوره.

(٢) أي: حافظاً، من: وَعَى العلمَ يَعِيه، إذا حَفِظه، وأُدخلت التاء فيه للمبالغة.

(٣) تحسر عنه البيوت، أي: تبعد عنه وتنقطع.

ويُفْضي إلى شِعَاب مكّة[1] وبطونِ أوديتها، فلا يمرُّ رسولُ الله ﷺ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، قال: فيَلتفِتُ رسولُ الله ﷺ حولَه عن يمينِه وشمالِه وخلفَه، فلا يرى إلا الشجرَ والحجارةَ[2].

---

(١) أي: يصير إلى فضائها، والفَضَاء: الخالي الفارغ الواسع من الأرض. والشِّعاب: المواضع المنفرجة بين الجبال.

(٢) إسناده ضعيف لإبهام رواته الذين روى عنهم عبد الملك الثقفي، وعبد الملك هذا ليس بذاك المشهور في الرواية، ذكره البخاري في «تاريخه الكبير» ٥/ ٤٢١، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٥/ ٣٥٤، وابن حبان في «ثقاته» ٥/ ١١٦.

وقد أسنده محمد بن عمر الواقدي، فأخرجه من طريقه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٣٢ و١٠/ ٢٣٤ ـ ومن طريقه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٢٩٥ ـ والحاكم في «المستدرك» (٧١١٩) عن علي بن محمد بن عُبيد الله العُمري، عن منصور بن عبد الرحمن العبدري، عن أمِّه، عن بَرَّةَ بنت أبي تَجْراة قالت: إنَّ رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامتَه، فذكره. وهذا إسناد ضعيف جداً من أجل الواقديّ، كما أن علي بن محمد بن عبيد الله لم نقف له على ترجمة، فهو في عداد المجاهيل.

وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٩٠٢) عن عبد الله بن شبيب الرَّبَعي، عن ابن أبي أُويس، عن مسلم بن خالد، عن داود بن عبد الرحمن، عن منصور بن عبد الرحمن الحَجَبي، به. وإسنادُه واهٍ من أجل عبد الله بن شبيب، فهو ذاهب الحديث غير ثقة.

وفي الباب عن عليّ بن أبي طالب عند الترمذيّ (٣٦٢٦) والحاكم (٤٢٨٤) وغيرهما من طريق الوليد بن أبي ثور، وعند البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٥٤ من طريق يونس بن عنبسة، كلاهما عن السُّدّيِّ، عن عبّاد بن أبي يزيد، عن عليٍّ قال: كنت مع النبيّ ﷺ بمكّة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله؛ زاد يونس بن عنبسة: وأنا أسمعه. وهذا إسناد ضعيف بمرّة، الوليد بن أبي ثور منكر الحديث متفق على ضعفه، ويونس بن عنبسة لم نقف له على ترجمة، وعبّادٌ راويه عن عليٍّ مجهول لا يُدرَى من =

فمَكَثَ رسولُ الله ﷺ كذلك يَرَى ويَسمعُ ما شاء الله أن يَمكُث، ثمَّ جاءه جبريلُ عليه السلام بما جاءه من كرامةِ الله وهو بحِرَاءٍ في رمضان.

ابتداءُ نزول جبريل عليه السلام

قال ابن إسحاق: وحدَّثني وهبُ بن كَيْسانَ مولى آل الزُّبَير قال: سمعت عبدَ الله ابن الزُّبير وهو يقول لعُبيدِ بن عُمَير بن قَتَادة اللَّيْثيِّ: حدِّثنا يا عُبَيدُ كيف كان بَدْءُ ما ابتُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من النبوّة حين جاءَه جبريلُ، قال: فقال عُبَيد ـ وأنا حاضرٌ ـ يحدِّث عبدَ الله بن الزُّبير ومَن عندَه من النّاس: كان رسولُ الله ﷺ يُجاوِرُ في حِرَاءٍ[1] من كلِّ سنةٍ شهراً، وكان ذلك ممّا تَحنَّثُ به قريشٌ في الجاهليّة.

والتحنُّثُ: التَّبَرُّر[2].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالبٍ:

= هو، وأمّا السُّدّيُّ فصدوق يهم كما قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب».

وخالف شجاعُ بن الوليد فرواه فيما أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤٣١)، وابن المقرئ في «معجمه» (١٢٢) عن زياد بن خيثمة، عن السُّدّيِّ، عن أبي عُمارة الخَيْواني، عن عليٍّ. كذا قال فيه: عن أبي عُمارة الخيواني، فإن كان هذا محفوظاً، فإن أبا عمارة هذا اسمه عبد خير بن يزيد، وهو ثقة، وأمّا شجاع بن الوليد فهو من بابة السدّيِّ، صدوق له أوهام، وشيخه زياد بن خيثمة ثقة.

وأصحُّ ما جاء في هذا الباب حديثُ سماك بن حرب، عن جابر بن سَمُرة، عن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً بمكّة كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أُبعَث، إني لأعرفه الآن». أخرجه أحمد (٢٠٨٢٨) ومسلم (٢٢٧٧) وغيرهما، وسماك بن حرب صدوق حسن الحديث، وفي حديثه هذا ذكر النبيُّ ﷺ الحجر دون الشجر، وذكر حجراً واحداً بعَينِه دون سائر الأحجار.

(١) أي: يعتكف. وحِراء: جبل معروف بمكّة.

(٢) أي: طلب البِرِّ، وهو الطاعة.

وثَورٍ ومَن أَرسى ثَبيـراً مكانَـهُ   وراقٍ ليَرقَـى في حِـراءٍ ونـازلِ[1]

قال ابن هشام: تقول العربُ: التحنُّث والتحنُّف، يريدون الحَنِيفيّة، فيُبدِلُون الفاءَ من الثاء، كما قالوا: جَدَثٌ وجَدَفٌ، يريدون القَبْر، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

لوْ كانَ أَحجاري معَ الأجدافِ[2]

يريد: الأجداثَ، وهذا البيت في أُرجوزةٍ له، وبيت أبي طالبٍ في قصيدةٍ له سأذكرُها إن شاء الله في موضعها.

قال ابن هشام: وحدَّثني أبو عُبيدة: أنّ العرب تقول: فُمَّ، في موضع ثُمَّ، يُبدِلون الفاءَ من الثاءِ[3].

قال ابن إسحاق: حدَّثني وهبُ بن كَيْسانَ قال: قال عُبيدٌ: فكان رسول الله ﷺ يُجاوِر ذلك الشهرَ من كلِّ سنةٍ، يُطعِمُ من جاءه من المساكين، فإذا قَضَى رسول الله ﷺ جِوارَه من شهرِه ذلك، كان أوّلَ ما يَبدأُ به إذا انصرف من جِوارِه الكعبةُ قبلَ أن يدخل بيتَه، فيطوفُ بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ثم يَرجِعُ إلى بيته، حتى إذا كان

(١) ثور وثَبير وحراء جبال بمكّة. وراقٍ، أي: صاعد. وسيأتي هذا البيت لاحقاً ضمن قصيدة طويلة لأبي طالب في قصة عرض النبي ﷺ دعوتَه على قومه.

(٢) الأجداف: القبور، والأحجار: التي توضع عليها.

وهذا من أُرجوزة له يخاطب بها أباه ويعاتبُه على شيء بَدَرَ منه في حقِّه، وهي في «ديوانه» ص١٠٠. وانظر «خزانة الأدب» للبغداديّ ٢/ ٤٥ و٤٦.

(٣) قال أبو ذرٍّ الخُشنيّ في «إملائه» ص٧٥: كذا قال ابن هشام، والجيّد فيه أن يكون التحنّثُ هو الخروجَ من الحِنْث، أي: الإثم، كما يكون التأثُّمُ الخروجَ عن الإثم، لأن تَفعَّلَ قد تُستعمَل في الخروج عن الشيء وفي الانسلاخ عنه، ولا يُحتاج فيه إلى الإبدال الذي ذكره ابن هشام. وانظر «الروض الأُنف» ٢/ ٣٩٠-٣٩١.

الشهرُ الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامتِه، من السَّنةِ التي بَعَثَه فيها، وذلك الشهرُ رمضانُ، خرج رسولُ الله ﷺ إلى حِراءٍ كما كان يخرج لجوارِه ومعه أهلُه، حتّى إذا كانت الليلةُ التي أكرَمَه الله فيها برسالته، ورَحِمَ العبادَ بها، جاءه جبريلُ عليه السلام بأمر الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «فجاءَني وأنا نائمٌ بنَمَطٍ من دِيباجٍ[1] فيه كِتابٌ، فقال: اقرأْ، قال: قلت: ما أَقرَأُ، قال: فغَتَّني به[2] حتّى ظننتُ أنّه الموتُ، ثمّ أرسَلَني فقال: اقرأْ، قال: قلت: ما أَقرَأُ، قال: فغَتَّني به حتّى ظننتُ أنّه الموتُ، ثمّ أرسَلَني فقال: اقرأْ، قال: قلت: ما أَقرَأُ، قال: فغَتَّني به حتّى ظننتُ أنّه الموتُ، ثمّ أرسَلَني فقال: اقرأْ، قال: قلت: ماذا أَقرَأُ؟ ما أقولُ ذلك إلا افتِداءً منه أن يَعُودَ لي بمِثْلِ ما صَنَعَ بي، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ قال: فقَرَأتُها، ثم انتَهى فانصَرَفَ عنّي وهَبَبتُ من نَوْمي، فكأنَّما كُتِبَت في قَلْبي كتاباً.

قال: فخرجتُ حتّى إذا كنتُ في وَسَطٍ من الجبلِ سمعتُ صوتاً من السّماءِ يقول: يا محمَّدُ، أنت رسولُ اللهِ وأنا جبريلُ، قال: فرَفَعتُ رأسي إلى السّماءِ أنظُرُ، فإذا جِبريلُ في صورةِ رجلٍ صافٍّ قَدَمَيهِ في أُفُقِ السّماءِ[3] يقول: يا محمَّدُ، أنت رسولُ الله وأنا جبريلُ، قال: فوَقَفتُ أنظُرُ إليه فما أتقدَّمُ وما أتأخَّرُ، وجعلتُ أَصرِفُ وجهي عنه في آفاقِ السماءِ، فلا أنظُرُ في ناحيةٍ منها إلا رأيتُه كذلك، فما زلتُ واقفاً ما أتقدَّمُ أمامي وما أرجِعُ ورائي حتى بَعَثَت خديجةُ رُسُلَها في طَلَبي، فبَلَغُوا مكّةَ[4] ورَجَعُوا

---

(١) النَّمَط: بساط له خَمْل رقيق. والدّيباج: ما نُسج من أحسن الحرير.

(٢) يقال: غتَّني ـ بالتاء ـ وغطَّني ـ بالطاء أيضاً ـ ومعناه: شدَّني وغمَّني.

(٣) أي: ناحيتها.

(٤) في نسخة (ش١): فبلغوا أعلى مكة.

إليها وأنا واقفٌ في مكاني ذلك، ثم انصَرَفَ عنّي، وانصَرَفتُ راجعاً إلى أهلي حتّى أَتيتُ خديجةَ فجَلَستُ إلى فَخِذِها مُضِيفاً إليها[1]، فقالت: يا أبا القاسمِ، أين كنتَ؟ فواللهِ لقد بَعَثتُ رُسُلي في طلبِك حتّى بَلَغُوا مكّةَ ورَجَعُوا إليّ، ثمّ حدَّثتُها بالّذي رأيتُ، فقالت: أبشِرْ يا ابنَ عمٍّ واثبُتْ، فوالَّذي نفسُ خديجةَ بيدِه، إنّي لَأرجُو أن تكونَ نبيَّ هذه الأُمّةِ».

ثم قامت فجَمَعَت عليها ثيابَها، ثم انطَلَقَت إلى وَرَقةَ بن نَوفَل بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ، وهو ابن عمِّها، وكان ورقةُ قد تَنصَّرَ وقرأَ الكتبَ، وسمع من أهل التوراةِ والإنجيلِ، فأخبَرَته بما أخبَرَها به رسولُ الله ﷺ؛ أنه رأَى وسَمِعَ، فقال ورقةُ بن نَوفَل: قُدُّوس قُدُّوس[2]، والذي نفسُ ورقةَ بيدِه، لَئِن كنتِ صَدَقْتِني يا خديجةُ، لقد جاءَه النّامُوسُ[3] الأكبَرُ الّذي كان يأتي موسى، وإنّه لنبيُّ هذه الأُمّة،

(١) أي: ملتصقاً بها، يقال: أَضَفتُ إلى الرجل، إذا مِلتَ نحوه ولَصِقتَ به، ومنه سُمّي الضيفُ ضيفاً.

(٢) قُدُّوس قُدُّوس، معناه: طاهر طاهر، وأصله من التقديس: وهو التطهُّر، ومنه بيت المَقدِس، والأرض المقدَّسة: المطهَّرة.

(٣) الناموس في الأصل: هو صاحب سرِّ الرجل في خيره وشرِّه، فعبَّر عن الملَك الذي جاءه بالوحي به. وقال بعضهم: الناموس: هو صاحب سرّ الخير، والجاسوس: هو صاحب سرّ الشرّ.

فائدة: قال الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي» ص٧٩ في التعليق على ذِكر ورقة لموسى دون عيسى عليهما السلام: لأن الشَّبه بين الوحي إلى موسى ومحمد عليهما السلام أتمُّ، لأنّ كلًّا منهما أُوتي شريعةً تامّةً مستقلّةً في عباداتها ومعاملاتها وسياستها وقوّتها العسكرية، وعيسى عليه السلام كان تابعاً لشريعة التوراة وناسخاً لبعض الأحكام التي يقتضيها الإصلاح ومبشّراً بالنبيِّ الذي يأتي من بعده بالشرع الكامل العامّ الدائم، وهو محمدٌ رسول الله وخاتم النبيِّين، وفي بعض الروايات الضعيفة: أن ورقة قال: ناموس عيسى. اهـ، وانظر «الجواب =

فقولي له: فليَثبُتْ. فرَجَعَت خديجةُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقةَ.

فلمّا قَضَى رسولُ الله ﷺ جِوارَه وانصرف، صَنَعَ كما كان يَصنَعُ، بدأَ بالكعبة فطاف بها، فلَقِيَه ورقةُ بن نَوفَل وهو يطوفُ بالكعبة فقال: يا ابنَ أخي، أخبِرْني بما رأيتَ وسمعتَ، فأخبره رسولُ الله ﷺ، فقال له ورقةُ: والّذي نفسي بيده، إنك لنبيُّ هذه الأُمّة، ولقد جاءك الناموسُ الأكبَرُ الذي جاء موسى، ولَتُكذَّبَنَّهْ ولتُؤذَيَنَّهْ ولتُخرَجَنَّهْ ولتُقاتَلَنَّهْ[1]، ولَئِن أنا أدركتُ ذلك اليومَ لأنصُرنَّ اللهَ نصراً يَعلَمُه، ثم أَدنَى رأسَه منه فقبَّل يافُوخَه[2]، ثم انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى منزِله[3].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني إسماعيل بن أبي حَكِيم مولى آل الزُّبير: أنه حُدِّثَ عن خديجةَ: أنها قالت لرسول الله ﷺ: أيِ ابنَ عمٍّ، أتستطيعُ أن تُخبِرَني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءَك؟ قال: «نعم» قالت: فإذا جاءَك فأخبِرني به. فجاءه جبريلُ كما كان يَصنَعُ، فقال رسول الله ﷺ لخديجةَ: «يا خديجةُ، هذا جبريلُ قد جاءَني»

= الصحيح لمن بدّل دين المسيح» لابن تيميّة ١/ ١١٦، و«فتح الباري» لابن حجر ١/ ٥٥.

(١) الهاء في هذه الأفعال للسكت، وهي لا يُنطَق بها إلا ساكنة.

(٢) اليافوخ: وسط الرأس.

(٣) إسناده فيه لِينٌ من جهة إرساله، فعُبيد بن عُمير تابعيٌّ وهو لم يبيِّن عمّن حمله، وقد تفرَّد في خبره هذا بأحرفٍ ممّا يُستَنكر، مثل قوله في الخلوة بحراء من كل سنة شهراً: أن ذلك كان مما تَحنَّثُ به قريشٌ في الجاهلية، وأن رسول الله ﷺ كان أهله معه في حراء في الشهر الذي أُوحي إليه فيه، وأن جبريل جاءه وهو نائمٌ فقال له: اقرأ!

وأخرجه من طريق ابنِ إسحاق بهذا الإسناد الطبريُّ في «تاريخه» ٢/ ٣٠٠-٣٠٢، وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٣/ ١٢-١٤.

وأصحُّ شيء في بَدْء الوحي ما أخرجه البخاري (٣) و(٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠) من حديث عروة ابن الزُّبير عن خالته أم المؤمنين عائشة. وليس فيه تلك الأحرف المستنكرة، فارجع إليه.

قالت: قمْ يا ابنَ عمٍّ فاجلِسْ على فَخِذي اليسرى، قال: فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تَرَاه؟ قال: «نعم» قالت: فتَحوَّلْ فاقعُدْ على فَخِذي اليمنى، قال: فتحوَّلَ رسول الله ﷺ فقعَدَ على فَخِذِها اليمنى، فقالت: هل تَرَاه؟ قال: «نعم» قالت: فتحوَّلْ فاجلِسْ في حَجْري، قال: فتحوَّلَ رسول الله ﷺ فجلس في حَجْرِها، ثم قالت: هل تَرَاه؟ قال: «نعم».

قال: فتَحسَّرَت فألَقَت خِمارَها[1] ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في حَجْرِها، ثم قالت: هل تَرَاه؟ قال: «لا» قالت: يا ابنَ عمٍّ، اثبُتْ وأَبشِرْ، فواللهِ إنّه لمَلَكٌ وما هو بشيطانٍ[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثتُ هذا الحديثَ عبدَ الله بنَ حسنٍ فقال: قد سمعتُ أمّي

---

(١) أي: كشفت عن رأسها، والخِمار: غطاء الرأس.

(٢) حديث حسنٌ، أرسله ابن إسحاق عن إسماعيل بن أبي حكيم ووصله غيره كما سيأتي، وإسماعيل ثقة وكان كاتباً لعمر بن عبد العزيز، والطريق التالية تشهد له أيضاً.

وأخرجه الدولابيّ في «الذرية الطاهرة» (٢٤) عن ابن البرقي أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم، عن عبد الملك بن هشام.

وهو عند ابن إسحاق في «السيرة» برواية يونس بن بكير عنه ص١٣٣، ومن طريقه أخرجه الآجرّي في «الشريعة» (١٦٧٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٥١-١٥٢، ومن رواية سلمة ابن الفضل الأبرش عن ابن إسحاق عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٠٢-٣٠٣. وعندهما حديث عبد الله بن حسنٍ التالي أيضاً.

وأخرجه موصولاً الطبراني في «الأوسط» (٦٤٣٥)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٦٤) من طريق الحارث بن محمد الفِهْري، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن عمر بن عبد العزيز، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أم سَلَمة، عن خديجة. وهذا إسناد جيد، وحسّنه الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٥٦.

فاطمةَ بنتَ حُسينٍ[1] تُحدِّثُ بهذا الحديث عن خديجةَ، إلا أني سمعتُها تقول: أدخَلَت رسولَ الله ﷺ بينها وبين دِرْعها[2]، فذهب عند ذلك جبريلُ، فقالت لرسول الله ﷺ: إنَّ هذا لمَلَكٌ وما هو بشيطانٍ.

ابتداءُ تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق: فابتُدِئَ رسولُ الله ﷺ بالتنزيل في رمضانَ، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ إلى خاتمة السورة، وقال: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الدخان:١-٥]، وقال: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وذلك مُلتقَى رسول الله ﷺ والمشركين ببدرٍ.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني أبو جعفرٍ محمّد بن عليّ بن حُسينٍ: أنّ رسول الله ﷺ الْتَقى هو والمشركون ببدرٍ يومَ الجُمُعة، صَبيحةَ سبعَ عشرةَ من رمضان[3].

---

(١) فاطمة هذه: هي بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب، زوجُ الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وهي وابنها عبد الله ثقتان جليلا القَدْر، وروايتها عن جدّة أبيها خديجة مُعضَلة.

(٢) درع المرأة: قميص قصير تلبسه المرأة عادةً في بيتها.

(٣) أبو جعفر: هو المعروف بالباقر. وخبره هذا في «سيرة ابن إسحاق» أيضاً برواية يونس بن بكير ص١٣٠، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٢٧.

وأخرجه أيضاً ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٩ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه. ثم قال: وهذا الثبتُ أنه يوم الجمعة. أي: يوم بدر.

قلنا: وهذا هو المحفوظ المشهور عند أهل السِّيَر والمغازي في تأريخ وقعة بدر: أنها كانت =

قال ابن إسحاق: ثم تتامَّ الوحيُ إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمنٌ بالله، مصدِّقٌ بما جاءه منه، قد قَبِلَه بقَبُولِه، وتَحمَّل منه ما حُمِّلَه على رِضا العبادِ وسَخَطِهم، والنُّبوّةُ أثقالٌ ومَؤُونة، لا يَحمِلُها ولا يَستضلِعُ بها[1] إلا أهلُ القوّة والعَزْم من الرسل بعَوْن الله تعالى وتوفيقه، لِمَا يَلقَونَ من الناس وما يُرَدُّ عليهم ممّا جاؤوا به عن الله، فمضى رسول الله ﷺ على أمر الله، على ما يَلقَى من قومه من الخلاف والأَذى.

إسلام خَدِيجة بنت خُوَيلِد

وآمنت به خديجةُ بنت خُوَيلِد وصدَّقت بما جاءه من الله، ووازَرَتْه[2] على أمره، فكانت أوّلَ من آمن بالله وبرسولِه وصَدَّقَ بما جاءَ منه، فخَفَّفَ اللهُ بذلك عن رسوله ﷺ، لا يَسمَعُ شيئاً يكرهُه من ردٍّ عليه وتكذيبٍ له فيَحزُنه ذلك، إلا فرَّج اللهُ عنه بها إذا رجع إليها، تثبِّتُه وتخفِّفُ عليه، وتصدِّقُه وتهوِّنُ عليه أمرَ النّاس، يرحمُها الله

= يوم الجمعة في التاريخ المذكور، وقيل: يوم الاثنين، وقيل غير ذلك، ولا يصحُّ، قال ابن سعد: الثبتُ أنه يوم الجمعة وحديث يوم الاثنين شاذٌّ. وانظر «الدلائل» للبيهقي ٣/ ١٢٦-١٢٨، و«شرح الزرقاني على المواهب اللَّدنيّة» ٢/ ٢٦٢.

وإيراد ابن إسحاق لهذا الخبر هنا مع ما سبقه من سرد الآيات، إنما أراد به أن ابتداء الوحي وتنزُّل القرآن على رسول الله ﷺ وافق ذلك العامَ يومَ وقعة بدر فيما بعد؛ وهو يومُ الجمعة السابع عشر من رمضان.

لكن يعكِّر على رأي ابن إسحاق هذا في تعيين يوم الجمعة، ما صحَّ من حديث أبي قتادة الأنصاري عند أحمد (٢٢٥٥٠) ومسلم (١١٦٢) وغيرهما: أن النبي ﷺ قال، وقد سُئل عن صوم يوم الاثنين: «ذاك يومٌ وُلِدتُ فيه، ويوم أُنزِل عليَّ فيه». وهذا أصحُّ، والله تعالى أعلم. وانظر «الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم» لمُغلطاي ١/ ٥٢١-٥٢٢.

(١) التضلُّع: الامتلاء حتى تمتدَّ أضلاعه من شِبَعٍ أو رِيٍّ، أو علمٍ ومعرفةٍ على سبيل المجاز.

(٢) أي: شدَّت أَزْرَه وقوَّته، والأَزْر: القوّة.

تعالى.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني هشام بن عُرْوةَ، عن أبيه عُرْوة، عن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرتُ أن أبشِّرَ خديجةَ ببيتٍ من قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ»[1].

قال ابن هشام: القَصَبُ هاهنا: اللُّؤلؤ المُجوَّف.

قال ابن هشام: وحدَّثني مَن أثِقُ به: أن جبريلَ أتى رسولَ الله ﷺ فقال: أَقرِئْ خديجةَ السَّلامَ من ربِّها، فقال رسول الله ﷺ: «يا خديجةُ، هذا جبريلُ يُقرِئُكِ السلامَ من ربِّك» فقالت خديجةُ: اللهُ السلامُ، ومنه السلامُ، وعلى جبريلَ السلامُ[2].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (١٧٥٨)، والحاكم (٤٩٠٨) و(٤٩٠٩) وغيرهما من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وفي الباب عن عبد الله بن أبي أَوفى عند البخاري (١٧٩٢)، ومسلم (٢٤٣٣).

وعن أبي هريرة عند البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

وعن عائشة عند البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٤).

والصَّخَب: الصِّياح، والنَّصَب: التعب.

(٢) حديث حسن، وإسناد ابن هشام ضعيف لإعضاله وإبهام رواته، لكن روي هذا الحديث من وجه حسنٍ مُسنَداً موصولاً.

فقد أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٣٠١) و(١٠١٣٤)، والحاكم (٤٩١٦) من طريق جعفر ابن سليمان الضُّبَعيّ، عن ثابت، عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ وعنده خديجة وقال: إن الله يُقرِئُ خديجةَ السلامَ، فقالت: إنّ الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله. وإسناده حسن.

وفي الباب أيضاً عن سعيد بن أبي هلال عن عمرو بن وهب مرسلاً عند ابن السنّيّ في «عمل =

فَتْرة الوَحْي ونزولُ سورة الضُّحى

قال ابن إسحاق: ثم فَتَرَ الوحيُ عن رسول الله ﷺ فَتْرَةً من ذلك[1]، حتى شَقَّ عليه وأحزَنَه، فجاءه جبريلُ بسورة الضُّحى، يُقسِمُ له ربُّه ـ وهو الّذي أكرمه بما أكرمه به ـ ما وَدَّعَه وما قَلَاه، فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ يقول: ما صَرَمَك[2] فتَرَكَك، وما أبغَضَك منذُ أحبَّك ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ أي: لَمَا عندي من مَرجِعِك إليَّ، خيرٌ لك ممّا عَجَّلتُ لك من الكرامة في الدنيا

= اليوم والليلة» (٢٤٠)، وزاد في سلام خديجة: وعلى من سمع إلا الشيطانَ. وهو ضعيف، وعمرو بن وهب هذا لم نتبيَّنه.

ولإقراء خديجة السلامَ من الله تعالى دون جوابها شاهدٌ من حديث أبي هريرة عند البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢)، قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناءٌ فيه إدام ـ أو طعام أو شراب ـ فإذا هي أتتك فاقرَأْ عليها السلام من ربِّها ومنّي، وبشِّرها ببيتٍ... إلخ.

(١) كذا هو عن ابن إسحاق في رواية البكّائيِّ وفي رواية يونس بن بكير ص١٣٥؛ لم يذكر فيه مقداراً لهذه الفترة، وقد نصَّ على ذلك السهيليُّ في «الروض» ٢/ ٤٣٣: أن ابن إسحاق لم يذكر مقدار مدّة الفَتْرة، فأمّا ما وقع لابن حجر في «فتح الباري» ١/ ٥٨ من أن ابن إسحاق جَزَمَ بأنها كانت ثلاث سنين، فذهولٌ منه رحمه الله.

أما فترة الوحي، فقد روي عن ابن عباس عند ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٦٦ أنها أيامٌ، وإسناده إليه ضعيف جداً.

وذكر السهيليُّ: أنه جاء في بعض الأحاديث المسنَدة أنها كانت سنتين ونصف سنة؛ كذا قال! ولم نقف على شيء من ذلك، والراجح أنه لم يثبت في توقيتها شيءٌ، وإن كان منطق الأشياء يقول بمعقوليّة كونها أياماً أو أسابيع، لم تتعدَّ ذلك، والله تعالى أعلم.

(٢) أي: ما قَطَعَك، والصَّرْم: القطيعة.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ من الفَلْج[1] في الدنيا، والثَّواب في الآخرة ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ يُعرِّفه ما ابتدأَه به من كرامتِه في عاجل أمرِه، ومَنِّه عليه في يُتمِه وعَيْلتِه[2] وضلالتِه، واستنقاذِه من ذلك كلِّه برحمته.

قال ابن هشام: ﴿سَجَىٰ﴾: سَكَنَ، قال أُميّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفيّ:

إذْ أَتى مَوهِناً وقدْ نامَ صَحْبي   وسَجَا اللّيلُ بالظّلامِ البَهيمِ[3]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

ويقال للعَينِ إذا سَكَنَ طَرْفُها: ساجيةٌ، وسَجَا طَرْفُها، قال جَرير:

ولقد رَمَينَك حينَ رُحْنَ بأَعيُنٍ   يَقتُلنَ من خَلَلِ السُّتورِ سَوَاجي[4]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

---

(١) أي: من الظُّهور والنصر والظَّفَر، يقال: فَلَجَ الرجلُ على خصمه، إذا غَلَبه وظَهَرَ عليه.

(٢) العَيْلة: الفقر والحاجة.

(٣) المَوهِن ـ بفتح الميم وكسر الهاء كما نصَّ على ذلك الفارابيّ في «معجم ديوان الأدب» ٣/ ٢٢٦، والحِميَريّ في «شمس العلوم» ١١/ ٧٣٠٧، وانفرد الزَّبيديّ في «تاج العروس» فقيّدها بضمّ الميم ـ: نحوٌ من نصف الليل. والبَهيم: ما كان لوناً واحداً لا يخالطه شيء، وأراد به المظلم الذي لا ضياءَ فيه.

قال الدكتور عبد الحفيظ السطلي في جمعه وتحقيقه «ديوان أميّة» ص٤٨٨ ولم يذكر فيه غير هذا البيت: لعلّه يتحدث عن طَيفٍ ألمَّ به ليلاً.

(٤) السواجي نعتٌ للأعيُن، وقوله: من خلل الستور، يعني تنظر النساء إليك من الفُرجة والشَّقِّ الذي يكون بين السُّتور، يعني ستور الهَوادِج التي فوق الرواحل.

والقصيدة في «ديوانه» ص٧٣، وهو يمدح بها الحجّاج الثقفيّ.

والعائلُ: الفقير، قال أبو خِرَاش الهُذَليّ[1]:

إلى بيتِهِ يأْوي الضَّرِيكُ إذا شَتَا ... ومُستنبِحٌ بالِي الدَّرِيسَينِ عائلُ[2]

وجمعه: عالَةٌ وعُيَّلٌ.

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرُها إن شاء الله في موضعها[3].

والعائلُ أيضاً: الذي يَعُولُ العِيالَ.

والعائل أيضاً: الحائف[4]، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟[5]﴾ [النساء:٣]

وقال أبو طالب:

---

(١) يرثي ابنَ عمه زهير بن العَجْوة، وكان قتله جميلُ بن معمر الجُمَحي يوم حُنين، كما سيأتي في قصة غزوة حنين وما قيل فيها من أشعار. وانظر أيضاً «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكّري ٣/ ١٢٢١، و«الاختيارَين» للأخفش الأصغر ص٦٨١.

(٢) الضَّريك: الفقير السيِّئ الحال، وفي «أشعار الهذليين» مكانه: الغريب. وقوله: إذا شتا، أي: إذا أصابته مجاعة وقِلّة.

والمُستنبِح: الذي يضلُّ بالليل فيَنبِح نِباحَ الكلاب لتسمعَه الكلابُ فتجاوبَه، فيعلمَ مواضعَ البيوت فيَقصِدَها. وفي «الديوان» و«الاختيارين» مكانه: ومُهتلِكٌ، وهو الساقط من الجوع كما قال الأخفش.

وبالي الدَّريسين، الدَّرِيس: الثوبُ الخَلَقُ البالي، وثنّاه لأنه أراد به الإزار والرِّداء، وهو أقلُّ ما يكون للرجل من اللباس.

(٣) ٤/ ١٧٩.

(٤) هكذا في (ش١) و(غ) و(م)، بالحاء المهملة، وتصحَّف في بقية النسخ والمطبوعات السابقة للكتاب إلى: الخائف، من الخوف، والصواب أنه بالحاء من الحَيْف، وهو الجَوْر والظلم والمَيْل في الحكم، وعليه استشهد ابن هشام بآية النساء.

(٥) أي: أقرب أن لا تَجُوروا أو تَمِيلوا.

بميزانِ قِسطٍ لا يُخِسُّ[1] شَعيرةً   لـه شـاهدٌ مـن نَفسِـهِ غيـرُ عائـلِ

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها[2].

والعائلُ أيضاً: الشيءُ المُثقِل المُعْيِي، يقول الرجل: قد عالَني هذا الأمرُ، أي: أثقَلَني وأعياني، قال الفَرَزدق:

تَرَى الغُرَّ الجَحاجِحَ من قُرَيشٍ   إذا مـا الأمـرُ في الحَـدَثانِ عـالَا[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ أي: لا تكن جبّاراً ولا متكبِّراً، ولا فحّاشاً فَظّاً على الضعفاء من عباد الله.

---

(١) في (ش١) و(ص) و(م): لا يخيس. من قولهم: خاسَ بالعهد، إذا نَقَضَه وأفسده. وأمّا قوله: «لا يُخِسّ» فمعناه: لا يَنقُص.

والقِسط: العدل. والعائل هنا: الجائر المائل عن الحقّ.

(٢) ص٣١٨.

(٣) الغُرّ: جمع أَغرَّ، وهو السيّد المشهور في قومه. والجحاجح: السادة الأشراف. والحَدَثان: حوادث الدهر.

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق ـ وهي في «ديوانه» ص٤٢٢ ـ يمدح بها سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة، وكان كريماً جواداً، وكان حينئذٍ أميرَ المدينة من قِبَل معاوية، وكان يولِّيه معاويةُ سنةً ويولِّي مروانَ بن الحَكَم سنةً أخرى، فأنشد الفرزدقُ سعيدَ بن العاص بحضرة مروان هذه القصيدةَ وفيها هذا البيت، ويتصل به:

قياماً ينظـرون إلى سعيـدٍ   كأنَّهـمُ يَـرَونَ بـه الهِـلالا

فيقال: إن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حَسَدَه، فقال له: قل: قعوداً ينظرون إلى سعيدٍ، يا أبا فراس، فقال له الفرزدق: واللهِ يا أبا عبد الملك إلّا قِياماً على الأقدام. انظر «الروض الأنف» للسهيليّ ٢/ ٤٣٥.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ أي: بما جاءَك من الله من نعمته وكرامته من النبوَّة فحَدِّث، أي: اذكُرْها وادعُ إليها، فجعل رسول الله ﷺ يذكُر ما أَنعَمَ اللهُ به عليه وعلى العِبادِ به من النبوّة سرّاً إلى من يطمئنُّ إليه من أهلِه[1].

ابتداءُ فرض الصلاة

وافترِضَت عليه الصلاةُ فصَلَّى، صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، والسلامُ عليه ورحمةُ الله وبركاتُه[2].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني صالحُ بن كَيْسان، عن عُرْوة بن الزُّبَير، عن عائشة قالت: افترِضَت الصلاةُ على رسول الله ﷺ أوّلَ ما افترِضَت ركعتَينِ ركعتَينِ كلَّ

---

(١) وتحتمل الآية أيضاً التحدُّث بنِعَم الله عامّةً، روى الطبريّ في «تفسيره» عند هذه الآية عن أبي نَضْرة العبديّ ـ أحد التابعين ـ قال: كان المسلمون يَرَون أن من شُكر النِّعَم أن يُحدَّث بها.

(٢) وهذا قبل افتراضها خمسَ صلوات في اليوم والليلة كما وقع في ليلة الإسراء، قال أبو إسحاق الحَرْبي ـ كما في «التمهيد» لابن عبد البر ٨/ ٣٤ ـ: أوّل ما فُرضت بمكّة فركعتان في أوّل النهار وركعتان في آخره، قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ١١: ويشهد لهذا القول قوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر:٥٥]، وقال يحيى بن سلّام مثله، وقال: كان الإسراءُ وفرضُ الصلوات الخمس قبل الهجرة بعامٍ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة (يعني الآتي): فزيد في صلاة الحضر، أي: زيد فيها حين أُكملت خمساً، فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات، ويكون قولها: فرضت الصلاة ركعتين، أي: قبل الإسراء، وقد قال بهذا طائفة من السلف، منهم ابن عبّاس، ويجوز أن يكون معنى قولها: فُرضت الصلاة، أي: ليلة الإسراء حين فُرضت الخمس فُرضت ركعتين ركعتين، ثمّ زِيدَ في صلاة الحَضَر بعد ذلك، وهذا هو المرويُّ عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» ١٤/ ٤٧٢: إن النبيّ ﷺ كان قبل الإسراء يصلّي قطعاً، وكذلك أصحابه.

صلاةٍ، ثمّ إنَّ الله تعالى أتَمَّها في الحَضَرِ أربعاً، وأقَرَّها في السفر على فَرْضِها الأوّل ركعتَينِ[1].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعضُ أهل العلم: أنَّ الصلاة حين افتُرِضَت على رسول الله ﷺ، أتاه جبريلُ وهو بأعلى مكّة، فهَمَزَ له بعَقِبه في ناحيةِ الوادي فانفَجَرَت منه عينٌ، فتوضَّأَ جبريلُ ورسولُ الله ﷺ ينظرُ، ليُرِيَه كيف الطُّهورُ للصلاة، ثم توضّأَ رسولُ الله ﷺ كما رأى جبريلَ توضّأَ، ثم قام به جبريلُ فصَلَّى به، وصلَّى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرفَ جبريلُ، فجاء رسولُ الله ﷺ خديجةَ، فتوضَّأَ لها ليُرِيَها كيف الطُّهورُ للصلاة كما أَراه جبريلُ، فتوضَّأَت كما توضَّأَ لها رسول الله ﷺ، ثم صلَّى بها رسولُ الله ﷺ كما صلَّى به جبريلُ، فصَلَّتْ بصلاته[2].

---

(١) إسناده صحيح.

وهو في «السيرة» لابن إسحاق برواية يونس بن بكير ص١٣٦، ومن طريق يونس أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/ ٤٢٤.

وأخرجه أحمد (٢٦٣٣٨) من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ، عن ابن إسحاق، به.

ورواه عن صالح بن كيسان أيضاً مالكٌ في «موطئه» ١/ ١٤٦، ومن طريقه أخرجه البخاري (٣٥٠)، ومسلم (٦٨٥) (١)، وأبو داود (١١٩٨)، والنسائي في «المجتبى» (٤٥٥).

ورواه عن عروةَ عن عائشة أيضاً الزهريُّ عند البخاري (١٠٩٠) و(٣٩٣٥)، ومسلم (٦٨٥)، والنسائي (٤٥٣) و(٤٥٤)، وفي رواية معمر عن الزهريّ عند البخاري (٣٩٣٥): أنّ إتمامها أربعاً كان في المدينة بعد الهجرة.

وقد روي ما يشهد لرواية معمر هذه من وجهين آخرين عن عائشة عند الطيالسي في «مسنده» (١٦٣٩)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٣٣٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٣٨)، وفيهما لِينٌ لكن يشدّ أحدهما الآخر.

(٢) ضعيف بهذا السياق لإعضاله، ولم نقف عليه مسنَداً. =

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عُتْبة بن مُسلِم مولى بني تَيْمٍ، عن نافع بن جُبَير بن مُطعِم ـ وكان نافع كثيرَ الرِّواية ـ عن ابن عبّاس[1] قال: لمّا افتُرِضَت الصلاةُ على رسول الله ﷺ أتاه جبريلُ عليه السلام فصلَّى به الظهرَ حين مالَتِ الشمسُ، ثم صلَّى به العصرَ حين كان ظِلُّه مِثلَه، ثم صلَّى به المغربَ حين غابت الشمسُ، ثم صلَّى به العشاءَ الآخِرةَ حين ذهب الشَّفَقُ[2]، ثم صلَّى به الصبحَ حين طَلَعَ الفجرُ، ثم صلَّى به الظهرَ من غدٍ[3] حين كان ظِلُّه مِثلَه، ثم صلَّى به العصرَ حين كان ظِلُّه مِثلَيهِ، ثم صلَّى به المغربَ حين غابت الشمسُ لوقتِها بالأمسِ، ثم صلَّى به العشاءَ الآخرةَ حين ذهب ثلثُ اللّيلِ الأولُ، ثم صلَّى به الصبحَ مُسفِراً غيرَ مُشرِقٍ[4]، ثم قال: يا

= وهو كذلك عن ابن إسحاق معضلاً في رواية يونس بن بكير عنه كما في «السيرة» ص١٣٦، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٦٠، وفي رواية سلمة بن الفضل الأبرش عنه عند الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٠٧.

وقد روي عن زيد بن حارثة عن النبي ﷺ: أن جبريل أتاه في أوّل ما أُوحي إليه فعلَّمه الوضوء والصلاة، فلما فَرَغَ من الوضوء، أخَذَ غرفةً من ماء فنَضَحَ بها فَرْجَه. أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٤٨٠) بإسناد ضعيف فيه عبدُ الله بن لَهِيعة، وهو سيِّئ الحفظ، وقد اضطرب فيه كما هو مبيَّن في التعليق عليه هناك. وقد ساق السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١٤ هذا الحديث واستدلّ به على أن الوضوء مكّيٌّ بالفَرْض مدنيٌّ بالتلاوة، لأن آية الوضوء التي في سورة المائدة مدنيّة.

(١) حديث ابن عباس هذا هو فيما افتُرض من الصلوات الخمس في ليلة الإسراء، فموضعه هناك، وسياق ابن إسحاق له في هذا الموضع ذهولٌ منه رحمه الله وخلطٌ بين ما افتُرض عليه ﷺ في أول البعثة وبين ما افتُرض عليه في ليلة الإسراء قبل الهجرة بعامٍ أو عامٍ ونصف.

(٢) الشفق: هو الحُمْرة في الأفق عند غروب الشمس.

(٣) قوله: «من غد» من (ش١) و(ق١) و(م).

(٤) إسفار الصبح: انكشافه وضياؤه، والإشراق: ظهور ضَوء الشمس.

محمّد، الصلاةُ فيما بينَ صلاتِك اليومَ وصلاتِك بالأمسِ[1].

---

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، عتبة بن مسلم ـ ويقال له أيضاً: عتبة بن أبي عتبة ـ صدوق لا بأس به.

وأخرجه ابن أبي خيثمة في السفر الثالث من «تاريخه» (٤٢١) من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه عن نافع بن جبير عن ابن عباس أيضاً حَكيمُ بنُ حَكيم بن عبّادٍ عند أحمد (٣٠٨١) و(٣٣٢٢)، وأبي داود (٣٩٣)، والترمذي (١٤٩)، وابن أبي خيثمة (٤١٧) و(٤١٨)، والحاكم (٧١٠-٧١٢)، وإسناده حسن.

ورواه عن نافع كذلك زيادُ بنُ أبي زياد مولى عياش بن أبي ربيعة عند ابن أبي خيثمة (٤١٩).

ويشهد لحديث ابن عباس هذا في إمامة جبريل للنبيّ ﷺ وتبيانه له أوقات الصلاة حديثُ جابر ابن عبد الله عند أحمد (١٤٥٣٨)، والترمذي (١٥٠)، والنسائي في «المجتبى» (٥٢٦) و«الكبرى» (١٥٢٠)، وابن حبان (١٤٧٢)، والحاكم (٧٠٧)، وإسناده صحيح.

وفي الباب أيضاً عن أبي هريرة عند النسائي في «المجتبى» (٥٠٢) و«الكبرى» (١٥٠٥)، والحاكم (٧١٥)، وإسناده حسن.

تنبيه: وقتُ صلاة المغرب وقع في أحاديث إمامة جبريل للنبيّ ﷺ في اليومينِ وقتاً واحداً، وهو عند غروب الشمس، وكان ذلك بمكّة أول ما فُرِضت الصلاة، ثم إنَّ النبيّ ﷺ في المدينة مدَّ في وقتها إلى ما قبل غياب الشَّفَق ـ وهو الحُمرة في الأُفق ـ كما وقع في حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (٦٩٦٦) ومسلم (٦١٢)، وحديث بريدة الأسلميّ عند أحمد (٢٢٩٥٥) ومسلم (٦١٣)، وحديث أبي موسى الأشعريّ عند أحمد (١٩٧٣٣) ومسلم (٦١٤)، وروي أيضاً عن أبي هريرة عند أحمد (٧١٧٢) والترمذي (١٥١) وغيرهما.

قال البغويّ في «شرح السنة» ٢/ ١٨٢: أما المغرب، فقد أجمعوا على أن وقتها بغروب الشمس، واختلفوا في آخر وقتها، فذهب مالك وابن المبارك والأوزاعيّ والشافعيّ في أظهر قولَيهِ إلى أن لها وقتاً واحداً، قولاً بظاهر خبر ابن عباس.

وذهب الثوريُّ وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي إلى أن وقت المغرب يمتدُّ إلى غيبوبة =

ذكرُ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولُ ذَكَرٍ أسلم

قال ابن إسحاق: ثمَّ كان أوّلَ ذكرٍ من الناس آمَنَ برسول الله ﷺ وصلَّى وصدَّق بما جاءَه من الله تعالى عليُّ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم، رضوانُ الله وسلامُه عليه، وهو يومئذٍ ابنُ عشر سنين[1].

وكان ممّا أَنعَمَ اللهُ به على عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، أنه كان في حَجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن أبي نَجيح، عن مجاهد بن جُبَيرٍ[2] أبي الحَجّاج قال: كان من نِعْمةِ الله على عليِّ بن أبي طالبٍ، وممّا صَنَعَ اللهُ له وأراده به من الخير، أنّ قريشاً أصابتهم أَزْمةٌ شديدةٌ، وكان أبو طالبٍ ذا عِيَالٍ كثيرٍ، فقال رسول الله ﷺ للعباسِ عمِّه ـ وكان[3] من أيسَرِ بني هاشم ـ: يا عباسُ، إنّ أخاك أبا

= الشفق. قلت (أي: البغوي): وهذا هو الأصحُّ، لأن آخر الأمرَينِ من رسول الله ﷺ أنه صلَّاها في وقتَينِ، كما رويناه من حديث أبي موسى الأشعريّ، ورواه أيضاً بريدة الأسلميّ وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة.

(١) قد اختُلف في أول من أسلم من الرجال بعد اتفاقهم على أن أول من استجاب لرسول الله ﷺ من هذه الأمة هو خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فانظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٣١٤-٣١٧، و«البداية والنهاية» لابن كثير ٤/ ٦١.

(٢) هكذا في (ت) و(ش١) و(ق١) دون بقية النسخ: جبير، مصغَّراً، وهو ما كان يقوله ابن إسحاق في أسانيده كما في «التاريخ الكبير» للبخاري ٧/ ٤١١ و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ٥٧/ ٢١، والمشهور في كتب الرجال: جَبْر.

(٣) في (ت) و(ص) و(ي): وكانا، والمثبت من (ش١) و(غ) و(ق١) و(م)، بعَوْد الكلام على العباس وحده، وهو الموافق لما وقع في رواية سلمة الأبرش وابن عبّاد الشجريّ عن ابن إسحاق.

طالبٍ كثيرُ العِيَال، وقد أصاب الناسَ ما تَرَى من هذه الأَزْمة، فانطلِقْ بنا إليه، فلنُخفِّفْ من عيالِه، آخُذُ من بَنيهِ رجلاً وتأخذُ رجلاً، فنَكْفُهما عنه، قال العبّاس: نَعَم. فانطلَقا حتى أتَيَا أبا طالبٍ فقالا له: إنّا نريدُ أن نُخفِّفَ عنك من عيالِك حتّى يَنكشِفَ عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتُما لي عَقِيلاً، فاصنَعا ما شئتُما - قال ابن هشام: ويقال: عَقيلاً وطالباً - فأخَذَ رسولُ الله ﷺ عليّاً فضَمَّه إليه، وأخَذَ العبّاسُ جعفراً فضَمَّه إليه، فلم يَزَلْ عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتّى بَعَثَه اللهُ عزَّ وجلَّ نبيّاً، فاتّبَعَه عليٌّ وآمَنَ به وصدَّقه، ولم يَزَلْ جعفرٌ عند العبّاس حتّى أسلمَ واستَغنَى عنه[1].

قال ابن إسحاق: وذكر بعضُ أهل العِلْم: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا حَضَرَت الصلاةُ خرج إلى شِعَابِ مكّة وخرج معه عليُّ بن أبي طالبٍ، مُستخفِياً من عمِّه أبي طالبٍ ومن جميع أعمامِه وسائرِ قومه، فيُصلِّيانِ الصلواتِ فيها، فإذا أمسَيَا رَجَعا، فمَكَثا كذلك ما شاء اللهُ أن يَمكُثا، ثمّ إنَّ أبا طالبٍ عَثَرَ عليهما يوماً وهما يُصلِّيانِ، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابنَ أخي، ما هذا الدِّينُ الذي أراكَ تَدِينُ به؟ قال: «أيْ عمِّ، هذا دِينُ الله، ودينُ ملائكتِه، ودينُ رُسُلِه، ودينُ أَبينا إبراهيمَ - أو كما قال ﷺ - بَعَثَني اللهُ به رسولاً إلى العبادِ، وأنت أيْ عمِّ أحقُّ مَن بَذَلتُ له النَّصيحةَ ودَعَوتُه إلى الهُدَى، وأحقُّ مَن أجابَني إليه وأعانَني عليه» - أو كما قال - فقال أبو طالب: أيِ ابنَ أخي، إنّي لا أستطيعُ أن أُفارقَ دينَ آبائي وما كانوا عليه، ولكنْ واللهِ لا يُخلَصُ إليك

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله، فمجاهد بن جبر تابعيٌّ ولم يبيِّن ممّن سمع هذا الخبر.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣١٣، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٦١ من طريق سلمة ابن الفضل الأبرش، والحاكم (٦٦٠٦) من طريق يحيى بن محمد بن عبّاد بن هانئ الشَّجريّ، كلاهما عن ابن إسحاق، به.

بشيءٍ تَكرَهُه ما بَقِيتُ.

وذكروا أنه قال لعليٍّ: أيْ بُنيَّ، ما هذا الدِّينُ الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتِ، آمنتُ برسولِ الله وصدَّقتُه بما جاءَ به، وصلَّيتُ معه لله واتَّبعتُه. فزَعَموا أنه قال له: أمَا إنه لم يَدْعُك إلّا إلى خيرٍ فالزَمْه[1].

إسلام زيد بن حارثة ثانياً

قال ابن إسحاق: ثمّ أسلمَ زيدُ بن حارثة بن شُرَحبِيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرِئِ القَيس الكَلْبيُّ، مولى رسولِ الله ﷺ، فكان أوّلَ ذكرٍ أسلمَ وصلَّى بعد عليٍّ ابن أبي طالب، رضي الله عنه.

قال ابن هشام: زيدُ بن حارثة بن شَرَاحِيل[2] بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرِئ القَيْس بن عامر بن النُّعمان بن عامر بن عبد وَدٍّ بن عَوف بن كِنَانة بن بكر بن عَوْف ابن عُذْرة بن زيدِ اللّاتِ[3] بن رُفَيدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرَة.

وكان حَكِيم بن حِزَام بن خُوَيلِدٍ قَدِمَ من الشام برَقيقٍ فيهم زيدُ بن حارثة وَصِيفٌ[4]، فدَخَلَت عليه عمّتُه خديجةُ بنت خُوَيلد، وهي يومئذٍ عند رسول الله

---

(١) ضعيف لإعضاله وجهالة رواته.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣١٣-٣١٤ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

(٢) هذا هو المشهور في نسبه: شَراحيل، كما قال ابن هشام، وقد ذكر ابن عبد البر في ترجمتَي زيد وابنه أسامة من «الاستيعاب» أن ابن إسحاق لم يُتابَع على قوله: شُرحبيل، وأن الناس خالفوه فقالوا: شَراحيل.

(٣) في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١): زيد الله، والمثبت من (ص) و(م) و(ي)، وهو الصواب.

(٤) الوصيف: الغلام الذي قارب سنَّ البلوغ.

وقد وقع عند غير ابن هشام أن حكيم بن حزام إنما اشترى زيداً من سوق عُكاظ ولم يَقدَم =

ﷺ، فقال لها: اختاري يا عمّةُ أيَّ هؤلاءِ الغِلْمانِ شئتِ، فهو لك، فاختارت زيداً فأخَذَته، فرآه رسول الله ﷺ عندها فاستَوهَبَه منها، فوَهَبَته له، فأعتَقَه رسولُ الله ﷺ وتبنَّاه، وذلك قبل أن يُوحَى إليه.

وكان أبوه حارثةُ قد جَزِعَ عليه جَزَعاً شديداً، وبكى عليه حين فَقَدَه، فقال:

بَكَيتُ على زيدٍ ولم أدْرِ ما فَعَلْ ... أحيٌّ فيُرجَى أم أَتى دونَه الأجَلْ

فواللهِ ما أدري وإنِّي لسائلٌ ... أغالَكَ بعدي السَّهلُ أم غالَكَ الجبَلْ[1]

ويا ليتَ شِعْري هل لكَ الدَّهرَ أَوْبةٌ ... فحَسْبي من الدنيا رجوعُك لي بَجَلْ[2]

تُذكِّرُنيهِ الشمسُ عندَ طلوعِها ... ويَعرِضُ ذِكراهُ إذا غَرْبُها أفَلْ[3]

وإن هَبَّتِ الأرواحُ هَيَّجنَ ذِكرَهُ ... فيا طُولَ ما حُزْني عليهِ وما وَجَلْ[4]

= به من الشام، كما في «الطبقات» لابن سعد ١/ ٤٢٨ و٦/ ٥٣، و«الموفَّقيّات» للزبير بن بكّار (١٧٦)، و«مستدرك الحاكم» (٥٠١٢)، وغيرها.

قال ابن الأثير في ترجمة زيدٍ من «أسد الغابة» ٢/ ١٢٩: أصابه سِباءٌ في الجاهليّة لأن أمّه خرجت به تزور قومَها بني مَعْن من طيِّىء، فأغارت عليهم خيل بني القَيْن بن جسْر، فأخذوا زيداً، فقدموا به سوق عُكَاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة بنت خُوَيلد، وقيل: اشتراه من سوق حُبَاشة، فوهبته خديجةُ للنبيّ ﷺ بمكّة قبل النبوّة وهو ابن ثماني سنين.

قلنا: وعُكاظ وحُباشة موضعان بنواحي مكة، وقد سبق التعريف بهما.

(١) غالَك: أهلكك.

(٢) الأوبة: هو الرجوع. وبَجَلْ: هي كلمة بمعنى: حَسْبُ، ومعنى بَجَل وحَسْب جميعاً: الاكتفاءُ بالشيء.

(٣) غربُها، أي: غروبها. والأُفول: غيبوبة الشمس، يقال: أفَلَت الشمسُ، إذا غابت، ونسب الأفولَ إلى الغروب اتّساعاً ومجازاً.

(٤) الأرواح: جمع رِيح، جَمَعَه على الأصل، لأن الأصل فيه الواو. والوَجَل: الخوف.

سأُعمِلُ نَصَّ العِيسِ في الأرضِ جاهداً ولا أسأَمُ التَّطْوافَ أو تَسأَمَ الإبِلْ[1]
حياتِيَ أو تأتِيَ عليَّ مَنِيَّتي فكلُّ امرِئٍ فانٍ وإن غَرَّه الأمَلْ

ثم قَدِمَ عليه وهو عند رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «إن شئتَ فأقِمْ عندي، وإن شئتَ فانطلِقْ مع أبيك»، فقال: بل أُقيمُ عندك.

فلم يَزَلْ عند رسول الله ﷺ حتى بَعَثَه الله فصدَّقه فأسلَمَ وصلَّى معه، فلمّا أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب:٥] قال: أنا زيدُ بنُ حارثةَ[2].

إسلام أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: ثمّ أسلَمَ أبو بكر بن أبي قُحَافة، واسمه عَتِيق، واسم أبي قُحَافة عثمانُ بن عامر بن عَمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ابن فِهْر[3].

قال ابن هشام: واسمُ أبي بكرٍ عبدُ الله، وعَتيقٌ لقبٌ لحُسْن وجهه وعِتْقه[4].

---

(١) النصّ: أرفع السَّير وأشدّه. والعِيس: الإبل البِيض الكِرام.

(٢) أخرج خبر زيد بن حارثة هذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦٥١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٩/ ٣٥٣ من طريق أحمد بن عبد الرحيم ابن البَرْقيّ، عن ابن هشام.
وروي نحو هذه القصة في سَبْي زيدٍ وبكاء أبيه له ثم لقائه بأهله بمكة من وجهٍ مُسنَدٍ يحتمل التحسين كما هو مبيَّن في «مستدرك الحاكم» (٥٠١٢) طبعة دار الرسالة العالمية.
ورُوِيَت قصة تخيير النبيّ ﷺ لزيدٍ عند الترمذي (٣٨١٥) والحاكم (٥٠١٤) من حديث جَبَلة ابن حارثة أخي زيد، وحسّنه الترمذي وصحّحه الحاكم.

(٣) وأمُّ أبي بكر هي أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعبٍ التَّيميّة ابنةُ عمِّ أبي قُحافة، يقال: اسمها سلمى، أسلمت قديماً في أول الدعوة، ولها ترجمة في كتب الصحابة، توفِّيَت بعد ابنها أبي بكر وقبل زوجها أبي قحافة.

(٤) العِتْق: الجَمَال.

قال ابن إسحاق: فلمّا أسلمَ أبو بكر أظهَرَ إسلامَه، ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى رسوله ﷺ.

وكان أبو بكر رجلاً مَأْلَفاً[1] لقومه، مُحبَّباً سهلاً، وكان أنسبَ قُريشٍ لقريش، وأعلمَ قريشٍ بها وبما كان فيها من خير وشرّ، وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُق ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه ويَأْلَفُونه لغير واحدٍ من الأمر، لعِلمِه وتجارتِه وحُسنِ مُجالستِه، فجعل يدعو إلى الإسلام[2] مَن وَثِقَ به من قومه ممَّن يَغْشاه ويجلس إليه.

فأسلَمَ بدعائِه ـ فيما بَلَغَني ـ عثمانُ بن عَفّان بن أبي العاصِ بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيٍّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب، والزُّبيرُ ابن العوّام بن خُوَيلِد بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وعبدُ الرَّحمن بن عَوْف بن عبد عَوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة بن كِلاب ابن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وسعدُ بن أبي وَقّاصٍ، واسم أبي وقّاصٍ مالكُ بن أُهَيْب ابن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وطلحةُ بن عُبيد الله بن عثمان بن عَمرو بن كعب بن سَعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلَمُوا وصَلَّوا، فكان رسول الله ﷺ يقول ـ فيما بَلَغَني ـ: «ما دَعَوتُ أحداً إلى الإسلامِ إلا كانت فيه عندَه كَبْوةٌ ونَظَرٌ وتردُّدٌ، إلّا ما كان من أبي بكرِ بن أبي قُحَافةَ، ما عَكَمَ عنه حين ذَكَرتُه له، وما تَردَّدَ فيه»[3].

---

(١) في (ق١): مُوالفاً. والمَألَف: كلُّ ما يألفه الإنسان ويطمئنّ إليه.

(٢) في (ق١): يدعو إلى الله وإلى الإسلام.

(٣) رواه ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصين التميميّ عن النبيّ ﷺ مرسلاً، كما في «سيرته» برواية يونس بن بكير عنه ص١٣٩، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٦٤، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٠/ ٤٤، وابن الأثير في «أسد الغابة» =

قال ابن هشام: قولُه: بدعائِه، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: قولُه: عَكَمَ: تَلبَّثَ، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

وانصاعَ وَثّابٌ بها وما عَكَمْ[1]

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاءِ النَّفرُ الثمانيةُ الذين سَبَقُوا بالإسلام الناسَ، فصَلَّوا وصدَّقوا رسولَ الله ﷺ وصدَّقوا بما جاءَه من الله.

ثم أسلمَ أبو عُبيدة بن الجَرّاح، واسمه عامرُ بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبّة بن الحارث بن فِهْر، وأبو سَلَمةَ، واسمه عبدُ الله بن عبد الأسَد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، والأرقَمُ بن أبي الأرقَم، واسم أبي الأرقَمِ عبدُ مَنَاف بن أسَد ـ وكان أسدٌ يُكنَى أبا جُندُب ـ بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وعثمانُ بن مَظعُون ابن حَبيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عَمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤيّ، وأخواه قُدَامةُ وعبدُ الله ابنا مظعون بن حَبيب.

وعُبَيدةُ بن الحارث بن المُطَّلِب بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب ابن لُؤيّ، وسعيدُ بن زيد بن عَمرو بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرْط بن

= ٣/ ٢٠٦-٢٠٧. وهذا إسناد ضعيف لجهالة محمد بن عبد الرحمن بن الحصين التميميّ فإنه لم يرو عنه غير ابن إسحاق، وهو قد أعضله أيضاً، فهو معدود في أتباع التابعين وفيهم ذكره ابن حبان في «ثقاته» ٧/ ٤١٣.

ووقع في رواية يونس هذه: ما عَتَّمَ ـ بتشديد التاء وتخفَّف أيضاً ـ مكان قوله: ما عَكَمَ، وهما بمعنًى، أي: ما لَبِثَ وما أبطأَ.

(١) انصاع، معناه: ذهبَ. والوثّاب: صفة من الوَثْب، أي: القفز، ولعله يشير إلى رجل أو فرس. وهذا الرَّجز نسبه ابن هشام إلى رؤبة، ولم نقف عليه في «ديوانه».

رِيَاح بن رِزَاح بن عَديّ بن كعب بن لؤيّ، وامرأتُه فاطمةُ بنت الخَطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رِزَاح بن عَديّ بن كعب بن لؤيّ، أختُ عمر بن الخطّاب، وأسماءُ بنت أبي بكرٍ وعائشةُ بنت أبي بكرٍ[1] وهي صغيرةٌ، وخَبّابُ بن الأَرَتِّ، حليفُ بني زُهْرة.

قال ابن هشام: خبّابُ بن الأرتّ من بني تَمِيم، ويقال: من خُزَاعة[2].

قال ابن إسحاق: وعُمَيرُ بن أبي وَقَّاص، أخو سعد بن أبي وَقّاص، وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهِلَة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذَيلٍ، حَليفُ بني زُهْرة، ومسعودُ ابن القارِيِّ، وهو مسعودُ بن رَبِيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزَّى بن حَمَالة بن غالب بن مُحلِّم بن عائذة بن سُبَيع[3] بن

---

(١) قوله: وعائشة بنت أبي بكر، سقط من (ت).

قلنا: وذكرُ ابن إسحاق عائشةَ في أول من أسلم وهي صغيرة، مما تفرّد به، وقد وهّمه في ذلك الحافظ علاء الدين مُغَلْطاي في «الإشارة إلى سيرة المصطفى» ص١٠٩ فقال: هو وهمٌ، لم تكن عائشةُ وُلِدَت بعدُ، فكيف تُسلِم؟! وكان مولدها سنة أربع من النبوّة.

(٢) قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٢٠٦: الصحيح أنه تميميُّ النَّسب، لَحِقَه سِباءٌ في الجاهليّة، فاشترته امرأةٌ من خُزَاعة وأعتقته، وكانت من حُلفاءِ بني عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهْرة، فهو تميميٌّ بالنسب، خزاعيٌّ بالوَلاء، زُهْريٌّ بالحِلْف.

(٣) في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): سميع، بالميم، والمثبت من (ت) و(غ) و(ق١)، وهكذا قيّده في «سبل الهدى والرشاد» ٢/٣٠٨ بالسين والباء، ثم قال: كذا قال ابن إسحاق، وقال البلاذُريّ (يعني في «أنساب الأشراف» ١١/ ١٤٩): يَيْثَغ ـ بمثنّاة تحتيّة مفتوحة فأخرى ساكنة فمثلَّثة مفتوحة فغين معجمة ـ كذا وجدتُه مضبوطاً بالقلم في نسخة صحيحة قوبلت ثلاث مرّات. قلنا: وهو عند السمعاني في «الأنساب» ١٣/ ٥٤٠ في رسم (اليَيثعيّ) بعين مهملة وكسر الثاء.

الهُون بن خُزَيمة من القارَةِ.

قال ابن هشام: والقارَةُ لقبٌ، ولهم يقال: قد أنصَفَ القارَةَ مَن راماها، وكانوا قوماً رُماةً.

قال ابن إسحاق: وسَلِيطُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر، وعيّاشُ بن أبي رَبِيعة بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ، وامرأتُه أسماءُ بنت سَلَامة بن مُخَرِّبة التَّميميّة، وخُنَيسُ بن حُذَافة بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم[1] بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، وعامرُ بن رَبيعة من عَنْز بن وائل، حليفُ آل الخَطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى.

قال ابن هشام: عَنْز بن وائل أخو بكر بن وائل[2] من رَبيعة بن نِزَار.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن جَحْش بن رِئَاب بن يَعمَر بن صَبِرَة بن مُرّة بن كَبير ابن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة، وأخوه أبو أحمد بن جَحْش، حليفا بني أُميّة ابن عبد شمس، وجعفرُ بن أبي طالب، وامرأتُه أسماءُ بنت عُمَيس بن النُّعمان بن كعب بن مالك بن قُحَافة، من[3] خَثعَم.

---

(١) كذا وقع لابن إسحاق في هذا النسب: سُعيد، مصغَّراً، وكذلك يقوله حيثما تكرَّر هذا النسب، وهو خطأ، والصواب: عديّ بن سَعْد بن سهم، كما نبَّه على ذلك السهيليُّ في «الروض» ١/ ٢٨٦ و٣/ ٣٦. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٣-١٦٤.

(٢) قوله: أخو بكر بن وائل، من (غ) و(ي).

(٣) في (غ) و(ق١) و(ي): بن.

وقيل في نسب أسماء: إنها أسماء بنت عُميس بن مَعْد بن الحارث بن تَيْم بن كعب، والباقي سواء، وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ ولُبابة أم الفضل زوج العباس لأُمّهما =

وحاطبُ بن الحارث بن مَعمَر بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عمرو ابن هُصَيص بن كعب بن لُؤيّ، وامرأتُه فاطمةُ بنت المُجلِّل بن عبد الله بن أبي قيس ابن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأخوه حَطّابُ بن الحارث[1]، وامرأته فُكَيْهة بنت يسار، ومَعمَرُ بن الحارث بن مَعمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، والسائبُ ابن عثمان بن مَظعُون بن حَبيب بن وهبٍ، والمُطَّلِبُ بن أَزهَر بن عبد عوف بن عبد ابن الحارث بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، وامرأتُه رَمْلةُ بنت أبي عوف بن صُبَيرة بن سُعَيد بن سَهْم[2] بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ، والنَّحّامُ، واسمه نُعَيمُ بن عبد الله بن أَسِيد، أخو بني عدي بن كعب.

قال ابن هشام: هو نعيم بن عبد الله بن أَسِيد بن عبد الله بن عوف[3] بن عَبِيد بن

= هند بنت عوف بن زهير.

(١) وقد مات حاطب وحطّاب في الحبشة كما سيأتي عند ابن إسحاق في قصّة الهجرة إليها. وذكر ابن عبد البر في ترجمة حطّاب من «الاستيعاب» أنه مات في الطريق إلى أرض الحبشة، لم يَصِلْ إليها، ونقل عن مصعب الزبيريّ أنه مات في الطريق منصرفَه منها. وذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة في الخاء المعجمة، وهو تصحيف وإنما هو بالحاء المهملة كما قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة».

وأما أخوهما معمر، فقد شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلَّها مع النبيّ ﷺ، ومات في خلافة عمر ابن الخطّاب.

(٢) كذا وقع في نسخنا الخطيّة، والصواب: سُعَيد بن سَعْد بن سهم.

(٣) كذا في نسخنا الخطيّة: عبد الله بن عوف، وأمّا عند مصعب الزبيريّ في «نسب قريش» ص٣٧٩ والبلاذُريّ في «أنساب الأشراف» ١٠/ ٤٧٧ فهو عبدُ بن عوف، بغير إضافة، وعند ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص١٥٦: عبد مناف بن عوف.

عَوِيج بن عَديّ بن كعب بن لُؤيّ، وإنما سُمّيَ النَّحّامَ، لأن رسول الله ﷺ قال: «لقد سمعتُ نَحْمَه في الجنّة»[1].

قال ابن هشام: نَحمُه: صوتُه، ونَحمُه: حِسُّه[2].

قال ابن إسحاق: وعامرُ بن فُهَيرةَ مولى أبي بكر الصِّدّيق.

قال ابن هشام: عامرُ بن فُهَيرة مُوَلَّد من مُولَّدي الأَسْد[3]، أسوَدُ اشتراه أبو بكرٍ منهم.

قال ابن إسحاق: وخالدُ بن سَعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ابن قُصَيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، وامرأتُه أُمَينةُ بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيع بن خَثعَمة[4] بن سعد بن مُلَيح بن عمرو، من خُزَاعة.

---

(١) ضعيف، وقد ذكره غيرُ واحدٍ من أئمة النسب ومعرفة الرجال كمصعب الزبيري وابن هشام وابن البَرْقي والزُّبير بن بَكّار كما في «تاريخ دمشق» ٦٢/ ١٧٧ و١٧٩، وأسنده الواقديُّ كما في «طبقات ابن سعد» ٤/ ١٢٩ عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم العدويّ مرسلاً، وقد انفرد به الواقديّ وشيخه فيه مجهول، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ١٣٥: الحديث المذكور من رواية الواقدي، وهو ضعيف، ولا تُرَدُّ الروايات الصحيحة بمثل هذا. قلنا: يعني ما جاء في الروايات الصحيحة عند البخاري وغيره من تسمية نعيمٍ بابن النَّحّام، يعني أنَّ صفة النَّحّام لأبيه وليست له، وردَّ ابن حجر في «الفتح» على كل من خَطّأ ما وقع في الروايات الصحيحة بهذا المرسل الذي انفرد به الواقديُّ.

(٢) في (ص): قال ابن هشام: والنَّحم حسن الصوت. وقال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣١: هي سعلة مستطيلة، ويقال للبخيل: نحّام، لأنه يَسعُل إذا سُئل يتشاغلُ بذلك.

(٣) في (ت): الأزد، بالزاي، وهما واحدٌ. وسقط منها لفظ «أسوَد».

(٤) كذا وقع لابن إسحاق: سبيع بن خثعمة، وكذا هو عند ابن منده في «معرفة الصحابة» ص٤٦١، وابن حزم في «جوامع السيرة» ص٥٧ و٥٩، وزعم أبو ذرّ الخشنيُّ في «إملائه» ص٨٠ =

قال ابن هشام: ويقال: هُمَينة[1] بنت خَلَف.

قال ابن إسحاق: وحاطبُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر، وأبو حُذَيفة - واسمه مُهشِّمٌ فيما قال ابن هشام[2] - بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مَنَاف بن عَرين بن ثَعلَبة بن يَربُوع ابن حَنظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَمِيم، حليفُ بني عَديّ بن كعب.

قال ابن هشام: جاءت به باهلةُ فباعُوه من الخَطّاب بن نُفَيل فتَبنّاه، فلمّا أَنزل الله: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٥] قال: أنا واقدُ بن عبدِ الله، فيما قال أبو عمرٍو المَدَني[3].

= أن الصواب فيه: يُثَيع بن جِعثِمة.

(١) ويقال: أُميمة، بميمين، وصوّب الخشنيّ أنه بالنون.

(٢) قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣٣: وهو وهمٌ عند أهل النَّسب، فإن مهشِّماً إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشمٍ وهشامٍ ابنَي المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وأمّا أبو حُذيفة ابن عُتْبة فاسمه قيسٌ فيما ذكروا. اهـ

كذا قال، وكلامه صحيح في ابن المغيرة المخزومي، وهذا لا ذكر له في الإسلام، أما أبو حذيفة ابن عتبة العبشميُّ أحد السابقين إلى الإسلام رضي الله عنه، فقد اختُلف في اسمه، فقيل: مُهشِّم، وقيل: هُشَيم، وقيل: هاشم، كذا قال ابن عبد البر في «الاستيعاب»، وسمّاه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» ٤/ ٢٧٤٤ هشاماً، أمّا ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٨٠ فلم يذكر له اسماً سوى هُشَيم، قال ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٦٢٧: وهو الأشهر.

قلنا: أما تسميته بقيسٍ، فلم نقف على ذلك عند غير السهيليّ وتبعه أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٨٠، وذكره ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٨٧ تبعاً لهما في الغالب.

(٣) أبو عمرو المدني هذا لم نتبيّنه.

قال ابن إسحاق: وخالدٌ وعامرٌ وعاقلٌ وإياسٌ بنو البُكَير بن عبد ياليِلَ بن ناشِب ابن غِيَرَة، من بني سعد بن ليث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنانَةَ، حلفاءُ بني عَديّ بن كعب، وعمّارُ بن ياسرٍ حليفُ بني مخزوم بن يَقَظَة.

قال ابن هشام: عمّارُ بن ياسرٍ عَنْسيٌّ من مَذْحِج.

قال ابن إسحاق: وصُهَيبُ بن سِنان، أحدُ النَّمِر بن قاسِطٍ، حليفُ بني تَيْم بن مُرّة.

قال ابن هشام: النَّمِر بن قاسِط بن هِنْب بن أَفصَى بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزَار، ويقال: أَفصَى بن دُعْميّ بن جَدِيلة، ويقال: صهيبٌ مولى عبد الله بن جُدْعان ابن عَمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، ويقال: إنه رُوميٌّ، فقال بعضُ من ذَكَرَ أنه من النَّمِر بن قاسِطٍ: إنما كان أسيراً في الرُّوم، فاشتُريَ منهم. وجاء الحديثُ عن النبيِّ ﷺ: «صُهَيبٌ سابقُ الرُّومِ»[1].

---

(١) حديث ضعيف، رُوِيَ مُسنَداً ومُرسَلاً.

أما مُسنَداً، فقد رُوي من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «السُّبّاقُ أربعة: أنا سابقُ العرب، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة، وصهيب سابق الروم». أخرجه البزّار (٦٩٠١) والحاكم (٥٣٢٦) و(٥٨٢٠) من طريق عُمارة بن زاذان، عن ثابت، عن أنس. وهذا إسناد ضعيف من أجل عمارة بن زاذان، فهو مضطرب الحديث، وله عن ثابت عن أنس أحاديث مناكير كما قال الإمام أحمد، ووهّاه الذهبيُّ في «تلخيص المستدرك».

ومن حديث أبي أُمامة الباهليّ عند الطبراني في «الكبير» (٧٥٢٦) وغيره من طريق عطيّة بن بقيّة بن الوليد، عن أبيه، عن محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة مرفوعاً. وزاد في حديثه: «إلى الجنة». وإسناده ضعيف أيضاً، فعطيّة بن بقيّة يخطئ ويُغرِب كما قال ابن حبان في «ثقاته»، وقال ابن أبي حاتم: كانت فيه غفلة. قلنا: وأبوه بقيّة ليِّن، وقال أبو حاتم وأبو زُرْعة الرازيّان فيما نقله عنهما ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢٥٧٧): حديث باطل لا أصل له بذا الإسناد. =

قال ابن إسحاق: ثمّ دخل الناسُ[1] أرسالاً من الرِّجال والنِّساء، حتّى فَشَا ذكرُ الإسلام بمكّة وتُحُدّثَ به، ثمّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ أَمَرَ رسولَه ﷺ أن يَصدَعَ بما جاءَه منه، وأن يُباديَ الناسَ بأمرِه، وأن يدعوَ إليه، وكان بين[2] ما أَخفى رسولُ الله ﷺ أمرَه واستَسَرَّ به إلى أن أمَرَه الله بإظهاره ثلاثُ سنين ـ فيما بلغني ـ من مَبعَثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤]، وقال: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤- ٢١٥]، ﴿ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحجر:٨٩].

قال ابن هشام: اصدَعْ: افرُقْ بين الحقِّ والباطل، قال أبو ذُؤَيب الهُذَليُّ، واسمه خُوَيلِد بن خالد، يَصِفُ أُتُنَ وَحْشٍ وفَحْلَها[3]:

= ومن حديث أم هانئ عند الطبراني في «الكبير» ٢٤/ (١٠٦٢) من طريق فائد العطّار، عن ذكوان أبي صالح، عن أم هانئ مرفوعاً. وهذا إسناد ضعيف جداً، فائد العطّار متروك الحديث.

وأمّا مُرسَلاً، فقد روي عن قَتادة السَّدُوسيّ عن النبيّ ﷺ عند الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٢٨٨. ورجاله ثقات، لكنه ضعيف لإرساله.

ومن مرسَل الحسن البصريّ عند أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٣٧). ورجاله ثقات أيضاً، إلا أن مراسيل الحسن عند أهل الحديث من أوهى المراسيل.

ومع ذلك فقد حسَّن هذا الحديثَ الحافظُ العراقيُّ في كتابه «مِحجّة القُرَب إلى محبّة العَرَب» ص٤٣٠ و٤٣١!

(١) زاد في (ش١) و(غ): في الإسلام.

وقوله: أرسالاً، أي: أفواجاً، جماعةً بعد جماعة.

(٢) لفظ «بين» من (ش١) و(غ) و(ق١).

(٣) الأُتُن: جمع أَتان، وهي الأنثى من الحُمُر، وأراد هنا الحُمُر الوحشيّة، والفَحْل: الذّكر منها. =

وكأنّهــــنَّ رِبَابــــةٌ وكأنَّــــهُ   يَسَرٌ يُفِيضُ على القِدَاحِ ويَصدَعُ[1]

أي: يفرّق على القِدَاح ويبيِّن أنصباءَها. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال رُؤْبة بن العَجّاج:

أنـــتَ الحلـــيمُ والأميـــرُ المنـــتقِمْ

تَصـــدَعُ بالحـــقِّ وتَنفِـــي مَـــن ظَلَـــمْ

وهذان البيتان في أُرجوزةٍ له[2].

= والبيت المذكور هو من قصيدة أبي ذؤيبٍ السائرة الرائعة التي يبكي بها بَنيهِ الذين هلكوا في عام واحد، أصابهم طاعون، وكانوا رجالاً ولهم بأس ونجدة، وجعل صدرها حديثاً بينه وبين امرأة تسائله عن شجونه وأَرَقه، فيروي لها حزنه وألمه لهذه النكبة، وأولها:

أَمِنَ المَنُـونِ ورَيبِهـا تتوجَّـعُ   والدهرُ ليس بمُعتِبٍ من يَجزَعُ

والقصيدة ذكرها المفضَّل الضبّيُّ في «المفضَّليات» بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ص٤٢١-٤٢٩، وانظر تخريجها هناك بتوسع.

(١) أصل الرِّبابة: خرقة أو جلدة تُجمَع فيها قِداح المَيسِر (أي: عِيدانه)، والمراد هاهنا جماعة القِداح، وقد شبَّه اجتماع الأُتُن باجتماع القِداح في الرِّبابة.

ثم قال: كأنه، يعني الحِمار الفَحْل، يَسَرٌ: وهو صاحب المَيسِر الذي يضرب بالقِداح، ويريد بهذا التشبيه حُسْنَ طاعتها له وانقيادَها لتدبيره، ومعنى يُفيض: يُرسلها ويدفعها.

ثم وصف أبو ذؤيب كيف أن هذه الأُتن كانت مجتمعةً آمنةً وَرَدْنَ على الماء فجاءها حتفُها عليه، إذ كان صيّادٌ مستخفياً يتربّص بهنَّ. وانظر «شرح أشعار الهذليِّين» صنعة أبي سعيد السكَّريّ ١/١٨-١٩.

(٢) ذكرهما ناشر «ديوانه» في الزيادات على الديوان ص١٨٢، وبعدهما:

بأَبِهِ اقتَدَى عَديٌّ في الكَرَمْ   ومَن يشابِهْ أَبَهُ فما ظَلَمْ

وعديٌّ ممدوحه في القصيدة هو عديّ بن حاتم الطائيُّ.

أوّل دم أُريق في الإسلام

قال ابن إسحاق: وكان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا صلَّوا، ذهبوا في الشِّعَاب[1]، واستَخفَوا بصلاتهم من قومهم، فبَيْنا سعدُ بن أبي وَقّاصٍ في نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في شِعْبٍ من شِعاب مكّة، إذ ظَهَرَ عليهم نفرٌ من المشركين وهم يُصلُّون، فناكَرُوهم وعابُوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضَرَبَ سعدُ بن أبي وقّاصٍ يومئذٍ رجلاً من المشركين بلَحْيِ بعيرٍ[2]، فشَجَّه، فكان أوّلَ دمٍ هُرِيقَ في الإسلام.

فلمّا بادَى رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلام وصَدَعَ به كما أمره الله، لم يَبعُدْ منه قومه ولم يَرُدُّوا عليه ـ فيما بَلَغَني ـ حتى ذكر آلهتَهم وعابَها، فلمّا فعل ذلك أعظَمُوه وناكَرُوه، وأجمَعوا خِلافَه وعداوتَه، إلّا من عَصَمَ اللهُ منهم بالإسلام، وهم قليل مُستَخفُون، وحَدِبَ على رسول الله ﷺ عمُّه[3] أبو طالبٍ ومَنَعَه وقام دونَه.

مشيُ قريش إلى أبي طالب في أمر رسول الله ﷺ

ومضى رسولُ الله ﷺ على أمرِ الله مُظهِراً لأمره، لا يردُّه عنه شيء، فلمّا رأت قريشٌ أنَّ رسول الله ﷺ لا يُعتِبُهم من شيءٍ[4] أنكروه عليه، من فِراقهم وعَيبِ

(١) الشِّعاب: المواضع الخفيّة بين الجبال، واحدها: شِعْب.

(٢) في (ت): بلحيَي جمل، وفي (غ): بلحيَي بعير.

واللَّحْي: هو العظم الذي عليه الخدُّ، وهو من الإنسانِ العظمُ الذي تنبت عليه اللِّحية. وشجَّه: جَرَحَه.

(٣) معناه: عَطَفَ عليه ومَنَعَه، يقال: فلان حَدِبَ على فلان، إذا كان عاطفاً عليه ومانعاً له، وأصل الحَدَب: انحناءٌ في الظَّهر، ثم استُعير فيمن عطف على غيره ورقَّ له.

(٤) أي: لا يُرضيهم، يقال: استعتبَني فأعتبتُه، أي: أرضيته وأزلت العِتابَ عنه، والعِتاب: =

آلهتِهم، ورأَوا أنّ عمَّه أبا طالب قد حَدِبَ عليه وقام دونه فلم يُسلِمْه لهم، مشى رجالٌ من أشراف قريشٍ إلى أبي طالب، عُتْبةُ وشَيْبةُ ابنا رَبيعة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب، وأبو سفيان بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ.

قال ابن هشام: واسم أبي سفيان صَخْرٌ.

قال ابن إسحاق: وأبو البَختَريِّ، واسمُه العاصِ بنُ هِشام بن الحارث بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

قال ابن هشام: أبو البَختَريِّ العاصِ بنُ هاشم[1].

قال ابن إسحاق: والأسودُ بن المُطَّلِب بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب ابن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، وأبو جهل ـ واسمه عَمرو، وكان يُكنَى أبا الحَكَم ـ بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، والوليدُ بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، ونُبَيهٌ ومُنبِّهٌ ابنا الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعْد بن سَهْم بن عَمرو بن هُصَيص ابن كعب بن لؤيّ، والعاصِ بنُ وائل.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم[2] بن سُعَيد بن سَهْم بن عَمرو بن

= المَوجِدة واللَّوم.

(١) الذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكَلْبيّ، والذي قاله ابن هشام هو قول الزُّبير بن بكّار وقولُ مصعب الزُّبيريّ، قاله السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٥١.

(٢) في (ق١): هشام، وهو تحريف.

تنبيه: إن وقع في بعض المصادر في عمود نسب أولاد العاص بن وائل هذا هشامٌ فهو غلطٌ، =

هُصَيص بن كعب بن لؤيّ.

قال ابن إسحاق: أو مَن مشى منهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنَّ ابن أخيك قد سبَّ آلهتَنا، وعابَ دينَنا، وسَفَّهَ أحلامَنا[1]، وضلَّل آباءَنا، فإمّا أن تَكُفَّه عنّا، وإمّا أن تُخلِّيَ بيننا وبينه، فإنك على مِثْل ما نحن عليه من خلافِه، فنكفِيكَه، فقال لهم أبو طالبٍ قولاً رَفِيقاً، وردَّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه.

ومضى رسولُ الله ﷺ على ما هو عليه، يُظهِرُ دينَ الله ويدعو إليه، ثم شَرِيَ[2] الأمرُ بينه وبينهم حتّى تباعد الرجالُ وتضاغَنُوا، وأكثَرَت قريشٌ ذكرَ رسول الله ﷺ بينها، فتذامَرُوا فيه[3] وحضَّ بعضُهم بعضاً عليه.

مشيُ قريشٍ إلى أبي طالب مرّة ثانية

ثم إنّهم مَشَوا إلى أبي طالبٍ مرّةً أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سِنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنّا قد استَنهَيناكَ من ابن أخيك[4] فلم تَنهَهُ عنّا، وإنّا والله لا نَصبِرُ على هذا من شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعَيْب آلهتنا، حتى تَكُفَّه عنّا أو نُنازِلَه وإيّاك[5] في ذلك حتى يَهلِكَ أحدُ الفريقين، أو كما قالوا. ثمّ انصرفوا عنه،

= وإن وقع فيه أيضاً: سُعيد بن سَعْد بن سهم، بزيادة سَعد فيه ـ كما في «تهذيب الكمال» للمزِّيّ وفروعه ـ فهو غلطٌ كذلك. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٣ وما بعدها.

(١) أي: قلَّل من شأن عقولنا، واحدها حِلْمٌ بالكسر، وكأنه من الحِلْم: الأناة والتثبُّت في الأمور، وذلك من شعار العقلاء.

(٢) أي: كَثُر وتزايد، يقال: شَرِيَ البرقُ، إذا كثر لمعانُه، ويقال: شَرِيَ الرجلُ، إذا غضب.

(٣) أي: حضَّ بعضُهم بعضاً على حربه وعداوته، والذَّمْر: الحث مع لوم واستبطاء.

(٤) أي: طلبنا منك أن تنهاه.

(٥) أي: نحاربه وإياك.

فعَظُمَ على أبي طالب فِراقُ قومه وعداوتُهم، ولم يَطِبْ نفساً بإسلامِ رسول الله ﷺ لهم ولا خِذْلانِه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يعقوبُ بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنَسِ أنه حُدِّث: أنّ قريشاً حين قالوا لأبي طالبٍ هذه المَقالةَ، بَعَثَ إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا ابنَ أخي، إنّ قومَك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا؛ للّذي كانوا قالوا له، فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسِك، ولا تُحمِّلْني من الأمر ما لا أُطِيق، قال: فظَنَّ رسولُ الله ﷺ أنه قد بَدَا لعمِّه فيه بَدَاءٌ[1] وأنه خاذلُه ومُسلِمُه، وأنه قد ضَعُفَ عن نُصرتِه والقيام معه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمِّ، واللهِ لو وَضَعُوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري، على أن أترُكَ هذا الأمرَ، حتى يُظهِرَه اللهُ أو أَهلِكَ فيه، ما تَرَكتُه»، قال: ثم استَعبَرَ رسولُ الله ﷺ فبكَى ثم قام، فلمّا وَلَّى ناداه أبو طالبٍ فقال: أقبِلْ يا ابنَ أخي، قال: فأقبَلَ عليه رسولُ الله ﷺ، فقال: اذهبْ يا ابنَ أخي فقُلْ ما أحببتَ، فواللهِ لا أُسلِمُك لشيءٍ أبداً[2].

---

(١) في (ت) و(ص) و(ق١): بدو. وضبَّب عليها في (ص) وكتب في حاشيتها: كذا رووه بَدْوٌ والصواب بداءٌ ممدودة بوزن فَعَالٍ.

ومعناه ـ كما قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٥٢ ـ: ظهر له رأيٌ، فسمَّى الرأي بَدَاءً، لأنه شيء يبدو بعدما خَفِيَ.

(٢) إسناده ضعيف لإعضاله، فإن يعقوب بن عتبة راويه ـ وإن كان ثقةً ـ من أتباع التابعين.

وهو كذلك في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق من «السيرة» ص١٥٤، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» ٢/ ١٨٧.

وأخرجه أيضاً الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٢٦ من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

وروى نحوه الواقديُّ ـ كما في «دلائل النبوة» لقوام السنة الأصبهاني (٢٦٥) ـ عن معاذ بن محمد عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسَلاً. والواقديُّ متكلَّم فيه عند أهل الحديث، وشيخه =

مشيُ قريش إلى أبي طالب ثالثةً

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ قريشاً حين عَرَفوا أن أبا طالب قد أَبى خِذْلانَ رسول الله ﷺ وإسلامَه، وإجماعَه لفِراقِهم في ذلك وعداوتهم، مَشَوا إليه بعُمَارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له ـ فيما بَلَغَني ـ: يا أبا طالب، هذا عُمارةُ بن الوليد، أَنْهَدُ فتًى في قريشٍ وأجمَلُه، فخُذْه، فلك عقلُه ونصرُه[1]، واتَّخِذْه ولداً فهو لك، وأسلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الّذي قد خالَفَ دينَك ودينَ آبائك، وفرَّقَ جماعةَ قومك وسَفَّه أحلامَهم، فنَقتُلَه، فإنّما هو رجلٌ برجلٍ، قال: واللهِ لَبِئسَ ما تَسُومونَني[2]، أتُعطُونَني ابنكم أَغْذُوه لكم، وأُعطيكم ابني تقتلونَه؟! هذا واللهِ ما لا يكون أبداً، قال: فقال المُطعِمُ

= معاذ بن محمد: هو الأنصاريُّ من أحفاد أُبيّ بن كعب، وفي حاله جهالةٌ وإن كان ابن حبان ذكره في «ثقاته».

وأحسن من هذا الخبر، ما رواه البزار (٢١٧٠) والحاكم (٦٦١٠) من طريق طلحة بن يحيى، عن موسى بن طلحة، عن عَقيل بن أبي طالب قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالت: إن ابن أخيك يُؤْذينا في نادينا ومَسجدِنا فانهَه عن إيذائنا، قال: يا عقيلُ ائت محمّداً فادعُه، فذهبتُ فأتيته به فجاء في نصف النهار يتخلّل الفَيْءَ، فجلس عند أُسكُفَّة الباب وقريشٌ عند أَبي طالب، فقال: يا ابن أخي، إن بني عمِّك يزعمون أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانتهِ عن ذلك، قال: فحلّق رسول الله ﷺ بصرَه إلى السماء ثم قال: «هل ترون هذه الشمسَ؟» قالوا: نعم، قال: «ما أنا بأقدرَ أن أدعَ ذلك منكم، على أن تستشعلوا لي منها شُعلةً» قال: فقال أبو طالب: ما كَذَبَنا ابنُ أَخي فارجعوا، قال: فرجعوا. وإسناده حسنٌ من أجل طلحة بن يحيى: وهو ابن طلحة بن عبيد الله ابنُ أخي موسى بن طلحة.

(١) قوله: أنهدُ فتًى، يعني: أشدّه وأقواه. وقوله: فلك عقلُه، أي: دِيَته.

(٢) أي: لبئس ما تكلِّفونني، يقال: سُمْتُ الرجلَ كذا وكذا، إذا كلَّفتَه عملاً أو ألزمته أمراً يكرهه.

ابن عَديٍّ بن نَوفَل بن عبد مَنَاف بن قُصيٍّ: واللهِ يا أبا طالبٍ لقد أنصَفَك قومُك، وجَهِدُوا على التخلُّص ممّا تَكرَهُ، فما أراكَ تريد أن تَقبَلَ منهم شيئاً، فقال أبو طالبٍ للمُطعِم: واللهِ ما أنصَفُوني، ولكنَّك قد أجمَعتَ خِذْلاني ومظاهرةَ القوم عليَّ، فاصنَعْ ما بَدَا لك، أو كما قال. فحَقِبَ الأمرُ، وحَمِيَت الحرب، وتنابَذَ القومُ، وبادَى بعضُهم بعضاً[1].

فقال أبو طالبٍ عند ذلك، يُعرِّضُ بالمُطعِم بن عَديٍّ ويَعُمُّ مَن خَذَلَه من بني عبد مَنَاف ومَن عاداه من قبائل قريش، ويذكرُ ما سألوه وما تباعَدَ من أمرهم:

ألا قُلْ لعمرٍو والوليدِ ومُطعِمٍ ألا ليتَ حظِّي من حِياطَتِكم بَكْرُ[2]

من الخُورِ حَبْحابٌ[3] كثيرٌ رُغاؤُهُ يَرشُّ على الساقَينِ من بولِه قَطْرُ

تَخلَّفَ خلفَ الوِرْدِ ليس بلاحقٍ إذا ما عَلَا الفَيفاءَ قيل له: وَبْرُ[4]

---

(١) حَقِبَ الأمر، أي: زاد واشتدَّ. وقوله: وتنابذ القوم، أي: تركوا ما كان بينهم من عهدٍ. وقوله: وبادى بعضهم بعضاً، أي: أظهر بعضهم لبعض خلافَه في الرأي.

(٢) البَكْر: الفتيُّ من الإبل، يريد إن بكراً من الإبل أنفع لي منكم، فليتَه لي بدلاً مما تزعمون أنكم محيطون بي إرادة مؤازرتي وحفظي. وفي البيتين اللاحقين يسترسل في وصف هذا البَكْر والتقليل من شأنه.

(٣) في (ت) و(ش١) وحاشية (ص): جَبْجاب بالجيم، قال أبو ذر الخشنيُّ في «إملائه» ص٨٣: يروى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة وبالجيم، قال ابن سرّاج: الجَبجاب: الكثير الكلام، فاستعاره هنا للرّغاء، والحَبحاب بالحاء غير معجمة: القصير، وبالخاء معجمة: الضعيف.

والخُور: جمع أَخوَر، وهو الضعيف.

(٤) الوِرد: الإبل الواردة للماء. والفيفاء: الأرض القفر كالصحراء. والوَبْر: دُوَيبة على قدر الهرّة أو الأرنب. وشبّهه بالوَبْر لصغره، ويحتمل أن يكون أراد: يَصغُر في العين لعلوّ المكان وبُعده.

أرى أَخَوَينا من أبينا وأمِّنا إذا سُئلا قالا: إلى غيرِنا الأمرُ

بَلَى لهما أمرٌ ولكنْ تَجَرجَما[1] كما جُرجِمَت من رأسِ ذي عَلَقَ الصخرُ[2]

أَخُصُّ خصوصاً عبدَ شمسٍ ونَوفلاً هما نَبَذانا مثلَ ما نُبِذَ[3] الجمرُ

هما أغمَزا للقومِ في أخوَيهِما فقد أصبَحا منهم أكفُّهما صِفرُ[4]

هما أشرَكا في المجدِ من لا أبَا له من الناسِ إلّا أن يُرَسَّ له ذِكرُ[5]

وتَيْمٌ ومَخزومٌ وزُهْرةُ منهمُ وكانوا لنا مَولًى إذا بُغِيَ النصرُ[6]

فواللهِ لا تَنفَكُّ منّا عداوةٌ ولا منهم ما كان من نَسلِنا شَفْرُ[7]

---

(١) تجرجما، أي: سقطا وانحدرا، يقال: تَجَرجَم الشيءُ، إذا سقط. يريد أنهما هانا وذلّا.

(٢) ذو عَلَقٍ ـ ومنعه من الصرف في الشِّعر لضرورة الوزن ـ ويسمّى اليوم عَلَق: جبل شرق مكة يبعد عنها قرابة ٤٥ كم، على طريق الطائف المارّ في وادي نَعْمان، وهو من ديار هُذَيل قديماً وما زال كذلك. «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» لعاتق البِلاديّ ص٢١٦.

(٣) في (ش١) و(ص) و(ق١) و(م): يُنبَذ. والنَّبذ: الطَّرح والإلقاء.

(٤) أغمزا للقوم، أي: سبيلهم الطعنُ فيهم، يقال: غمزتُ الرجلَ، إذا طعنتَ فيه. وأراد بأخويهما: بني هاشم وبني المُطَّلِب. والصِّفر: الخالي. يعني أنه قد انقطع ما بينهم من النصرة والمؤازرة التي كانت أوجبتها القرابةُ القريبة بينهم.

(٥) قوله: إلا أن يُرسَّ له ذكر، معناه: أن يُذكَر ذكراً خفياً، يقال: رَسَستُ الحديثَ، إذا حدَّثتَ به في خفاء.

(٦) مولًى، أي: ناصراً ومعيناً، أي: كانت هذه البطون فيما مضى ينصروننا ويعينوننا، ولكنهم الآن قد أظهروا لنا العداوة.

(٧) قُيّدت في النسخ في بعضها بفتح الشين، وفي بعضها بضمها، وكلاهما ذكره أهل اللغة، والمعنى: ما كان من نسلنا أحدٌ، يقال: ما بالدار شَفْرةٌ وشَفْرٌ وشُفْرٌ، أي: ما بها أحدٌ.

وزاد بعد هذا البيت على حاشية (ي): =

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذَعَ فيهما[1].

قال ابن إسحاق: ثم إنّ قريشاً تذامَرُوا بينهم[2] على مَن في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلَمُوا معه، فوَثَبَت كلُّ قبيلة على مَن فيهم من المسلمين يعذِّبونهم ويَفتِنونهم عن دينهم، ومَنَعَ اللهُ رسولَه منهم بعمِّه أبي طالب.

وقد قام أبو طالبٍ حين رأى قريشاً يَصنَعُون ما يَصنَعون في بني هاشمٍ وبني المُطَّلِب، فدعاهم إلى ما هو عليه من مَنْعِ رسول الله ﷺ والقيامِ دونَه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلّا ما كان من أبي لهبٍ عدوِّ الله الملعون.

فلمّا رأى أبو طالبٍ من قومه ما سرَّه في جِدِّهم معه وحَدَبِهم عليه[3]، جعل يَمدَحُهم ويذكرُ قديمهم، ويذكرُ فضلَ رسول الله ﷺ فيهم ومكانَه منهم، ليَشُدَّ لهم رأيَهم، وليَحدَبُوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمَعَت يوماً قريشٌ لمَفخَرٍ ... فعبدُ مَنافٍ سِرُّها وصَميمُها[4]

فإن حُصِّلَت أشرافُ عبدِ مَنافِها ... ففي هاشمٍ أشرافُها وقَدِيمُها

وإن فَخَرَت يوماً فإنَّ محمّداً ... هو المُصطَفى من سِرِّها وكَريمُها

= فقد سَفُهَت أحلامُهم وعقولُهم ... وكانوا كجَفْرٍ بئسَ ما ضَفُطَت جَفْرُ

والجفر: الصغير من ولد الشّاء، والضفاطة: الجهل وضعف الرأي.

(١) أي: أفحشَ في المقال، والقَذَع: الكلام الفاحش.

(٢) أي: حضَّ بعضُهم بعضاً على الحرب والعداوة.

(٣) جِدّهم، أي: اجتهادهم. وحَدَبهم عليه، أي: عطفهم عليه ومَنَعَتهم له.

(٤) سرُّها، أي: وسطها، وسِرُّ الوادي وسَرَارته: وسطُه وخير موضع فيه. والصميم: الخالص النَّسب من القوم.

تـداعَتْ قُـريشٌ غَثُّهـا وسَـمينُها ... علينا فلم تَظفَـرْ وطاشَـتْ حُلومُها[1]

وكنّـا قـديماً لا نُقِـرُّ ظُلامـةً ... إذا مـا ثَنَـوا صُعْرَ الخُدودِ نُقِيمُهـا[2]

ونَحْمـي حِمَاهـا كـلَّ يـومِ كَريهـةٍ ... ونَضرِبُ عن أحجارِها من يَرُومُها[3]

بنـا انـتَعَشَ العُـودُ الـذَّوَاءُ وإنَّمـا ... بأكْنافِنـا تَنْـدَى وتَنْمـي أَرُومُهـا[4]

تحيُّر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن

ثمّ إنَّ الوليدَ بن المغيرةِ اجتمع إليه نفرٌ من قريشٍ ـ وكان ذا سنٍّ فيهم ـ وقد حَضَرَ الموسمُ، فقال لهم: يا معشرَ قريش، إنّه قد حَضَرَ هذا الموسمُ، وإنّ وفود العرب ستَقدَمُ عليكم فيه، وقد سمعوا بأمرِ صاحبِكم هذا، فأَجمِعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيُكذِبَ بعضُكم بعضاً، ويردَّ قولُكم بعضُه بعضاً، قالوا: فأنت يا أبا عبدِ شمسٍ فقُلْ وأقِمْ لنا رأياً نَقُلْ به، قال: بل أنتم قولوا أسمَعْ، قالوا: نقول: كاهنٌ، قال: لا واللهِ ما هو بكاهن، لقد رأَينا الكُهّان فما هو بزَمزَمةِ الكاهن ولا سَجْعِه[5]، قالوا: فنقول: مجنونٌ، قال: ما هو بمجنون، لقد رأَينا الجنونَ وعَرَفْناه، فما هو

---

(١) غثُّها وسمينها، أصل الغَثِّ: اللحمُ الضعيف، فاستعاره هنا لمن ليس له نسبة هنالك. وطاشت حلومُها، أي: ذهبت عقولها.

(٢) ثَنَوا، أي: عَطَفوا وأمالوا. وصُعْر الخدود، أي: الخدود المائلة إلى جهة تكبُّراً وعُجباً، يقال: صعَّر خدَّه، إذا أماله إلى جهةٍ، فعلَ المتكبِّر.

(٣) أي: نضرب وندافع عن منازلها وبيوتها من يريدها بسوء.

(٤) قوله: انتعش العود الذَّواء، أي: حييَ وظهرت فيه الخُضرة، وأصل نَعَشَ: رَفَعَ، والعود الذَّواء: الذى جفَّت رطوبتُه ولم ينتهِ إلى حدّ اليُبس. والأكناف: النواحي. والتندية: الشرب بعد عطش. وأرُومها: جمع أَرومة، وهو الأصل، والهمزة في أوله تُفتح وتُضم.

(٥) الزَّمزمة: كلام بصوت ضعيف خفيٍّ لا يُفهَم. والسَّجع: أن يكون الكلام المنثور له نهايات كنهايات الشِّعر.

بخَنْقِه ولا تَخالُجِه ولا وَسوَستِه[1]، قالوا: فنقول: شاعرٌ، قال: ما هو بشاعر، لقد عَرَفْنا الشِّعرَ كلَّه، رَجَزَه وهَزَجَه وقَرِيضَه ومقبوضَه ومبسوطَه[2]، فما هو بالشِّعر، قالوا: فنقول: ساحرٌ، قال: ما هو بساحر، لقد رأَينا السُّحّارَ وسِحرَهم، فما هو بنَفْثِه ولا عَقْدِه[3]، قالوا: فما نقولُ يا أبا عبدِ شمس؟ قال: واللهِ إنّ لقولِه لحَلاوةً، وإنّ أصلَه لعَذْقٌ، وإنّ فَرْعَه لجَناةٌ ـ ويقال: لغَدَقٌ، فيما قال ابن هشام[4] ـ وما أنتم بقائلينَ من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطل، وإنّ أقرب القول فيه لَأن تقولوا: ساحرٌ جاء بقولٍ هو سحرٌ يُفرِّق به بين المَرْءِ وأَبيه، وبين المَرْءِ وأَخيه، وبين المَرْءِ وزوجته، وبين المَرْءِ وعَشيرته. فتفرَّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبُلِ[5] الناس حين قَدِمُوا الموسمَ، لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إيّاه وذكروا لهم أمرَه.

فأنزل الله تعالى في الوليدِ بن المغيرةِ وفي ذلك من قوله[6]: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

---

(١) خنقه: يريد الاختناق الذي يصيب المجنون. والتخالُج: اضطراب الأعضاء وتحرّكها عن غير إرادة. والوسوسة: ما يلقيه الشيطان في نفس الإنسان.

(٢) قال الخشنيُّ: هذه كلها أنواع من الشعر. قلنا: والقريض: هو قول الشِّعر بأنواعه كلِّها.

(٣) هذا إشارة إلى ما كان يفعله الساحر من أن يَعقِدَ خيطاً ثم يَنفِثُ فيه، أي: ينفخ فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾، يعني الساحرات.

(٤) قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٧٩: قول الوليد: إن أصله لعَذْق، وإن فرعه لجَناة، استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوي، وطاب فرعُها إذا جُنِيَ، والنخلة هي العَذْق بفتح العين، ورواية ابن إسحاق أفصحُ من رواية ابن هشام، لأنها استعارة تامّة يُشبِه آخرُ الكلام أولَه، ورواية ابن هشام: إن أصله لغَدَقٌ، وهو الماء الكثير.

(٥) أي: بطُرُقهم، واحدها: سَبيل.

(٦) هذا ممّا اتُّفِق عليه أن هذه الآيات أُنزلت في الوليد بن المغيرة، وقد رُوي في هذا روايات مُرسَلة كما في «الدر المنثور» للسيوطي، يقوّي بعضها بعضاً، وأقواها ما رواه أيوب السَّختِياني =

وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ [المدثر: ١١-١٦] أي: خَصيماً.

قال ابن هشام: عَنيدٌ: معاندٌ مخالفٌ، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

ونحـنُ ضـرّابونَ هـامَ العُنَّـدِ[1]

= عن عكرمة عن ابن عبّاس عند الحاكم في «مستدركه» (٣٩١٤)، ورجاله ثقات، على اختلاف في وصله وإرساله عن عكرمة.

والخبر السابق في الوليد بن المغيرة عند ابن هشام عن ابن إسحاق بلا إسناد، هو مُسنَدٌ في رواية يونس بن بُكير عنه في «السيرة» ص١٥٠-١٥١ ـ ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٤) و«دلائل النبوة» ٢/ ١٩٩-٢٠٠ ـ حيث رواه ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جُبير أو عكرمة، عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، فذكره. ومحمد ابن أبي محمد هذا مولًى لآل زيد بن ثابت، وهو مجهول انفرد بالرواية عنه ابن إسحاق، وذكره ابن حبان في «ثقاته» على عادته في ذكر المجهولين الذين لم يُعرَف فيهم جرحٌ، وقال الذهبيّ في «ميزان الاعتدال»: لا يُعرَف، وجهّله ابن حجر في «التقريب»، فالإسناد ضعيف.

ورواه مسنداً عن ابن إسحاق أيضاً إبراهيمُ بن سعد الزهريُّ عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (١٨٣)، لكن أرسله فلم يذكر فيه ابن عباس.

(١) الهامُ: الرؤوس، مفردها هامَةٌ. والعُنّد: الأصل فيه أن يكون جمعاً لعانِدٍ، مثل: راكع ورُكّع، ولكنهم أماتوا المفرد وأبقَوا جمعه، قاله محمد محيي الدين عبد الحميد في تحقيقه للسيرة ١/ ٢٨٤.

وهذا البيت ذكره ناشر «ديوان رؤبة» ص١٧٣ في أبيات مفردات منسوبة إلى رؤبة، وقبله:

إذْ تَبِـعَ الضحّـاكَ كـلُّ مُلحِـدِ

والمراد بالضحّاك هذا: الضحّاك بن قيس الشيبانيّ الخارجيّ، وكان خرج أيام دولة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأُمويّ وقُتل فيها سنة ١٢٨هـ. انظر خبره في «المعارف» لابن قتيبة ص٤١٢، و«تاريخ الطبري» ٧/ ٣١٦ وما بعدها.

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾، قال ابن هشام: بَسَرَ: كَرَّهَ وجهَه، قال العَجّاج:

مُضَبَّرَ اللَّحْيَينِ بَسْراً مِنهَسا[1]

يصفُ كراهيَةَ وجهه، وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

قال ابن إسحاق: وأنزَلَ الله تعالى في النَّفرِ الذين كانوا معه يُصنِّفُون القولَ في رسول الله ﷺ وفيما جاءَ به من الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أي: أصنافاً ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩١-٩٣][2].

---

(١) المضبَّر: الشديد الخَلْق، من الضَّبْر: وهو شدّة تلزيز العظام واكتناز اللحم. واللَّحْيان: العَظْمان اللذان في وجهه، واحدهما: لَحْيٌ. والمِنهَس: العَضُوض، كثير العضّ.

وهذه الأُرجوزة في «ديوان العجّاج» برواية الأصمعيّ وشرحه ١/ ٢٠٨، والبَسْر عنده بالباء وفسّره كابن هشام بالكريه المنظر، ووقع لابن سِيدَهْ في «المحكم» ٤/ ٢١٩ بالنون على إرادة الطائر، وعندها فلا شاهدَ فيه لابن هشام، لكن ما وقع لابن سِيده هو تصحيف، والله أعلم.

(٢) كذا قال ابن إسحاق، وقد صحَّ عن الحَبْر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآيات: هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، جزَّؤوه أجزاءً، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه. أخرجه البخاريُّ (٤٧٠٥) و(٤٧٠٦).

على أن ابن جرير الطبريّ في «تفسيره» ذكر عدّة أقوال فيها منها قولُ ابن عباس المشار إليه، ثم قال ١٤/ ١٣٤: فإذ لم يكن في التنزيل دلالةٌ على أنه عُني به أحد الفِرق... ولا في خبر عن الرسول ﷺ، ولا في فطرةِ عقل، وكان ظاهر الآية محتمِلاً ما وصفتُ، وجب أن يكون مقتضياً بأنَّ كلَّ من اقتسم كتاباً لله بتكذيب بعضٍ وتصديق بعضٍ، واقتَسَمَ على معصية للهِ ممّن حلَّ به عاجلُ نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية، فداخلٌ في ذلك، لأنهم لأشكالهم من أهل =

قال ابن هشام: واحدةُ العِضِين: عِضَةٌ، يقول: عَضَّوْه: فرَّقُوه، قال رُؤْبة بن العَجّاج:

وليـس دِيـنُ الله بالمُعَـضَّـى[1]

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له[2].

قال ابن إسحاق: فجعل أولئك النَّفرُ يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لَقُوا من الناس، وصَدَرَت العربُ من ذلك الموسم بأمرِ رسول الله ﷺ، فانتَشَرَ ذكرُه في بلاد العرب كلِّها.

شعرُ أبي طالب في استعطاف قريشٍ
وشعرُ أبي قيس بن الأسلَتِ وأذيّةُ قريشٍ للنبيّ ﷺ

فلمّا خشيَ أبو طالب دَهْماءَ العرب[3] أن يَركَبُوه مع قومه، قال قصيدته التي تَعوَّذَ فيها بحَرَمِ مكّة وبمكانِه منها، وتَودَّدَ فيها أشرافَ قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرَهم في ذلك من شعرِه أنه غير مُسلِمٍ رسولَ الله ﷺ، ولا تاركِه لشيء أبداً حتى يَهلِكَ دونَه، فقال:

ولمّـا[4] رأيـتُ القـومَ لا وُدَّ فـيهمُ ... وقـد قَطَعـوا كـلَّ العُـرَى والوسـائلِ[5]

= الكفر بالله كانوا عبرةً، وللمتَّعِظين بهم منهم عِظةً.

(١) زاد في (ص) ونسخة على حاشية (م): أي: المفرَّق.

(٢) يمدح بها قومه بني تميم وبني سعد ونفسَه، وهي في «ديوانه» ص٧٩-٨١.

(٣) أي: عامّتهم وجماعتهم.

(٤) الواو من (ش١) و(غ)، وبها يصحّ الوزن الشِّعريّ، وقد سقطت من بقيّة النسخ، فالبيت فيها مخروم.

(٥) العُرَى: جمع عُرْوة، وهي في الأصل: مدخل الزِّرّ في القميص أو الثوب، وأراد بها هنا العُهود والمواثيق. والوسائل: جمع وَسِيلة، وهي القُرْبة، يقال: وَسَلَ إلى ربّه وسيلةً، إذا =

وقـد صـارَحُونا بالعـداوةِ والأذى ... وقـد طـاوَعُوا أمـرَ العـدوِّ المُزايِـلِ[1]

وقـد حـالَفُوا قومـاً علينـا أظنّـةً ... يَعَضُّـون غَيظـاً خلفَنـا بالأنامـلِ[2]

صَبَرتُ لهم نفسي بسَمراءَ سَمْحةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقَاوِلِ[3]

وأحضَرتُ عندَ البيتِ رَهْطي وإخوَتي

وأمسـكتُ مـن أثوابِـهِ بالوصـائلِ[4]

قِيامـاً معـاً مُسـتقبِلينَ رِتَاجَـهُ ... لَـدَى حيثُ يَقْضي حَلْفَه كلُّ نافلِ[5]

وحيثُ يُنِيخُ الأشعَرُونَ رِكابَهم ... بمُفضَى السُّيولِ من إسافٍ ونائلِ[6]

مُوَسَّمةُ الأعضادِ أو قَصَراتِها ... مُخيَّسةٌ بين السَّدِيسِ وبازِلِ[7]

= تقرَّب بعمله إليه.

(١) صارحونا: واجَهُونا. والمزايل: المحاول المعالِج.

(٢) أظنّة: جمع ظَنِين، وهو المتَّهم. والأنامل: أطراف الأصابع.

(٣) بسمراء سمحة: يعني قَناةً (وهي الرُّمح) تسمح بالانعطاف عند هزّها. والعَضْب: القاطع. والمَقاول: الملوك بلغة أهل اليمن، واحدها: مِقوَل، لأنه يقول ما شاء فيَنفُذ ما يقوله.

(٤) رهطي: قومي وقبيلتي. والوصائل: ثيابٌ حُمْر فيها خطوط كان البيت الحرام يُكسَى بها.

(٥) على حاشية (ي): قال ابن هشام: النافل: الحالف المنتفل باليمين. وصحّح عليه. قلنا: والمنتفِل باليمين: كلُّ مُتبرِّئٍ من شيء بيمينه. والرِّتاج: المراد به هنا البابُ.

(٦) يُنيخ الأشعرون، أي: يُبركون رواحلهم. والأشعرون، أي: الأشعريُّون، وهم من اليمن، منهم أبو موسى الأشعريّ. ومُفضَى السيول: المكان المتسع الذي تصير إليه سيول الماء.

(٧) موسَّمة الأعضاد، يعني: معلَّمة، والسِّمَة: العلامة، والأعضاد: جمع عَضُدٍ، وهو الساعد، من المرفق إلى رأس الكتف. والقَصَرات: أصول الأعناق، واحدتها: قَصَرَة. ومخيَّسة: مذلَّلة. والسَّديس من الإبل: الذي دخل في السنة الثامنة، والبازل: الذي خرج نابه، وذلك في السنة التاسعة.

تـرى الـوَدْعَ فيهـا والرُّخـامَ وزِينـةً ... بأعناقِهـا مَعقُـودةً كالعَثاكِـلِ[1]

أعـوذُ بـربِّ النـاسِ مـن كـلِّ طـاعنٍ ... علينـا بسـوءٍ أو مُلِـحٍّ بباطـلِ

ومـن كاشِـحٍ يَسـعَى لنـا بمَعِيبـةٍ ... ومـن مُلحِقٍ في الـدِّينِ ما لـم نُحاوِلِ[2]

وثـورٍ ومَـن أَرسَـى ثَبِيـراً مكانَـهُ ... وراقٍ ليَرقَـى في حـراءٍ ونـازلِ[3]

وبالبيتِ ـ حقِّ البيتِ ـ من بطنِ مكّةٍ ... وبـاللهِ إنّ اللهَ لـيس بغـافلِ

وبـالحَجرِ المُسـوَدِّ إذ يَمسَـحونَهُ ... إذا اكتَنَفُـوه بالضُّـحى والأصـايلِ[4]

ومَـوطِئِ إبـراهيمَ في الصـخرِ رَطْبـةً ... علـى قَدمَيـهِ حافيـاً غيـرَ ناعـلِ

وأشـواطِ بـينَ المَروَتَينِ إلـى الصَّـفَا ... ومـا فيهمـا مـن صـورةٍ وتَماثِـلِ[5]

ومَـن حَـجَّ بيـتَ اللهِ مـن كـلِّ راكـبٍ ... ومـن كـلِّ ذي نَـذْرٍ ومـن كـلِّ راجِـلِ

وبالمَشـعَرِ الأقصـى إذا عَمَـدوا لـه ... إلَالٍ إلـى مُفضَـى الشِّـراجِ القوابـلِ[6]

---

(١) الودع، بالسكون والفتح: خَرَزات تُنظَم، ويتحلَّى بها النساء والصبيان. والعثاكل: أراد العثاكيل، فحذف الياء لضرورة الشِّعر، وهي جمع عِثكال وعُثكول: الأغصان التي يَنبُت عليها الثمر.

(٢) نحاول، أي: نريد. والكاشح: العدوّ. والمَعِيبة: المَنقَصة.

(٣) ثور وثَبير وحراء جبال بمكّة. وأرسى: ثبّت.

وقوله: وراقٍ ليرقى، أي: صاعد ليصعد؛ قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٩٠: وأصحُّ الروايتين فيه: وراقٍ لبِرٍّ في حراءٍ ونازلٍ، قال البَرْقيّ: هكذا رواه ابن إسحاق وغيره، وهو الصواب. قال السهيليُّ: فالوهمُ فيه إذاً من ابن هشام أو من البَكّائيِّ، والله أعلم.

(٤) اكتنفوه: أحاطوا به. والأصايل: جمع أَصِيل، وهو ما بعد العصر إلى الغروب.

(٥) أي: تماثيل، وأسقط الياء هنا كما فعل في العثاكل لإقامة الوزن.

(٦) المَشعَر الأقصى: عرفة كلُّها، وإلالٌ ـ بكسر الهمزة وفتحها ـ: جبل عرفة، وسُمِّي إلالاً لأن الحجيج إذا رأَوه أَلُّوا في السير، أي: اجتهدوا فيه؛ ليُدركوا الموقف. والشِّراج: جمع شَرْج، =

وتَوْقـافِهِم فـوقَ الجبـالِ عَشِـيّةً ... يُقِيمـون بالأَيـدي صُـدُورَ الرَّواحـلِ[(١)]

وليلـةِ جَـمْعٍ والمَنـازلِ مـن مِنـى ... وهـل فوقَهـا مـن حُرْمـةٍ ومَنـازلِ[(٢)]

وجَـمْعٍ إذا مـا المُقرَبـاتُ أجَزْنَـهُ ... سِـراعاً كمـا يَخرُجنَ من وَقْعِ وابِـلِ[(٣)]

وبـالجَمْرةِ الكُـبرى إذا صَـمَدُوا لهـا ... يَؤمُّـون قَـذْفاً رأسَـها بالجَنـادلِ[(٤)]

وكِنْـدةَ إذْ هـم بالحِصَـابِ عَشـيّةً ... يُجِيـزُ بهـم حُجّاجُ بكـرِ بـن وائـلِ[(٥)]

حَليفـانِ شـدًّا عَـقْدَ مـا احتَلَفـا لـهُ ... ورَدًّا عليـه عاطفـاتِ الوسـائلِ[(٦)]

وحَطْمِهِـم سُـمْرَ الصِّـفاحِ وسَـرْحَهُ ... وشِـبْرِقَهُ وَخْـدَ النَّعـامِ الجَوَافـلِ[(٧)]

فهـلْ بعـدَ هـذا مـن مَعـاذٍ لعائـذٍ ... وهـلْ مـن مُعِيـذٍ يتَّقـي اللهَ عـاذلِ[(٨)]

= وهو مَسِيل الماء ومجراه. والقوابل: المتقابلة.

(١) تَوقافهم، أي: وقوفهم.

(٢) جمعٌ: هي المُزدلِفة.

(٣) المَقرُبات: الخيل التي تُقرَّب مرابطُها من البيوت لكرمها. والوابل: المطر الشديد.

(٤) صمدوا لها: قصدوها. والجنادل: الحجارة.

(٥) الحِصاب: موضع رمي الجِمار، مأخوذ من الحَصْباء، وهو مصدرٌ نُقل إلى المكان. ويُجِيز بهم، أي: يمرُّ بهم.

(٦) أي: ما يتعاطفون به بينهم من الوسائل، وهو جمع وسيلةٍ: وهي القُربة.

(٧) الحَطْم: الكَسْر. والسَّمْر: من شجر الطَّلح، وسكّن الميم تخفيفاً، كما قالوا في عَضُدٍ: عَضْدٌ، ومن ضمَّ السين فإنه نقل حركة الميم إليها ثم أسكن الميم.

والصِّفاح: جمع صَفْحٍ، وهو عَرْض الجبل، ويقال: هو أسفله حيث يسيل ماؤه، والصَّفْح أيضاً اسم عَلَم لموضع. والسَّرْح شجرٌ، والشِّبْرِق نبتٌ له شوك. والوَخْد: السَّير السريع. والجوافل: الذاهبة المُسرِعة.

(٨) العاذل: اللائم.

يُطَاعُ بنا العِدَا[1] ووَدُّوا لوَ انَّنا ... تُسَدُّ بنا أبوابُ تُركٍ وكابُلِ

كَذَبتُم وبَيتِ الله نتركُ مكّةً ... ونَظعَنُ إلا أمرُكم في بلابِلِ[2]

كَذَبتُم وبيتِ الله نُبْزَى محمّداً ... ولمَّا نُطاعِنْ دونَه ونُناضِلِ[3]

ونُسلِمُه حتى نُصرَّعَ حولَهُ ... ونَذهَلَ عن أَبنائِنا والحلائلِ[4]

ويَنهَضَ قومٌ في الحديدِ إليكمُ ... نُهوضَ الرَّوايا تحتَ ذاتِ الصَّلاصلِ[5]

وحتَّى تَرى ذا الضِّغْنِ يَركبُ رَدْعَهُ ... من الطَّعنِ فعلَ الأَنكَبِ المُتحامِلِ[6]

وإنا لَعَمرُ اللهِ إن جَدَّ ما أَرى ... لَتَلتَبِسَنْ أسيافُنا بالأَماثِلِ[7]

بكَفَّي فتًى مثلِ الشِّهابِ سَمَيدَعٍ ... أَخي ثِقَةٍ حامي الحقيقةِ باسلِ[8]

---

(١) وقُيّدت العين بالضم في (ت) و(غ)، وفي(م) و(ي): الاعدا، وفي (ش١) و(ق١): أمر العِدى ودَّ، وكله سائغ.

والعِدَا: جمع عادٍ، من: عَدَا عليه يَعدُو، من العُدوان. وتُرك وكابُل: أراد القَبيلين من العجم.

(٢) نظعن، أي: نرحل. في بلابل، أي: في وساوس الهموم، واحدها: بَلْبال، ورُوِيَ: في تلاتل، أي: في حركة واضطراب.

(٣) نُبزَى محمّداً، أي: نُقهَر ونُغلَب على محمد ﷺ. ونناضل، أي: نُرامي بالسهام.

(٤) الحلائل: الزوجات، واحدتها: حَلِيلة.

(٥) الرَّوايا هنا: الإبل التي تحمل الماء. والصلاصل: جمع صَلصَلة، وهي المَزادة التي فيها بقيّة من الماء يُسمَع لها صوت حين تسير الإبل.

(٦) ذا الضغن: صاحب العداوة. ويركب رَدْعَه: هذا يقال للقتيل إذا سقط على وجهه في دمه، والرَّدْع في الأصل: اللَّطْخ والأثر. والأنكَب: المائل إلى جهة.

(٧) الأماثل: خيار القوم.

(٨) سَمَيدَع: سيِّد. وباسل: شجاع كريه. وحامي الحقيقة: الذي يمنع ويحمي ما يحقّ على الرجل أن يحميه من عِرض ومتاع وغيرهما.

شـهوراً وأيامـاً وحَـولاً مُجرَّمـاً[1] علينـا وتـأتي حَجّـةٌ بعـدَ قابـلِ
ومـا تَـركُ قـومٍ ـ لا أبـا لـكَ ـ سـيِّداً يَحُـوطُ الـذِّمَارَ غيـرَ ذَرْبٍ مُوَاكـلِ[2]
وأَبـيضَ يُستَسـقى الغَمَـامُ بوَجهِـهِ ثِمـالَ اليَتـامى عِصـمةً للأرامـلِ[3]
يَلُـوذُ بـه الهُـلّاكُ مـن آلِ هاشـمٍ[4] فهـمْ عنـدَه في رحمـةٍ وفواضـلِ
لَعَمْري لقد أَجرَى أَسِيدٌ وبِـكْرُه[5] إلـى بُغضِـنا وجَزّآنـا لآكـلِ
وعثمـانُ لـم يَربَـعْ علينـا[6] وقُنفُـذٌ ولكـنْ أطاعـا أمـرَ تلـك القبائـلِ
أطاعـا أُبيّـاً وابـنَ عبـدِ يَغُـوثِهمْ ولـم يَرقُبـا فينـا مَقالـةَ قائـلِ
كمـا قـدْ لَقِينـا مـن سُـبَيعٍ ونَوفَـلٍ وكـلٌّ تَـولَّى مُعرِضـاً لـم يُجامِـلِ
فـإنْ يُلقَيـا[7] أو يُمكِـنِ اللهُ منهمـا نَكِـلْ لهمـا صـاعاً بصـاعِ المُكايِـلِ

---

(١) تصحف في (ش١) و(ص) و(ق١) إلى: محرماً، بالحاء. وحولاً مجرَّماً: يعني مكمَّلاً، يقال: تجرَّمَت السنةُ، إذا انقضت.

(٢) الذِّمار: ما يلزمك حمايتُه من ناس أو مال. وذَرْب: فاسدٌ. ومواكل: هو الذي يتَّكل على غيره.

(٣) ثِمال اليتامى، أي: قائماً بأمرهم غِياثاً لهم، والثِّمال: العِماد والملجأ والمُغيث والمُعِين والكافي.

وهذا البيت أصحُّ بيت في هذه القصيدة، حيث استشهد به ابن عمر فيما أسنده عنه البخاريُّ في «صحيحه» (١٠٠٨) و(١٠٠٩).

(٤) يلوذ: يَلجأ. والهُلّاك: الفقراء والضعفاء.

(٥) يريد أَسِيد بن أبي العِيص بن أُميّة وبكره عتّاب بن أسيد، وسيأتي لاحقاً بإثر القصيدة بيان ابن إسحاق لهذه الأسماء.

(٦) أي: لم يقم ولم يعطف علينا.

(٧) هكذا قُيّدت في (ت)، وفي (ص): يَلقَنا، كلاهما من اللِّقاء، وفي (ي): يُلقِيا، من الإلقاء، =

وذاك أبـو عَمـرٍو أَبَـى غيـرَ بُغضِـنا ... ليُظعِنَنـا في أهـلِ شـاءٍ وجامِـلِ[1]

يُنـاجِي بنـا في كـلِّ مُمسًـى ومُصبَـحٍ ... فنـاجِ أبـا عَمـرٍو بنـا ثـم خاتِـلِ[2]

ويُـولِي لنـا بـالله مـا إنْ يَغُشُّـنا ... بلـى قـد نَـراهُ جَهـرةً غيـرَ حائـلِ[3]

أضـاقَ عليـه بُغْـضُنا كـلَّ تَلْعـةٍ ... مـن الأرضِ بيـنَ أَخشُـبٍ[4] فمَجَادلِ

وسـائِلْ أبـا الوليـدِ مـاذا حَبوتَنـا ... بسَـعيكَ فينـا مُعرِضـاً كالمُخاتِـلِ[5]

وكنـتَ امـرَأً ممّـن يُعـاشُ برأيِـهِ ... ورحمتِـهِ فينـا ولسـتَ بجاهِـلِ

فعُتْبـةُ لا تَسـمَعْ بنـا قـولَ كاشـحٍ ... حَسُـودٍ كَـذُوبٍ مُـبغِضٍ ذي دَغـاوِلِ[6]

= والمراد: فإن يُلقيا عنهما العناد والمباداة بالشرِّ، ويلزمه أن يطيعا ويخضعا، وفي (ق١): يُلفَيا، من ألفيتُه، إذا وجدتَه.

(١) أي: ليدفعنا إلى الرحيل بأموالنا من الشاء والجمال، والشَّاء: اسم لجماعة الشِّياه، كما أنّ الجامل اسم لجماعة الجمال.

(٢) الخَتْل: الخداع والغدر.

(٣) يُولي لنا، مسهَّلة عن يُؤلي، أي: يحلف ويقسم، والأَليّة: اليمين. والحائل: المتحول المتغيّر من حال إلى حال.

(٤) قُيّدت في (ت) و(ي) بفتح الشين، وفي (ص) و(ق١) بضمّها، وقيِّدت في (م) بالوجهين، وعلّق عليها بعضهم في حاشية (ص) فقال: كذا روي أخشُب بالضم، والصواب أخشَب بالفتح، وهو أحد الأخشَبَين، وهما الجبلان اللّذان على مكة، لأن أخشُب جمع خَشَب. قلنا: وعلى رواية الضمّ شرح السهيليُّ والخشنيُّ على أنه جمع الجبلين مع ما اتصل بهما من جبال على غير قياس، وقياسه: الأخاشب.

والمَجَادل: القصور والحصون في رؤوس الجبال، واحدها: مِجدَل. والتَّلعة: المشرف المرتفع من الأرض.

(٥) ماذا حبوتنا، أي: ماذا أفدتَنا، من الحِباء: وهو العطاء. والمخاتل: المخادع.

(٦) الكاشح: العدوّ. والدغاول: الأمور الفاسدة.

ومـرَّ أبـو سـفيانَ عنّـي مُعرِضـاً ... كأنـه قَـيْلٌ مـن عِظـامِ المَقـاوِلِ[1]

يَفِـرُّ إلـى نَجـدٍ[2] وبَـرْدِ مِياهِـهِ ... ويَـزعُمُ أنّـي لسـتُ عـنكم بغافـلِ

ويخبـرُنا فِعـلَ المُناصِـحِ أنّـه ... شَـفيقٌ ويُخفِـي عارِمـاتِ الـدَّواخلِ[3]

أمُطعِـمُ لـم أخـذُلْكَ في يـومِ نَـجْدةٍ ... ولا مُعظِـمٍ عنـد الأمـورِ الجلائـلِ

ولا يـومِ خَصْـمٍ إذ أتَـوكَ أشـدّةً[4] ... أُولِـي جَدَلٍ من الخصـومِ المَسـاجِلِ

أمُطعِـمُ إنّ القـومَ سـامُوكَ خُطّـةً ... وإنّـي متـى أُوكَـلْ فلسـتُ بوائـلِ[5]

جَـزَى اللهُ عنّـا عبـدَ شـمسٍ ونَـوفلاً ... عقوبـةَ شـرٍّ عـاجلاً غيـرَ آجـلِ

بميـزانِ قِسـطٍ لا يُخِـسُّ شَـعيرةً ... لـه شـاهدٌ مـن نفسِـهِ غيـرُ عائـلِ[6]

---

(١) القَيْل: الملك من ملوك حِميَر باليمن. ومضى قريباً تفسير المقاول.

(٢) النَّجد: هو ما ارتفع من الأرض، ويقصد أبو طالب هنا الطائف، فهي في مرتفعات جبلية، وكان سادات قريش يكثرون التردُّد إليها.

(٣) العارمات: الشدائد، قال أبو ذرّ الخشنيّ: ومن رواه بالزاي فهي التي عزم على إنفاذها. والدواخل: النَّمائم والإفساد بين الناس، والذواحل بالذال والحاء: العداوات، مأخوذ من الذَّحْل: وهو طلب الثأر.

(٤) في (ق١): ألدّة. أي: أشدّاء في الخصومة.

والمَساجل، قال الخشنيّ: من رواه بالجيم: فهم الذين يعارضونه في الخصومة ويغالبونه، وأصله من المُساجَلة، وهو أن يأتي الرجل بمثل ما أتى به صاحبه، ومن رواه بالحاء المهملة: فهم الخطباء البُلغاء، واحدهم: مِسحَل.

(٥) ساموك، أي: كلَّفوك. ولست بوائل، أي: لست بناجٍ، يقال: ما وَأَلَ من كذا، أي: ما نجا منه.

(٦) لا يُخِس شعيرة، أي: لا ينقص، ويروى: لا يَخِيس، من قولهم: خاسَ بالعهد، إذا نقضه وأفسده. وعائل: جائر.

لقـد سَـفُهَت أحـلامُ قـومٍ تبـدَّلوا بَنـي خَلَـفٍ قَيضـاً بنـا والغَياطِـلِ[1]

ونحـنُ الصَّـميمُ مِـن ذُؤابـةِ هاشـمٍ وآلِ قُصـيٍّ في الخُطـوبِ الأوائـلِ[2]

وسـهمٌ ومخـزومٌ تَمـالَوْا وأَلَّبُـوا علينـا العِـدَا مـن كـلِّ طِمـلٍ وخامـلِ[3]

فعبـدَ مَنـافٍ أنـتمُ خيـرُ قـومِكمْ فـلا تُشـرِكوا في أمـرِكم كـلَّ واغِـلِ[4]

لعَـمْري لقـد وَهَنـتُمُ وعَجَـزتُمُ وجِئـتُمْ بـأمرٍ مُخطـئٍ للمَفاصِـلِ[5]

وكنـتمْ حـديثاً حَـطْبَ قِـدْرٍ فـأنتمُ أَلَانَ حِطَـابُ أَقـدُرٍ ومَرَاجـلِ[6]

ليَهنِـئْ بنـي عبـدِ المَنـافِ[7] عُقُوقُنـا وخِـذلانُنا وتَرْكُنـا في المَعاقِـلِ

فـإنْ نَـكُ قومـاً نَتَّئِـرْ مـا صـنعتُمُ وتَحتلِبُوهـا لِقْحـةً غيـرَ باهِـلِ[8]

---

(١) الأحلام: العقول. وقَيضاً بنا، أي: عِوَضاً عنّا. والغَيطَلة: الظُّلمة الشديدة.

ومعنى البيت: جَهِلَت عقولُ قوم اتَّخذوا بني خلف والغياطلَ ندماءَ وأصحاباً عِوَضاً عنّا، وأراد ببني خلفٍ أبناءَ خلف بن وهب الجُمَحي، وهم أُميّة وأُبيّ وإخوتهما.

(٢) الصميم: الخالص. والذُّؤابة، من ذؤابة الجبل: وهو أعلاه، ثم استُعير للشَّرف والمرتبة. والخطوب: جمع خَطْب، وهو الأمر الشديد.

(٣) ألَّبوا علينا: جمعوا علينا. والطِّمْل: الرجل الفاحش، والطِّمل أيضاً: الفقير.

(٤) أي: كل مُلصَق بكم ليس من صميمكم، وأصل الواغل: الداخلُ على القوم وهم يشربون ولم يُدْعَ.

(٥) يريد أنه لا يوافق صواب الأمور، بعيد عن الحق.

(٦) جمع مِرجل: وهو قِدْر من نحاس.

(٧) هكذا في (ت)، وفي بقيّة النسخ: عبد مناف.

والمعاقل في الأصل: الحُصون، والمراد هنا: أنهم خذلوهم في مواطن الخصام والنزاع.

(٨) نتَّئر ما صنعتم، أي: نأخذ بثأرنا منكم. ومن رواه: نَبتئِر، فمعناه: ندَّخره حتى ننتصف منكم، يقال: ابتأرتُ الشيءَ، إذا خبأته وادّخرته. واللِّقحة: الناقة ذات اللّبن. والباهل: الناقة =

فــأبلِغْ قُصَــيّاً أنْ سيُنشَــرُ أمرُنــا   وبشِّــرْ قُصــيّاً بعــدَنا بالتخــاذُلِ

ولــو طَرَقَــت لــيلاً قُصــيّاً عَظيمــةٌ   إذاً مــا لَجَأْنــا دُونَهــم في المَــداخِلِ

ولــو صَــدَقوا ضَــرْباً خِــلالَ بيــوتِهم   لكنّــا أُسًــى عنــد النســاءِ المَطافِــلِ[1]

فكــلُّ صــديقٍ وابــنِ أُخــتٍ نَعُــدُّهُ   لَعَــمْرِي وَجَــدْنا غِبَّــه غيــرَ طائــلِ[2]

سِوى أنَّ رَهطــاً مـن كِـلابِ بـنِ مُــرَّةٍ   بُــرَاءٌ[3] إلينــا مــن مَعَقَّــةِ خــاذلِ

= التي لا صِرارَ على أخلافها (أي: لا خيوط تُشدُّ على ضروعها)، فهي مباحة لكل حالبٍ.

يعني: سنأخذ بثأرنا منكم مما صنعتم بنا في عداوتنا وقد ظننتم أننا كلِقحة مستباحة الحلب لا شيء يدفع عنها.

تنبيه: وقع بعد هذا البيت في الطبعات السابقة بيتان ليسا في نسخنا الخطية، ولم يتعرّض لهما السهيليُّ والخشنيُّ بشرحٍ، وليسا كذلك في «البداية والنهاية» لابن كثير ٤/ ١٤٠ نقلاً عن «سيرة ابن هشام»، هما:

وسائطُ كانت في لؤيِّ بن غالبٍ   نَفَاهم إلينــا كلُّ صقرٍ حُلاحِلِ

ورَهطُ نُفيلٍ شرُّ من وَطِئَ الحصى   وألأَمُ حــافٍ مـن مَـعَـدٍّ ونـاعِـلِ

والحُلاحِل: الرئيس الشجاع.

(١) أُسًى: جمع أُسْوة، وهي القُدوة، أي: لاقتدى بعضُنا ببعض في الدفع عنهم. والمطافل: جمع مُطفِل، وهي التي لها طفل.

(٢) غبّه: عاقبته. وغير طائل، أي: غير رفيع ولا نفيس. وأصل الطائل: النفع والفائدة، وهذا اللفظ يقال للشيء الخسيس.

(٣) هكذا قُيّد في نسخنا الخطية بضم الباء وتسهيل الألف بعدها، والأصل فيه ـ كما قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١٠٢ ـ: بُرَآء، مثل: كُرَماء، فاستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى. ويحتمل أن يُقيّد أيضاً بفتح الباء وكسرها؛ فأمّا بَراءٌ فمصدر، مثل: سَلَام، ويوصف به حينئذٍ الواحد والاثنان والجمع، وأمّا بِراءٌ، فجمع بَرِيء، مثل: كَريم وكِرام، ولا يوصف به حينئذٍ إلا الجمع. =

ونِعمَ ابنُ أختِ القومِ غيرَ مُكذَّبٍ زُهيرٌ حُساماً مُفرَداً من حَمائلِ[1]
أشَمُّ منَ الشُّمِّ البَهاليلِ يَنتَمي إلى حَسَبٍ في حَومَةِ المجدِ فاضلِ[2]
لَعَمْري لقد كَلِفتُ وَجْداً بأحمدٍ وإخوَتِه دَأْبَ المُحبِّ المُواصِلِ[3]
فمَن مِثلُه في الناسِ أيُّ مُؤمَّلٍ إذا قاسَهُ الحكّامُ عند التفاضُلِ
حَليمٌ رَشِيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ يُوالي إلٰهاً ليس عنه بغافلِ
فو اللهِ لولا أنْ أَجِيءَ بسُبَّةٍ تُجَرُّ على أشياخِنا في المَحافلِ
لكُنّا اتَّبَعناهُ على كلِّ حالةٍ من الدَّهرِ جِدّاً غيرَ قولِ التّهازُلِ
لقد عَلِموا أنَّ ابنَنا لا مُكذَّبٌ لَدَينا ولا يُعنَى بقولِ الأباطلِ

= والمَعقّة: العُقوق.

تنبيه: وقع بعد هذا في الطبعات السابقة سبعة أبيات ليست في نسخنا الخطية، ولم يتعرّض لها السهيليُّ والخشنيُّ بشرحٍ، وهي أيضاً ليست في «البداية والنهاية» لابن كثير ٤/ ١٤١ نقلاً عن «سيرة ابن هشام»، وهي:

وَهَنَّا لهم حتى تبدَّدَ جمعُهم ويَحسُرَ عنّا كلُّ باغٍ وجاهلِ
وكان لنا حوضُ السِّقايةِ فيهمُ ونحن الكُدَى من غالبٍ والكواهلِ
شبابٌ من المطيَّبينَ وهاشمٍ كبِيضِ السيوفِ بين أيدي الصَّياقلِ
فما أدركوا ذَحْلاً ولا سَفَكوا دماً ولا حالَفوا إلا شِرارَ القبائلِ
بضَربٍ تَرى الفِتيانَ فيه كأنَّهمْ ضَواري أُسودٍ فوقَ لحمٍ خرادلِ
بَني أَمَةٍ محبوبةٍ هِندِكيّةٍ بَني جُمَحٍ عُبيدِ قيسِ بن عاقلِ
ولكنَّنا نسلٌ كِرامٌ لسادةٍ بهم نُعِيَ الأقوامُ عند البواطلِ

(١) الحُسام: السيف. والحمائل: حبال يُحمَل به غِمد السيف.

(٢) أشمُّ، أي: عزيز. والبهاليل: السادة، واحدهم: بُهلُول. والحَومة: من كل شيء معظمُه.

(٣) كَلِفتُ: أُولِعتُ. والوجد: المحبّة. والدأْب: العادة والشأن.

فأصــبَحَ فينــا أحمــدٌ في أَرُومــةٍ ... تُقصِّــرُ عنهــا سَــوْرةُ المُتطــاوِلِ[1]

حَــدِبتُ بنفســي دونَــه وحَمَيتُــهُ ... ودافعــتُ عنــه بالــذُّرَى والكَلاكِــلِ[2]

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة، وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكِر أكثرَها.

قال ابن هشام: وحدَّثني من أَثِقُ به، قال: أُقحِطَ أهلُ المدينة، فأتَوْا رسولَ الله ﷺ فشَكَوْا ذلك إليه، فصَعِدَ رسولُ الله ﷺ المِنبرَ فاستَسقَى، فما لَبِثَ أن جاء من المطرِ ما أتاه أهلُ الضَّواحي[3] يَشكُون منه الغرق، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ حَوالَيْنا ولا علينا»، فانجابَ السَّحابُ[4] عن المدينة فصار حَوالَيها كالإكليل، فقال

(١) الأَرومة: الأصل. والسَّورة، بفتح السين: الوَثْبة، وبضمّها: المنزلة الرفيعة. والمتطاول: من الطَّول، وهو الفضل والعلوّ.

(٢) حدبت: عطفتُ ومنعتُ. والذُّرى: جمع ذُرْوة، وهي أعلى ظهر البعير. والكَلاكل: جمع كَلكَل، وهو مُعظَم الصدر.

تنبيه: وقع بعد هذا في الطبعات السابقة ثلاثة أبيات ليست في نسخنا الخطية، ولم يتعرّض لها السهيليُّ والخشنيُّ بشرحٍ، كذلك ليست في «البداية والنهاية» لابن كثير، وهي:

فـأيَّـده ربُّ العبـاد بنصـرِه ... وأظهَـرَ دينـاً حقُّـه غيرُ باطلِ

رجالٌ كـرامٌ غيـرُ مِيلٍ نَماهُـمُ ... إلى الخيرِ آباءٌ كرامُ المَحاصلِ

فإن تكُ كعبٌ من لؤيٍّ صَقِيبـةً ... فلا بـدَّ يومـاً مـرّةً من تَـزايُـلِ

والمِيل هنا: جمع أَميَل، وهو الجبان الذي لا يحسن الركوب والفروسية، أو هو الذي يميل عن الحق. وصَقيبة، أي: قريبة. والتزايل: التفرُّق.

(٣) الضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البَراز التي ليس فيها ما يستر من المطر، ولا منجاة من السيول، وقيل: ضاحيةُ كل بلدٍ: خارجُه. قاله السهيليُّ في «الروض».

(٤) أي: انكشف وانقشع. والإكليل: كل شيء دار من جوانبه كالتاج الذي يوضع على الرأس.

رسول الله ﷺ: «لو أدرَكَ أبو طالبٍ هذا اليومَ لسَرَّه»، فقال له بعضُ أصحابه: كأنك يا رسولَ الله أردتَ قوله:

وأَبيضَ يُستَسقى الغَمَامُ بوَجهِهِ ثِمالَ اليَتامى عِصمةً للأراملِ

قال: «أجَلْ»[1].

قال ابن هشام: وقوله: وشِبْرِقَه، عن غير ابن إسحاق.

والغَياطِل[2]: من بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص.

---

(١) إسناده ضعيف جداً لإعضاله وإبهام رواته. ولم نقف عليه بهذا السياق لغير ابن هشام.

لكن روي بإسناد حسن ارتضاه الإمام البخاريُّ فرواه في «صحيحه» برقم (١٠٠٨) من طريق أبي قُتيبة سَلْم بن قتيبة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثَّل بشِعر أبي طالب:

وأبيضَ يُستَسقى الغَمامُ بوجهِهِ ثِمالَ اليتامى عِصمةً للأراملِ

ثم رواه (١٠٠٩) معلَّقاً عن عمر بن حمزة، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: ربما ذكرتُ قولَ الشاعر وأنا أنظرُ إلى وجه النبي ﷺ يستسقي، فما يَنزِلُ حتى يَجِيشَ (أي: يمتلئ ويَفيض) كل مِيزابٍ... وذكر البيت السابق، ثم قال: وهو قول أبي طالب. ووصله عن عمر بن حمزة أحمدُ (٥٦٧٣) وابن ماجه (١٢٧٢)، وعمر بن حمزة ـ وهو العُمريّ ـ ضعيف، لكن خبره هذا يتقوَّى بالطريق السابق.

وانظر حديث أنس بن مالك في استسقاء النبيِّ ﷺ على المنبر فيما أخرجه البخاري (٩٣٣) و(١٠٢١) و(٣٥٨٢) ومسلم (٨٩٧).

(٢) في (ش١) و(ص) و(ق١): قال ابن إسحاق: والغياطل؛ فصار منها تفسير الغياطل لابن إسحاق، وعدم إثباته كما في بقية النسخ موافق لما في نسخة أبي ذرٍّ الخشنيّ من «السيرة»، حيث ذكر في «إملائه» ص٩٠: أن ابن هشام هو الذي فسَّر الغياطل.

والغياطل: نسبة إلى الغَيطَلة، وهي أمّ أولاد قيس بن عديٍّ من بني سهم.

وأبو سفيانَ: ابنُ حَرْب بن أُميّة، ومُطعِمٌ: ابنُ عديّ بن نَوفَل بن عبد مَنَاف، وزهيرٌ: ابنُ أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخزُوم، وأمُّه عاتِكةُ بنت عبد المُطَّلِب.

قال ابن إسحاق: وأَسيدٌ، وبِكْرُه: عتّابُ بن أَسِيد بن أبي العِيص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ، وعثمانُ: ابنُ عُبيد الله، أخو طَلْحة بن عبيد الله التَّيْميّ، وقُنفُذٌ: ابنُ عُمَير بن جُدْعان بن عَمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة، وأبو الوليد: عُتْبةُ بن رَبيعة، وأُبيٌّ: الأخنَسُ بن شَرِيق الثَّقَفي، حليفُ بني زُهْرةَ ـ قال ابن هشام: وإنما سُمّي بالأخنَسِ لأنه خَنَسَ بالقوم يوم بدرٍ[1] ـ والأسودُ: ابنُ عبد يَغُوثَ بن وهب بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب، وسُبَيعٌ: ابنُ خالد، أخو بَلْحارثِ بن فِهْر، ونَوفلٌ: ابن خُوَيلِد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ، وهو ابنُ العَدَويّة، وكان من شياطين قريش، وهو الّذي قَرَنَ بين أبي بكرٍ الصِّدّيقِ وطلحةَ بن عُبيد الله في حبل حين أسلَما، فبذلك كانا يسمَّيانِ القَرينَينِ، قتله عليُّ بن أبى طالبٍ رضي الله عنه يومَ بدر، وأبو عمرٍو: قُرَظةُ بن عبد عَمرو بن نَوفَل بن عبد مَنَاف.

و«قومٌ علينا أظِنّة»: بنو بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة. فهؤلاء الذين عَدَّدَ أبو طالب في شعره.

فلمّا انتَشَرَ أمرُ رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدانَ، ذُكِرَ بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلمَ بأمرِ رسول الله ﷺ حين ذُكِر وقبلَ أن يُذكَر، من هذا الحيِّ من الأَوْس والخَزرَج، وذلك لِما كانوا يسمعون من أحبارِ يهودَ، وكانوا لهم حُلفاءَ ومعهم في بلادِهم، فلمّا وَقَعَ ذِكرُه بالمدينة، وتحدَّثوا بما بين قريشٍ فيه من

---

(١) قول ابن هشام هذا ليس في (ش١) و(ص) و(ق١) و(غ). ومعنى خَنَسَ: تأخّر وانقبض.

الاختلاف، قال أبو قيس بن الأَسلَتِ أخو بني واقفٍ.

قال ابن هشام: نَسَبَ ابنُ إسحاق أبا قيسٍ هذا هاهنا إلى بني واقفٍ، ونَسَبَه في حديث الفيل إلى خَطْمة، لأن العرب قد تَنسُبُ الرجلَ إلى أخي جدِّه الذي هو أشهرُ منه.

قال ابن هشام: حدَّثني أبو عُبيدة النَّحْويّ: أن الحَكَم بن عمرو الغِفَاريَّ من ولد نُعَيلَة أخي غِفارٍ، وهو غِفارُ بن مُلَيل، ونُعَيلةُ: ابنُ مُلَيل بن ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مَنَاة، وقد قالوا: عُتْبة بن غَزْوان السُّلَميّ، وهو من ولد مازن بن منصور، وسُلَيمٌ: ابنُ منصور.

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلَتِ من بني وائلٍ، ووائلٌ وواقفٌ وخَطْمةُ إخوةٌ من الأَوس[1].

قال ابن إسحاق: فقال أبو قيسٍ ـ وكان يحبُّ قريشاً، وكان لهم صِهراً، كانت عنده أرنبُ بنت أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ، وكان يقيم عندهم السِّنين بامرأتِه ـ قصيدةً يُعظِّم فيها الحُرْمةَ، وينهى قريشاً فيها عن الحرب، ويأمرهم بالكفِّ بعضُهم عن بعضٍ، ويَذكُر فضلَهم وأحلامَهم، ويأمرُهم بالكفِّ عن رسول الله ﷺ، ويذكِّرُهم بلاءَ الله عندهم ودَفْعَه عنهم الفيلَ وكَيْدَه، فقال[2]:

---

(١) الأخوّة هنا على الاتساع، أي: أن هذه البطون إخوة يرجعون إلى أب واحد، فإن وائلاً هو ابن زيد بن قيس بن عامر بن مُرّة بن مالك بن الأَوس، وأمّا واقفٌ فهو مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، وأما خَطْمةُ فهو عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس، فهؤلاء جميعاً يرجعون إلى مالك بن الأوس. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٣٤٣-٣٤٥.

(٢) وقد ذكر بعضها الأزرقيّ في «أخبار مكة» ١/ ١٤٩.

يــا راكبــاً إمّــا عَرَضــتَ فبلِّغَــنْ　　مُغَلغَلَــةً عنّــي لُــؤيَّ بــنَ غالــبِ[1]

رسولَ امـرِئٍ قـد راعَـهُ ذاتُ بَيـنِكمْ　　على النَّأْيِ محزونٍ بـذلكَ ناصبِ[2]

وقد كان عنـدي للهُمومِ مُعـرَّسٌ[3]　　ولـم أقـضِ منهـا حـاجتي ومـآرِبي

نُبِّئـتُكُم[4] شَـرْجَينِ كـلَّ قبيلـةٍ　　لهـا أَزمَـلٌ مِن بـينِ مُذْكٍ وحاطِبِ

أُعِيـذكُمُ بـالله مـن شـرِّ صُـنعِكمْ　　وشـرِّ تَبـاغِيكم ودَسِّ العقـاربِ

وإظهـارِ أخـلاقٍ ونَـجْوى سَـقِيمةٍ　　كوَخْزِ الأَشـافي وَقْعُهـا حقٌّ صـائبِ[5]

فذكِّــــرْهم بــــالله أوّلَ وَهْلــــةٍ　　وإحـلالِ إحـرامِ الظِّبـاءِ الشَّـوازبِ[6]

وقــلْ لهــمْ - واللهُ يَحكــمُ حُكمَــه -

ذَرُوا الحربَ تَـذهَبْ عنكم في المَراحبِ[7]

---

(١) إمّا عرضتَ، أي: إن مررتَ بهم. والمُغلغَلة: الرسالة يُرسَل بها من بلد إلى بلد.

(٢) راعه: أفزعه. والنأي: البُعد، أي: على بعده منكم. وأراد بقوله: ذات بينكم، القطيعةَ التي وقعت بينهم. والناصب: المُعيي التَّعِب.

(٣) المعرَّس: المكان الذي ينزله المسافر آخر الليل ليستريح، ثم يتركه ويرتحل.

(٤) في نسخة على حاشية (ص): نُبيِّتُكم؛ وكتب عليها: من البيات. واستبعده السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١٠٩ لبُعده من معناه.

وشرجَينِ: نوعين. والأزمَل: الصوت. والمُذْكي: الذي يوقد النار، والحاطب: الذي يَحطِب لها. ضرب هذا مثلاً لنار الحرب والفُرقة التي وقعت بينهم.

(٥) الوخز: الطَّعن. والأشافي: جمع إشفَى، وهي مِخيَط ومِثقَب يغرز بها صانع الأحذية.

(٦) أول وهلة، أي: أول شيء. وإحرام الظباء: يعني التي يحرم صيدها كونها في الحَرَم، يقال لمن دخل في الشّهر الحرام، أو في البلد الحرام: مُحرِم. والشوازب: الضامرة البطون من بُعد المسافة. يعني: إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظِّباء الشوازب التي تأتيه من بُعْد لتأمن فيه، وإذا لم تَحِلُّوا بالظِّباء فيه، فأَحرى أن لا تَحلُّوا بدمائكم.

(٧) المراحب: المواضع المتَّسعة.

متـى تَبعَثُوهـا تبعَثُوهـا ذَميمـةً　　هـي الغُـولُ للأَقصَـينَ أو للأقـاربِ[1]

تُقطِّـعُ أرحامـاً وتُهلِـكُ أُمّـةً　　وتَبْري السَّدِيفَ من سَنامٍ وغـارِبِ[2]

وتَسـتبدِلُوا بالأَتحَمِيّـةِ بعـدَها　　شَـليلاً وأَصـداءً ثيـابَ المُحـارِبِ[3]

وبالمِسكِ والكافُورِ غُـبْراً سَوابغاً　　كـأنّ قَتِيرَيهـا عيـونُ الجنـادبِ[4]

فإيـاكمُ والحـربَ لا تَعلَقَـنَّكمْ　　وحَوضاً وَخِيمَ الماءِ مُرَّ المَشارِبِ[5]

تَـزَيّنُ للأقـوامِ ثـمَّ يَرونَهـا　　بعاقبـةٍ إذ بَيَّنَـت أُمَّ صـاحبِ[6]

تُحـرِّقُ لا تُشـوِي ضـعيفاً وتَنتَحـي

ذَوِي العِـزِّ مـنكم بـالحُتوفِ الصـوائبِ[7]

ألم تَعلَموا ما كان في حربِ داحِسٍ　　فتَعتبِروا أو كان في حربِ حاطبِ[8]

وكم قد أصابَتْ من شريفٍ مُسوَّدٍ　　طويـلِ العِمـادِ ضَيفُه غيـرُ خائـبِ[9]

---

(١) متى تبعثوها، أي: الحرب. والغُول: الهلاك، يقال: الغضبُ غُولُ الحِلم، أي: يهلكه.

(٢) تبري: تقطع. والسّديف: لحم الظَّهر. والسّنام: الظَّهر، والغارب: أعلى الظَّهر.

(٣) الأتحميّة: نوع من بُرود اليمن. والشَّليل: ثياب تُلبَس تحت الدروع، ويقال: هي الدروع بعينها. والأصداء: جمع صدأ الحديد، يعني دروعاً متغيّرة بالصدأ.

(٤) غُبراً: جمع غَبراء، يعني الدروع علتها الغبرة. والسوابغ: الدروع الكاملة. والقَتير: مسامير حَلَق الدِّرع، شبَّهها بعُيون الجراد.

(٥) وخيم الماء، أي: ثقيل رديء.

(٦) تَزَيَّنُ، أي: تتزيّن. بعاقبة، أي: في آخر الأمر. وبيَّنت: ظهر أمرُها واتّضح. وقوله: أمَّ صاحب، أي: عجوزاً كأمّ صاحب لك، إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجل في سنّه.

(٧) لا تُشوي، أي: لا تخطئ. وتنتحي معناه: تعمد وتقصد. والحتوف: جمع حَتْف، وهو الموت. والصوائب: الصائبات.

(٨) سيأتي بيان ابن هشام لحربَي داحس وحاطب.

(٩) العماد: الأبنية الرفيعة، ومعنى قولهم: فلان طويل العِماد، إذا كان منزله مَعلَماً لزائريه.

عظـيمِ رمـادِ النّـارِ يُحمَـدُ أمـرُهُ
وذي شِيمَةٍ مَحْضٍ كريمِ المَضاربِ[1]

ومـا أُهَرِيقَ[2] في الضلالِ كأنّما · أذاعَتْ به ريحُ الصَّبا والجنائبِ

يُخبِّرُكم عنها امرُؤٌ حقُّ عالمٍ · بأيّامِها والعلمُ علمُ التَّجارِبِ

فبِيعوا الحِرابَ مِلْمُحارِبٍ[3] واذكُروا
حسابَكمُ واللهُ خيرُ محاسِبِ

وليُّ امرئٍ فاختارَ دِيناً[4] فلا يكنْ · عليكم رقيبٌ غيرَ ربِّ الثَّواقِبِ

أَقِيمُوا لنا دِيناً حَنيفاً فأنتمُ · لنا غايةٌ قد يُهتدَى بالذَّوائبِ[5]

---

(١) في نسخة على حاشية (غ): الضرائب.

والضرائب: جمع ضَريبة: وهي الطبيعة والسَّجيّة، وقد ذكر السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١١١ أن في حاشية الشيخ أبي بحر الأسديّ: لعله الضرائب، يريد: جمع ضَريبة، ثم قال: ولا يبعد أيضاً أن يكون قال: المضارب، يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم.

وشِيمة محض، أي: طبيعة خالصة.

(٢) هكذا في نسخنا غير (غ) ففيها: وما هريق، بلا ألف، وعليه فلا بدّ من إدخال الهمزة فيها على «ما»، لأن «وما» هنا مسهَّل عن: وماءٍ، أي: ورُبَّ ماءٍ أُريق. قال السهيليُّ: أي: ربَّ ماء هُريق في الضلال من أجل السراب، لأنه لا يُهريق ماءً من أجل السراب إلا ضالٌّ غير مميِّز بمواضع الماء. قال: ويروى: في الصِّلال، جمع صَلّةٍ، وهي الأرض التي لا تمسك الماء.

وأذاعت به، أي: بدَّدته فلم يُنتفَع به، وهذا مثلٌ ضربه للنظر في عواقب الأمور. وريح الصَّبا: الريح التي تأتي من الشرق، والجنائب: جمع جَنوب، وأراد الريح التي تأتي من الجنوب.

(٣) أي: من المحارب.

(٤) أي: هو وليّ امرىء اختار ديناً، والفاء زائدة. والثواقب: النجوم.

(٥) الذوائب: الأعالي في الشرف والنسب.

وأنتمْ لهذا الناسِ نورٌ وعِصمةٌ تُؤَمُّون، والأحلامُ غيرُ عوازبِ[1]

وأنتمْ - إذا ما حُصِّل الناسُ - جوهرٌ لكم سُرَّة البَطْحاءِ شُمُّ الأرانبِ[2]

تصونون أجساداً كِراماً عتيقةً مُهذَّبةَ الأنسابِ غيرُ أشائبِ[3]

تَرَى طالبَ[4] الحاجاتِ نحوَ بيوتِكمْ

عصائبَ هَلْكى تهتدي بعصائبِ

لقد عَلِمَ الأقوامُ أنّ سَرَاتَكم

على كلِّ حالٍ خيرُ أَهلِ الجَباجِبِ[5]

وأفضلُه رأياً وأعلاهُ سُنّةً وأقوَلُه للحقِّ وَسْطَ المَواكبِ[6]

فقوموا فصلُّوا ربَّكم وتَمسَّحوا بأركانِ هذا البيتِ بين الأخاشبِ[7]

فعندَكم منه بَلاءٌ ومَصدَقٌ غَداةَ أبي يَكسُومَ هادي الكتائبِ[8]

كَتيبتُه بالسهلِ تُمسِي ورَجْلُه على القاذفاتِ في رؤوسِ المَناقبِ[9]

---

(١) تُؤَمُّون: تُقصَدون. والأحلام: العقول. وغير عوازب: غير غائبات ولا ذاهلات.

(٢) سرّة البطحاء: سرّة الشيء خيره وأعلاه. وشُمّ: مرتفعة، والأرانب: جمع أَرنبة الأنف، وهو الذي فيه ثقب الأنف.

(٣) غير أشائب، أي: غير مختلطة، يعني أنها خالصة النَّسب.

(٤) في (ت) و(غ): طالبي. والعصائب: جمع عُصبة، وهي الجماعة من الناس وغيرهم.

(٥) السَّراة: الأشراف. والجباجب: منازل مِنى، وأصله: أنّ الأوعية من الجلود تسمَّى جَبجَبة، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية.

(٦) سنّة: طريقة. والمواكب: جمع موكِب، وهو جماعة ركّاب يسيرون برفق.

(٧) الأخاشب: جبلان بمكة، فجمعهما مع ما حولهما، وإنما هما أخشبان.

(٨) أبو يكسوم: هو أبرهة الحبشيّ.

(٩) الرَّجْل: جمع راجلٍ، وهو ضد الفارس. والقاذفات: أعالي الجبال البعيدة. والمناقب: =

فلمّا أتاكم نصرُ ذي العـرشِ رَدَّهـم جنودُ المَليكِ بين سافٍ وحاصبِ[1]
فوَلَّـوا سِـراعاً هـاربينَ ولـم يَـؤُبْ إلى أهلِه مِلْجَيشِ[2] غيـرُ عصائبِ
فإن تَهلِكوا نَهلِكْ وتَهلِكْ مواسمٌ يُعاشُ بها، قولُ امرِئٍ غيرِ كاذبِ

قال ابن هشام: أنشدني بيتَه: وما أُهريق، وبيتَه: فبيعوا الحِراب، وقولَه: وليُّ امرئ فاختار، وقولَه: على القاذفاتِ في رؤوس المناقب، أبو زيدٍ الأنصاريُّ وغيرُه.

قال ابن هشام: وأما قوله: ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ، فحدَّثني أبو عُبيدة: أنّ داحساً فرسٌ كان لقيسِ بن زُهير بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن رَبيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، أَجْراه مع فرس لحُذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثَعلَبة بن عَدِيّ بن فَزَارة بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقال لها: الغَبْراء، فدَسَّ حذيفةُ قوماً وأمَرَهم أن يضربوا وجه داحسٍ إن رأَوه قد جاءَ سابقاً، فجاء داحسٌ سابقاً فضربوا وجهَه، وجاءت الغَبْراءُ، فلمّا جاء فارسُ داحسٍ، أخبر قيساً الخَبَرَ، فوَثَبَ أخوه مالك بن زهير فلَطَمَ وجه الغَبْراء، فقام حَمَلُ بن بدر فلَطَمَ مالكاً، ثمّ إن أبا الجُنيدِب العَبْسيَّ لقيَ عوفَ بن حذيفة فقتَله، ثم لقيَ رجلٌ من بني فَزَارة مالكاً فقتَله، فقال حَمَل بن بدرٍ أخو حذيفة ابن بدر:

قَتَلْنـا بعَـوفٍ مالكـاً وهْـوَ ثأْرُنـا فإنْ تَطلُبوا منّا سوى الحقِّ تَندَمُوا

= جمع مَنقَبة، وهي الطريق في رأس الجبل.

(١) السافي: الذي يرمي بالتراب. والحاصب: الذي يقذف بالحصباء.

(٢) في (ص) و(ق١) و(غ) و(م): مِلْحُبْش، والمثبت من (ت) و (ي) ونسخة على حاشيتي (ص) و(م)، يعني: من الجيش.

وهذا البيت في أبياتٍ له[1].

وقال الرَّبيع بن زياد العَبْسيُّ:

أفبَعدَ مَقتلِ مالكِ بنِ زُهيرٍ ترجو النساءُ عواقبَ الأطهارِ[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

فوَقَعَت الحربُ بين عَبْسٍ وفَزارةَ، فقُتِل حذيفةُ بن بدرٍ وأخوه حَمَلُ بن بدر، فقال قيسُ بن زهيرٍ يَرْثي حذيفةَ، وجَزِعَ عليه:

كم فارسٍ يُدعَى وليس بفارسٍ وعلى الهَبَاءةِ[3] فارسٌ ذو مَصدَقِ

فابْكُوا حُذيفةَ لن تُرَثُّوا[4] مِثلَهُ حتى تَبِيدَ قبائلٌ لم تُخلَقِ

وهذان البيتان في أبياتٍ له.

---

(١) ذكرها أبو حيان التوحيديّ في «البصائر والذخائر» ١/ ١٦٧-١٦٨.

(٢) أي: هل يتأمّلن غِشيان أزواجهنّ لهنَّ بعد طهرهنَّ.

وهذا البيت مع الأبيات الأخرى ذكرها المفضَّل الضبّيُّ في «أمثال العرب» ص٨٨-٨٩، وأبو عبيدة في «شرح نقائض جرير والفرزدق» ١/ ٢٥٥-٢٥٦، والبلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١٣/ ١٦٤.

(٣) الهَبَاءة: موضع به مياه يقع جنوب الرَّبَذة في بلاد غطفان، وهو هضبة تُدعى الآن ذريح، وبها قُتل حذيفة وأخوه حَمَل، وتقع الرَّبذة شرقيّ المدينة المنوّرة على بعد ١٧٠كم تقريباً.

(٤) في (ش١) و(ق١) و(ي): تُربُّوا، وفي (م) بالوجهين. قال الخشنيّ: من رواه تُرَثُّوا - بالثاء المثلّثة - فهو من الرِّثاء، ومن رواه تُرَبُّوا - بالباء بواحدة وتاء مضمومة - فهو بمعنى التربية، ومن رواه تَرُبُّوا - بفتح التاء - فمعناه: تصيِّرونه ربّاً عليكم، أي: أميراً. وتَبِيد، أي: تَهلِك.

قلنا: وهذان البيتان لم نقف عليهما عند غير المصنف، لكن جاء البيت الثاني منهما في «التعازي» للمبرّد ص٦٠ في قصة تعزية عمر بن عبد العزيز بمَخلَد بن يزيد بن المهلَّب مستشهِداً به.

وقال قيس بن زُهَير:

علـى أنَّ الفتـى حَمَـلَ بـنَ بـدرٍ بَغَـى والظُّلـمُ مَرتَعُـه وَخِـيمُ[1]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

وقال الحارث بن زُهير أخو قيس بن زُهير:

تركـتُ علـى الهَبَـاءةِ غيـرَ فَخـرٍ حُذيفـةَ عنـدَه قِصَـدُ العَـوَالي[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

قال ابن هشام: ويقال: أَرسل قيسٌ داحساً والغبراءَ، وأرسل حذيفةُ الخطّارَ والحَنْفاءَ، والأوّل أصحُّ الحديثين، وهو حديثٌ طويلٌ منعني من استقصائه قَطعُه حديثَ سيرة رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: وأما قوله: حَرْب حاطبٍ، فيعني حاطبَ بن الحارث بن قيس[3] ابن هَيْشة بن الحارث بن أُميّة بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن

---

(١) بغى: ظَلَم. والمَرتَع: موضع الرُّتوع، وهو الموضع الذي ينبت ما ترعى فيه الماشية. ووخيم، أي: ثقيل.

وانظر هذا البيت مع أبيات أخرى عند المفضَّل الضبّيِّ في «أمثال العرب» ص٩٧، وأبي عبيدة في «شرح النقائض» ١/ ٢٦٤، والمفضَّل بن سلمة في «الفاخر» ص٢٢٧-٢٢٨، وأبي علي القاليّ في «الأمالي» ١/ ٢٦١.

(٢) القِصَد: جمع قِصْدة، وهي القطعة المتكسّرة. والعوالي: أعالي الرِّماح.

وانظر هذا البيت مع أبيات أخرى عند المفضَّل الضبّيِّ في «أمثال العرب» ص٩٦، وأبي عبيدة في «شرح النقائض» ١/ ٢٦٣، والأصفهاني في «الأغاني» ١٧/ ٢٠٦.

(٣) زاد في النسب هنا بين قيس وهيشة في (ت) و(ص) و(م): بن الحارث، وهو غلط، فإنه لم يذكر أحد من أهل النسب بينهما أحداً.

مالك بن الأَوْس، كان قَتَل يهوديّاً جاراً للخَزرَج، فخرج إليه يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمرَ بن حارثة بن ثَعلَبة[1] بن كعب بن الخَزرَج بن الحارث بن الخَزرَج ـ وهو الذي يقال له: ابن فُسحُم، وفُسحُمُ أمُّه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر ـ ليلاً في نفرٍ من بني الحارث بن الخَزرَج فقَتَلوه، فوَقَعَت الحربُ بين الأَوس والخَزرَج فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان الظَّفَرُ للخزرج على الأَوس، وقُتِل يومئذٍ سُوَيدُ بن صامت بن خالد بن عطيّة بن حَوْط بن حُبيِّب[2] بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأَوس، قَتَله المُجذَّر بن ذِيَاد، واسمه عبد الله بن ذِيَادٍ البَلَويُّ، حليفُ بني عوف ابن الخَزرَج، فلمّا كان يومُ أُحدٍ خرج المُجذَّرُ مع رسول الله ﷺ وخرج معه الحارث ابن سُوَيد بن صامت، فوَجَدَ الحارثُ بنُ سُوَيد غِرَّةً من المُجذَّر فقَتَله بأَبيه. وسأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله[3]، ثم كانت بينهم حروبٌ منعني من ذكرِها واستقصاءِ هذا الحديث ما ذكرتُ في حديث حرب داحسٍ[4].

قال ابن إسحاق: وقال حَكِيم بن أُميّة بن حارثة بن الأَوقَصِ[5] السُّلَميُّ، حليفُ

---

(١) زاد هنا في عمود النسب بين ثعلبة وكعبٍ في (ش١) و(ص) و(ي): مالكاً الأغر، وهو خطأ، فإن مالكاً الأغر هو ابن ثعلبة بن كعبٍ لا أبوه. انظر «طبقات خليفة» ص٩٣، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٣٦٢. وهكذا نسبَ يزيدَ بنَ الحارث دون ذكر مالك الأغر هذا خليفةُ وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» ٥/ ٢٧٧٩ وابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٧٥٩، وذكره في عمود نسبه بين حارثة وثعلبة ابنُ الكلبيّ وابن حزم وأبو نصر بن ماكولا، وصحّحه ابن الأثير في «أسد الغابة» لابن الأثير ٤/ ٧٠٧.

(٢) بالتصغير وتشديد الياء، كذلك قيّده ابن ماكولا في «الإكمال» ٢/ ٣٠٠.

(٣) أعاد ذكره عند الكلام على منافقي الأوس والخزرج ٢/ ١٧٨ وعند غزوة أُحد ٣/ ٧٨.

(٤) أي: مخافة قطعِه حديث سيرة رسول الله ﷺ.

(٥) زاد بعد هذا في (ي): بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهْثة بن سُلَيم بن =

بني أُميّة ـ وقد أسلَمَ ـ يُورِّعُ قومَه عمّا أجمَعُوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم شريفاً مُطاعاً:

هــل قائــلٌ قــولاً هــو الحــقُّ قاعــدٌ   عليه وهل غَضبانُ للرُّشدِ[1] سامعُ

وهــل ســيِّدٌ تَرجُـو العَشـيرةُ نَفعَـهُ   لأَقصـى المَـوَالي والأقـاربِ جـامعُ

تَبَـرّأتُ إلا وجـهَ مَـن يَملِـكُ الصَّـبا   وأَهجــرُكم مــا دام مُــدْلٍ ونــازعُ[2]

وأُســلِمُ وجهــي للإلٰــه ومَنطِقــي   ولــو راعَنــي مــن الصَّــديقِ روائــعُ[3]

قال ابن إسحاق: ثم إنّ قريشاً اشتدَّ أمرُهم للشقاء الذي أصابَهم في عداوة رسول الله ﷺ ومَن أسلم معه منهم، فأَغرَوْا برسول الله ﷺ سفهاءَهم، فكذَّبوه وآذَوْه، ورَمَوه بالشِّعر والسِّحر والكَهَانة والجنون، ورسولُ الله ﷺ مُظهِرٌ لأمر الله لا يستخفي به، مُبادٍ لهم[4] بما يكرهون من عَيبِ دينهم، واعتزالِ أوثانهم، وفِراقِه إيّاهم على كفرهم.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير، عن أبيه عُرْوة، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص؛ قال[5]: قلت له: ما أكثرُ ما رأيتَ قريشاً أصابوا من رسول الله

= منصور.

(١) في (ت): للحق.

وقوله: قاعد عليه، أي: ثابتٌ، كما في حاشية (ص).

(٢) الصَّبا: الريح التي تهبّ من جهة المشرق. والمُدْلي: المُرسِل الدلو، والنازع: الجاذب لها؛ أي: ما دمتم مختلفين، واحد يُدلي دلواً وآخر ينزع دلواً، كما في حاشية (ص).

(٣) راعني، أي: أفزعني.

(٤) أي: مُعلِنٌ مُظهِر لهم.

(٥) القائل هو عُروة.

ﷺ فيما كانوا يُظهِرون من عداوتِه؟ قال: حَضَرتُهم وقد اجتَمَعَ أشرافُهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: ما رأَينا مثلَ ما صَبَرْنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ، سَفَّهَ أحلامَنا، وشَتَم آباءَنا، وعابَ دينَنا، وفرَّق جماعتَنا، وسبَّ آلهتَنا، لقد صَبَرْنا منه على أمرٍ عظيمٍ ـ أو كما قالوا ـ فبَيْنا هم في ذلك إذ طَلَعَ رسولُ الله ﷺ، فأقبَلَ يمشي حتّى استَلَم الرُّكن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلمّا مرَّ بهم غَمَزُوه[1] ببعض القول، قال: فعَرَفتُ ذلك في وجهِ رسول الله ﷺ، ثم مَضَى، فلمّا مرَّ بهم الثانيةَ غَمَزُوه بمثلِها، فعرفتُ ذلك في وجهِ رسول الله ﷺ، ثم مرَّ بهم الثالثةَ فغَمَزُوه بمثلِها، فوَقَفَ ثم قال: «أتَسمَعُونَ يا مَعشَرَ قريشٍ، أمَا والّذي نفسي بيدِه، لقد جِئتُكم بالذَّبحِ» قال: فأخَذَتِ القومَ كلمتُه حتّى ما منهم رجلٌ إلا كأنّما على رأسه طائرٌ واقعٌ، حتّى إنَّ أشدَّهم فيه وَصَاةً[2] قبل ذلك ليَرفَؤُه بأحسنِ ما يَجِدُ من القول، حتّى إنّه ليقول: انصرِفْ يا أبا القاسم، فوالله ما كنتَ جَهُولاً.

قال: فانصرف رسولُ الله ﷺ، حتّى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضُهم لبعض: ذَكَرتُم ما بَلَغَ منكم وما بَلَغَكم عنه، حتّى إذا باداكم بما تكرهون تركتُموه! فبَيْنا هم في ذلك طَلَعَ رسولُ الله ﷺ، فوَثَبُوا إليه وَثْبةَ رجل واحد فأَحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقولُ كذا وكذا؟! لمَا كان يقول من عَيبِ آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نَعَم، أنا الّذي أَقولُ ذلك» قال: فلقد رأيتُ رجلاً منهم آخِذاً[3] بمَجمَع رِدائِه، قال: فقام أبو بكرٍ دونَه وهو يبكي ويقول:

---

(١) أي: طعنوا فيه بالقول.

(٢) الوصاة: الوصيّة، يعني أشدَّهم تحريضاً عليه وإيصاءً بإيذائه. وقوله: ليرفؤه، أي: يهدِّئه ويسكِّنه.

(٣) في (ت): أَخذ.

أتقتلون رجلاً أن يقولَ: ربِّيَ الله؟! ثم انصَرَفوا عنه، فإنَّ ذلك لأشدُّ ما رأيتُ قريشاً نالُوا منه قطُّ[1].

قال ابن إسحاق: حدَّثني بعضُ آل أمّ كُلثُوم بنت أبي بكر، أنها قالت: لقد رَجَعَ أبو بكرٍ يومَئذٍ وقد صَدَعُوا فَرْقَ رأسِه، ممّا جَبَذُوه بلحيته[2]، وكان رجلاً كثيرَ الشَّعر.

قال ابن هشام: حدَّثني بعضُ أهل العلم: أنَّ أشدَّ ما لقيَ رسولُ الله ﷺ من قريشٍ، أنّه خرج يوماً فلم يَلقَهُ أحدٌ من الناس إلا كذَّبه وآذاه، حرٌّ ولا عبدٌ، فرَجَعَ رسولُ الله ﷺ إلى منزلِه، فتَدثَّرَ[3] من شدَّة ما أصابه، فأَنزل الله تعالى عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[4].

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٧٠٣٦)، والبزار (٢٤٩٧)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٣٢-٣٣٣، وابن حبان (٦٥٦٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٢٧٥-٢٧٦ من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأشار إلى طريق ابن إسحاق هذه البخاريُّ في «صحيحه» بإثر الحديث (٣٨٥٦) حيث روى طرفاً من آخره من طريق محمد بن إبراهيم التَّيميّ عن عروة بن الزبير، وسمَّى الذي أَخذ بمجمع رداء النبيّ ﷺ عُقبة بن أبي مُعَيط. ومن طريق محمد بن إبراهيم هذه أخرجه أحمد أيضاً في «المسند» (٦٩٠٨).

قوله: «جئتكم بالذَّبح» أي: بالحرب والقتل والهلاك إن لم تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأوثان من دونه.

(٢) صدعوا: شقُّوا. وفَرْق رأسه: الموضع الذي يُفرَق منه الشَّعر، وهو منتصف الرأس من الأمام. وجبذوه: جَذَبوه، وهو مقلوب منه.

(٣) أي: تلفَّف في الدِّثار، وهو الثياب من كِساءٍ وغيره.

(٤) هذا الخبر ضعيف منكر، وقد روي معناه في حديث رواه الطبراني في «الكبير» (١١٢٥٠) =

إسلام حمزة عمِّ النبيّ ﷺ

قال ابن إسحاق: حدَّثني رجلٌ من أسلَمَ، كان واعيةً: أنّ أبا جهلٍ مَرَّ برسول الله ﷺ عند الصَّفا، فآذاه وشَتَمَه، ونالَ منه بعضَ ما يَكرَه من العيبِ لدينه، والتضعيفِ لأمره، فلم يكلِّمه رسول الله ﷺ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة في مَسْكنٍ لها تسمعُ ذلك، ثم انصرف عنه فعَمَدَ[1] إلى نادي قريشٍ عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يَلبَثْ حمزةُ بن عبد المُطَّلِب أن أقبلَ متوشِّحاً قوسَه راجعاً من قَنَصٍ له[2]، وكان صاحبَ قَنَصٍ يَرميهِ ويخرجُ له، وكان إذا رجع من قَنَصِه لم يَصِلْ إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يَمُرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلَّم وتحدَّث معهم، وكان أعزَّ فتًى في قريشٍ وأشدَّه شَكِيمةً[3]، فلمّا مَرَّ بالمَولاة ـ وقد رَجَعَ رسولُ الله ﷺ إلى بيته ـ قالت له: يا أبا عُمَارة، لو رأيتَ ما لقيَ ابنُ أخيك محمّدٌ آنفاً من أبي الحَكَم بن هشام؛ وَجَدَه هاهنا جالساً فآذاه وسبَّه، وبَلَغَ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلِّمْه محمّدٌ.

= عن ابن عباس بإسناد ضعيف جداً، وهو مخالف لما صحَّ في حديث جابر عند البخاري (٤٩٢٥) ومسلم (١٦١) من أن نزول هذه السورة كان عندما رأى النبيُّ ﷺ جبريلَ ـ في أول ما أُوحي إليه ـ جالساً على كرسيٍّ بين السماء والأرض ففَزِعَ منه وارتعب فرجع إلى أهله فدثّروه، فنزلت أوائل هذه السورة.

(١) في (ص) و(م) و(ي): عامداً.

والنادي: هو مجلس القوم الذي يتنادَون إليه.

(٢) القَنَصُ: الصَّيد.

(٣) الشكيمة: عزّة النفس وقوّتها، مأخوذة من شكيمة اللِّجام: وهي الحديدة المعترضة في فم الفَرَس.

فاحتَمَلَ حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد اللهُ به من كرامته، فخرج يَسعَى لم يَقِفْ على أحدٍ، مُعِدّاً لأبي جهلٍ إذا لقيَه أن يقعَ به، فلمّا دخل المسجدَ نظر إليه جالساً في القوم، فأقبَلَ نحوَه، حتّى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فشَجَّه شَجَّةً مُنكَرة[1]، ثم قال: أتشتُمُه؟! فأنا على دينِه أقولُ ما يقول، فرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعتَ، فقامت رجالُ بني مخزومٍ إلى حمزةَ لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دَعُوا أبا عُمَارة، فإنّي والله قد سَبَبتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً.

وتمَّ حمزةُ على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسولَ الله ﷺ من قولِه، فلمّا أسلَمَ حمزةُ عَرَفَت قريشٌ أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتَنَع، وأنّ حمزة سيَمنَعُه، فكَفُّوا عن بعض ما كانوا يَنالُون منه[2].

---

(١) أي: جَرَحه جرحاً كبيراً.

(٢) إسناده ضعيف لإعضاله وإبهام الرجل الأسلميّ، لكن روي هذا الخبر بنحوه من غير وجهٍ مُرسَلٍ كما سيأتي، فبعضها يعضد بعضاً فيقوى أصل الخبر بذلك ويثبت إن شاء الله.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٧١-١٧٢ بأطول مما هنا، ومن طريقه أخرجه الحاكم (٤٩٣٩) - وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٢١٣-٢١٤ - وابن الأثير في «أسد الغابة» ١/ ٥٢٨-٥٢٩.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٨٠٨) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه بنحوه الطبراني في «الكبير» (٢٩٢٦) بإسناد جيد عن جرير بن حازم، عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شَرِيق الثقفيّ، مُعضَلاً: أن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ بالصفا فآذاه... إلخ. ويعقوب بن عتبة ثقة عالم من أتباع التابعين.

وأخرجه كذلك الطبراني (٢٩٢٥) من طريق أسامة بن زيد الليثي، وابن سعد مختصراً في «طبقاته» ٣/ ٨ من طريق عُبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مَوهَب، كلاهما عن محمد =

قول عُتبة بن رَبيعة في أمر رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: حدَّثني يزيد بن زياد، عن محمّد بن كعب القُرَظيِّ قال: حُدِّثتُ أنّ عُتْبة بن رَبيعة ـ وكان سيّداً ـ قال يوماً وهو جالسٌ في نادي قريش، والنبيُّ ﷺ جالس في المسجد وحدَه: يا معشرَ قريشٍ، ألا أقومُ إلى محمّدٍ فأُكلِّمَه وأَعرِضَ عليه أموراً لعلّه يَقبَلُ بعضَها فنُعطيَه أيَّها شاءَ ويَكُفَّ عنا؟ وذلك حين أسلم حمزةُ ورأَوا أصحابَ رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلِّمْه، فقام إليه عُتْبةُ حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابنَ أخي، إنّك منّا حيث قد علمتَ من السِّطَة[1] في العَشِيرة، والمكانِ في النَّسَب، وإنّك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم، فرّقتَ به جماعتَهم، وسفَّهتَ به أحلامَهم، وعِبتَ به آلهتَهم ودينَهم، وكفَّرتَ به من مضى من آبائهم، فاسمع منّي أَعرِضْ عليك أموراً تنظرُ فيها لعلَّك تقبلُ منها بعضَها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «قُلْ يا أبا الوليدِ، أَسمَعْ».

قال: يا ابن أخي، إن كنتَ إنّما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً، جَمَعْنا لك من أموالِنا حتّى تكونَ أكثرَنا مالاً، وإن كنتَ تريد به شرفاً، سوَّدناكَ علينا، حتّى لا نَقطَعَ أمراً دونَك، وإن كنتَ تريد به مُلكاً، مَلَّكناكَ علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيّاً[2] تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك، طَلَبْنا لك الطِّبَّ، وبَذَلْنا فيه أموالَنا حتى نُبْرِئَك منه، فإنّه ربَّما غَلَبَ التابعُ على الرجل حتى يُداوَى منه؛ أو كما قال له.

حتى إذا فَرَغَ عُتْبةُ، ورسولُ الله ﷺ يستمع منه، قال: «أَقَدْ فَرَغتَ يا أبا الوليد؟»

= ابن كعب القُرظي، مرسلاً. ومحمد بن كعب من ثقات التابعين وعلمائهم.

(١) السِّطة: الشرف والمنزلة الرفيعة.

(٢) الرئيّ ـ بفتح الراء وكسرها ـ: ما يتراءى للإنسان من الجنّ، وهو التابع أيضاً.

قال: نعم، قال: «فاستَمِعْ منِّي» قال: أفعلُ، قال: «﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾[1]»، ثم مضى رسولُ الله ﷺ فيها يقرؤُها عليه، فلمّا سمعها عتبةُ منه، أنصَتَ لها وألقَى يديه خلفَ ظهره مُعتمِداً عليهما يسمعُ منه، ثم انتهى رسولُ الله ﷺ إلى السَّجدة منها فسَجَدَ، ثم قال: «قد سمعتَ يا أبا الوليدِ ما سمعتَ، فأنتَ وذاكَ».

فقام عتبةُ إلى أصحابه، فقال بعضُهم لبعضٍ: نحلفُ بالله لقد جاءَكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلمّا جلس إليهم قالوا: ما وراءَكَ يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي سمعتُ قولاً واللهِ ما سمعتُ مثلَه قطُّ، واللهِ ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكَهَانة، يا مَعشَرَ قريشٍ، أَطيعوني واجعلوها بي، خَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزِلُوه، فواللهِ ليكوننَّ لقوله الذي سمعتُ نَبأٌ، فإنْ تُصِبْه العربُ فقد كُفِيتُموه بغيركم، وإنْ يَظهَرْ على العرب فمُلْكُه مُلكُكم، وعِزُّه عِزُّكم، وكنتم أسعدَ النّاسِ به، قالوا: سَحَرَكَ واللهِ يا أبا الوليد بلسانِه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنَعُوا ما بَدَا لكم[2].

---

(١) سورة فُصِّلَت.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله ورجاله ثقات. يزيد بن زياد: هو المدني مولى عبد الله بن عيّاش ابن أبي ربيعة المخزوميّ، وقيل: مولى بني هاشم.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٠٦-٢٠٧، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٢٠٤-٢٠٥، وفي «الاعتقاد» ص٢٦٧-٢٦٨، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٨/ ٢٤٦-٢٤٧. وهو عند ابن عساكر أيضاً ٣٨/ ٢٤٥-٢٤٦ من طريق إبراهيم بن سعد الزهريّ عن ابن إسحاق.

ورواه داود بن عمرو الضبّي عن أبي راشد المثنّى بن زرعة صاحب المغازي ـ عند أبي نعيم =

ما دار بين رسول الله ﷺ وبين رؤساءِ قريش
وتفسيره لسورة الكهف وغيرها

قال ابن إسحاق: ثمّ إنَّ الإسلام جعل يَفشُو بمكّة في قبائل قريش في الرِّجال والنِّساء، وقريشٌ تَحبِسُ من قَدَرَت على حبسِه، وتَفتِنُ من استطاعت فتنتَه من المسلمين.

ثمّ إنَّ أشراف قريشٍ من كلِّ قبيلة، كما حدَّثني بعضُ أهل العلم عن سعيد بن جُبَير وعن عِكْرمة مولى ابن عبّاس، عن عبد الله بن عبّاس قال[1]: اجتمع عتبةُ بن

= في «الدلائل» (١٨٥)، وابن عساكر ٣٨/ ٢٤٤-٢٤٥ ـ عن ابن إسحاق، عن نافع مولى ابن عمر، عن عبد الله بن عمر. ولا يصحُّ، فأبو راشد هذا مجهول، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: لا أعرفه، ثم أشار إلى روايته هذه وقال: هذا غريب، إنما رووها عن ابن إسحاق عن يزيد عن محمد بن كعب القرظيّ مرسلاً.

قلنا: ويشهد له حديث جابر بن عبد الله عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٩٥-٢٩٧ ـ وعنه عبد بن حميد (١١٢٣) وأبو يعلى (١٨١٨) ـ والحاكم (٣٠٣٩) وغيرهم بسياق فيه بعض مغايرةٍ، وإسناده فيه لِينٌ.

وقد ذكر الخبرين: حديثَ جابرٍ، ومرسلَ محمد بن كعب، الحافظ ابنُ كثير في أول تفسير سورة فصلت من «تفسيره» ثم قال: وهذا السياق (يعني سياقه عند ابن إسحاق) أشبه من الذي قبله، والله أعلم.

(١) إسناده بهذا السياق الطويل الآتي ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق فيه.

وهو في «السيرة» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٧-١٩٩، ووصف ابن إسحاق فيه شيخه بأنه شيخ من أهل مكة قديم حدَّثه منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة وحده عن ابن عباس.

ومن طريق يونس كذلك أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٥/ ٨٧-٩٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٩٠، إلا أن البيهقي لم يسق لفظه، ووقع عندهما في وصف هذا الشيخ بأنه شيخ من =

رَبيعة وشَيْبةُ بن رَبيعة وأبو سفيان بن حَرْب والنَّضرُ بن الحارث بن كَلَدَة ـ أخو بني عبد الدَّار ـ وأبو البَختَريِّ بن هشام والأسودُ بن المُطَّلِب بن أَسد وزَمْعةُ بن الأسوَد والوليدُ بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أُميّة والعاصِ بنُ وائل ونُبَيهٌ ومُنبِّهٌ ابنا الحَجّاج السَّهميّان وأُميّةُ بن خَلَف، أو مَن اجتمع منهم؛ قال: اجتمعوا بعد غُروبِ الشمسِ عند ظَهْر الكعبة، ثم قال بعضُهم لبعض: ابعَثُوا إلى محمّدٍ فكلِّمُوه وخاصِمُوه حتى تُعذِروا فيه، فبَعَثوا إليه: أن أشرافَ قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك، فأْتِهم.

فجاءَهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظنُّ أنْ قد بَدَا لهم فيما كلَّمهم فيه بَدَاءٌ، وكان عليهم حريصاً يحبُّ رُشْدَهم، ويَعِزُّ عليه عَنَتُهم[1]، حتّى جلس إليهم، فقالوا: يا محمّد، إنَّا قد بَعَثْنا إليك لنكلِّمَك، وإنَّا واللهِ ما نعلمُ رجلاً من العرب أدخَلَ على قومه ما أدخَلتَ على قومك، لقد شَتَمتَ الآباءَ، وعِبتَ الدِّين، وشَتَمتَ الآلهة،

= أهل مصر!

ورواه عن ابن إسحاق كرواية زياد البكّائيِّ إبراهيمُ بنُ سعد عند أبي نعيم في «الدلائل» (١٥٦). إلا أنه لم يسق لفظه بتمامه.

وقد ثبت في بعض هذا الخبر حديث مختصر رواه جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سأل أهلُ مكة النبيَّ ﷺ أن يجعل لهم الصَّفا ذهباً، وأن يُنحِّيَ الجبالَ عنهم فيزرعوا، فقيل له: إن شئتَ أن تستأنِيَ بهم، وإن شئتَ أن نُؤتيَهم الذي سألوا، فإن كفروا أُهلكوا كما أُهلِك مَن قبلَهم، قال: «لا، بل أَستأني بهم»، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:٥٩].

أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤١٩)، وإسناده صحيح.

(١) أي: يشقّ عليه بقاؤهم على الإثم والغلط.

وسفَّهتَ الأحلام، وفرَّقتَ الجماعة، فما بقيَ أمرٌ قَبيحٌ إلا قد جئتَه فيما بينَنا وبينَك ـ أو كما قالوا له ـ فإن كنتَ إنَّما جئتَ بهذا الحديث تَطلُبُ به مالاً، جَمَعْنا لك من أموالنا حتّى تكونَ أكثرَنا مالاً، وإن كنتَ إنَّما تَطلُبُ به الشَّرف فينا، فنحن نُسوِّدُك علينا، وإن كنتَ تريد به مُلكاً ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الّذي يأتيك رَئِيّاً تراه قد غَلَبَ عليك ـ وكانوا يُسمُّون التابعَ من الجنِّ رئيّاً ـ فربّما كان ذلك، بَذَلْنا أموالَنا في طلب الطِّبّ لك حتى نُبْرئَك منه، أو نُعذِرَ فيك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولونَ، ما جِئتُ بما جِئتُكم به أطلبُ أموالَكم، ولا الشَّرفَ فيكم، ولا المُلكَ عليكم، ولكنَّ اللهَ بَعَثَني إليكم رسولاً، وأَنزَلَ عليَّ كتاباً، وأَمَرني أن أكونَ لكم بَشيراً ونَذيراً، فبلَّغتُكم رسالاتِ ربِّي، ونَصَحتُ لكم، فإنْ تَقبَلوا منّي ما جئتُكم به، فهو حَظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تَردُّوه عليَّ أصبِرْ لأمرِ الله حتّى يَحكُمَ اللهُ بيني وبينَكم»، أو كما قال ﷺ.

قالوا: يا محمّد، فإن كنتَ غيرَ قابلٍ منّا شيئاً ممّا عَرَضْناه عليك، فإنك قد علمتَ أنّه ليس من الناس أحدٌ أضيَقَ بلداً، ولا أقلَّ ماءً، ولا أشدَّ عيشاً منَّا، فسَلْ لنا ربَّك الّذي بَعَثَك بما بَعَثَك به، فليُسيِّرْ عنّا هذه الجبالَ التي قد ضيَّقَت علينا، وليَبسُطْ لنا بلادَنا، وليَخرِقْ[1] لنا فيها أنهاراً كأنهار الشّام والعراق، وليَبعَثْ لنا مَن مَضَى من آبائنا، وليكن فيمن يَبعَثُ لنا منهم قُصيُّ بن كِلَاب، فإنّه كان شيخَ صِدْقٍ، فنسألُهم عمّا تقول: أحقٌّ هو أم باطلٌ، فإن صدَّقُوك وصنعتَ ما سألناك صدَّقناك، وعَرَفْنا به مَنزِلتَك من الله، وأنّه بَعَثَك رسولاً كما تقول، فقال لهم صلواتُ الله عليه: «ما بهذا بُعِثتُ إليكم، إنَّما جِئتُكم من الله بما بَعَثَني به، وقد بلَّغتُكم ما أُرسِلتُ به إليكم، فإنْ

(١) في (ص) و(م) و(ي): وليفجِّر.

تَقبَلُوه، فهو حَظُّكم في الدُّنيا والآخرة، وإنْ تردُّوه عليَّ، أصبِرْ لأمرِ الله حتّى يَحكُمَ اللهُ بيني وبينَكم».

قالوا: فإذْ لم تفعل هذا لنا، فخُذْ لنفسِك، سَلْ ربَّك أن يَبعَثَ معك مَلَكاً يُصدِّقُك بما تقول، ويُراجِعُنا عنك، وسَلْه فليَجعلْ لك جِناناً وقصوراً وكُنوزاً من ذهب وفضّة يُغنِيكَ بها عمّا نراك تبتغي، فإنّك تقوم بالأسواق، وتلتمسُ المَعَاش كما نلتمسُه، حتّى نعرفَ فَضْلَك ومَنزِلتَك من ربِّك إن كنت رسولاً كما تَزعُم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعلٍ، وما أنا بالّذي يَسألُ ربَّه هذا، وما بُعِثتُ إليكم بهذا، ولكنَّ اللهَ بَعَثَني بشيراً ونذيراً - أو كما قال - فإنْ تَقبَلُوا ما جئتُكم به، فهو حظُّكم في الدُّنيا والآخرة، وإن تَردُّوه عليَّ، أصبِرْ لأمرِ الله حتّى يَحكُمَ اللهُ بيني وبينَكم».

قالوا: فأسقِطِ السماءَ علينا كِسَفاً[1] كما زعمتَ أنَّ ربَّك إن شاءَ فَعَلَ، فإنّا لا نؤمنُ لك إلّا أن تفعلَ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «ذلكَ إلى الله، إنْ شاءَ أن يَفعَلَه بكم فَعَلَ».

قالوا: يا محمّد، أفَما عَلِمَ ربُّك أنّا سنجلسُ معك ونسألُك عمّا سألناك عنه، ونطلبُ منك ما نَطلُب، فيَتقدَّمَ إليك فيُعلِمَك ما تُراجِعُنا به، ويخبرك ما هو صانعٌ في ذلك بنا، إذْ لم نَقبَلْ منك ما جئتَنا به! إنّه قد بَلَغَنا أنّك إنَّما يُعلِّمُك هذا رجلٌ باليَمَامةِ[2] يقال له: الرَّحمٰنُ، وإنّا واللهِ لا نؤمنُ بالرَّحمٰن أبداً، فقد أعذَرْنا إليك يا محمّد، وإنّا واللهِ لا نَترُكُك وما بَلَغتَ منّا حتى نُهلِكَك أو تُهلِكَنا.

---

(١) أي: قِطَعاً، واحدها: كِسْف وكِسْفة.

(٢) اليمامة: اسم لإقليم فيه مدن وقرى يقع وسط نجد شرق الجزيرة العربية، من مدنه الرياض والعُيينة والدَّرعية وغيرها، ويدعى اليوم: العارض، وأصبحت اليمامة اليوم محصورة في بلدة صغيرة تقع في منطقة الخَرْج جنوب شرقيّ مدينة الرِّياض على قرابة ٨٠ كم.

وقال قائلُهم: نحن نَعبُدُ الملائكةَ، وهي بناتُ الله، وقال قائلُهم: لن نُؤمنَ لك حتّى تأتيَنا بالله والملائكةِ قَبيلاً.

فلمّا قالوا ذلك لرسول الله ﷺ، قام عنهم، وقام معه عبدُ الله بن أبي أُميّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزومٍ ـ وهو ابنُ عمّتِه، وهو لعاتكةَ بنت عبد المُطَّلِب ـ فقال له: يا محمّد، عَرَضَ عليك قومُك ما عَرَضُوا، فلم تَقبَلْه منهم، ثم سألُوك لأنفسِهم أُموراً ليَعرِفوا بها منزلتَك من الله كما تقول، ويُصدِّقوك ويَتبَعُوك، فلم تَفعَل، ثمّ سألوك أن تأخذَ لنفسِك ما يعرفون به فضلَك عليهم، ومنزلتَك من الله، فلم تَفعَل، ثم سألوك أن تُعجِّلَ لهم بعضَ ما تُخوِّفُهم به من العذاب، فلم تَفعَل ـ أو كما قال له ـ فواللهِ لا أُؤمِنُ بك أبداً حتّى تتَّخِذَ إلى السماءِ سُلَّماً ثم تَرقَى فيه وأنا أنظرُ حتّى تأتيَها، ثم تأتيَ معك بصَكٍّ معه أربعةٌ من الملائكة يَشهَدُون لك أنّك كما تقول، وايْمُ اللهِ لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أنّي أصدِّقُك، ثم انصَرَفَ عن رسول الله ﷺ[1].

وانصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى أهله حزيناً أَسِفاً لِمَا فاتَه ممّا كان يَطمَعُ به من قومِه حين دَعَوْه، ولِمَا رأَى من مُباعدتِهم إيَّاه.

فلمّا قام عنهم رسولُ الله ﷺ، قال أبو جهل: يا معشرَ قريش، إنَّ محمّداً قد أَبَى إلّا ما ترون من عَيبِ دينِنا، وشَتْمِ آبائنا، وتسفيهِ أحلامنا، وشَتْمِ آلهتنا، وإنّي أعاهدُ

(١) وعبد الله بن أبي أميّة هذا: هو أخو أمِّ المؤمنين أمِّ سَلَمة لأبيها، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ شديداً على المسلمين، ولم يزل كذلك إلى عام الفتح، فهاجر إلى النبيّ ﷺ قُبيل الفتح هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، فلقيا النبيَّ ﷺ بالطريق، فأسلما وحَسُنَ إسلامُهما، وشهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكّة مسلمَينِ وحُنيناً والطائفَ، ورُمِيَ عبدُ الله في حصار الطائف منها بسهمٍ فقتله، ومات يومئذٍ. انظر «أسد الغابة» لابن الأثير ٣/ ٧٣.

اللهَ لأجلسنَّ له غداً بحجرٍ ما أُطِيقُ حملَه ـ أو كما قال ـ فإذا سجد في صلاته فَضَختُ[1] به رأسَه، فأسلِمُوني عند ذلك أو امنَعُوني، فليَصنَعْ بعد ذلك بنو عبد مَنَافٍ ما بَدَا لهم، قالوا: والله لا نُسلِمُك لشيء أبداً، فامضِ لما تريد.

فلمّا أصبَحَ أبو جهلٍ أخذ حجراً كما وَصَفَ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظرُه، وغَدَا رسولُ الله ﷺ كما كان يَغدُو، وكان رسول الله ﷺ بمكّة وقِبلتُه إلى الشام، فكان إذا صلَّى صلَّى بين الرُّكْن اليَمَاني والحَجَر الأسود، وجعل الكعبةَ بينَه وبينَ الشام، فقام رسول الله ﷺ يُصلِّي وقد غَدَتْ قريشٌ فجلسوا في أَنديتِهم يَنظُرون ما أبو جهلٍ فاعلٌ، فلمّا سَجَدَ رسولُ الله ﷺ احتَمَلَ أبو جهلٍ الحجرَ ثم أقبل نحوَه، حتّى إذا دَنَا منه رجع مُنهزِماً مُنتقِعاً[2] لونُه مرعوباً، قد يَبِسَت يداه على حَجَرِه، حتّى قَذَفَ الحجرَ من يده، وقامت إليه رجالُ قريشٍ فقالوا له: ما لك يا أبا الحَكَم؟ قال: قمتُ إليه لأفعلَ ما قلتُ لكم البارحةَ، فلمّا دَنَوتُ منه عَرَضَ لي دونَه فَحْلٌ من الإبل، لا واللهِ ما رأيتُ مثلَ هامَتِه ولا قَصَرَتِه[3] ولا أنيابِه لفحلٍ قطُّ، فهَمَّ بي أن يأكُلَني.

قال ابن إسحاق: فذُكِرَ لي أنّ رسول الله ﷺ قال: «ذلكَ جبريلُ، لو دَنَا لأَخَذَه»[4].

---

(١) أي: كسرتُ وشققتُ.

(٢) أي: متغيِّراً.

(٣) الهامَة: الرأس. والقَصَرة: أصلُ العنق.

(٤) كذا وقع في هذه الرواية عن ابن عباس في قصة أبي جهلٍ وما رأى من الفَحْل، وقد تقدّم تضعيفنا لهذه الرواية في أول الخبر، والذي صحَّ عن ابن عباس فيها هو ما رواه عبد الكريم الجَزَريّ عن عِكرمة عنه قال: قال أبو جهل: لئن رأيتُ محمداً يصلّي عند الكعبة، لأطأنّ على عنقه، فبلَغَ النبيَّ ﷺ فقال: «لو فعَلَه، لأخَذَته الملائكةُ». أخرجه البخاري (٤٩٥٨). =

فلمّا قال لهم ذلك أبو جهلٍ، قام النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلقَمة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصيٍّ ـ قال ابن هشام: ويقال: النَّضر بن الحارث بن علقمة ابن كَلَدة بن عبد مَنَاف[١] ـ فقال: يا معشرَ قريش، إنّه واللهِ قد نَزَلَ بكم أمرٌ ما أُتِيتُم له بحِيلَةٍ بعدُ[٢]، قد كان محمّدٌ فيكم غلاماً حَدَثاً أَرْضاكم فيكم، وأصدَقَكم حديثاً، وأعظَمَكم أمانةً، حتّى إذا رأيتُم في صُدْغَيه الشَّيبَ وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحرٌ، لا واللهِ ما هو بساحر، قد رأَينا السَّحَرةَ نَفْثَهم وعَقْدَهم[٣]، وقلتم: كاهنٌ، لا واللهِ ما هو بكاهن، قد رأَينا الكَهَنةَ تَخالُجَهم[٤] وسمعنا سَجْعَهم، وقلتم: شاعرٌ، لا واللهِ ما هو بشاعرٍ، لقد رأَينا الشِّعر وسمعنا أصنافَه كلَّها، هَزَجَه ورَجَزَه، وقلتم: مجنونٌ، لا واللهِ ما هو بمجنون، لقد رأَينا الجُنونَ، فما هو بخَنْقه ولا

= ونحو هذا روى أبو هريرة بأطول منه، فأخرج مسلم (٢٧٩٧) من طريق أبي حازم الأشجعيّ عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعفِّرُ محمّدٌ وجهه بين أظهُركم؟ قيل: نعم، فقال: واللّات والعُزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأَنَّ على رقبته، أو لأُعفِّرنّ وجهَه في التراب، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلّي، زَعَمَ ليطأَ على رقبته، قال: فما فَجِئَهم منه إلا وهو يَنكُص على عَقِبَيه (أي: رجع يمشي إلى ورائه) ويتَّقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إنّ بيني وبينَه لخندقاً من نار، وهَوْلاً وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: «لو دَنَا منّي لاختَطَفَته الملائكةُ عُضواً عُضواً»، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ إلى آخر سورة العلق.

(١) وهذا الذي قاله ابن هشام أشهر عند النَّسّابة كابن الكلبيّ ومصعب الزبيريّ والزبير بن بكّار وابن حزمٍ وغيرهم.

(٢) إلى هنا انتهت رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عند أبي نعيم المتقدم تخريجها.

(٣) هذا إشارة إلى ما كان يفعل الساحر من أن يَعقِدَ خيطاً ثم يَنفِثُ فيه، أي: ينفخ فيه.

(٤) في (ش١) و(غ) و(ق١): وتخالجهم. والتخالُج: اضطراب الأعضاء وتحرّكها عن غير إرادة.

وسوستِه ولا تخليطِه، يا معشرَ قريش، فانظُروا في شأنِكم، فإنّه والله لقد نَزَلَ بكم أمر عظيم.

وكان النَّضرُ بن الحارث من شياطين قريش، وممّن كان يُؤْذي رسولَ الله ﷺ ويَنصِبُ له العداوةَ، وكان قد قَدِمَ الحِيرةَ وتعلَّم بها أحاديثَ ملوك الفُرْس، وأحاديثَ رُستُمَ واسفِندِيار[1]، فكان إذا جلس رسولُ الله ﷺ مجلساً فذَكَّرَ فيه بالله وحذَّر قومَه ما أصاب مَن قبلَهم مِن الأُمم من نِقْمة الله، خَلَفَه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا واللهِ يا معشرَ قريشٍ أحسنُ حديثاً منه، فهَلُمَّ[2]، فأنا أحدِّثُكم أحسنَ من حديثه، ثم يحدِّثُهم عن ملوك فارسَ ورُستُم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمّدٌ أحسنُ حديثاً منّي؟

قال ابن هشام: وهو الذي قال ـ فيما بَلَغَني ـ: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣].

قال ابن إسحاق: فكان ابن عباس يقول ـ فيما بَلَغَني ـ: نزل فيه ثماني آياتٍ من القرآن: قولُ الله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وكلُّ ما ذُكر فيه الأساطيرُ من

---

(١) هكذا في (ش١) و(ص) و(م)، وفي (ت) و(غ): اسبندياد، وفي (ق١): اسبندياذ، وفي (ي): اسفندباد. وأصحها ما أثبتناه.

ورستم واسفنديار أهمّ الشخصيات التي ذكرها أبو القاسم الفردوسي في «الشاهنامة» التي هي ملحمة فارسيّة تقع في نحو ستين ألف بيت، ويصوّر فيها تاريخ الفرس منذ العصور الأسطوريّة حتى زمن الفتوح الإسلامية وسقوط دولة الفُرس.

(٢) أي: تعالَوْا. وهلمَّ اسم فعل عند أهل الحجاز فينادون بها بلفظٍ واحدٍ للمذكّر والمؤنَّث والمفرد والجمع، وعند أهل نجدٍ هي فعل أمرٍ فيُلحِقون بها الضمائر فيقولون: هلمّي وهلمَّا وهلمُّوا وهَلْمُمنَ، والأول أفصح وبه جاء التنزيل، ففي سورة الأنعام الآية (١٥٠): ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾، وفي سورة الأحزاب الآية (١٨): ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾.

القرآن[1].

فلمّا قال لهم ذلك النضرُ بن الحارث بَعَثُوه وبَعَثُوا معه عُقبةَ بن أبي مُعَيطٍ إلى أحبار يهودَ بالمدينة، وقالوا لهما: سَلَاهم عن محمّد، وصِفَا لهم صفتَه، وأخبِراهم بقوله، فإنّهم أهل الكتاب الأوّل، وعندهم عِلمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء، فخَرَجا حتّى قَدِما المدينة، فسألا أحبارَ يهودَ عن رسول الله ﷺ ووَصَفا لهم أمره، وأخبَراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنّكم أهل التّوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهم أحبارُ يهودَ: سَلُوه عن ثلاثٍ نأمرُكم بهنَّ، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مُرسَل، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتَقوِّل، فرَوْا فيه رأيَكم؛ سَلُوه عن فِتْيةٍ ذهبوا في الدَّهر الأول ما كان أمرُهم، فإنّه قد كان لهم حديثٌ عَجَبٌ، وسَلُوه عن رجل طوَّاف قد بَلَغَ مشارقَ الأرض ومغاربَها ما كان نَبَؤُه؟ وسَلُوه عن الرُّوح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتَّبِعوه، فإنَّه نبيٌّ، وإن لم يفعل، فهو رجلٌ مُتقوِّلٌ، فاصنَعُوا في أمره ما بَدَا لكم.

فأقبَلَ النَّضرُ بن الحارث وعُقْبةُ بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أُميّة بن عبد

---

(١) جاء هذا الخبر موصولاً في رواية يونس بن بكير من «السيرة»، ففيها ص٢٠١ عن ابن إسحاق قال: حدّثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال، فذكره. ومن طريق يونس أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٧/ ٣٩٩-٤٠٠.

ورواه أيضاً سلمةُ بن الفضل الأبرش عند الطبري ١٧/ ٤٠٠ عن ابن إسحاق قال: حدّثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس. ومحمد بن أبي محمد ـ وهو المدني مولى زيد بن ثابت ـ مجهول.

والآيات الثمانية المشار إليها هي: هذه الآية المذكورة، وهي في موضعين: في القلم آية (١٥) وفي المطففين آية (١٣)، والستة الباقية في الأنعام آية (٢٥)، والأنفال آية (٣١)، والنحل آية (٢٤)، والمؤمنين آية (٨٣)، والفرقان آية (٥)، والنمل آية (٦٨).

شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيٍّ حتّى قَدِما مكّة على قريش، فقالا: يا مَعشَرَ قريشٍ، قد جئناكم بفَصْلِ ما بينَكم وبينَ محمّد، قد أَمَرَنا أحبارُ يهودَ أن نسأله عن أشياءَ أَمَرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيٌّ، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتقوِّل، فرَوْا فيه رأيَكم.

فجاؤُوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا محمّد، أخبِرنا عن فِتْيةٍ ذهبوا في الدَّهر الأوّل قد كانت لهم قصّةٌ عَجَبٌ، وعن رجل كان طوّافاً قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها، وأخبرنا عن الرُّوح ما هي؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «أُخبِرُكم بما سألتُم عنه غداً»، ولم يَستثنِ[1]، فانصرفوا عنه، فمَكَثَ رسولُ الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ خمسَ عشرةَ ليلةً لا يُحدِثُ اللهُ إليه في ذلك وَحْياً ولا يأتيه جبريلُ، حتى أَرجَفَ[2] أهلُ مكّة وقالوا: وَعَدَنا محمّدٌ غداً، واليومُ خمسَ عشرةَ ليلةً، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيءٍ ممّا سألناه عنه، وحتّى أحزَنَ رسولَ الله ﷺ مُكْثُ الوَحْي عنه، وشَقَّ عليه ما يتكلَّمُ به أهلُ مكّة، ثم جاءه جبريلُ من الله عزَّ وجلَّ بسُورة أصحاب الكهف، فيها معاتَبتُه إيّاه على حُزنِه عليهم، وخَبَرُ ما سألوه عنه من أمر الفِتْية، والرجل الطَّوّاف، والرُّوح[3].

---

(١) أي: لم يقل: إن شاء الله.

(٢) قال الفيُّوميُّ في «المصباح المنير» (رجف): أرجَفَ القومُ في الشيء وبه إرجافاً: أكثَروا من الأخبار السيّئة واختلاق الأقوال الكاذبة حتى يضطربَ الناسُ منها.

(٣) هذا الخبر بطوله في إرسال قريش للنضر بن الحارث ومن معه إلى أحبار يهود وما سألوا النبيَّ ﷺ عنه وجوابه لهم، أسنده يونس بن بكير في روايته لـ«السيرة» ص٢٠١-٢٠٢ عن ابن إسحاق، عن رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس. تابعاً للخبر السابق في قصة الأساطير. =

قال ابن إسحاق: فذُكِرَ لي: أن رسول الله ﷺ قال لجبريلَ حين جاءَه: «لقدِ احتَبَستَ عنِّي يا جبريلُ حتّى سُؤتُ ظنّاً»، فقال له جبريلُ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤][1].

فافتتح السورةَ تبارك وتعالى بحمدِه وذكر نبوّة رسوله ﷺ، لِما أَنكروا عليه من ذلك، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١] يعني محمّداً ﷺ، إنك رسولٌ منّي، أي: تحقيق لمَا سألوا عنه من نبوَّتك ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ① قَيِّمًا﴾ أي: مُعتدِلاً، لا اختلافَ فيه ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: عاجلَ عقوبتِه في

= ومن طريق يونس أخرجه الطبري في «التفسير» ١٥/ ١٤٣-١٤٤، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩-٢٧٠، ومن طريق البيهقيِّ أخرجه الحافظ ابن حجر في كتابه «موافقة الخُبْر الخَبَر» ٢/ ٧٠، ثم قال: هذا حديث غريب، لولا هذا المُبهَم لكان سندُه حسناً، لكن فيه ما يُنكَر، وهو السؤال عن الرُّوح ونزول الآية فيها، وأن ذلك وقع بمكّة، والثابت في «الصحيحين» أن ذلك كان بالمدينة وقع مُصرَّحاً به في رواية ابن مسعود. قلنا: يعني ما أخرجه البخاري (١٢٥) و(٤٧٢١) ومسلم (٢٧٩٤) عن ابن مسعود قال: بينا أنا أمشي مع النبيّ ﷺ في حَرْث المدينة وهو يتوكّأ على عَسِيب معه، فمرَّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سَلُوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيءُ فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنَّه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الرُّوح؟ فسكت، فعلمتُ أنّه يُوحَى إليه، فقمت مقامي، فلمّا انجَلَى عنه قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ...﴾ [الإسراء: ٨٥].

(١) لم يسند ابن إسحاق هذا الخبر، وقد روي نحوه عن عكرمة والضحّاك ومُقاتل وقَتَادة والكَلبيّ فيما ذكر الثعلبيُّ في «تفسيره» ٦/ ٢٢٣، والواحديُّ في «أسباب النزول» (٦٠٨). وهذا لا يصحُّ، والذي صحَّ في ذلك ما أخرجه البخاري (٣٢١٨) من حديث سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ألا تزورُنا أكثر ممّا تزورُنا؟»، قال: فنزلت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ...﴾.

الدنيا، وعذاباً أليماً في الآخرة، أي: من عند ربِّك الذي بَعَثَك رسولاً ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ أي: دارَ الخُلْد لا يموتون فيها، الذين صدَّقوك بما جئتَ به ممّا كذَّبك به غيرُهم، وعَمِلوا بما أمَرتَهم به من الأعمال ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ يعني قُريشاً في قولهم: إنّا نعبدُ الملائكةَ، وهي بناتُ الله ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ الذين أعظَمُوا فِراقَهم وعَيْبَ دينِهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: لقولهم: إنّ الملائكةَ بناتُ الله ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ يا محمّدُ ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ لحُزنِه عليهم حين فاته ما كان يَرجُو منهم، أي: لا تفعلْ.

قال ابن هشام: ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: مُهلِكٌ نفسَك، فيما حدَّثني أبو عُبيدة[1].

قال ذو الرُّمّة:

ألَا أيُّهـذا البـاخعُ الـوَجْدُ نفسَـهُ   لشـيءٍ نَحَتْـه عـن يَديـهِ المَقـادِرُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له. وجمعُه: باخِعُون وبَخَعَة، وتقول العرب: قد بَخَعتُ له نُصحي ونفسي، أي: جَهِدتُ له.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ قال ابن إسحاق:

---

(١) يعني مَعمَر بن المثنّى، وانظر كتابه «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٣.

(٢) الوجد: الحزن وشدّة الشَّوق، ونَحَتْه: صَرَفَته وأبعَدَته، المقادرُ: المقادير، وحذف الياء تخفيفاً وللضرورة الشِّعريّة. ومعنى البيت: يا من سيهلك نفسَه بالحزن على شيء لم يُقدَّر له فلم يَنلْه، يريد: اصبر على عدم نَيلِك إياه.

وهذا البيت من قصيدة يمدح بها ذو الرُّمّة بلالَ بن أبي بُرْدة بن أبي موسى الأشعريَّ وكان أميراً على البصرة وقاضياً لها. انظر «ديوانه» مع شرحه لأبي نصر الباهليّ ٢/ ١٠٣٧.

أي: أيُّهم أتبَعُ لأمري، وأعمَلُ بطاعتي ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ أي: الأرضَ، وإنّ ما عليها لفانٍ وزائلٌ، وإنّ المَرجِعَ إليّ، فأَجزي كُلًّا بعمله، فلا تأسَ ولا يَحزُنْك ما ترى وتسمعُ فيها.

قال ابن هشام: الصَّعيد: الأرض، وجمعه: صُعُدٌ، قال ذو الرُّمّة يصفُ ظَبْياً صغيراً:

كأنّه بالضُّحَى تَرمِي الصعيدَ بهِ دَبّابةٌ في عِظامِ الرأسِ خُرْطومُ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والصعيدُ أيضاً: الطَّريق، وقد جاء في الحديث: «إيَّاكُم والقُعُودَ على الصُّعُداتِ»[2] يريد الطُّرق.

والجُرُز: الأرض التي لا تُنبِتُ شيئاً، وجمعها: أَجْراز. ويقال: سنةٌ جُرُزٌ، وسِنُونَ أجرازٌ، وهي التي لا يكون فيها مطر، ويكون فيها جُدُوبة ويُبْس وشدَّة، قال

(١) الوصف في هذا البيت لظبيٍ يمثِّل به ذو الرُّمّة امرأةً خرقاءَ رآها تخرج من خبائها، ففي وقت الضحى كأن هذا الظبي تلقيه على الأرض من النعاس دبّابةٌ، يعني الخمرَ، وسمِّيَت دبّابة لأنها تَدِبُّ في العظام، والخُرطوم: أول ما ينزل ويُؤخَذ من إناء الخمر.

وهذا البيت من قصيدة يشبِّب بها ذو الرُّمة بخرقاءَ وقعت في قلبه كما سبق، والخرقاء: هي المرأة التي لا تحسن العمل لدلالها وكرامتها على أهلها. انظر «ديوانه» مع شرحه للباهلي ١/ ٣٨٩.

(٢) حديث صحيح، روي من حديث أبي طلحة الأنصاريّ عند أحمد (١٦٣٦٧) ومسلم (٢١٦١).

ومن حديث أبي سعيد الخُدريّ عند أحمد (١١٥٨٦) والبخاري (٢٤٦٥)، وهو عند البخاري ورواية لأحمد بلفظ الطُّرقات مكان الصُّعدات.

ذو الرُّمّة يصفُ إبلاً[1]:

طَوَى النَّحْزُ والأَجرازُ ما في بطونِها فما بَقِيَت إلا الضُّلوعُ الجَراشِعُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: ثم استَقبَل قصّة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفِتْية، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ أي: قد كان من آياتي فيما وضعتُ على العباد من حُجَجي ما هو أعجبُ من ذلك.

قال ابن هشام: والرَّقيم: الكتاب الذي رُقِمَ بخَبَرِهم، وجمعُه: رُقُمٌ، قال العجّاج:

ومُستقَرَّ المُصحفِ المُرقَّمِ[3]

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

قال ابن إسحاق: ثمَّ قال: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢﴾ ثمَّ قال: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم

(١) انظر «ديوانه» ٢/ ١٢٩٦.

(٢) النَّحز: هو النَّخس والنَّخز بحديدة أو نحوها، وإنما يفعل الراكبُ ذلك بالناقة ليستحثَّها في السير. والجراشع: جمع جُرشُع، قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٣/ ١٦٣: قال صاحب «العين»: الجُرشُع: العظيم الصَّدر، فمعناه إذاً في البيت على هذا: الضلوعُ من الهُزال قد نَتَأَت وبَرَزَت كالصَّدر البارز. قال العينيّ في «المقاصد النحوية» ٢/ ٩٤٢: وذلك من شدة الاستحثاث والركض، ومن السَّير في الأرض التي لا نبات فيها.

(٣) أراد بالمصحف المرقَّم القرآنَ المكتوب في الصحف، وهذا البيت من الأُرجوزة وما قبله وما بعده في «ديوان العجاج» ١/ ٤٦١-٤٦٢ يمتدح فيها قريشاً وأن الله تعالى اختار نبيَّه ﷺ من بينهم وجعل مستقرَّ الوحي عنده.

بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بصِدْق الخَبَر ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ أي: لم يُشرِكوا بي كما أشركتُم بي ما ليس لكم به علمٌ.

قال ابن هشام: والشَّطَط: الغُلُوُّ ومُجاوَزةُ الحقِّ، قال أعشَى بني قيس بن ثَعلَبة:

لا تَنتهُونَ ولا يَنهَى ذَوِي شَطَطٍ ... كالطَّعنِ يذهبُ[1] فيه الزَّيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾، قال ابن إسحاق: أي: بحُجّة بالغة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَّاوَرُ[2] عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى

---

(١) هكذا في (ش١) و(غ) و(ق١): يذهب، وهو كذلك في «ديوان الأعشى» ١/ ٢٢١، وفي (ت) و(ص) و(م) و(ي): يهلك. وأول البيت في «الديوان»: هل تَنتهُون؟ ولا ينهى...

وهذا البيت من قصيدته المشهورة التي أولها: وَدِّعْ هريرةَ إن الرَّكبَ مُرتَحِلُ... وهو يخاطب بها يزيدَ بنَ مُسهِر الشيباني ويزجره عمّا يقوم به من تحريض قومه على قتال بني قيس بن ثعلبة قومِ الأعشى.

ومعنى البيت: أنه لا يردُّ المعتدين المجاوزين لحدودهم ولا ينهاهم شيءٌ مثلُ طعن نافذ إلى الجوف يغيب فيه ما يوضع عليه من زيت وفتائل لعلاجها.

(٢) هكذا جاءت مقيَّدة في نسخنا الخطية بتشديد الزاي، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو البصري من السبعة، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: (تَزَاوَرُ) خفيفة، وقرأ ابن عامر الشامي: (تَزْوَرُّ). انظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد ص٣٨٨.

﴿فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾.

قال ابن هشام: تَزّاوَرُ: تَمِيل، وهو من الزَّوْر.

وقال امرُؤُ القيس بن حُجْر:

وإنِّي زعيمٌ إن رجعتُ مُملَّكاً ... بسَيرٍ تَرَى منه الفُرانِقَ أَزْوَرا[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له[2].

وقال أبو الزَّحْف الكُلَيبيُّ يصفُ بلداً:

جَأْبُ المُنَدَّى عن هَوَانا أَزْوَرُ ... يُنضِي المَطَايا خِمسُهُ العَشَنْزَرُ[3]

وهذان البيتان في أُرجوزةٍ له.

و﴿تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: تُجاوِزهم وتتركهم عن شمالها، قال ذو الرُّمّة:

---

(١) زعيم: كفيل، وفي كثير من كتب اللغة روي بلفظ: وإني أَذِينٌ، وهو بمعناه. ومملَّكاً، أي: صاحب مُلْك. والفُرانق: سَبُع يصيح بين يدي الأسد كأنه يُنذِر الناس به، ويقال: إنه شبيه بابن آوى، كما في «المعرَّب» للجواليقيّ ص٢٨٦. والأزوَر: مائل العُنق.

وهذا البيت في «ديوانه» ص٩٦، وهو من قصيدة قالها حين توجّه إلى قيصر الروم مستنجداً به على ردِّ ملكه إليه والانتقام من بني أسدٍ وكانوا قد قتلوا أباه.

(٢) من قوله: «وقال امرؤ القيس» إلى هنا من (غ) و(ق١)، وليس في بقية النسخ.

(٣) الجأْب: الغليظ الجافي، قال الخُشنيُّ: ومن رواه (جَدْب) فهو من الجُدوبة بمعنى القَحْط. والمُندَّى: حيث يرتع البعير ساعة من النهار. ويُنضِي: يُهزِل. والمطايا: الإبل المتَّخَذة للركوب. والخِمس: هو أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ عن خمسة أيام. والعشنزر: الشديد.

وذكر أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٥ قبل هذين البيتين:

ودونَ ليلى بلدٌ سَمَهدَرُ

والسَّمهدر من البلاد: الواسعُ الأطراف بعيدُها.

إلى ظُعُنٍ يَقرِضْنَ أَقْوازَ مُشرِفٍ شِمالاً وعن أيمانِهنَّ الفوارسُ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والفَجْوة: السَّعَة، وجمعها: الفِجَاء، قال الشاعر:

ألبَسْتَ قومَك مَخْزاةً ومَنقَصةً حتّى أُبيحوا وخَلَّوا[2] فجوةَ الدَّارِ

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: في الحُجّة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب، ممّن أَمَرَ هؤلاءِ بمسألتك عنهم في صِدْق نبوَّتك بتحقيق الخبر عنهم ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾.

قال ابن هشام: الوَصِيد: الباب، قال العَبْسيُّ، واسمه عُبيد بن وَهْب[3]:

بأرضٍ فَلاةٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها عليَّ ومعروفي بها غيرُ مُنكَرِ

(١) الظُّعن: الإبل التي عليها الهوادج. والأقواز: جمع قَوْز، وهو الجبل من الرَّمل، ووقع في «الديوان» بشرح أبي نصر الباهليّ ٢/ ١١٢٠: أجواز، وفسّره بالأوساط، وجَوْز كلِّ شيء وسطُه. ومشرف والفوارس: موضعان في الدَّهناء، والدهناء: صحراء شرق الجزيرة العربيّة على شكل قوس يمتدّ نحو ١٢٠٠كم حتى تصل جنوباً إلى حدود صحراء الربع الخالي، وأما شمالاً فيمتدّ حتى يصل إلى النُّفود.

(٢) هكذا في نسختنا الخطية بالخاء، والمعنى: أنهم لحقهم العارُ بتلك المَخزاة حتى تركوا منازلهم وهجروها. وفي «تفسير القرطبي» ١٣/ ٢٠٣ و«لسان العرب» ١٥/ ١٤٨: حَلُّوا، بالحاء المهملة، ومعناه على هذا: أقاموا ولزموا بيوتهم، والفجوة: ساحة الدار.

(٣) كذا نسبه ابن هشام إلى عبيد بن وهب العبسيّ، ونسبه أبو زيد القرشيّ في «جمهرة أشعار العرب» ص١٧ وابن رَشِيق القيرواني في «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» ٢/ ٨١ إلى زهير بن أبي سُلمى، وليس هو في «ديوانه».

وهذا البيت في أبياتٍ له.

والوَصِيد أيضاً: الفِناءُ، وجمعُه: وَصائِدُ، ووُصُدٌ، ووُصْدانٌ[1].

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ أهلُ السُّلطان والمُلْك منهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ﴾ يعني أحبارَ يهودَ الذين أَمَرُوهم بالمسألة عنهم: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: لا عِلمَ لهم ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ أي: لا تُكابِرْهم ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ فإنّهم لا عِلمَ لهم بهم ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ أي: لا تقولنَّ لشيءٍ سألوك عنه كما قلتَ في هذا: إنّي مُخبِرُكم غداً، واستثنِ شِيئَةَ الله[2]، واذكُرْ ربَّك إذا نَسِيتَ، وقل: عسى أن يَهدِيَنِ ربّي لخيرٍ ممّا سألتموني عنه رَشَداً، فإنّك لا تدري ما أنا صانعٌ في ذلك.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ أي: سيقولون ذلك ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: لم يَخْفَ عليه شيءٌ ممّا سألوك عنه.

وقال فيما سألوه عنه من أمرِ الرَّجل الطَّوّاف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ حتّى انتهى إلى آخر قصّة خبره.

---

(١) زاد في طبعة وستنفيلد الألمانية المطبوعة سنة ١٨٥٨م وما بعدها من الطبعات: وأُصد وأُصدان، وليس هذا في شيء من نسخنا الخطية.

(٢) الشِّيئة: مصدر شاءَ يشاءُ، كما أنّ الخِيفة مصدر خافَ يَخافُ.

وكان من خبر ذي القَرنَينِ: أنّه أُوتي ما لم يُؤتَ غيرُه، فمُدَّت له الأسباب حتّى انتهى من البلاد إلى مشارقِ الأرض ومغاربِها، لا يطأُ أرضاً إلا سُلِّطَ على أهلها، حتّى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءَه شيءٌ من الخلق.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني من يَسُوق الأحاديثَ عن الأعاجم فيما تَوارَثوا من علمِه: أنّ ذا القَرنَينِ كان رجلاً من أهل مِصرَ اسمُه مَرزَبا[1] بن مَرذَبة اليونانيّ، من ولد يُونانَ بن يافِثَ بن نوح.

قال ابن هشام: واسمه الإسكندَر، وهو الذي بنى الإسكندريّةَ فنُسِبَت إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني ثَوْر بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان الكَلَاعيِّ، وكان رجلاً قد أدرَكَ[2]: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن ذي القَرنَينِ فقال: «مَلَكٌ[3] مَسَحَ

---

(١) هكذا في نسخنا الخطية، وفي المطبوعات السابقة من «السيرة»: مرزبان، وهو خطأ، فقد نقله عن ابن هشام كما أثبتناه من نسخنا بلا نونٍ ابنُ عبد الحَكَم في «فتوح مصر والمغرب» ص٥٨، والسهيليُّ في «الروض الأنف» ٣/ ١٧٨، والسيوطيُّ في «حسن المحاضرة» ١/ ٥٦، والزَّبيديُّ في «تاج العروس» ٣٥/ ٥٣٦ عندما ذكر الخلاف في ذي القرنين، وهو كذلك في «العظمة» لأبي الشيخ (٩٧٥) من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق.

(٢) قوله: أدرك، إن كان أراد به إدراك زمن النبيّ ﷺ، فغير صحيح، وإن كان أراد إدراكه صحابة النبيّ ﷺ، فهذا صحيح، لكنه أدرك بعضَهم ممن تأخّرت وَفَيَاتهم، فروايته عن النبيّ ﷺ إمّا مُرسَلة أو مُعضَلة، وكذلك روايته الآتية عن عمر، فإسناد هذا الخبر عن كليهما ضعيف.

وأخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٦٠ عن ابن هشام، عن زياد البكّائي، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٥/ ٣٩٠، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٧٦) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، به.

(٣) هكذا قُيّد في (ت) بفتح اللام، وفي (ص) بكسرها، وفي (ش١) و(م) بالوجهين معاً، =

الأرضَ من تحتِها بالأسبابِ».

وقال خالدٌ: سمع عمرُ بن الخطّابِ رجلاً يقول: يا ذا القرنَينِ، فقال عمرُ: اللهمَّ غَفْراً، أمَا رَضِيتُم أن تَسَمَّوا بالأنبياء حتى تسمَّيتُم بالملائكة.

قال ابن إسحاق: فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان، أقال ذلك رسولُ الله ﷺ، أم لا؟ الحقُّ ما قال.

وقال فيما سألوه عنه من أمرِ الرُّوح: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ عن ابن عبّاس، أنه قال: لمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، قالت أحبارُ يهودَ: يا محمّدُ، أرأيتَ قولَك: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيّانا تريد، أم قومَك؟ قال: «كُلًّا» قالوا: فإنّك تَتْلو فيما جاءَك: أنّا قد أُوتينا التوراةَ فيها بيانُ كلِّ شيءٍ، فقال رسول الله ﷺ: «إنّها في علمِ الله قليلٌ، وعندَكم في ذلك ما يَكفِيكُم لو أقَمتُمُوه». قال: فأَنزل الله عزَّ وجلَّ عليه فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:٢٧][1]؛ أي: أنّ التوراة في هذا من علمِ الله قليلٌ.

= ولم يُقيّد في (غ) و(ق١) و(ي).

(١) إسناده ضعيف لإعضاله بين ابن إسحاق وابن عباس.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير ص٢٠٤ ـ ومن طريقه أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٨/ ٥٧٢ ـ موصولاً عن ابن إسحاق قال: حدّثني رجل بمكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. لكن هذا الموصول ضعيف أيضاً لجهالة الرجل المكيّ.

وروى نحوه محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الأبرش عند الطبريِّ ١٥/ ٧٢ فجعله من رواية ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار بهذا الخبر مرسَلاً، لم يذكر فيه =

قال: وأَنزل الله عليه فيما سأله قومُه لأنفسِهم من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وبعْث مَن مضى من آبائهم من الموتى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١]، أي: لا أصنعُ من ذلك إلا ما شئتُ.

وأُنزل عليه في قولهم: خُذْ لنفسِك، ما سألوه أن يأخذَ لنفسه، أن يجعل له جِناناً وقصوراً وكنوزاً، ويَبعَثَ معه مَلَكاً يُصدِّقُه بما يقول ويردُّ عنه: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي: من أن تمشيَ في الأسواق وتلتمسَ المَعاشَ ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان:٧-١٠].

وأُنزل عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠] أي: جعلتُ بعضَكم لبعض بلاءً لتَصبِروا، ولو شئتُ أن أجعلَ الدنيا مع رُسُلي فلا يُخالَفُوا لفعلتُ.

وأَنزل الله عليه فيما قال عبدُ الله بن أبي أُميّة: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا

= ابنَ عباسٍ أو غيرَه. وابن حميد ضعيف وسلمة له أخطاء في الرواية.

نَقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

قال ابن هشام: اليَنبُوع: ما نَبَعَ من الماء من الأرض وغيرِها، وجمعُه: ينابيعُ، قال ابن هَرْمَة، واسمه إبراهيم بن عبد الله[1] الفِهْريُّ:

وإذا هَرَقــتَ بكــلِّ دارٍ عَــبْرةً ... نَـزَفَ الشُّؤونُ ودَمعُـكَ اليَنبـوعُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

والكِسَف: القِطَع من العذاب، وواحدته: كِسْفة، مثل: سِدْرة وسِدَر، وهي أيضاً واحدةُ الكِسْف.

والقَبِيل: يقولُ: مقابلةً ومعايَنةً، وهو كقوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف: ٥٥]: أي عِياناً.

وأنشدني أبو عُبيدة لأعشَى بني قيس بن ثَعلَبة:

أُصـالِحُكمْ حتّـى تَبُـوءُوا بمِثلِهـا ... كصـرخةِ حُبلَـى يَسَّـرَتها قَبِيلُهـا[3]

---

(١) هكذا وقع مسمًّى في نسخنا الخطية غير (ق١) ففيها: عبد الله بن إبراهيم، ولم يقع مسمًّى عند أحد ممن ترجمه إلا إبراهيم بن علي بن سلمة، وليس في آبائه من اسمه عبد الله، وهو قرشيٌّ من أهل المدينة، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٢٠٧.

(٢) هرقتَ كأَرقتَ، أي: أسلتَ وصببتَ. والعَبْرة: الدمعة. ونَزَفَ ـ ونُزِفَ أيضاً ـ معناه: ذهب دمعُها. والشؤون: مجاري الدموع.

وانظر قصيدته المشار إليها في «ديوان شعره» جمع وتحقيق محمد نفاع وحسين عطوان ص١٤٢-١٤٤.

(٣) في «ديوانه» ٢/ ١٧: يسَّرتها قَبُولها. وكلاهما صحيح، انظر «الصحاح» للجوهريّ ٥/ ١٧٩٦.

وهذا البيت في قصيدة للأعشى يعاتب فيها بني عمٍّ له كانت بين قومه وبينهم حربٌ، والمعنى كما قال التبريزيّ في «تهذيب إصلاح المنطق» ص٣٥١: لا أصالحكم حتى تعترفوا بمثل الحرب =

يعني القابلةَ، لأنها مُقابِلُها وتَقبَلُ ولدها. وهذا البيت في قصيدةٍ له.

ويقال: القَبِيل: جمعُه: قُبُل، وهي الجماعات، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام:١١١]، فقُبُل: جمع قَبِيل، مثل سُبُل: جمع سَبِيل، وسُرُر: جمع سَرِير، وقُمُص: جمع قَمِيص.

والقَبِيل أيضاً في مَثَلٍ من الأمثال، وهو قولهم: ما يعرفُ قَبيلاً من دَبيرٍ، أي: ما يعرف ما أقبَلَ ممّا أدبرَ، قال الكُمَيت بن زيد:

تَفرَّقَتِ الأمورُ بوِجهَتَيهِمْ   فما عَرَفوا الدَّبِيرَ من القَبيلِ

وهذا البيت في قصيدةٍ له[1].

ويقال: إنما أُريدَ بهذا: الفَتْلُ، فما فُتِلَ إلى الذراع فهو القَبِيل، وما فُتِلَ إلى أطراف الأصابع فهو الدَّبِير، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرتُ. ويقال: فَتْلُ المِغزَل، فإذا فُتِلَ إلى الرُّكبة فهو القَبيل، وإذا فُتِلَ إلى الوَرِك فهو الدَّبير.

والقَبِيل أيضاً: قوم الرَّجل.

والزُّخرُف: الذهب، والمُزخرَف: المزيَّن بالذهب، قال العَجّاج:

من طَلَلٍ أَمسى تَخالُ المُصحَفا[2]

رُسومَهُ والمُذهَبَ المُزَخرَفا[3]

= التي أوقعتموها، وتصرخوا من شدّتها كصراخ المرأة الحامل التي قد ضربها المخاض، فهي تصيح لِما يؤلمها من ذلك.

(١) لم نقف عليها في «الديوان»، ولم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

(٢) الطَّلَل: ما بقي من آثار الدار وغيرها.

(٣) رسومه، أي: نقوشه وخطوطه. والمُذهَب: أراد به خشبة تُلبَّس بماء الذهب، كما فسّره الأصمعيُّ في روايته وشرحه لديوان العجّاج ٢/ ٢٢٠.

قال ابن هشام: يقال: المُصحَف والمِصحَف[1]، وهذان البيتان في أُرجوزة له، ويقال أيضاً لكلِّ مُزيَّن: مُزخرَف.

قال ابن إسحاق: وأنزل اللهُ عليه في قولهم: إنّا قد بَلَغنا أنّك إنَّما يعلِّمُك رجل باليَمامة يقال له: الرّحمن، ولن نؤمنَ به أبداً[2]: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

وأنزل عليه فيما قال أبو جهلٍ وما هَمَّ به: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾.

قال ابن هشام: لنَسفَعاً: لنَجذِبنَّ ولنأخُذَنَّ، قال الشاعر:

قومٌ إذا سَمِعوا الصُّراخَ رأيتَهمْ ... من بينِ مُلجِمِ مُهرِهِ أو سافعِ[3]

والنّادي: المجلس الذي يجتمع فيه القومُ ويَقضُون فيه أمورهم، وفي كتاب الله: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩]، وهو النَّدِيُّ.

قال عَبِيد بن الأبرَص الأسَديُّ:

---

(١) قول ابن هشام هذا من (ت) ونسخة على حاشية (م).

(٢) تقدّم في أول الخبر الطويل ص٣٤١ أنه روي بإسناد ضعيف، وروي هذا أيضاً بنحوه عن مكحول مرسلاً عند الطبري في «تفسيره» ١٥/ ١٢٤، وهو ضعيف لإرساله.

(٣) الصراخ هنا: الاستغاثة. والسافع: الآخذُ بالناصية، وهي شعر مقدَّم الرأس.

وقد ذكر هذا البيت ابن عطيّة في تفسيره «المحرَّر الوجيز» ٥/ ٥٠٣ ونسبه إلى عمرو بن مَعْدي كَرِبَ. وانظر ما علّق به مطاع الطرابيشيّ على هذا البيت في أواخر «شعر عمرو» ص٢٠٦-٢٠٧.

اذهَـبْ إليـكَ فـإنّي مـن بنـي أسَـدٍ   أهلِ القِبَابِ وأهلِ الجُرْدِ[1] والنَّادي

وفي كتاب الله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم:١٩]، وجمعُه: أنديَة، يقول: فليدعُ أهلَ نادِيهِ، كما قال: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف:٨٢] يريد أهلَ القرية.

قال سَلَامة بن جَندَل، أحدُ بني سعد بن زيد مَنَاة بن تَميم:

يومـانِ يـومُ مُقامـاتٍ وأنديَـةٍ   ويـومُ سَيرٍ إلى الأعـداءِ تأويـبِ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال الكُمَيت بن زيدٍ:

لا مَهـاذِيرَ في النَّـدِيِّ مَكاثِيـ ـرَ ولا مُصـمِتينَ بالإفحـامِ[3]

(١) في (ص) و(غ): الجود، بواو، والمثبت من نسخة على حاشية (غ)، وكذلك هو في حاشيتي (ش١) و(م)، وهو الموافق لما في نسخة أبي ذرٍّ الخشنيّ وشرح عليه في «إملائه على السيرة» ص٩٧ فقال: الجُرْد: الخيل العِتاق، وهي القصيرات الشَّعر أيضاً، وقيل: هي التي تنجرد في الحَلْبة عن الخيل، أي: تتقدّمها وتسبقها. قلنا: وهو كذلك بالرّاء في «ديوان عَبيد» بتحقيق وشرح د.حسين نصار ص٤٩.

وقد سقط هذا البيت من (ت) و(ش١) و(ق١) و(م) و(ي)، واستدرك على حاشيتي (ش١) و(م).

قوله: اذهب إليك، زجرٌ، يريد: اذهب إلى قومك، يخاطب بذلك حُجراً أبا امرئ القيس، وهو يَفخَر بقومه بني أسد ويصفهم بأنهم سادة أهل قِباب، فإن السادة وحدهم الذين تُضرَب فوقهم القِباب، وهم أيضاً أهل المجلس.

(٢) المُقامات: جمع مُقامةٍ، وهي الإقامة. والتأويب: سيرُ النّهار كله. والشاعر يفصّل في هذا البيت عواقب الشباب، فيجعلها يومين: أحدهما في حضور المجالس خطيباً، والآخر في غزو الأعداء. وانظر «ديوان سلامة» ص٩٢، و«المفضَّليات» ص١٢٠.

(٣) المهاذير: جمع مِهذار، وهو الكثير الكلام في غير فائدة. والإفحام: انقطاع الرجل عن =

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

ويقال: النادي: الجُلَساءُ، والزَّبانيَةُ: الغِلَاظ الشِّداد، وهم في هذا الموضع: خَزَنَةُ النّار.

والزَّبانيةُ أيضاً في الدنيا: أعوانُ الرجل الذين يَخدُمونه ويُعِينونه، والواحد: زِبْنِيَة، قال عبد الله بن الزِّبَعرَى في ذلك:

مَطاعيمُ في المَقْرَى مَطاعينُ في الوَغَى   زَبانيَـــةٌ غُـــلْبٌ عِظـــامٌ حُلُومُهـــا[1]

يقول: شِدَاد. وهذا البيت في أبياتٍ له.

وقال صَخْر بن عبد الله الهُذَليّ، وهو صخرُ الغَيّ:

ومِـــن كَبيـــرٍ نَفَـــرٌ زَبانيَـــهْ[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: وأنزل عليه فيما عَرَضُوا عليه من أموالهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ:٤٧].

فلمّا جاءهم رسولُ الله ﷺ بما عَرَفُوا من الحقّ وعَرَفُوا صِدقَه فيما حدَّث، ومَوقِعَ

= الكلام إما عِيّاً وإما غلبةً.

ولم نقف على هذا البيت عند غير ابن هشام.

(١) المَقرَى، من القِرَى: وهو الطعام الذي يُصنَع للضيف. والوَغَى: الحرب. والغُلب: الغِلاظ الشِّداد. والحُلوم: العقول.

(٢) كَبيرٌ حيٌّ من هُذيل، وهو كبير بن طابخة بن لِحْيان بن سعد بن هُذَيل، قاله السهيليُّ في «الروض» ٣/ ١٩٦ . ولم نقف على هذا الشِّعر عند غير ابن هشام.

وصخر الغيّ: شاعر جاهلي، واسمه صخر بن عبد الله الخيثمي من هُذَيل، وإنما قيل له: صخر الغيّ، لخلاعته وشدّة بأسه وكثرة شرّه، كما في «الأغاني» للأصفهاني ٢٢/ ٣٤٥.

نبوّتِه فيما جاءهم به من علم الغُيوب حين سألوه عمّا سألوا عنه، حالَ الحسدُ منهم له بينهم وبين اتِّباعه وتصديقه، فعَتَوْا على الله وتركوا أمرَه عِياناً، ولَجُّوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] أي: اجعلوه لَغْواً وباطلاً، واتَّخِذوه هُزُواً لعلَّكم تَغلِبونه بذلك، فإنّكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلَبَكم.

فقال أبو جهلٍ يوماً وهو يَهزَأُ برسول الله ﷺ وما جاءَ به من الحقِّ: يا معشرَ قريشٍ، يَزعُمُ محمّدٌ أنَّما جنودُ الله الذين يُعذِّبونكم في النار ويَحبِسونكم فيها تسعةَ عشرَ، وأنتم الناسُ عدداً وكَثرةً، أفيَعجِزُ كلُّ مئةِ رجل منكم عن رجل منهم؟ فأَنزل اللهُ في ذلك من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١] إلى آخر القصّة، فلمّا قال ذلك بعضُهم لبعض، جعلوا إذا جَهَرَ رسولُ الله ﷺ بالقرآن وهو يُصلّي يتفرَّقون عنه، ويَأبَوْنَ أن يستمعوا له، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يستمعَ من رسول الله ﷺ بعضَ ما يَتلُو من القرآن وهو يصلّي، استرَقَ السمعَ دونَهم فَرَقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عَرَفوا أنه يستمعُ منه، ذهب خَشْيةَ أذاهم فلم يستمع، وإن خَفَضَ رسولُ الله ﷺ صوتَه، فظنَّ الذي يستمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته، وسَمِعَ هو شيئاً دونَهم، أصاخَ له[1] يستمعُ منه.

قال ابن إسحاق: حدَّثني داود بن الحُصَين مولى عَمرو بن عثمان، أن عِكْرمة مولى ابن عبّاس حدَّثهم، أن عبد الله بن عبّاس حدَّثهم: إنَّما أُنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] من أجل أُولئك، يقول: لا تَجهَرْ بصلاتك فيَتفرَّقوا عنك، ولا تُخافِتْ بها فلا يَسمعُها من يحبُّ أن

(١) أي: أنصت لصوته.

يَسمعَها ممّن يَستَرِقُ ذلك دونَهم لعلّه يَرعَوِي إلى بعض ما يَسمعُ فيَنتفِعَ به[1].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يحيى بن عُرْوة بن الزُّبير، عن أبيه قال: كان أوّلَ من جَهَرَ بالقرآن بعدَ رسول الله ﷺ بمكّة عبدُ الله بن مسعودٍ، قال: اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: واللهِ ما سَمِعَت قريشٌ هذا القرآنَ يُجهَرُ لها به قطُّ، فمَن رجلٌ يُسمِعُهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنّا نَخْشاهم عليك، إنّما نريدُ رجلاً له عشيرةٌ يَمنَعُونه من القوم إن أرادوه، قال: دَعُوني، فإنَّ الله سيَمنَعُني.

قال: فغَدَا ابنُ مسعود حتّى أَتى المَقامَ في الضُّحى وقريشٌ في أنديَتِها، حتّى قام عند المَقامِ ثم قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ رافعاً بها صوتَه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾،

(١) أصل القصة صحيح، وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم إلا أن في بعض ما يرويه داود بن الحصين عن عكرمة ما يستنكره بعض أهل الحديث، وقد روى ابن جبير عن ابن عباس هذا الخبر وفيه شيء من المغايرة كما سيأتي.

وخبر عكرمة هذا في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٠٦، ومن طريقه أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٥/ ١٣٠-١٣١.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٥٧٤)، و«الأوسط» (١٠٧٦) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.

ورواه أبو بشر جعفر بن أبي وحشيّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، قال: نَـزَلَت ورسولُ الله ﷺ مُختَفٍ بمكّة، كان إذا صَلَّى بأصحابه رَفَعَ صوتَه بالقرآن، فإذا سَمِعَ المشركون سَبُّوا القرآنَ ومن أنزلَه ومن جاءَ به، فقال الله لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك، فيسمعَ المشركون فيَسُبُّوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تُسمِعُهم ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾. أخرجه أحمد (١٥٥) والبخاري (٤٧٢٢) ومسلم (٤٤٦) وغيرهم.

يرعوي، أي: ينكفّ وينزجر.

قال: ثمّ استَقبَلَها يقرؤُها، قال: وتأمَّلُوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابنُ أمِّ عَبدٍ؟ قال: ثمّ قالوا: إنّه ليَتلُو بعضَ ما جاء به محمّدٌ، فقاموا إليه فجعلوا يَضرِبون في وجهِه، وجعل يقرأُ حتّى بَلَغَ منها ما شاءَ اللهُ أن يَبلُغَ، ثم انصَرَفَ إلى أصحابه وقد أثَّروا بوجهِه، فقالوا: هذا الّذي خَشِينا عليك، قال: ما كان أعداءُ الله أهْوَنَ عليَّ منهم الآن، ولئِنْ شئتُم لأُغادِيَنَّهم بمثلِها غداً، قالوا: لا، حَسْبُك، فقد أسمعتَهم ما يكرهون(١).

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريُّ أنه حُدِّثَ: أن أبا سفيان بن حَرْب وأبا جَهْل بن هشام والأَخنَسَ بن شَرِيق بن عَمرو بن وَهْب الثَّقَفيّ حليفَ بني زُهْرةَ، خرجوا ليلةً ليَستمِعُوا من رسول الله ﷺ وهو يُصلِّي من اللّيل في بيته، فأَخَذَ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً يستمعُ فيه، وكلٌّ لا يعلمُ بمكان صاحبه، فباتُوا يستمعون له، حتّى إذا طَلَعَ الفجرُ تفرَّقوا، فجَمَعَهم الطريقُ فتلاوَمُوا، وقال بعضهم لبعض: لا تَعُودوا، فلو رآكم بعضُ سُفهائِكم لأَوقعتُم في نفسه شيئاً، ثمّ انصَرَفُوا.

(١) مرسلٌ رجاله ثقات.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٨٦، ومن طريقه ابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٢٨١.

وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٣٥)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٣٤-٣٣٥، وابن أبي عروبة في «الأوائل» (٦١) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٣/ ٧٥ ـ من طرق عن ابن إسحاق، به. ورواية ابن أبي عروبة مختصرة جداً.

ويشهد له مرسل القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعودٍ عند ابن أبي شيبة ١٤/ ٧٩، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٩٨٦)، وابن أبي عَرُوبة (٦٢)، قال: قال: أوّل من جهر بالقرآن بمكة من فِي رسول الله ﷺ ابنُ مسعود. ورجاله ثقات.

وباجتماع هذين المرسَلَين يصحّ الخبر إن شاء الله.

حتّى إذا كانت الليلةُ الثانيةُ، عادَ كلُّ رجل منهم إلى مجلسِه، فباتُوا يستمعون له، حتّى إذا طَلَعَ الفجرُ تفرَّقوا، فجَمَعَهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ مثلَ ما قالوا أوّلَ مرّة، ثمّ انصَرَفُوا.

حتّى إذا كانت الليلةُ الثالثةُ أَخَذَ كلُّ رجل منهم مجلسَه، فباتُوا يستمعون له، حتّى إذا طَلَعَ الفجرُ تفرَّقوا، فجَمَعَهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ: لا نَبْرَحُ حتّى نتعاهدَ لا نعودُ، فتعاهَدُوا على ذلك ثم تفرَّقوا.

فلمّا أصبَحَ الأخنسُ بن شَرِيقٍ أَخَذَ عصاهُ ثم خرج حتى أتَى أبا سفيانَ في بيته فقال: أخبِرْني يا أبا حَنظَلَةَ عن رأيك فيما سمعتَ من محمّد؟ قال: يا أبا ثَعلَبةَ، واللهِ لقد سمعتُ أشياءَ أعرِفُها وأعرِفُ ما يُرادُ بها، وسمعتُ أشياءَ ما عَرَفتُ معناها ولا ما يُرادُ بها، قال الأخنسُ: وأنا والّذي حَلَفتَ به.

قال: ثمّ خرج من عندِه حتّى أتَى أبا جهل، فدَخَلَ عليه بيتَه فقال: يا أبا الحَكَم، ما رأيُك فيما سمعتَ من محمّد؟ قال: ماذا سمعتُ! تنازَعْنا نحن وبنو عبد مَنَافٍ الشَّرفَ، أطعَمُوا فأطعَمْنا، وحَمَلوا فحَمَلْنا، وأعطَوْا فأعطَيْنا، حتّى إذا تحاذَيْنا[1] على الرُّكَب وكنّا كفَرَسَي رِهانٍ قالوا: منّا نبيٌّ يأتيه الوحيُ من السماء، فمتى نُدرِكُ

(١) هكذا في (ت) و(ش١) و(ق١) و(ي) بالحاء، وفي(ص): تجاذينا، بالجيم ثم صُحِّحت فيها إلى: تجاثَينا، وهي كذلك في (غ): تجاثينا.

وكُتبت في (م) بالوجهين الأخيرين معاً.

وفي نسخة السهيليّ من «السيرة»: تجاذينا بالجيم، وعليها شرح فقال: وقع في «الجمهرة»: الجاذي: المُقْعي على قدميه، قال: وربّما جعلوا الجاذيَ والجاثيَ سواءً.

قلنا: أما المحاذاة بالحاء: فهي المماثَلة والمساواة. وقوله: كفرسَيْ رهان، فهو مَثَلٌ يُضرَب لاثنين يستبقان إلى غايةٍ فيستويانِ.

مثلَ هذه[1]؟! واللهِ لا نؤمنُ به أبداً ولا نصدِّقُه. قال: فقام عنه الأخنسُ وتَركَه[2].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا تَلَا عليهم القرآنَ ودعاهم إلى الله، قالوا يَهزَؤُون به: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ[3]﴾ لا نَفقَهُ ما تقول ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ[4]﴾ لا نسمعُ ما تقول ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ قد حالَ بيننا وبينك ﴿فَٱعْمَلْ﴾ بما أنت عليه ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت:٥] بما نحن عليه، إنا لا نَفقَهُ عنك شيئاً، فأنزل الله عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا[5]﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦] أي: كيف فَهِموا توحيدَك ربَّك إن كنتُ جعلتُ على قلوبِهم أكنّةً، وفي آذانهم وَقْراً، وبينَك وبينَهم حجاباً بزَعْمِهم، أي: إنّي لم أفعَلْ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ أي: ذلك ما تَواصَوْا به من تركِ ما بعثتُك به إليهم ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

---

(١) في (ت) و(ق١): فمتى تُدرَكُ هذه.

(٢) مرسل صحيح إن شاء الله.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٨٩-١٩٠، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» ٢/ ٢٠٦-٢٠٧.

وهذا المرسل من رواية الزهري له عن سعيد بن المسيّب، فقد ذكر ابن حجر في ترجمة الأخنس ابن شريق من «الإصابة» ١/ ٣٨: أن الذُّهْلي ذكره في «الزُّهريات» بسند صحيح عن الزهريّ عن سعيد بن المسيّب. فإن كان كذلك، فإن مراسيل سعيدٍ أصحُّ المراسيل عند أهل الحديث.

(٣) أي: في أغشية وأغطية.

(٤) أي: ثقلٌ في السمع.

(٥) أي: حجاباً ساتراً، ولكنه أُخرج وهو فاعل في لفظ المفعول، كما يقال: إنك مشؤوم وميمون، وإنما هو شائِمٌ ويامِنٌ، لأنه من شَأَمَهم ويَمَنَهم.

سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: أخطؤوا المَثَلَ الّذي ضَرَبوا لك، فلا يُصِيبون به هُدًى، ولا يَعتدلُ لهم فيه قولٌ ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: قد جئتَ تَخبِرُنا أنّا سنُبعَثُ بعد موتنا إذا كنّا عِظاماً ورُفاتاً، وذلك ما لا يكونُ ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: الذي خَلَقَكم ممّا تَعرِفون، فليس خلقُكم من ترابٍ بأعَزَّ من ذلك عليه.

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس؛ قال[1]: سألتُه عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ﴾، ما الذي أراد اللهُ به؟ فقال: الموتَ[2].

ذكر عُدوان المشركين على المُستضعَفين ممّن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّهم عَدَوْا على من أسلم واتَّبَعَ رسولَ الله ﷺ من أصحابه، فوَثَبَت كلُّ قبيلة على مَن فيها من المسلمين، فجعلوا يَحبِسُونهم ويُعذِّبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرَمْضاءِ مكّة[3] إذا اشتدَّ الحرُّ، مَن استَضعَفُوا منهم، يَفتِنونهم عن دينهم، فمنهم مَن يُفتَتَنُ من شدّة البلاءِ الذي يصيبه، ومنهم مَن يَصلُب لهم

---

(١) يعني مجاهداً.

(٢) إسناده صحيح.

وأخرجه الحاكم (٣٤١٧) من طريق يعلى بن عُبيد الطنافسيّ، عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وصحّحه.

والمعنى: لو كنتم الموتَ لأماتكم اللهُ ثم أحياكم. وظاهر الآية العموم، فلم يُخَصَّ فيها من خلق الله شيءٌ دون شيءٍ، ورجَّح الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٦١٨ العمومَ فيها.

(٣) الرَّمضاء: الرمل الحارُّ من شدة حرارة الشمس.

ويَعصِمُه الله منهم.

فكان بلالٌ مولى أبي بكرٍ لبعض بني جُمَحَ، مُولَّداً من مُولَّدِيهم، وهو بلال بن رَبَاح، وكان اسم أمِّه حَمَامة، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القلب، وكان أُميّة بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ يُخرِجُه إذا حَمِيَت الظَّهيرةُ فيَطرَحُه على ظهره في بَطْحاءِ مكّة، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضَع على صدره، ثمّ يقول له: لا واللهِ لا تزالُ هكذا حتى تموت، أو تكفرَ بمحمّد وتَعبُدَ اللّاتَ والعُزّى، فيقولُ وهو في ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني هشام بن عُرْوة عن أبيه قال: كان وَرَقةُ بن نَوفَل يمرُّ به وهو يُعذَّب بذلك، وهو يقول: أَحَدٌ أَحَد، فيقول: أَحَدٌ أَحَدٌ واللهِ يا بلال، ثمّ يُقبِل على أُميّة بن خلف ومن يَصنَع ذلك به من بني جُمَح، فيقول: أَحلِفُ بالله لئِنْ قتلتموه على هذا لأتَّخِذنَّه حَنَاناً[1].

---

(١) أي: لأتخذنَّ قبره مَنسَكاً ومُسترحَماً، والحَنَان: الرحمة.

وهذا الخبر بطوله من مراسيل عُروة بن الزبير، وذكرُ بقاء ورقة فيه إلى هذا الزمان مُنكَر، فهو مخالفٌ لما رواه ابنُ شهاب الزهريّ عند البخاري في «صحيحه» (٣) موصولاً عن عروة عن خالته عائشة في آخر حديثها عن أول ما بُدِئ به رسول الله ﷺ من الوحي وذهابه مع خديجة إلى ورقة وما دار بينهم من حِوار، قالت: ثمَّ لم يَنشَبْ ورقةُ أن تُوفِّي وفَتَرَ الوحي؛ ومعناه كما قال شارحوه من العلماء: لم يمكث ولم يُحدِث شيئاً، كأن المعنى فَجِئَه الموتُ قبل أن يَنشَب في فعل شيء، وهذه اللفظة عند العرب كناية عن السرعة والعجلة، من أجل ذلك قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٢/ ٤١٤: وهذا أصح ممّا روي من أن ورقة كان يمرُّ على بلال وهو يعذَّب.

وذكره الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» ١/ ١٢٩ وجعله من أنكر ما في صحيفة هشام بن عروة عن أبيه، وقال: هذا مرسل، وورقةُ لو أَدرك هذا لعُدَّ من الصحابة، وإنما مات الرجل في فترة الوحي بعد النبوّة وقبل الرِّسالة، كما في «الصحيح»؛ يشير إلى حديث الزهريّ عن عروة. =

حتّى مرَّ به أبو بكرٍ الصِّدّيق ابنُ أبي قُحَافة يوماً وهم يَصنَعُون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأُميّة بن خَلَف: ألا تتَّقي اللهَ في هذا المِسكين، حتّى متى؟! فقال: أنت أفسدتَه، فأنقِذْه ممّا ترى، فقال أبو بكر: أفعلُ، عندي غلامٌ أسودُ أجلَدُ منه وأقوى، على دِينِك، أُعطِيكَه به، قال: قد قَبِلتُ، قال: هو لك. فأعطاه أبو بكرٍ الصِّدّيقُ غلامَه ذلك، وأخذه فأعتَقَه ثم أعتَقَ معه على الإسلام قبل أن يهاجرَ إلى المدينة ستَّ رِقابٍ، بلالٌ سابعُهم: عامرَ بن فُهَيرةَ، شَهِدَ بدراً وأُحداً، وقُتِلَ يومَ بئرِ مَعُونةَ شهيداً، وأمَّ عُبَيسٍ، وزِنِّيرةَ، وأُصيبَ بصرُها حين أَعتقها، فقالت قريش: ما أَذهَبَ بصرَها إلا اللّاتُ والعُزَّى، فقالت: كَذَبُوا وبيتِ الله ما تَضُرُّ اللّاتُ والعُزَّى وما تَنفَعانِ، فرَدَّ اللهُ إليها بصرَها.

وأَعتَقَ النَّهديّةَ وبنتَها، وكانتا لامرأةٍ من بني عبدِ الدّار، فمَرَّ بهما وقد بَعَثَتهما سيّدتُهما بطَحينٍ لها، وهي تقول: واللهِ لا أُعتِقُكما أبداً، فقال أبو بكر: حِلٌّ يا أمَّ فلانٍ[1]، فقالت: حِلٌّ، أنت أفسدتَهما فأعتِقْهما، قال: فبِكَم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتُهما وهما حُرَّتانِ، أَرجِعا إليها طحينَها، قالتا: أوْ نَفرُغُ منه يا أبا بكر ثمّ نردُّه إليها، قال: وذلك إن شئتُما.

ومرَّ بجاريةِ بني مُؤمَّل، حيٍّ من بني عَدِيٍّ بن كعب، وكانت مسلمةً، وعمرُ بن الخَطّاب يعذِّبها لتتركَ الإسلام، وهو يومئذٍ مشركٌ وهو يَضرِبُها، حتّى إذا مَلَّ قال:

= وأما خبر هشام بن عروة عن أبيه، فهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٠ و١٩١، ورواه عن ابن إسحاق أيضاً إبراهيمُ بن سعد عند عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٩)، وأبي نعيم في «الحلية» ١/ ١٤٧-١٤٨.

(١) قال أبو ذرٍّ الخشنيُّ في «إملائه»: ص٩٨: معناه: تحلَّلي من يمينك واستثني فيها، وأكثرُ ما تقوله العرب بالنَّصب، وقد روي بالوجهين هنا بالرَّفع والنَّصب.

إنّي أعتذر إليكِ أنّي لم أترُكْكِ إلا مَلَالةً، فتقول: كذلك فَعَلَ اللهُ بك، فابتاعها فأعتَقَها.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن عبد الله بن أبي عَتِيق، عن عامر بن عبد الله ابن الزُّبَير، عن بعض أهلِه قال: قال أبو قُحَافةَ لأبي بكر: يا بنيَّ، إنّي أراكَ تُعتِقُ رِقاباً ضِعافاً، فلو أنّك إذ فعلتَ ما فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلْداً[1] يَمنَعُونك ويقومون دونَك! قال: فقال أبو بكر: يا أبَتِ، إنّي إنَّما أريد ما أريد لله عزَّ وجلَّ. قال: فيُتحدَّث أنّه ما نَزَلَ هؤلاء الآياتُ إلّا فيه وفيما قال له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل:٥-٢١][2].

قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزومٍ يخرجون بعمّار بن ياسرٍ وبأبيه وأمِّه ـ وكانوا أهلَ بيتِ إسلامٍ ـ إذا حَمِيَت الظَّهيرةُ، يعذِّبونهم برَمْضاءِ مكة[3]، فيمرُّ بهم

---

(١) أي: أشدّاء أقوياء، واحدها: جَلْدٌ وجَلِيد.

(٢) إسناده حسن إن شاء الله من أجل ابنِ أبي عتيق، وعامرُ بن عبد الله بن الزبير ثقة من كبار العُبّاد، وأكثر حديثه عن أبيه، وقد جاء مصرَّحاً به في رواية عبد الله بن سعيد الأُمويّ عن زياد بن عبد الله البكّائيّ عن ابن إسحاق عند الحاكم في «مستدركه» (٣٩٨٦) وصحّحه.

ورواه كرواية ابن هشامٍ إبراهيمُ بن سعد الزهريُّ عند أحمد بن حنبل وابنه في «فضائل الصحابة» (٦٦) و(٢٩١)، ومن طريقه الواحديُّ في «أسباب النزول» (٨٥٥) وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٠/ ٦٩.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٤/ ٤٦٦ من طريق عبد الرحمن بن محمد المُحاربيّ، عن ابن إسحاق؛ فجعله مرسلاً من قول عامر بن عبد الله بن الزبير.

(٣) الرَّمضاء: الرمل الحارُّ من شدّة حرارة الشمس.

رسولُ الله ﷺ فيقول ـ فيما بلغني ـ: «صَبْراً آلَ ياسرٍ، مَوعِدُكم الجنّةُ»[1]، فأمّا أمُّه فقتلوها، تأْبَى إلّا الإسلامَ[2].

---

(١) حديث صحيح.

فهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٢، وفيها قال ابن إسحاق: حدّثني رجال من آل عمّار بن ياسر، ثم ذكر نحوه. ومن طريق يونس أخرجه أبو عبد الله الحاكم في «المستدرك» (٥٧٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥١٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٦٢٨. وهذا مرسلٌ.

ويشهد له بلفظه حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب» (٤٦)، وأبي أحمد الحاكم في «الأسامي والكنى» ٣/ ٣٧، ورجاله لا بأس بهم.

وبنحوه حديث أبي الزُّبير عن جابر: أن النبي ﷺ مرَّ بعمّار بن ياسر وبأهله وهم يُعذَّبون في الله، فقال: «أبشِروا آل ياسر، موعدكم الجنّة». أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٥٠٨)، والحاكم (٥٧٧٠)، ورجاله ثقات، ووقع عند ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢٣٠ عن أبي الزبير مرسلاً.

ومرسل يوسف بن ماهَك عند ابن سعد ٣/ ٢٣٠ و ٤/ ١٢٧، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٦٦٣)، ورجاله ثقات.

وحديث سالم بن أبي الجعد عن عثمان بن عفان قال: أقبلتُ مع رسول الله ﷺ آخذاً بيدي نتمشّى في البطحاء، حتّى أتى على أبيه وأمه وعليه ـ يعني عمّاراً ـ يُعذَّبون، فقال أبو عمّار: يا رسول الله، الدهرَ هكذا؟! فقال له النبي ﷺ: «اصبِرْ» ثم قال: «اللهمّ اغفر لآل ياسر، وقد فعلتَ». أخرجه أحمد (٤٣٩)، ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، سالم بن أبي الجعد لم يدرك عثمان. وقوله: «وقد فعلتَ» ذكر السِّنديُّ في «حاشيته على المسند» ١/ ٢٥٤ أنه بفتح التاء قال: يحتمل أنه إخبار بأنه استُجيب دعاؤُه، ويحتمل أنه تأكيد للدُّعاء بمنزلة آمين.

(٢) ونقل ابن حجر في «الإصابة» ١١/ ٣٧٥ عن الكلبيِّ أنَّ ياسراً مات في العذاب.

أمّا عمّارٌ، فقد روي عنه ـ كما عند الحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٢) وغيره من وجهٍ حسنٍ ـ: أنهم لم يتركوه حتى سبَّ النبيَّ ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى رسولَ الله ﷺ قال: «ما وراءَك؟» قال: شرٌّ يا رسول الله، ما تُرِكتُ حتى نِلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «كيف تجدُ قلبَك؟» =

وكان أبو جهلٍ الفاسق الذي يُغْري بهم[1] في رجالٍ من قريش، إذا سمع بالرّجل قد أسلَمَ له شرفٌ ومَنَعةٌ، أنَّبَه وخَزَّاه فقال: تركتَ دين أبيك وهو خيرٌ منك، لنُسفِّهَنَّ حِلمَك[2]، ولنُفَيِّلَنَّ رأيك[3]، ولنَضَعَنَّ شرفَك، وإن كان تاجراً قال: والله لنُكسِّدنَّ تجارتَك، ولنُهلِكَنَّ مالَك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرَى به.

= قال: مطمئنٌّ بالإيمان، قال: «إن عادُوا فعُدْ».

فائدة: عقد السهيليُّ هنا في «الروض الأنف» ٣/ ٢١٨ فصلاً في المُكرَه على الكفر والمعصية، فقال بعد أن أشار إلى نزول قول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦] في هؤلاء المعذَّبين: لمّا كان الإيمان أصلُه في القلب، رُخِّص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه حتّى يأمَنَ، قال ابن مسعود: ما من كلمة تَدفَعُ عنّي سوطين إلا قلتُها؛ هذا في القول.

فأمّا الفعلُ، فتنقسم فيه الحالُ: فمنه ما لا خلافَ في جوازه كشرب الخمر إذا خاف على نفسه القتلَ، وإن لم يَخَفْ إلا ما دون القتل، فالصبرُ له أفضل، وإن لم يَخَفْ في ذلك إلا كسَجْنِ يوم، أو طَرَفٍ من الهَوَان خفيف، فلا تحلُّ له المعصيةُ من أجل ذلك، وأمّا الإكراه على القتل، فلا خلافَ في حَظْره؛ لأنه إنما رُخِّصَ له فيما دون القتل، ليدفعَ بذلك قتلَ نفسٍ مؤمنةٍ، وهي نفسُه، فأمّا إذا دَفَعَ عن نفسه بنفسٍ أُخرى، فلا رخصةَ.

واختُلِف في الإكراه على الزِّنى، فذُكر عن ابن الماجشون أنه قال: لا رخصةَ فيه؛ لأنه لا يَنتشِرُ له إلا عن إرادةٍ في القلب أو شهوة، وأفعالُ القلب لا تُباحُ مع الإكراه، وقال غيره: بل يُرخَّص في ذلك لمن خاف القتلَ، لأنّ انبعاث الشهوة عند المُماسَّة بمنزلة انبعاث اللُّعاب عند مضغ الطعام، وقد يجوز أكلُ الحرام إذا أُكره عليه.

(١) أي: يحرّش عليهم.

(٢) أي: عقلك.

(٣) أي: لنضعّفنّه، يقال: رجلٌ فِيلُ الرأي، أي: ضعيفه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني حَكِيم بن جُبَير، عن سعيد بن جُبير قال: قلت لعبد الله بن عبّاس: أكان المشركون يَبلُغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذَرُون به في تركِ دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليَضرِبُون أحدَهم ويُجِيعُونه ويُعطِّشونه حتّى ما يَقدِرُ أن يستويَ جالساً من شدّة الضُّرِّ الذي به، حتّى يعطيَهم ما سألوه من الفتنة، حتّى يقولوا له: اللاّتُ والعُزَّى إلٰهُك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتّى إن الجُعَلَ[1] ليَمُرُّ بهم فيقولون له: أهذا الجُعَلُ إلٰهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم مما يَبلُغون من جَهدِه[2].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني الزُّبَير بن عُكّاشة بن عبد الله بن أبي أحمد[3] أنّه حُدِّثَ: أنَّ رجال بني مخزومٍ مَشَوْا إلى هشام بن الوليد حين أسلَمَ أخوه الوليدُ بن

(١) الجُعَل: دُويبّة سوداء معروفة كالخنفساء تدير القذارة بأنفها.

(٢) إسناده ضعيف جداً من أجل حكيم بن جبير، فإنه متَّفق على ضعفه، وليس بينه وبين سعيد بن جبير قرابةٌ.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٢-١٩٣، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «سننه» ٨/ ٢٠٩، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٣/ ٦٢٨.

وقد ثَبَتَ أنّ النبي ﷺ كان يحضّ أصحابه على الثبات والصبر، فأخرج البخاري (٣٨٥٢) عن خبّاب بن الأرتّ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو مُتوسِّدٌ بُرْدةً وهو في ظلّ الكعبة وقد لَقِينا من المشركين شدةً، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو محمرٌّ وجهُه فقال: «لقد كان مَن قبلكم ليُمشَط بمِشاطِ الحديد ما دون عظامه من لحمٍ أو عصبٍ، ما يَصرِفُه ذلك عن دينه، ويوضع المِنشارُ على مَفرِق رأسه فيُشَقُّ باثنين، ما يَصرِفُه ذلك عن دينه، ولَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت ما يخافُ إلا الله».

(٣) الزبير بن عكاشة هذا لم نقف له على ترجمة، وليس له ذكر إلّا في هذا الخبر عند ابن إسحاق. وهو في «سيرته» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٧٣-٢٧٤.

الوليد، وكانوا قد أجمَعُوا على أن يأخذوا فِتيةً منهم كانوا قد أسلَمُوا، منهم سَلَمة ابن هشام وعيَّاش بن أبي رَبِيعة، قال: فقالوا له، وخَشُوا شرَّه: إنّا قد أرَدْنا أن نُعاتِبَ هؤلاءِ الفِتيةَ على هذا الدِّين الذي أحدَثُوا، فإنّا نَأمَنُ بذلك في غيره، قال: هذا فعَلَيكُم به، فعاتِبُوه وإيّاكم ونفسَه، وأنشأَ يقول:

أَلَا لا يُقتلَنَّ أَخي عُيَيشٌ[1] فيَبقَى بيننا أبداً تَلاحِي

احذَرُوا على نفسه، فأُقسِمُ بالله لئِنْ قتلتموه لأقتُلَنَّ أشرَفَكم رجلاً، قال: فقالوا: اللهمَّ العَنْه، من يُغرِّرُ بهذا الخبيثِ[2]، والله لو أُصيبَ في أيدينا لقُتِلَ أشرفُنا رجلاً. قال: فتَرَكُوه ونَزَعُوا عنه، قال: وكان ذلك ممّا دَفَعَ اللهُ به عنهم.

---

(١) اضطربت النسخ في تقييد هذا الحرف، ففي (ت) و(ش١) و(ق١) و(م): عييشٌ، بالرفع، وفي (ص): عييشٌ، مرفوعاً ومجروراً، وفي (غ) و(ي): عبيسً، بباء وسين مهملة، وهو تصحيف، وتنوين النصب فوق السين من (ي) وحدها. وهشامٌ يعني بذلك أخاه الوليدَ كما قال الذهبيُّ في الترجمة النبويّة من «تاريخ الإسلام» ١/ ٦٠٢.

والتَّلاحي: اللَّوم.

(٢) أي: من يَلطَخ نفسه به ويؤذيها به، يقال: غرّره يغرّره، إذا لَطَخَه بشرٍّ ونسبه إليه.

ذكر المُهاجَرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق: فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البَلَاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمِّه أبي طالب، وأنّه لا يَقدِرُ على أن يمنعَهم ممّا هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خَرَجتُم إلى أرضِ الحَبَشةِ، فإنَّ بها مَلِكاً لا يُظلَمُ عنده أحدٌ، وهي أرضُ صِدْقٍ، حتّى يجعلَ اللهُ لكم فَرَجاً ممّا أنتم فيه»[1]، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحَبَشة مخافةَ الفتنة، وفِراراً إلى الله بدينهم، فكانت أوّلَ هجرةٍ كانت في الإسلام.

فكان أوّلَ من خرج من المسلمين من بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْرٍ: عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة، معه امرأتُه رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ.

ومن بني عبد شمس بن عبد مَنَاف: أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس، معه امرأتُه سَهْلة بنت سُهيل بن عمرٍو أخي بني عامر بن لؤيّ، وَلَدَت له بأرض الحبشة محمّدَ بن أبي حُذيفة.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ: الزُّبيرُ بن العوّام بن خُوَيلِد بن أسد.

---

(١) حديث صحيح دون قوله: «وهي أرض صدق»، فلم نقف عليه مُسنَداً.

وقد أَسند الحديثَ دون هذا الحرف يونسُ بنُ بكير في «السيرة» ص٢١٣ ـ ومن طريقه البيهقي في «السنن» ٩/ ٩ و«الدلائل» ٢/ ٣٠١ ـ وعبدُ الله بنُ إدريس الأَوديُّ عند أبي طاهر المخلِّص في «المخلِّصيّات» (١٩٨٣)، كلاهما (يونس وابن إدريس) عن ابن إسحاق قال: حدثني الزُّهْريّ، عن أبي بكر بن عبد الرَّحمن بن الحارث بن هشام، عن أم سلمة زوج النبيّ ﷺ، بهذا الحديث. وإسناده صحيح.

ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: مصعبُ بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار.

ومن بني زُهْرة بن كِلَابٍ: عبدُ الرَّحمن بن عَوف بن عبد عَوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة.

ومن بني مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عُمر بن مخزوم، ومعه امرأتُه أمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عثمانُ بن مَظْعون بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح.

ومن بني عَدِيٍّ بن كعبٍ: عامرُ بن رَبِيعةَ حليفُ آل الخَطّاب، من عَنْز بن وائلٍ[1]، معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة بن حُذَافة بن غانم بن عامر[2] بن عبد الله بن عَوف ابن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ بن كعب.

ومن بني عامر بن لؤيّ: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ويقال: هو كان أوّلَ من قَدِمَها.

---

(١) في (غ) بعد هذا: قال ابن هشام: ويقال: من عنزة بن أسد بن ربيعة. قلنا: ولم يُشِر إلى ذلك السهيليُّ في «الروض الأنف» ٣/ ٣٦ حيث تكلّم على تقييد عنز بن وائل، مما يدلّ على أنه ليس في نسخته أيضاً من «سيرة ابن هشام».

(٢) قوله: «بن عامر» من (ش١) و(ص) و(م)، وهو الصواب الموافق لكتب الأنساب، وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٥٦.

ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: سُهَيل ابن بَيضاءَ، وهو سُهَيل بن وهب بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث.

فكان هؤلاءِ العشرة أوّلَ من خرج من المسلمين إلى أرض الحَبَشة، فيما بَلَغني.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمانُ بن مَظعُونٍ فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثمّ خرج جعفرُ بن أبي طالب، وتتابع المسلمون حتّى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهلِه معه، ومنهم من خرج بنفسِه لا أهلَ له معه:

من[1] بني هاشم بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْرٍ: جعفرُ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم، ومعه امرأتُه أسماءُ بنت عُمَيس بن النُّعمان بن كعب بن مالك بن قُحَافة بن خَثعَم، وَلَدَت له بأرض الحبشة عبدَ الله بن جعفر؛ رجلٌ.

ومن بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَافٍ: عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس، معه امرأتُه رُقيّةُ بنت رسول الله ﷺ، وعَمرُو بن سعيد بن العاص بن أُميّة، معه امرأتُه فاطمةُ بنت صفوان بن أُميّة بن مُحرِّث بن خُمْل[2] بن شِقّ بن رُقَيّة[3] بن مُخدَجٍ الكِنانيّ، وأخوه خالدُ بن سعيد بن العاص بن أُميّة، معه

(١) في (غ) و(ق١) و(ي): ومن، بواو، والمثبت من (ت) و(ش١) و(ص) و(م)، وهو أصحّ، لأنه بدأ بتَعدادهم على حسب قبائلهم.

(٢) قوله: «بن خمل» من (م) و(ي) وحاشية (ص)، وهو موافق لما في كتب الأنساب، ويقال فيه: خَمْل، بفتح أوله كما في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني ١/ ٣٩٧.

(٣) هكذا قُيّد في النسخ الخطية وبالياء المثنّاة، غير نسخة (م) ففيها وفي المطبوع من كتب التراجم والأنساب: رَقَبة، بالموحَّدة، ولم نقف على من نصَّ على تقييده بأحد الوجهين!

امرأتُه أُمَيْنةُ بنت خَلَف بن أسعَد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيع بن خَثعَمة[1] بن سعد ابن مُلَيح بن عمرو، من خُزَاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَينة[2] بنت خَلَف.

قال ابن إسحاق: وَلَدَت له بأرض الحبشة سعيدَ بن خالد وأَمَةَ بنت خالد، وتزوَّج أَمَةَ بعد ذلك الزُّبيرُ بن العوّام، فوَلَدَت له عمرَو بن الزُّبير وخالدَ بن الزبير.

ومن حُلَفائهم من بني أَسد بن خُزَيمة: عبدُ الله بن جَحْش بن رِئَاب بن يَعمَر بن صَبِرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد، وأخوه عُبَيدُ الله بن جحش، معه امرأتُه أمُّ حَبيبة بنت أبي سفيان بن حَرْب بن أُميّة، وقيسُ بن عبد الله، رجلٌ من بني أسد بن خُزَيمة، معه امرأتُه بَرَكةُ بنت يَسَار مولاةُ أبي سفيان بن حرب بن أميّة، ومُعَيقِيبُ بن أبي فاطمة، وهو إلى[3] آلِ سعيد بن العاص؛ سبعةُ نَفَرٍ.

قال ابن هشام: مُعَيقيبٌ من دَوْس.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد شمس بن عبد مَنَافٍ: أبو حُذيفة بن عُتْبة بن

---

(١) كذا وقع لابن إسحاق: سبيع بن خثعمة، وكذا هو عند ابن منده في «معرفة الصحابة» ص٤٦١، وابن حزم في «جوامع السيرة» ص٥٧ و٥٩، وزعم أبو ذرّ الخشنيُّ في «إملائه» ص٨٠ أن الصواب فيه: يُثَيع بن جُعثمة.

(٢) ويقال: أُميمة، بميمين، وصوّب الخشنيّ أنه بالنون.

(٣) في نسخة على حاشية (ق١): وهؤلاء إلى، وفي النسخ المطبوعة من هذه السيرة: وهؤلاء آل سعيد بن العاص، وكلاهما خطأ، فابن إسحاق يتكلّم عن معيقيب فقط، وهو حليف أو مولى لسعيد بن العاص من بني عبد شمس، ولمّا نقل ابن كثير في «البداية والنهاية» ٤/ ١٦٩ عن «سيرة ابن هشام» في هذا الموضع قال: ومعيقيب بن أبي فاطمة وهو من موالي آل سعيد بن العاص.

رَبيعة بن عبد شمس، وأبو موسى الأشعَريُّ، واسمه عبد الله بن قيسٍ، حليفُ آل عُتْبة بن ربيعة[1]؛ رجلان.

---

(١) كذا ذكر ابنُ إسحاق أبا موسى الأشعريَّ فيمن هاجر إلى الحبشة، وهو متعقَّبٌ، فقد قال ابن حزم في «جوامع السيرة» ص٥٨: ذكر قومٌ فيمن هاجر إلى الحبشة أبا موسى الأشعريَّ، وأنه كان حليفَ عُتبة بن ربيعة، وليس كذلك، لكنّه خرج في عِصابة من قومه مهاجراً من بلاده بأرض اليمن يريد المدينةَ، فرَكِبَ البحرَ، فرَمَتهم السفينةُ إلى أرض الحبشة، فأقام هنالك حتّى أَتى إلى المدينة مع جعفر بن أبي طالب.

ومن قبله ذَكَرَ ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٩٩ عن الواقديّ عن خالد بن إلياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجَهْم ـ وكان علّامة نسّابة ـ قال: ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة، وليس له حِلفٌ في قريش، وقد كان أسلم بمكة قديماً، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم هو وناسٌ من الأشعريِّين على رسول الله ﷺ، فوافق قدومُهم قدومَ أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة، ووافقوا رسولَ الله ﷺ بخيبر، فقالوا: قدم أبو موسى مع أهل السفينتين، وكان الأمر على ما ذكرنا أنه وافق قدومُه قدومَهم. ثم قال ابن سعد: ولم يذكره موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو مَعشَر فيمن هاجَرَ إلى أرض الحبشة.

قلنا: كذا نسب إلى ابن إسحاق أنه لم يذكره في مُهاجِرة الحبشة، وهو ذهولٌ منه، فابن إسحاق قد ذكره فيهم كما وقع هنا.

وكون أبي موسى أسلم قديماً بمكة ثم رجع إلى بلاده، هذا غير صحيح، والصحيح في إسلامه ووقوعه إلى الحبشة ثم قدومه إلى النبي ﷺ ما أخبر به هو نفسه فيما أخرجه البخاري (٣١٣٦) و(٣٨٧٦) ومسلم (٢٥٠٢) من حديث ابنه أبي بُرْدة عنه قال: بَلَغَنا مخرجُ رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأَخَوانِ لي، أنا أصغرُهما، أحدهما أبو بُرْدة والآخر أبو رُهْم ـ إما قال: في بِضعٍ، وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ـ فرَكِبْنا سفينةً فألقَتْنا سفينتُنا إلى النَّجَاشي بالحبشة، فوافَقْنا جعفرَ بن أبي طالبٍ وأصحابَه عنده، فقال جعفر: إنّ رسول الله ﷺ بَعَثَنا هاهنا وأمَرَنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقَمْنا معه حتى قَدِمْنا جميعاً، قال: فوافَقْنا رسولَ الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهَمَ لنا ـ أو قال: أعطانا منها ـ وما قَسَمَ لأحدٍ غابَ =

ومن بني نَوفَل بن عبد مَنَاف: عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نَسِيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان، حليفٌ لهم؛ رجل.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ: الزُّبيرُ بن العوّام بن خُويلِد بن أسد، والأسودُ بن نَوفَل بن خُويلِد بن أسد، ويزيدُ بن زَمْعة بن الأسود بن المُطَّلِب بن أسد، وعمرُو بن أميّة بن الحارث بن أسد؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني عبد بن قُصيٍّ: طُلَيبُ بن عُمَير بن وهب بن أبي كَبير بن عبدٍ؛ رجلٌ.

ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: مصعبُ بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، وسُوَيبِط بن سعد بن حُرَيمِلة بن مالك بن عُمَيلة بن السَّبّاق بن عبد الدّار، وجَهْم بن قيس بن عبدِ شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، معه امرأتُه أمُّ حَرمَلة بنت عبد الأسود بن جَذِيمة بن أُقَيش بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيع بن خَثعَمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو، من خُزَاعة، وابناه عَمرو بن جَهْم وخُزَيمة بنت جَهْم[1]، وأبو الرُّوم بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار، وفِراس بن النَّضر

= عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه، إلا لأصحاب سفينتِنا مع جعفرٍ وأصحابه، قَسَمَ لهم معهم.

(١) كذا وقع لابن إسحاق هنا وفيما سيأتي في خبر قدومهم مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة: أن خزيمة أنثى، ووقع للزبير بن بكّار كما في «أسد الغابة» لابن الأثير ١/ ٦١٢ ولابن أبي حاتم عن أبيه في «الجرح والتعديل» ٣/ ٣٨٢: أنه ذكرٌ، ولذلك اضطرب ابن عبد البر في «الاستيعاب» فترجم لخزيمة مرّتين، مرّةً في الرجال، وأخرى في النساء، وبناءً عليه ذكر ابن الأثير لخزيمة في «أسد الغابة» ترجمتين ١/ ٦١٢ و٦/ ٨٦، وكذلك اضطربت المصادر التي ذكرت خزيمةَ هذه، ولم يَفصِل أحدٌ فيها بشيءٍ، والله تعالى أعلم.

ابن الحارث بن كَلَدَة بن عَلقَمة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار؛ خمسةُ نفرٍ.

ومن بني زُهْرة بن كِلابٍ: عبدُ الرَّحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، وعامرُ بن أبي وَقّاص - وأبو وقّاصٍ مالكُ بن أُهَيب بن عبد مَنَاف ابن زُهْرة - والمُطَّلِب بن أَزهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، معه امرأتُه رَمْلةُ بنت أبي عوف بن صُبَيرة بن سُعَيد بن سَعْد بن سَهْم، وَلَدَت له بأرض الحبشة عبدَ الله بن المُطَّلِب.

ومن حُلفائهم من هُذَيلٍ: عبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهِل بن الحارث بن تَمِيم بن سَعْد بن هُذَيل، وأخوه عُتْبةُ بن مسعود.

ومن بَهْراءَ: المِقدادُ بن عمرو بن ثَعلَبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمَامة بن مَطرُود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن ثَوْر[١] بن ثَعلَبة بن مالك بن الشَّرِيد بن هَزْل بن فائش[٢] ابن دُرَيم بن القَيْن بن أَهْوَد بن بَهْراء بن عمرو بن الْحَاف بن قُضَاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هَزْل بن قاسٍ[٣] بن ذرّ، ودَهِير[٤] بن ثَوْر.

قال ابن إسحاق: وكان يقال له: المِقداد بن الأسود بن عبد يَغُوث بن عبد مَنَاف ابن زُهْرة، وذلك أنّه كان تَبنّاه في الجاهليّة وحالفه؛ ستةُ نفرٍ.

---

(١) هكذا وقع لابن هشام عن زياد عن ابن إسحاق، ومن طريقه رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٠/ ١٤٨: زهير بن ثور، وفي رواية إبراهيم بن سعد الزهريّ عن ابن إسحاق: زهير بن لؤي، وهو الذي صوّبه أبو ذرّ الخشنيّ في «إملائه» ص٩٩.

(٢) قال الخشنيّ: كذا وقع: ابن هزل بن فائش، وصوابه: ابن أبي أهوز بن أبي فائش.

(٣) في (ش١): فاش، وفي (ص): قاش، وفي (ق١): فاس.

(٤) وقُيّد في (ت) و(ي): دُهَير. قال الزَّبيديّ في «تاج العروس» ١١/ ٣٥٢: كأَميرٍ دَهِيرُ بن لؤيّ بن ثعلبة، من أجداد المِقداد بن الأسود.

ومن بني تَيْم بن مُرّة: الحارثُ بن خالد بن صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، معه امرأتُه رَيْطةُ بنت الحارث بن جُبَيلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، وَلَدَت له بأرض الحبشة موسى بنَ الحارث وعائشةَ بنت الحارث وزينبَ بنت الحارث وفاطمةَ بنت الحارث، وعمرُو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم؛ رجلان.

ومن بني مَخزُوم بن يَقَظَة بن مُرّة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عُمر بن مخزوم، معه امرأتُه أمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وَلَدَت له بأرض الحبشة زينبَ بنت أبي سَلَمة، واسم أبي سَلَمة عبدُ الله، واسم أمِّ سَلَمة هِندٌ، وشَمّاسُ بن عثمان بن الشَّرِيد بن سُوَيد بن هَرْميّ بن عامر بن مخزوم.

قال ابن هشام: اسم شَمّاسٍ عثمانُ، وإنّما سُمِّيَ شمّاساً، لأن شمّاساً من الشَّمَامسة قَدِمَ مكة في الجاهليّة[1]، وكان جميلاً فعَجِبَ الناس من جماله، فقال عُتبة بن ربيعة، وكان خالَ شمّاسٍ: أنا آتيكم بشمّاس أحسنَ منه، فجاء بابن أُخته عثمان بن عثمان، فسُمّيَ شمّاساً فيما ذكر ابن شِهابٍ وغيره.

قال ابن إسحاق: وهَبّارُ بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأخوه عبدُ الله بن سفيان، وهشامُ بن أبي حُذَيفة بن المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وسَلَمةُ بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعيّاشُ بن أبي رَبيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن حُلَفائهم: مُعتِّبُ بن عوف بن عامر بن الفضل بن عَفِيف بن كُلَيب بن حُبْشيّة

(١) الشَّمّاس: من رؤوس النصارى الذي يحلق وسط رأسه، لازماً للبِيعة أو الصومعة.

ابن سَلُول بن كعب بن عَمرو، من خُزَاعة، وهو الذي يقال له: عَيْهامةُ؛ ثمانيةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: ويقال: حَبَشيّةُ[1] بن سَلُول، وهو الذي يقال له: مُعتِّبُ ابنُ حَمْراءَ.

قال ابن إسحاق: ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عثمانُ بن مَظعُون بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَحَ، وابنُه السائب بن عثمان، وأخواه قُدَامةُ بن مظعون وعبدُ الله بن مظعون، وحاطبُ بن الحارث بن مَعمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، معه امرأتُه فاطمةُ بنت المُجلِّل بن عبد الله بن أبي قيس ابن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وابناه محمّد بن حاطب والحارث ابن حاطب، وهما لبنتِ المُجلِّل، وأخوه حَطّاب بن الحارث، معه امرأتُه فُكَيهةُ بنت يَسَار، وسفيانُ بن مَعمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، معه ابناه جابر بن سفيان وجُنَادة بن سفيان، ومعه امرأتُه حَسَنةُ، وهي أمُّهما، وأخوهما من أمِّهما شُرَحْبيلُ ابن حَسَنةَ، أحدُ الغَوْث.

قال ابن هشام: شُرَحبيل بن عبد الله أحدُ الغَوْث بن مُرٍّ، أخي تَمِيم بن مُرّ.

قال ابن إسحاق: وعثمانُ بن ربيعة بن أُهْبان بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح؛ أحدَ عشرَ رجلاً.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: خُنَيسُ بن حُذَافة بن قيس بن عَديّ بن سُعيد بن سَهْم، وعبدُ الله بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعيد بن سَهْم[2]، وهشامُ بن العاص بن وائل بن سُعَيد بن سَهْم.

---

(١) تقدّم بيان الخلاف في تقييد هذا الاسم عند الكلام على قصيٍّ وأولاده ص١١٨.

(٢) كذا لابن إسحاق، والصواب في نسب عديٍّ حيث يقع أنه ابن سَعْد بن سهم، أمّا سُعَيد =

قال ابن هشام: العاصِ بنُ وائل بن هاشم[1] بن سُعَيد بن سَهْم.

قال ابن إسحاق: وقيسُ بن حُذَافة بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وعبدُ الله بن حُذَافة بن قيس ابن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، والحارثُ بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، ومَعمَرُ بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وبِشرُ بن الحارث ابن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وأخٌ له من أمِّه من بني تَمِيم يقال له: سَعيد ابن عمرو، وسَعيدُ بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، والسائبُ بن الحارث بن قيس بن عَديّ بن سُعَيد بن سَهْم، وعُمَيرُ بن رِئَاب بن حُذَيفة بن مُهشِّم ابن سُعَيد بن سَهْم، ومَحمِيَةُ بن الجَزْء، حليفٌ لهم من بني زُبَيد؛ أربعةَ عشرَ رجلاً.

ومن بني عَدِيٍّ بن كعبٍ: مَعمَرُ بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ، وعُرْوةُ بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ، وعَديُّ بن نَضْلة بن عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عَديّ، وابنُه النُّعمان بن عديّ، وعامرُ بن رَبيعة، حليفٌ لآل الخَطّاب، من عَنْز بن وائل، معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم؛ أربعةُ نفرٍ.

ومن بني عامر بن لؤيٍّ: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأتُه أمُّ كُلْثوم بنت سُهَيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدُ الله بن مَخرَمة بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر،

= فيقع في نسب العاص وأبنائه كما تقدم بيانه ص٦٣، وهو أيضاً في نسب عُمير بن رئاب الآتي.

(١) في (ت) و(ق١): هشام، وهو تحريف.

وعبدُ الله بن سُهَيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر، وسَلِيطُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر، وأخوه السَّكْرانُ بن عمرو، ومعه امرأتُه سَوْدة بنت زَمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ومالكُ بن زَمْعة[1] بن قيس ابن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأتُه عَمْرةُ بنت السَّعديّ بن وَقْدان بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر، وسعدُ ابن خَوْلة، حليفٌ لهم؛ ثمانيةُ نفرٍ.

قال ابن هشام: سعدُ ابن خَوْلة من اليمن.

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: أبو عُبيدة بن الجَرّاح، وهو عامر بن عبد الله بن الجَرّاح بن هلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث، وسُهَيلُ ابن بَيضاءَ، وهو سُهيل بن وهب بن رَبيعة بن هلال بن أُهيب بن ضَبّة بن الحارث، ولكنْ أمُّه غَلَبَت على نسبه، فهو يُنسَبُ إليها، وهي دَعْد بنت جَحدَم بن أُميّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهر، وكانت تُدعى بيضاءَ، وعمرُو بن أبي سَرْح بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث، وعِيَاضُ بن زُهير بن أبي شدّاد بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث، ويقال: بل رَبيعة بن هلال بن مالك بن ضَبّة بن الحارث، وعمرُو بن الحارث بن زُهير بن أبي شدّاد بن رَبيعة بن هلال بن مالك بن ضَبّة بن الحارث، وعثمانُ بن عبد غَنْم بن زُهير بن أبي شدّاد بن رَبيعة بن هلال بن

(١) كذا في (ش١) و(ص) و(م)، وتحرف في بقيّة النسخ إلى: ربيعة. ومالك هذا أخو أمّ المؤمنين سَوْدة بنت زَمْعة كما نصَّ على ذلك غيرُ واحد ممّن ترجم له في الصحابة.

مالك بن ضَبّة بن الحارث، وسعدُ بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أُميّة بن ظَرِب ابن الحارث بن فِهْر، والحارثُ بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أُميّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر؛ ثمانيةُ نفرٍ.

فكان جميعُ من لَحِقَ بأرض الحبشة وهاجَرَ إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الّذين خرجوا بهم معهم صِغاراً ووُلِدوا بها، ثلاثةً وثمانين رجلاً إن كان عمّار بن ياسرٍ فيهم، وهو يُشَكُّ فيه.

ذكر ما قيل من الشِّعر في الهجرة إلى الحبشة

وكان ممّا قيل من الشِّعر في الحبشة، أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عَديّ ابن سُعيد بن سَهْم حين أَمِنوا بأرض الحبشة وحَمِدوا جِوارَ النَّجَاشيِّ، وعَبَدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسَنَ النجاشيُّ جِوارَهم حين نزلوا به، قال:

يا راكباً بلِّغَنْ عنّي مُغَلغَلةً ... مَن كان يَرجُو بلاغَ الله والدِّينِ[1]

كلَّ امرِئٍ من عِبادِ الله مُضطهَدٍ ... ببطنِ مكّةَ مقهورٍ ومفتونِ[2]

أنّا وَجَدْنا بلادَ الله واسعةً ... تُنْجي من الذلِّ والمَخْزاةِ والهُونِ[3]

فلا تُقِيموا على ذلِّ الحياةِ وخِزْ ... يٍ في المَماتِ وغَيبٍ[4] غيرِ مأمونِ

(١) المغلغلة: الرسالة يرسل بها من بلد إلى بلد.

(٢) المضطهَد: الذليل المقهور.

(٣) الهُون: الذل والمهانة.

(٤) في (ت) و(ق١): وعيب، بالعين المهملة، وفي (ش١): وعَيشٍ، والمثبت من (ص) و(غ) و(م) و(ي)، وهو الصواب. والمراد بالغيب هنا: المستقبَل، يريد أن يحثَّ المستضعَفين في مكة على الهجرة، لأنهم لا يدرون ماذا ستفعل بهم قبائلهم في الأيام المقبلة، فهم غير آمنين فيهم.

إنّـا تَبِعْنـا رسـولَ الله واطَّرَحُـوا ... قـولَ النبـيِّ وعـالُوا في المـوازينِ[1]

فاجعَلْ عـذابَك بـالقومِ الّـذينَ بَغَـوْا ... وعائـذٌ[2] بـك أن يَعلُـوا فيُطْغُـوني

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً، يَذكُر نفيَ قريشٍ إيّاهم من بلادهم، ويعاتب بعضَ قومه في ذلك:

أبَـتْ كَبِـدي ـ لا أَكـذِبَنْكَ ـ قِتـالَهمْ ... علـيَّ، وتأْبـاهُ علـيَّ أَنـامِلي[3]

وكيـف قتـالي مَعشـراً أدَّبُـوكمُ ... علـى الحـقِّ ألّا تَأشِـبُوه بباطـلِ[4]

نَفَتْهم عِبادُ الجنِّ من حُرِّ أرضِهمْ ... فأضْحَوْا على أمرٍ شديدِ البلابلِ[5]

فـإنْ تـكُ كانـت في عَـدِيٍّ أمانـةٌ ... عديٌّ بن سَعدٍ عن تُقًى أو تَواصُلِ

فقـد كنـتُ أرجـو أنّ ذلـكَ فـيكمُ ... بحَمـدِ الّـذي لا يُطَّبَـى بالجَعائـلِ[6]

وبُـدِّلتُ شِـبلاً ـ شِـبلَ كـلِّ خَبيثـةٍ ـ ... بذِي فَجَرٍ مَأْوى الضِّعافِ الأراملِ[7]

---

(١) عالوا، أي: خانوا وظلموا.

(٢) قُيِّد في (ش١): عائذاً، بالنصب، وفي (ص) و(م) بالرفع والنصب، وهذا البيت قد أنشده سيبويه في «الكتاب» ١/ ٣٤٢ فيما ينتصب بالفعل المتروك إظهارُه، قال السِّيرافي في «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٢٥٢: الشاهد فيه أنه نصب (عائذاً بك) على الحال والعامل فيه محذوف، كأنه قال: أعوذ بك عائذاً، أو أخضع لك عائذاً، أو أستجير بك عائذاً، وما أشبه ذلك. اهـ

يقول: أعوذ بك يا رب أن يظهر عليَّ هؤلاء المشركون ويتمكّنوا منّي فيَفتنوني عن ديني.

(٣) كبدي، يعني: نَفْسي.

(٤) أي: أن لا تخلطوه بباطل.

(٥) حُرُّ الأرض: الأرض الكريمة. والبلابل: وساوسُ الأحزان.

(٦) لا يُطَّبى، معناه: لا يُستَمال ولا يُستدعَى. والجعائل: جمع جَعِيلة، وهي الجُعْل: وهو ما يُجعَل للمرءِ مقابلَ عملِ عمله، وأراد بها هنا الرّشوة.

(٧) الفَجَر: العطاء الكثير. يقول: أبدلني اللهُ بخبثاء قومي، ذا عطاءٍ وخيرٍ كثير، ويعني به النجاشيَّ وجِوارَه الآمن.

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً:

تِلكَ قُرَيشٌ تَجحَدُ اللهَ حقَّهُ ... كما جَحَدَت عادٌ ومَدينُ والحِجرُ[1]

فإنْ أنا لم أُبرِقْفلا يَسَعَنَّني ... من الأرضِ بَرٌّ ذو فَضاءٍ ولا بحرُ[2]

بأرضٍ بها عَبدُ الإلهِ محمّدٌ ... أُبيِّنُ ما في النفسِ إذْ بُلِغَ النَّقْرُ[3]

فسُمّيَ عبدُ الله بن الحارث ـ يرحمه الله ـ ببيته الذي قال، المُبْرِقَ.

وقال عثمان بن مظعونٍ يعاتبُ أميّةَ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، وهو ابن عمّه، وكان يُؤْذيه في إسلامه، وكان أميّة شريفَ قومه[4] في زمانه ذلك:

أتَيْمَ بنَ عَمرٍو، لِلَّذي جاء بِغضَةً ... ومِن دُونِه الشَّرْمانُ والبَرْكُ أَكتَعُ[5]

---

(١) جَحَدَت: أنكرَت. وعادٌ: قوم هود عليه السلام، ومَدين: قوم شعيب عليه السلام، والحِجْر: ديار ثمود قوم صالح عليه السلام.

(٢) أُبرق: من أبرَقَ في الأرض، إذا ذهب بها، قال مصعب الزبيريّ في «نسب قريش» ص٤٠١: الإبراق: الذَّهاب.

(٣) النقر: البحث عن الشيء. ووقع في نسختي (ص) و(ق١): النفر، بالفاء.

(٤) في (ش١) و(ق١): شريفاً في قومه.

(٥) قوله: لِلّذي جاء بغضةً، قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ٢٣٧: أُراه: عجباً لِلّذي جاء، والعرب تكتفي بهذه اللام في التعجّب... ثم ذكر أمثلةً لذلك، منها أن النبيَّ ﷺ قال في جنازة سعد بن معاذ وهو واقفٌ على قبره، وتقهقر ثم قال: «سبحان الله لِهذا العبدِ الصالحِ، ضُمَّ عليه القبر ثم فُرِّجَ عنه» (وهو عند أحمد في «مسنده»: ١٤٥٠٥، وغيره)، ومنها أنه قيل في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ أقوال، منها: أنها متعلّقة بمعنى التعجُّب، كأنه قال: اعجَبوا لإيلاف قريش، قال: وبِغضةً نُصِب على التمييز كأنه قال: يا عجباً لما جاء به من بِغضةٍ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله.

والشَّرمانُ ـ بضم النون كما قُيِّد في نسخنا الخطية ـ والبَرْك موضعان فيما قاله الخشنيّ، =

أأخرَجتَني من بطنِ مكّةَ آمناً وأسكَنتَني في صَرحِ بَيضاءَ تُقذَعُ[1]

تَريشُ نِبالاً لا يُواتِيكَ رِيشُها وتَبْري نِبالاً ريشُها لك أجمَعُ[2]

وحاربتَ أقواماً كِراماً أعِزّةً وأهلكتَ أقواماً بهم كنتَ تَفزَعُ[3]

ستَعلمُ إنْ نابَتْكَ يوماً مُلِمّةٌ وأسلَمَك الأوباشُ ما كنتَ تَصنَعُ[4]

= وذهب السهيليُّ إلى أن الشَّرمان مثنَّى ـ فهو على ذلك عنده بكسر النون ـ لأنه أراد البحر المِلْح والبحر العَذْب.

وأمّا البَرْك ـ وتُكسَر الباء أيضاً ـ فالغالب أنه أراد بَرْك الغِماد، وهي اليوم معروفة باسم البرك، بلدةٌ مرفأٌ على ساحل البحر الأحمر جنوب مكّة على بعد ٤٥٠ كم تقريباً، والظاهر من ذكر عثمان بن مظعون لها في هذا الموضع أنّ عبورهم إلى برّ الحبشة كان من مرفئها، ويُفهَم ذلك أيضاً ممّا رواه البخاري في «صحيحه» (٢٢٩٥) و(٣٩٠٥) في قصة خروج أبي بكر مهاجراً قِبَل الحبشة، ففيها: أنه لمّا بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدُّغُنَّة، وهو سيّد القارَةِ، فردَّه إلى مكة وأجاره على قريش.

وقوله: والبركُ أكتعُ، قال الخشنيُّ: هذه رواية غريبة، لأنه أكّد بأكتَعَ دون أن يتقدَّمه أَجمَع.

(١) يريد بقوله: صرح بيضاء، مدينة الحبشة كما قال السهيليُّ، والصَّرح: البناء العالي، وتُقذَع، أي: تُكرَه، وأراد الحَبَشة، وأصل الصَّرحِ القصرُ، يريد: أنه ساكن عند صَرْح النجاشيّ.

وذكر السهيليُّ: أن الزبير بن بكّار روى هذا الشعر بلفظ: في صرح بيطاءَ تُقدَع، وذكر أن بيطاءَ اسم سفينة، ومعنى تُقدَع، بالدال: تُدفَع، ورجَّح هذه الرواية على ما جاء في «السيرة»، واعتبر ما وقع فيها تصحيفاً.

(٢) تَريش نبالاً: تضع للسهام ريشاً، وتَبري نبالاً: تزيل ريشها. وقوله: لا يواتيك ريشها، أي: لا ينفعك ريشها، وقال الخشنيُّ: من رواه بفتح الراء، فهو مصدر راشَه يَرِيشه رَيشاً: إذا نفعه وجَبَره، ومن رواه بكسر الراء، فهو جمع رِيشةٍ.

(٣) تفزع، معناه هنا: تُغيث وتَنصُر من استغاث بك.

(٤) نابتك: أصابتك. ومُلمّة: مصيبة. والأوباش: الضعفاء الداخلون في القوم وليسوا منهم.

وتَيْمُ بن عمرٍو الذي يدعو عثمانُ جُمَحُ؛ كان اسمه تَيْماً.

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها وخيبتُهم فيما طلبوه لصحّة إيمان النجاشيّ

قال ابن إسحاق: فلمّا رأت قريشٌ أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أَمِنوا واطمأنُّوا بأرض الحبشة، وأنّهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتَمَروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلِيدَين[1] إلى النَّجاشيّ، فيردَّهم عليهم، ليَفتِنوهم في دينهم، ويُخرِجوهم من دارهم التي اطمأنُّوا بها وأَمِنوا بها، فبعثوا عبدَ الله بن أبي رَبِيعة وعمرَو ابن العاص بن وائل[2]، وجَمَعوا لهما هدايا للنّجاشيِّ ولبَطارِقَتِه[3]، ثم بعثوهما إليه فيهم.

فقال أبو طالبٍ حين رأَى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتاً للنّجاشيِّ يَحُضُّه على حُسْن جِوَارِهم والدَّفعِ عنهم:

أَلَا ليتَ شِعْري كيف في النَّأْيِ جعفرٌ
وعمرٌو وأعداءُ العدوِّ الأقاربُ[4]

وهلْ نالتَ أفعالُ النَّجاشيِّ جعفراً   وأصحابَه أو عاقَ ذلك شاغِبُ[5]

---

(١) أي: شديدين، ورجلٌ جلْد وجَليد: شديدٌ صُلْب.

(٢) ثم أسلما فيما بعدُ وحسُنَ إسلامُهما، رضي الله عنهما.

(٣) البطارقة: القادة والوزراء.

(٤) النأي: البُعد.

(٥) عاق: منع.

وشاغبٌ بالغين المعجمة: من الشَّغْب، وهو المهيِّج للشّرِّ، ومن رواه بالعين المهملة فمعناه: مفرِّق، ومنه قيل للمَنيّة: شَعُوبُ، ولا يُصرَف.

تَعلَّمْ، أبيتَ اللَّعنَ، أنّك ماجدٌ كريمٌ فلا يَشقَى لَديكَ المُجانِبُ[1]
تَعلَّمْ بأنّ الله زادَك بَسْطةً وأسبابَ خيرٍ كلَّها بك لازِبُ[2]
وأنّك فَيضٌ ذو سِجَالٍ غزيرةٍ يَنالُ الأعادي نَفْعَها والأقاربُ[3]

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد بن مُسلِم الزُّهْريّ، عن أبي بكر بن عبد الرَّحمن ابن الحارث بن هشام المَخزُومي، عن أمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة زوجِ النبيّ ﷺ؛ قال: قالت: لمّا نَزَلْنا أرضَ الحَبَشة، جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ النَّجَاشيَّ، أَمِنّا على ديننا، وعَبَدْنا اللهَ لا نُؤذَى ولا نَسمَعُ شيئاً نكرهه، فلمّا بَلَغَ ذلك قريشاً، ائتَمَرُوا بينهم أن يَبعَثوا إلى النّجاشيِّ فينا رجلين منهم جَلِيدَين، وأن يُهدُوا إلى النّجاشيِّ هدايا مما يُستَطرَفُ من مَتَاع مكّة، وكان من أعجبِ ما يأتيه منها الأَدَمُ[4]، فجمعوا له أَدَماً كثيراً، ولم يتركوا من بَطارقتِهِ بِطريقاً إلّا أَهدَوْا له هديّة، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبي رَبيعة وعمرَو بن العاص، وأَمروهما بأمرِهم، وقالوا لهما: ادفَعا إلى كلِّ بِطْريقٍ هديّتَه قبل أن تُكلِّما النّجاشيَّ فيهم، ثم قَدِّما إلى النَّجاشيّ هداياه، ثمّ سَلَاه أن يُسلِمَهم إليكما قبل أن يُكلِّمَهم.

قالت: فخرجا حتّى قَدِما على النَّجاشيّ، ونحن عنده بخيرِ دارٍ عند خيرِ جارٍ،

---

(١) قوله: أبيتَ اللعنَ، هي تحيّة كانوا يُحيُّون بها الملوك في الجاهليّة، ومعناه: أبَيتَ أن تأتي ما تُذَمُّ عليه. والمجانِب، معناه هنا: الداخل في حِمى الإنسان المُنضَوي إلى جانبه، وليس هو من المجانَبَة.

(٢) تعلَّمْ، أي: اعلم. ولازبٌ: لاصق، ولازبٌ ولازمٌ بمعنًى واحد.

(٣) فيضٌ معناه: جَوَاد. والسِّجال: العطايا، واحدها: سَجْل، وأصل السَّجل: الدَّلْو المملوءة ماءً، ثم يستعار للعَطيّة.

(٤) أي: الجلود.

فلم يَبْقَ من بطارقتِه بِطريقٌ إلا دَفَعا إليه هديّتَه قبل أن يكلِّما النَّجاشيَّ، وقالا لكلّ بِطريقٍ منهم: إنّه قد ضَوَى[1] إلى بلد المَلِك منّا غِلمانٌ سُفَهاءُ، فارَقُوا دينَ قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدِينٍ مُبتدَعٍ لا نعرفُه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليَرُدَّهم إليهم، فإذا كلَّمْنا الملكَ فيهم، فأَشِيروا عليه بأن يُسلِمَهم إلينا ولا يُكلِّمَهم، فإنّ قومَهم أعلى بهم عَيناً[2]، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم.

ثم إنّهما قَرَّبا هداياهما إلى النَّجاشيّ فقَبِلَها منهما، ثم كلَّماه فقالا له: أيُّها الملك، إنّه قد ضَوَى إلى بلدك منّا غِلمانٌ سُفَهاءُ، فارَقُوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينِك، وجاؤوا بدينٍ ابتَدَعُوه، لا نعرفُه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومِهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عَيناً، وأعلمُ بما عابُوا عليهم وعاتَبُوهم فيه. قالت: ولم يكن شيءٌ أبغضَ إلى عبد الله بن أبي رَبِيعة وعمرو بن العاص من أن يسمعَ كلامَهم النَّجاشيُّ. قالت: فقالت بطارقتُه حولَه: صَدَقا أيّها الملك، قومُهم أعلى بهم عَيناً، وأعلمُ بما عابُوا عليهم، فأسلِمْهم إليهما فليَرُدّاهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغَضِبَ النَّجاشيُّ ثم قال: لاهَا اللهِ إذاً[3]، لا أُسلِمُهم إليهما، ولا يُكادُ

---

(١) ضوى، أي: أوى ولجأ.

(٢) أي: أبصرُ بهم، أي: عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم، فالعينُ هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار، لا بمعنى العين التي هي الجارحة.

(٣) الهاء في «ها» بدل من الواو، أي: لا والله، هكذا جاء في الحديث: لاها الله إذاً، قيل: والصواب: لاها اللهِ ذا، بحذف الهمزة، ومعناه: لا والله لا يكون ذا، أو: واللهِ الأمرُ ذا، فحُذِف الكلام واختُصِر تخفيفاً لكثرة الاستعمال. انظر «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» =

قومٌ جاوَرُوني ونَزَلوا بلادي واختاروني على مَن سواي، حتّى أدعُوَهم فأسألَهم عمّا يقول هذانِ في أمرِهم، فإن كانوا كما يقولان، أسلمتُهم إليهما ورَدَدتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك، مَنَعتُهم منهم وأحسنتُ جِوارَهم ما جاوَرُوني.

قالت: ثمّ أرسَلَ إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلمّا جاءَهم رسولُه اجتمعوا ثمّ قال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون للرَّجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول ـ والله ـ ما عَلِمْنا وما أمَرَنا به نبيُّنا ﷺ، كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلمّا جاؤُوا، وقد دعا النَّجاشيُّ أساقِفَتَه[1] فنَشَرُوا مصاحفَهم حولَه، سألَهم فقال لهم: ما هذا الدِّينُ الذي فارَقتُم فيه قومَكم ولم تَدخُلوا به في دِيني ولا في دين أحدٍ من هذه المِلَل؟ قالت: فكان الذي كلَّمه جعفرُ بن أبي طالبٍ، فقال له: أيّها الملكُ، كنّا قوماً أهلَ جاهليّة، نعبدُ الأصنام، ونأكلُ المَيْتة، ونأتي الفواحش، ونَقطعُ الأرحام، ونُسيءُ الجِوَار، ويأكلُ القويُّ منّا الضَّعيف.

فكنّا على ذلك حتّى بَعَثَ اللهُ إلينا رسولاً منّا، نعرفُ نسبَه وصِدقَه وأمانتَه وعَفافَه، فدعانا إلى الله لنُوحِّدَه ونَعبُدَه، ونَخلَعَ ما كنّا نعبدُ نحن وآباؤُنا من دونِه من الحجارة والأوثان، وأمَرَنا بصِدْقِ الحديث، وأداءِ الأمانة، وصِلَةِ الرَّحِم، وحُسْن الجِوَار، والكفِّ عن المَحارِم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وقولِ الزُّور، وأكلِ مال اليتيم، وقَذْفِ المُحصَنات، وأمَرَنا أن نَعبُدَ اللهَ وحده لا نشركُ به شيئاً، وأمَرَنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعَدَّدَ عليه أمورَ الإسلام.

فصَدَّقْناه وآمنّا به، واتَّبعناه على ما جاءَ به من الله، فعَبَدْنا اللهَ وحدَه، فلم نُشرِكْ به

= للصالحيّ ٢/ ٣٩٥.

(١) الأساقفة: جمع أُسقُفّ، بضم الهمزة وتشديد الفاء وتُخفَّف، وهم علماء النصارى الذين يُقِيمون لهم دينهم.

شيئاً، وحَرَّمْنا ما حَرَّمَ علينا، وأحلَلْنا ما أَحلَّ لنا، فعَدَا علينا قومُنا فعذَّبُونا وفَتَنُونا عن ديننا، ليَردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نَستحِلَّ ما كنّا نَستحِلُّ من الخبائث، فلمّا قَهَرُونا وظَلَمُونا وضيَّقوا علينا، وحالُوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادِك، واخترناك على مَن سواك، ورَغِبْنا في جِوَارك، ورَجَوْنا أن لا نُظلَمَ عندك أيّها الملك.

قالت: فقال له النَّجاشيُّ: هل معك ممّا جاءَ به عن الله من شيءٍ؟ قالت: فقال له جعفرٌ: نعم، فقال له النّجاشيُّ: فاقرَأْه عليَّ، قالت: فقرأَ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، قالت: فبَكَى واللهِ النَّجاشيُّ حتّى أَخضَلَ لحيتَه[1]، وبَكَت أساقِفتُه حتى أَخضَلُوا مصاحفَهم، حين سمعوا ما تَلَا عليهم، ثم قال النَّجاشيُّ: إنَّ هذا والّذي جاءَ به موسى[2] لَيَخرجُ من مِشْكاةٍ واحدةٍ[3]، انطَلِقا، فلا واللهِ لا أُسلِمُهم إليكما، ولا يُكادُون.

قالت: فلمّا خَرَجا من عندِه قال عمرُو بن العاص: واللهِ لآتيَنّه غداً عنهم بما أستأصِلُ به خضراءَهم[4]، قالت: فقال له عبدُ الله بن أبي رَبيعة، وكان أَبْقى[5] الرجلَينِ فينا: لا تفعل، فإنَّ لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالَفُونا، قال: واللهِ لأخبِرَنَّه

(١) أي: بلَّها بدموعه.

(٢) هكذا في نسخنا الخطية، ووقع في النسخ المطبوعة من هذه السيرة: عيسى! والجواب عن ذكره لموسى دون عيسى عليهما السلام، كالجواب عمّا وقع مثلُه لورقةَ بن نوفل فيما تقدّم ص٢٧٠.

(٣) المشكاة: ثَقْب في الحائط غير نافذٍ يوضع فيه المصباح. يريد: أنهما من شيء ومصدر واحد.

(٤) يعني جماعتهم ومعظمهم.

(٥) في «مسند أحمد»: أتقى، بالتاء.

أنّهم يَزعُمون أنّ عيسى ابن مريم عبدٌ.

قالت: ثمّ غَدَا عليه الغدَ فقال: أيُّها الملك، إنّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسِلْ إليهم فاسألْهم عمّا يقولون فيه، قالت: فأرسَلَ إليهم ليسألَهم عنه، قالت: ولم يَنزِلْ بنا مِثلُها، فاجتمع القومُ ثمّ قال بعضُهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألَكم عنه؟ قالوا: نقول واللهِ ما قال اللهُ، وما جاءَنا به نبيُّنا، كائناً في ذلك ما هو كائنٌ، قالت: فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفرُ بن أبي طالبٍ: نقول فيه الذي جاءَنا به نبيُّنا، نقول: هو عبدُ الله ورسولُه، ورُوحُه وكلمتُه أَلْقاها إلى مريمَ العَذراءِ البَتُول[١]، قالت: فضَرَبَ النّجاشيُّ بيدِه إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عَدَا عيسى ابنُ مريمَ ما قلتَ هذا العودَ[٢]، قالت: فتناخَرَتْ بطارقتُه حولَه حين قال ما قال، فقال: وإنْ نَخَرتُم والله، اذهبوا فأنتم شُيومٌ[٣] بأرضي - والشُّيوم: الآمِنُون - مَن سَبَّكم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكم غَرِم، ما أُحِبُّ أنّ لي دَبْراً من ذهب - قال ابن هشام: ويقال: ذَبراً[٤] من ذهب، ويقال: فأنتم سيومٌ - وإنّي آذيتُ رجلاً منكم - والدَّبر بلسان الحبشة: الجبل - رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجةَ لي بها، فوالله ما أَخَذَ اللهُ منّي الرِّشوةَ حين رَدَّ عليَّ مُلْكي، فآخُذَ الرِّشوةَ فيه، وما أطاع الناسَ فِيَّ

(١) العَذراء: البِكْر، والبَتُول: التي انقطعت عن الرجال.

(٢) قوله: ما عدا، أي: ما تعدَّى أو تجاوزَ، وهذا العودَ هو هنا منصوب على الظَّرف، تقديره: مقدارَ هذا العود، أو قَدْرَ هذا العود.

وقوله: تناخَرَت، أي: تكلَّمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور.

(٣) في (ص): سيوم، بالسين. وهذه الكلمة بلسان الحبشة.

(٤) قُيِّد في (م) و(ي) بكسر الذال.

فأُطيعَهم فيه، قالت: فخرجا من عنده مقبوحَينَ مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقَمْنا عنده بخيرِ دار، مع خيرِ جار.

قالت: فوالله إنّا لَعلَى ذلك، إذ نَزَلَ به رجل[1] من الحبشة ينازعُه في مُلكِه، قالت: فوالله ما عَلِمتُنا حَزِنّا حُزناً قطُّ كان أشدَّ من حزنٍ حَزِنّاه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهرَ ذلك الرجل على النَّجاشيِّ، فيأتِيَ رجل لا يَعرِفُ من حقِّنا ما كان النجاشيُّ يعرفُ منه. قالت: وسار إليه النَّجاشيُّ، وبينهما عَرْضُ النِّيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَن رجلٌ يخرج حتّى يَحضُرَ وَقِيعةَ القوم ثمّ يأتينا بالخَبَر؟ قالت: فقال الزُّبيرُ بن العوّام: أنا، قالوا: فأنتَ، وكان من أحدَثِ القوم سِنّاً، قالت: فنَفَخُوا له قِرْبةً فجعلها في صدره، ثم سَبَحَ عليها حتّى خرج إلى ناحية النِّيل التي بها مُلتَقى القوم، ثمّ انطَلَقَ حتّى حَضَرَهم، قالت: ودَعَوْنا الله تعالى للنَّجاشيِّ بالظُّهور على عدوِّه، والتمكينِ له في بلاده، قالت: فوالله إنّا لَعلى ذلك مُتوقِّعون لما هو كائنٌ، إذ طَلَعَ الزّبيرُ يسعى، فلَمَعَ بثوبه[2] وهو يقول: ألَا أَبشِروا، فقد ظَفِرَ النّجاشيُّ وأهلَكَ اللهُ عدوَّه، ومَكَّنَ له في بلاده. قالت: فوالله ما عَلِمتُنا فَرِحْنا فرحةً قطُّ مثلَها.

قالت: ورجع النَّجاشيُّ وقد أهلَكَ اللهُ عدوَّه، ومكَّن له في بلاده، واستَوسَقَ عليه أمرُ الحبشة[3]، فكنّا عنده في خيرِ منزلٍ حتّى قَدِمْنا على رسول الله ﷺ وهو بمكّة[4].

---

(١) هكذا في نسختنا الخطية، والمعنى واضح، وعند أبي ذرّ الخشنيّ كما في «إملائه» ص١٠٣: نَزَا به رجل، وشرح عليه فقال: معناه: قام عليه ووَثَب وارتفع.

(٢) يقال: لَمَعَ الرجلُ بثوبه وألْمَعَ به، إذا أشار به ليُنذِر أو يحذّر.

(٣) أي: تتابع واستقرَّ واجتمع.

(٤) إسناده صحيح.

=

قال الزهري[1]: فحدَّثتُ عُرْوةَ بن الزُّبيرِ حديثَ أبي بكر بن عبد الرَّحمن عن أمِّ سَلَمة زوجِ النبيِّ ﷺ، فقال: هل تدري ما قولُه: ما أخَذَ اللهُ منّي الرِّشوةَ حين ردَّ عليَّ مُلكي فآخذَ الرِّشوةَ فيه، وما أطاع الناس فِيّ فأُطيعَ الناسَ فيه؟ قال: قلت: لا، قال: فإنّ عائشةَ أمَّ المؤمنين حدَّثتني: أنّ أباه كان مَلِكَ قومِه، ولم يكن له ولد إلا النّجاشيَّ، وكان للنجاشيِّ عمٌّ له من صُلْبه اثنا عشرَ رجلاً، وكانوا أهلَ بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشةُ بينها: لو أنّا قتلنا أبا النجاشيِّ وملَّكْنا أخاه، فإنه لا ولدَ له غيرُ هذا الغلام، وإنّ لأخيه من صُلْبِه اثني عشرَ رجلاً، فتوارَثُوا[2] مُلكَه من بعده، بَقِيَت الحبشةُ بعده دهراً، فعَدَوْا على أبي النّجاشيِّ فقتلوه ومَلَّكوا أخاه، فمَكَثُوا

= وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢١٣-٢١٦.

وأخرجه أحمد (١٧٤٠) و(٢٢٤٩٨)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٨٣٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢٦٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٥٥٩٨)، والطبراني في «الكبير» (١٤٧٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ١١٥-١١٦، وفي «دلائل النبوة» (١٩٤)، وفي «معرفة الصحابة» (١٤٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٩/ ٩، وفي «دلائل النبوة» ٢/ ٣٠١-٣٠٤، وقوام السنّة الأصبهاني في «المبعث والمغازي» (١٢) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. وبعضهم لم يسقه بطوله.

(١) في (ش١) و(ق١) ونسخة على حاشية (م): قال ابن إسحاق: قال الزهري.

والخبر عن عائشة صحيح، وهو في «سيرة ابن إسحاق» أيضاً برواية يونس بن بكير بإثر الحديث السابق ص٢١٦-٢١٧، ومن طريقه أخرجه كذلك البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٠٤-٢٠٥، وقِوام السنّة الأصبهاني في «المبعث والمغازي» (١٢).

وأخرجه أبو طاهر المخلِّص في «المخلِّصيّات» (١٩٨٢)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١٩٥) من طريقين آخرين عن ابن إسحاق، به.

(٢) في (ت): فيتوارثوا، وفي (غ): يتوارثون.

على ذلك حِيناً.

ونَشَأَ النجاشيُّ مع عمِّه، وكان لبيباً حازماً من الرجال، فغَلَبَ على أمر عمِّه، ونزل منه بكلّ مَنزِلة، فلمّا رأَت الحبشةُ مكانَه منه قالت بينها: والله لقد غَلَبَ هذا الفتى على أمر عمِّه، وإنّا لَنتخوَّفُ أن يُملِّكَه علينا، وإن ملَّكه علينا ليَقتُلُنا أجمعين، لقد عَرَفَ أنّا نحن قتلنا أباه، فمَشَوْا إلى عمِّه فقالوا: إمّا أن تقتلَ هذا الفتى، وإمّا أن تُخرِجَه من بين أظهُرِنا، فإنّا قد خِفْناه على أنفسنا، قال: وَيلَكم، قتلتُ أباه بالأمسِ، وأقتلُه اليومَ؟! بل أُخرِجه من بلادكم.

قالت: فخرجوا به إلى السُّوق، فباعوه من رجل من التُّجّار بستِّ مئة دِرهَم، فقَذَفَه في سفينة فانطَلَق به، حتّى إذا كان العَشِيُّ من ذلك اليوم، هاجت سحابةٌ من سحاب الخريف، فخرج عمُّه يستمطرُ تحتها، فأصابته صاعقةٌ فقتلته، قالت: ففَزِعَت الحبشةُ إلى ولده، فإذا هو مُحْمِقٌ[1] ليس في ولده خيرٌ، فمَرِجَ على الحبشة أمرُهم.

فلمّا ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك، قال بعضُهم لبعضٍ: تَعلَّموا[2] واللهِ أنّ مَلِكَكم الذي لا يقيمُ أمرَكم غيرُه لَلَّذي بِعتُم غُدْوةً، فإن كان لكم بأمرِ الحبشة حاجةٌ فأدرِكُوه، قالت: فخرجوا في طلبِه وطلبِ الرجل الذي باعوه منه حتى أدرَكُوه فأخذوه منه، ثم جاؤوا به فعَقَدُوا عليه التّاج، وأقعَدُوه على سرير المُلْك فمَلَّكوه.

فجاءهم التاجرُ الذي كانوا باعُوه منه فقال: إمّا أن تُعطُوني مالي، وإمّا أن أكلِّمَه في ذلك؟ قالوا: لا نُعطِيك شيئاً، قال: إذاً واللهِ أُكلِّمَه، قالوا: فدُونَك، قالت: فجاءه

(١) المُحمِق: الذي يلدُ الحمقى. وقوله: فمَرِجَ على الحبشة أمرُهم، معناه: قلق واختلط.

(٢) أي: اعلموا.

فجلس بين يديه، فقال: أيُّها الملك، ابتَعتُ غلاماً من قومٍ بالسُّوق بستٍّ مئة درهم، فأسلَمُوا إليَّ غلامي وأخذوا دراهمي، حتّى إذا سِرتُ بغلامي، أدرَكُوني فأخذوا غلامي ومَنَعُوني دراهمي، قالت: فقال لهم النجاشيُّ: لتُعطُنَّه دراهمَه، أو ليَضَعَنَّ غلامُه يدَه في يدِه فلَيَذهَبَنَّ به حيثُ شاء، قالوا: بل نُعطِيه دراهمَه.

قالت: فلذلك يقول: ما أَخَذَ اللهُ منّي رِشوةً حين رَدَّ عليَّ مُلكي فآخُذَ الرِّشوةَ فيه، وما أطاع الناسَ فِيَّ فأُطيعَ الناسَ فيه. قالت: فكان ذلك أوّلَ ما خُبِرَ من صَلابتِه في دينه، وعَدلِه في حُكْمه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيدُ بن رُومانَ، عن عُرْوة بن الزُّبير، عن عائشة قالت: لمّا مات النَّجاشيُّ كان يُتَحدَّث أنّه لا يزال يُرَى على قبره نور[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن محمّد، عن أبيه قال: اجتمَعَت الحبشةُ فقالوا للنّجاشيِّ: إنّك فارقتَ دينَنا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفرٍ وأصحابه، فهيّأَ لهم سُفُناً وقال: اركَبُوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هُزِمتُ فامْضُوا حتى تَلحَقُوا بحيثُ شئتُم، وإن ظَفِرتُ فاثبُتوا، ثم عَمَدَ إلى كتاب فكَتَبَ فيه: هو يشهدُ أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، ويشهدُ أنّ عيسى عبدُه ورسولُه ورُوحُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريم، ثمّ جعله في قَبَائِه[2] عند المَنكِب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصَفُّوا له، فقال: يا مَعشرَ الحبشة، ألستُ أحقَّ الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال:

---

(١) إسناده صحيح.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢١٩، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٤١١-٤١٢.

وأخرجه أبو داود (٢٥٢٣) من طريق سلمة بن الفضل الأبرش، عن ابن إسحاق، به.

(٢) القَبَاء: نوع من الثياب مشقوق من خلفه.

فكيف رأيتم سِيرَتي فيكم؟ قالوا: خيرَ سيرةٍ، قال: فما بالُكم؟ قالوا: فارقتَ ديننا، وزَعَمتَ أنّ عيسى عبدٌ، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابنُ الله، فقال النجاشيُّ، ووَضَعَ يدَه على صدره على قَبائِه: وهو يشهدُ أنّ عيسى ابن مريم لم يَزِدْ على هذا شيئاً؛ وإنّما يعني على ما كَتَبَ، فرَضُوا وانصرفوا. فبَلَغَ ذلك النبيَّ ﷺ، فلمّا مات النجاشيُّ صلَّى عليه واستغفر له[1].

قال ابن إسحاق: ولمّا قَدِمَ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي رَبيعة على قريش، ولم يُدرِكوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردَّهما النَّجاشيُّ بما يكرهون، وأسلَمَ عمرُ بن الخطّاب، وكان رجلاً ذا شَكِيمةٍ[2] لا يُرامُ ما وراءَ ظهرِه، امتَنَعَ به أصحابُ رسول الله ﷺ وبحمزة حتى عازُّوا قريشاً[3]، فكان عبد الله بن مسعود

(١) هذا الخبر معضلٌ رواه محمد والد جعفر ـ وهو ابن علي بن الحسين بن علي ـ ولم يسنده، وهو من صغار التابعين من ثقاتهم.

وأما قصة الصلاة عليه والاستغفار له، فقد رواها جابرُ بن عبد الله وأبو هريرة، وأن النبيّ ﷺ شهد له بالصلاح وكبّر عليه أربعاً، أخرج ذلك البخاري (١٣١٧) و(١٣٢٠) و(٣٨٧٧) ومسلم (٩٥٢) من حديث جابر، وأخرجه البخاري (١٣١٨) و(١٣٢٧) و(٣٨٨٠) و(٣٨٨١) ومسلم (٩٥١) أيضاً من حديث أبي هريرة.

وقد اختُلف في سنة وفاته، فقيل: سنة ثمان للهجرة، وقيل: سنة تسع، وهو قول أكثرهم، انظر «فتح الباري» لابن حجر ١١/ ٣٦٢.

وأما ما روي من أنه كُشِف للنبيّ ﷺ عن سريره حتى رآه وصلّى عليه، فلم يثبت من وجه صحيح، انظر «الفتح» أيضاً ٤/ ٦٦٧.

(٢) الشَّكيمة: عزّة النفس وقوّتها، مأخوذة من شكيمة اللِّجام: وهي الحديدة المعترضة في فم الفَرَس. وقوله: لا يرام... أي: لا يُستَطاع أن يُنتزَع منه شيء لعزّته ومَنَعَته.

(٣) أي: غَلَبوهم.

يقول: ما كنّا نَقدِرُ على أن نصلّيَ عند الكعبة حتّى أسلَمَ عمر، فلمّا أسلَمَ عمر قاتل قريشاً حتّى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه، وكان إسلامُ عمر بعد خروج مَن خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

قال البَكّائيُّ: حدّثني مِسعَر بن كِدَام، عن سعد بن إبراهيم قال: قال عبد الله بن مسعود: إنّ إسلامَ عمر كان فتحاً، وإنّ هجرتَه كانت نصراً، وإنّ إمارتَه كانت رحمةً، ولقد كنّا وما نُصلّي عند الكعبة حتّى أسلَمَ عمرُ، فلمّا أسلَمَ قاتل قريشاً حتّى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه[1].

---

(١) خبر صحيح، ورجال إسناده ثقات إلا أنه منقطع، فإن سعد بن إبراهيم - وهو سعد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن عوف الزهري - لم يدرك ابنَ مسعود، ثم إن البكّائيَّ قد خولف فيه.

فقد رواه جماعة من الثقات منهم أبو نعيم الفضل بن دُكَين عن مسعر عند ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢٥٠ والطبراني في «الكبير» (٨٨٠٦) و(٨٨٢٠)، فسمَّوا شيخ مسعرٍ فيه القاسمَ بن عبد الرَّحمن، وهو حفيد ابن مسعود، وهو ثقة أيضاً إلا أنه لم يدرك جدَّه.

ورواه عبد الرَّحمن المسعوديُّ عن القاسم بن عبد الرَّحمن، واختُلف عليه في وصله وإرساله، فوصله عنه عليُّ بن عاصم الواسطي عند الحاكم في «مستدركه» (٤٥٣٧)، فرواه عنه عن القاسم عن أبيه عبد الرَّحمن بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن مسعود قال: والله ما استطعنا أن نصلّي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر.

والمحفوظ عن المسعوديّ ثم عن القاسم بن عبد الرَّحمن أنه مرسلٌ، ليس فيه ذكرُ والده عبد الرَّحمن، كما هو مبيَّن في التعليق على «المستدرك» طبعة دار الرسالة.

وأخرج ابن سعد أيضاً ٣/ ٢٥٠ عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمر، لقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصلّيَ بالبيت حتى أسلم عمر، فلمّا أسلم عمرُ قاتلهم حتى تركونا نصلّي. وإسناده صحيح، وأخرج أوله من هذا الطريق - وهو قوله: ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمر - البخاريُّ في «صحيحه» (٣٦٨٤) و(٣٨٦٣).

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الرَّحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي رَبِيعة، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن رَبِيعة، عن أمِّه أمِّ عبد الله بنت أبي حَثْمة قالت: واللهِ إنّا لَنترحَّلُ إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامرٌ في بعضِ حاجاتنا، إذ أقبَلَ عمرُ بن الخَطّاب حتّى وَقَفَ عليَّ وهو على شِرْكه ـ قالت: وكنّا نَلقَى منه البلاءَ، أذًى لنا وشِدّةً علينا ـ قالت: فقال: إنّه لَلِانطلاقُ يا أمَّ عبد الله، قالت: فقلت: نعم واللهِ، لَنَخرُجَنَّ في أرض الله، آذَيتُمونا وقَهَرتُمونا، حتّى يجعلَ الله لنا مَخرَجاً، قالت: فقال: صَحِبَكم اللهُ، ورأيتُ له رِقَّةً لم أكن أَراها، ثمّ انصرف وقد أحزَنَه ـ فيما أُرى ـ خروجُنا، قالت: فجاء عامرٌ بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيتَ عمرَ آنفاً ورِقَّتَه وحُزْنَه علينا، قال: أطمِعْتِ في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم، قال: فلا يُسلِمُ الذي رأيتِ حتّى يُسلِمَ حِمارُ الخطّاب؛ قالت: يأساً منه، لمَا كان يرى من غِلْظتِهِ وقسوتِه عن الإسلام[1].

---

(١) إسناده حسن إن شاء الله من أجل عبد الرَّحمن بن الحارث وشيخه عبد العزيز، وقولُ عبد العزيز فيه: عن أمّه، إن كان محفوظاً وليس من أوهام عبد الرَّحمن بن الحارث، فإنما يريد به جدَّته أمَّ عبد الله ليلى بنت أبي حَثْمة.

وأخرجه كرواية ابن هشامٍ عبدُ الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٧١) من طريق إبراهيم ابن سعد الزهري، عن ابن إسحاق، عمَّن لا يُتَّهم، عن عبد العزيز بن عبد الله، به. وشيخ ابن إسحاق الذي لا يُتَّهم هو عبد الرَّحمن بن الحارث بلا ريبٍ.

ورواه يونسُ بن بكير عن ابن إسحاق كما في «سيرته» ص١٨١ ـ ومن طريقه الطبراني في «الكبير» ٢٥/ (٤٧)، والحاكم (٧٠٦٩)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٨٣٢) ـ فجعله من رواية عبد العزيز بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عامر عن أمّه ليلى بنت أبي حثمة، وهذا أشبَهُ، وعبد الله بن عامر له رؤية.

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: وكان إسلامُ عمر ـ فيما بَلَغَني ـ أنّ أخته فاطمة بنت الخطّاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، كانت قد أسلَمَت وأسلَمَ زوجُها سعيد ابن زيد، وهم مُستَخفُون بإسلامهم من عمر، وكان نُعَيم بن عبد الله النَّحّامُ ـ رجلٌ من قومه من بني عَديٍّ بن كعب ـ قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فَرَقاً من قومه.

وكان خَبّابُ بن الأرَتِّ يختلف إلى فاطمة بنت الخَطّاب يُقرِئُها القرآن، فخرج عمرُ يوماً متوشِّحاً سيفَه يريد رسول الله ﷺ ورَهْطاً من أصحابه قد ذُكِروا له أنّهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصَّفَا، وهم قريبٌ من أربعين من بينِ رجالٍ ونساءٍ، ومع رسول الله ﷺ عمُّه حمزةُ بن عبد المُطَّلِب وأبو بكر بن أبي قُحَافة الصِّدّيق وعليُّ بن أبي طالب، في رجالٍ من المسلمين ممّن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكّة ولم يَخرُج فيمن خَرَج إلى أرض الحبشة.

فلَقِيَه نُعَيمُ بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمرُ؟ فقال: أريد محمّداً، هذا الصابئَ الّذي فَرَّقَ أمرَ قريش، وسَفَّهَ أحلامَها[1]، وعابَ دينَها، وسبَّ آلهتَها، فأقتُلُه، فقال له نُعَيم: والله لقد غرَّتْك نفسُك من نفسِك يا عمر، أتُرَى بني عبد مَنَاف تاركِيكَ تمشي على الأرض وقد قتلتَ محمّداً؟! أفلا تَرجِعُ إلى أهل بيتك فتُقِيمَ أمرَهم، قال: وأيُّ أهلِ بيتي؟ قال: خَتَنُك[2] وابنُ عمّك سعيدُ بن زيد بن عمرو، وأختُك فاطمةُ بنت الخطّاب، فقد واللهِ أسلَما وتابَعا محمّداً على دينه، فعليك بهما.

---

(١) الأحلام: العقول، والسَّفَه: الجهل.

(٢) الخَتَن: صِهرُ الرجل، زوج ابنته أو أخته أو غيرهما.

قال: فرَجَعَ عمرُ عامداً إلى أخته وخَتَنِه، وعندهما خبّابُ بن الأرَتِّ معه صحيفة فيها ﴿طه﴾ يُقرِئُهما إيّاها، فلمّا سمعوا حِسَّ عمر، تغيَّب خبّابٌ في مُخدَعٍ لهم[1] أو في بعض البيت، وأخَذَت فاطمةُ بنت الخطّاب الصحيفةَ فجعلتها تحت فَخِذِها، وقد سمع عمرُ حين دَنَا إلى البيت قراءةَ خبّاب عليهما، فلمّا دخل قال: ما هذه الهَينَمةُ[2] الّتي سمعتُ؟ قالا له: ما سمعتَ شيئاً، قال: بلى واللهِ، لقد أُخبِرتُ أنّكما تابعتما محمّداً على دينه، وبَطَشَ بخَتَنِه سعيد بن زيد، فقامت إليه أختُه فاطمة بنت الخطّاب لتَكُفَّه عن زوجها، فضربها فشَجَّها، فلمّا فعل ذلك قالت له أخته وختنُه: نعم قد أسلَمْنا وآمنّا بالله ورسوله، فاصنَعْ ما بَدَا لك.

ولمّا رأى عمرُ ما بأختِه من الدّم، نَدِمَ على ما صنع فارعَوَى[3]، وقال لأخته: أَعطيني هذه الصحيفة التي سمعتُكم تَقرَؤُون آنفاً، أنظُرُ ما هذا الذي جاءَ به محمّد، وكان عمرُ كاتباً، فلمّا قال ذلك، قالت له أخته: إنّا نَخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحَلَفَ لها بآلهته ليَرُدَّنَّها إذا قرأَها إليها، فلمّا قال ذلك طَمِعَت في إسلامه، فقالت له: يا أَخي، إنّك نَجِسٌ على شِركِك، وإنّه لا يَمَسُّها إلا الطّاهر، فقام عمرُ فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها ﴿طه﴾، فقرأَها، فلمّا قرأَ منها صدراً قال: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه!

فلمّا سمع ذلك خبّابٌ خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إنّي لَأرجو أن يكون اللهُ قد خَصَّك بدعوة نبيِّه، فإنّي سمعتُه أمسِ وهو يقول: «اللهمَّ أيِّدِ الإسلامَ بأبي الحَكَم بن هشام، أو بعمرَ بنِ الخَطَّاب»، فاللهَ اللهَ يا عمرُ، فقال له عند ذلك عمر:

(١) المُخدَع ـ وتُكسر ميمه وتُفتح أيضاً ـ: حُجرة صغيرة في البيت كالخِزانة.

(٢) هي صوت وكلام لا يُفهَم.

(٣) أي: كفَّ وانزجر.

فدُلَّني يا خبّابُ على محمّدٍ، حتّى آتيَهُ فأُسلِمَ، فقال له خبّاب: هو في بيتٍ عند الصَّفا، معه فيه نفرٌ من أصحابه.

فأخَذَ عمرُ سيفَه فتَوشَّحَه، ثمّ عَمَدَ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضَرَبَ عليهم الباب، فلمّا سمعوا صوتَه قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنَظَرَ من خَلَلِ البابِ[1] فرآه متوشِّحاً السيفَ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فَزِعٌ، فقال: يا رسول الله، هذا عمرُ بن الخطّاب متوشِّحاً السيفَ، فقال حمزة بن عبد المُطَّلِب: فأْذَنْ له، فإن كان جاء يريد خيراً بَذَلْناه له، وإن كان جاء يريد شرّاً قَتَلْناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «ائذَنْ له»، فأَذِنَ له الرجلُ.

ونَهَضَ إليه رسول الله ﷺ حتّى لقيَه في الحُجْرة، فأخذ بحُجْزتِه[2]، أو بمَجمَع ردائه، ثم جَبَذَه به جَبْذةً شديدةً وقال: «ما جاءَ بك يا ابنَ الخَطَّاب؟ فواللهِ ما أُرى أن تَنتهِيَ حتّى يُنزِلَ اللهُ بك قارعةً» فقال عمر: يا رسول الله، جئتُك لأؤمنَ بالله وبرسولِه وبما جاء من عندِ الله، قال: فكبَّر رسولُ الله ﷺ تكبيرةً عَرَفَ أهلُ البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أنّ عمرَ قد أسلَمَ، فتَفرَّق أصحابُ رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عَزُّوا في أنفسِهم حين أسلمَ عمرُ مع إسلام حمزة، وعَرَفوا أنّهما سيَمنَعانِ رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوِّهم.

فهذا حديث الرُّوَاة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطّاب حين أسلم[3].

---

(١) هي الشقوق والفراغات التي في الباب.

(٢) الحُجزة: موضع شدّ الإزار من الوسط.

(٣) الخبر بهذا السياق لم يسنده ابن إسحاق فرواه مرسلاً، وهو كذلك في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق في «سيرته» ص١٨١-١٨٤.

وقد أَسند نحوه بهذا الطُّول ابنُ سعد في «الطبقات» ٣/٢٤٨-٢٤٩، والحاكم في «المستدرك» =

= (٧٠٧٢) وغيرهما من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق، عن القاسم بن عثمان البصريّ، عن أنس بن مالك قال: خرج عمرُ متقلِّداً السيف... إلى آخره. وهذا إسناد ضعيف، فالقاسم بن عثمان لم يرو عنه غير إسحاق الأزرق، فهو مجهول، وقد ذكره ابن حبان في «ثقاته» ٥/ ٣٠٧ لكن قال: ربما أخطأ، وذكره العُقيليّ في «الضعفاء» ٣/ ٣٨٣ وقال: حدَّث عنه إسحاق الأزرق أحاديث لا يتابع عليها، وقال الدارقطنيّ في «سننه» (٤٤١) بعد أن ساق طرفاً من حديثه هذا: القاسم ليس بالقويّ، وقال الذهبيُّ في ترجمته من «ميزان الاعتدال»: حدَّث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ، وبقصة إسلام عمر وهي منكرة جدّاً.

قلنا: لكن روي منها دعاء النبي ﷺ أن يؤيّد اللهُ الإسلام بأبي الحَكَم بن هشام أو بعمرَ بن الخطّاب من حديث عبد الله بن عمر عند أحمد (٥٦٩٦)، والترمذي (٣٦٨١)، وابن حبان (٦٨٨١) وغيرهم من طريق خارجة بن عبد الله الأنصاريّ، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «اللهمّ أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطّاب»، فكان أحبَّهما إلى الله عمرُ بن الخطاب. وصحّحه التِّرمذيُّ لأنه كان يذهب إلى توثيق خارجة المذكور، كما وقع في بعض نسخ «جامعه»، وخارجة هذا مُختلَفٌ فيه، وهو وسطٌ له أوهام، وحديثه حسنٌ.

ويشهد لحديث خارجة هذا مرسلُ سعيد بن المسيّب عند ابن سعد ٣/ ٢٤٧، وابن شبّة في «تاريخ المدينة» ٢/ ٦٥٧، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢٦، وسنده حسن كما قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»، ومراسيل سعيد بن المسيّب حُجّة عند أكثر أهل العلم.

وأخرج الترمذي (٣٦٨٣) من طريق النَّضر أبي عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس رفعه: «اللهمّ أعزَّ الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطّاب». قال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه، وقد تكلّم بعضهم في النضر أبي عمر. قلنا: هو متروك ساقط الحديث.

والمحفوظ عن ابن عباس ما أخرجه الحاكم (٤٥٣٣) و(٤٥٣٤) وغيره بإسنادٍ حسنٍ عنه: أن النبيَّ ﷺ دعا لعمر وحده فقال: «اللهم أيِّد الدِّين - وفي رواية: أَعِزَّ الإسلام - بعمر بن الخطاب».

ويشهد له بهذا اللفظ حديثُ عائشة عند ابن ماجه (١٠٥)، وابن حبان (٦٨٨٢)، والحاكم (٤٥٣٥): أن النبيَّ ﷺ قال: «اللهمّ أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصّةً». وإسناده صحيح. =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح المكّيُّ، عن أصحابه عطاءٍ ومجاهدٍ، أو عمَّن روى ذلك: أنّ إسلامَ عمر فيما تحدَّثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مُباعِداً، وكنت صاحبَ خمرٍ في الجاهليّة، أحبُّها وأشربُها، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجالٌ من قريشٍ بالحَزْوَرةِ[1]، عند دُور آل عمر بن عبد بن عِمرانَ المخزوميّ، قال: فخرجتُ ليلةً أريد جُلَسائي أولئك في مجلسِهم ذلك، قال: فجئتُهم فلم أجِدْ فيه منهم أحداً، قال: فقلت: لو أنّي جئت فلاناً الخَمّار، وكان بمكّة يبيع الخمر، لعلِّي أجدُ عنده خمراً فأشربَ منها، قال: فخرجتُ فجئتُه فلم أجِدْه، قال: فقلت: فلو أنّي جئت الكعبةَ فطُفْت بها سَبعاً أو سَبعَين، قال: فجئت المسجدَ أريدُ أن أطوفَ بالكعبة، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي، وكان إذا صلَّى استَقبَل الشامَ وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام، فكان مُصلّاهُ بين الرُّكنَين: الرُّكنِ الأسودِ والرُّكنِ اليَمَاني، قال: فقلت حين رأيتُه: والله لو أنّي استمعتُ لمحمّدٍ الليلةَ حتّى أسمعَ ما يقول، قال: فقلت: لئِنْ دَنَوتُ منه أستمعُ منه لأُرَوِّعَنَّه، فجئت من قِبَلِ الحِجْر

= وروي هذا أيضاً من حديث ابن مسعود من طريقين ضعيفين عند أحمد (٤٣٦٢) والحاكم (٤٥٣٦)، ورواية الحاكم بذكر الرجلين كليهما.

(١) هي ربوة صغيرة من الجهة الغربيّة من المسجد الحرام، وكان عندها سوق من أسواق مكة، ثم دخلت في المسجد الحرام بعد توسعته قديماً، أشار إلى ذلك سفيان بن عُيينة المتوفَّى سنة ١٩٨هـ بمكّة، انظر «أخبار مكة» للأزرقيّ ٢/ ٢٩٤-٢٩٥.

وعلى الحَزْوَرة هذه وقف رسول الله ﷺ يومَ الفتح وهو على ناقته فقال: «والله إنَّكِ لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أنّي أُخرِجتُ منكِ ما خرجتُ»، أخرجه أحمد (١٨٧١٥) وابن ماجه (٣١٠٨) والترمذي (٣٩٢٥) وغيرهم من حديث عبد الله بن عَديّ بن الحمراء، وإسناده صحيح. وجاء التنصيص على أن ذلك كان يوم الفتح في رواية الواقديّ للحديث في «مغازيه» ٢/ ٨٦٥.

فدخلتُ تحت ثيابها، فجعلت أَمشي رُوَيداً، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلِّي يقرأُ القرآن، حتّى قمتُ في قِبْلَتِه مُستقبِلَه، ما بيني وبينه إلا ثيابُ الكعبة.

قال: فلمّا سمعتُ القرآن رَقَّ له قلبي، فبَكَيتُ ودَخَلَني الإسلامُ، فلم أَزَلْ قائماً في مكاني ذلك حتّى قَضَى رسولُ الله ﷺ صلاتَه ثمّ انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حُسين، وكانت طريقَه حتّى يَجزَعَ[1] المَسعَى، ثمّ يَسلُك بين دار عبّاس بن عبد المُطَّلِب وبين دار ابن أَزهَرَ بن عبد عوفٍ الزُّهْريّ، ثمّ على دار الأخنَسِ ابن شَرِيق، حتّى يَدخُلَ بيتَه - وكان مَسكنُه ﷺ في الدار الرَّقْطاء[2] التي كانت بيدِ معاوية بن أبي سفيان - قال عمر: فتَبِعتُه حتّى إذا دخل بين دارِ عبّاس ودار ابن أزهَرَ أدركتُه، فلمّا سمع رسولُ الله ﷺ حِسِّي عَرَفَني، فظَنَّ رسولُ الله ﷺ أنّي إنَّما تبعتُه لأُوذِيَه فنهَمَني[3]، ثم قال: «ما جاءَ بك يا ابنَ الخَطّابِ هذه الساعةَ؟» قال: قلت: جئت لأومنَ بالله وبرسوله، وبما جاءَ من عند الله، قال: فحَمِدَ اللهَ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «قد هَدَاكَ اللهُ يا عمرُ»، ثمّ مَسَحَ صدري ودعا لي بالثَّبات، ثم انصرفتُ عن رسول الله ﷺ، ودخل رسولُ الله ﷺ بيتَه[4].

---

(١) في (ق١): حتى يجيز إلى، وفي (ش١) و(ي): حتى يخرج. قال الخُشَنيُّ: وقوله: حتى يجزع المسعى، أي: يقطعه، تقول: جَزَعتُ الواديَ، إذا جُزتَه وقطعتَه سيراً.

(٢) الرقطاء: التي فيها ألوان، وإنما سُمِّيَت الرَّقطاء لأنها بُنِيَت بالآجُرّ الأحمر والجِصّ الأبيض، فكانت رقطاءَ، ذكر ذلك أبو الوليد الأزرقيُّ في «أخبار مكة» ٢/ ٢٣٧.

(٣) أي: زَجَرَني.

(٤) إسناده ضعيف لجهالة الواسطة بين عطاء - وهو ابن أبي رباح - ومجاهد وبين عمر. ولم نقف عليه من هذا الوجه عند غير ابن إسحاق.

ويَحسُن هنا ذكرُ ما رواه أحمد في «مسنده» (١٠٧) بإسناده إلى شُريح بن عُبيدٍ قال: قال =

قال ابن إسحاق: والله أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافعٌ مولى عبد الله بن عمر، عن ابن عمر قال: لمّا أسلَمَ عمرُ قال: أيُّ قريشٍ أنقَلُ للحديث؟ قيل له: جَميلُ بن مَعمَر الجُمَحيّ، قال: فغَدَا عليه. قال عبد الله بن عمر: وغَدَوتُ أَتبَعُ أثَرَه وأنظرُ ما يفعل، وأنا غلام أَعقِلُ كلَّ ما رأيتُ، حتّى جاءه فقال له: أعلِمتَ يا جميلُ أنّي قد أسلمتُ ودخلتُ في دِينِ محمّد؟ قال: فواللهِ ما راجَعَه حتّى قام يَجُرُّ رداءَه، واتَّبَعَه عمرُ واتّبعتُ أَبي، حتّى إذا قام على باب المسجد صَرَخَ بأعلى صوته: يا مَعشَرَ قريش ـ وهم في أندِيَتِهم حولَ الكعبة ـ ألا إنّ ابنَ الخطّابِ قد صَبَأَ، قال: يقول عمرُ من خلفه: كَذَبَ، ولكنّي قد أسلمتُ، وشَهِدتُ أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، وثارُوا إليه، فما بَرِحَ يقاتلُهم ويقاتلُونَه حتى قامت الشمسُ على رؤوسهم. قال: وطَلَحَ[1] فقعَدَ، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بَدَا لكم، فأحلِفُ بالله أن لو قد كُنّا ثلاثَ مئةِ رجلٍ لقد تَرَكناها لكم أو تَركتُموها لنا.

= عمر بن الخطّاب: خرجتُ أتعرَّضُ رسولَ الله ﷺ قبل أن أُسلم، فوجدتُه قد سبقني إلى المسجد، فقمتُ خلفه، فاستفتح سورةَ الحاقّة، فجعلت أعجَبُ من تأليف القرآن، فقلت: هذا واللهِ شاعرٌ كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾ قلت: كاهنٌ، قال: ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ إلى آخر السورة، قال: فوَقَعَ الإسلامُ في قلبي كلَّ مَوقِع. ورجاله ثقات إلا أنه مرسل، فإنّ شريحاً لم يدرك عمر، وهذا مما يشهد لقصة سماع عمر القرآنَ من النبي ﷺ عند الكعبة في صلاته، وأن دخول الإسلام إلى قلبه كان إذ ذاك.

(١) أي: تعب وأَعيا.

قال: فبَيْنا هم على ذلك، إذ أقبَلَ شيخٌ من قريشٍ عليه حُلّةُ حِبَرةٍ وقميصٌ مُوَشًّى[1] حتّى وَقَفَ عليهم، فقال: ما شأنُكم؟ قالوا: صَبَأَ عمرُ، فقال: فمَهْ؟ رجلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أتُرَون بني عَديٍّ بن كعبٍ يُسلِمون لكم صاحبَهم؟! هكذا عن الرَّجل[2]، قال: فواللهِ لكأنَّما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه[3].

قال: فقلت لأَبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبَتِ، مَن الرجل الّذي زَجَرَ القومَ عنك بمكّة يوم أسلمتَ وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك، أيْ بنيَّ، العاصِ بنُ وائلٍ السَّهْميُّ[4].

---

(١) يقال: حلّةُ حِبَرةٍ على الإضافة، ويقال: حلةٌ حِبَرةٌ، على الوصف، وهي ثياب يمانيَة من قطن أو كتّان مخطَّطة ملوَّنة. والموشّى: المخطَّط والمزركَش.

(٢) هكذا في (ت) و(ص) و(م)، وفي (ش١) و(ق١) و(غ) و(ي): هكذا خَلُّوا عن الرجل، بذكر الفعل، ووقع في نسخة السهيليّ من «السيرة» كما أثبتنا، وشرح على كلمة «هكذا» في «الروض الأنف» ٣/ ٢٨٠ فقال: هي كلمة معناها الأمرُ بالتنحِّي... فيُقدَّر العامل مضمَراً، كأنك قلت: ارجِعوا هكذا، وتأخَّروا هكذا، واستُغني بقولك: هكذا، عن الفعل كما استُغني برُوَيداً عن ارفُقْ.

(٣) أي: نُزِع عنه.

(٤) إسناده صحيح، وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٤/ ٢٠٢: إسناده جيد قوي. وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية ابن بكير عنه ص١٨٤-١٨٥، ومن طرق أخرى عن ابن إسحاق أخرجه عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٧٢ب)، والبزار (١٥٦)، وابن حبان (٦٨٧٩)، وابن عساكر في «تاريخه» ٤٤/ ٤٢، والضياء المقدسي في «المختارة» ١/ (٢٢٦). وانظر «مستدرك الحاكم» (٤٥٤٣).

وسياق رواية ابن إسحاق هذه عن نافعٍ سياقٌ جيّدٌ حسنٌ، وقد روى خبر العاص بن وائل أيضاً مع عمر في قصة إسلامه عمرُ بنُ محمد بن زيدٍ عند البخاري (٣٨٦٤) عن جدِّه زيد بن عبد الله ابن عمر عن أبيه، بسياق مختصر مغاير لرواية نافع عن ابن عمر.

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم، أنه قال: يا أبتِ، مَن الرّجلُ الّذي زَجَرَ القومَ عنك بمكّة يومَ أسلمتَ وهم يقاتلونك؟ جَزَاه الله خيراً، قال: يا بنيَّ، ذاك العاصِ بنُ وائلٍ، لا جَزَاه الله خيراً[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرَّحمن بن الحارث، عن بعضِ آل عمرَ أو بعضِ أهله قال: قال عمر: لمّا أسلمتُ تلك الليلةَ، تذكَّرتُ أيُّ أهل مكّة أشدُّ لرسول الله ﷺ عداوةً حتّى آتيَه فأُخبِرَه أنّي قد أسلمتُ، قال: قلت: أبو جهلٍ.

وكان عمرُ لحَنتَمةَ بنت هاشم[2] بن المغيرة.

قال: فأقبلتُ حين أصبحتُ حتّى ضربتُ عليه بابه، قال: فخرج إليَّ أبو جهلٍ فقال: مرحباً وأهلاً يا ابن أُختي، ما جاء بك؟ قال: قلت: جئتُ أُخبِرُك أنّي قد آمنتُ بالله وبرسوله محمّدٍ، وصَدَّقتُ بما جاء به، قال: فضرب البابَ في وجهي وقال: قبَّحك الله، وقبَّح ما جئتَ به[3].

---

(١) ضعيف لإعضاله وإبهام رواته.

(٢) تحرف في نسخنا الخطية غير (غ) و(م) إلى: هشام، والمثبت منهما. وهاشم وهشام أخوان، فأمّا هاشمٌ فهو والد حنتمة هذه أُمِّ عُمر، وأمّا هشام فهو والد أبي جهل، فحنتمة وأبو جهلٍ ابنا عمٍّ، وهما من بني مخزوم. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٤٤ و١٤٥.

(٣) إسناده فيه ضعف من جهة إبهام راويه من آل عمر، وعبد الرَّحمن بن الحارث ـ وهو ابن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ـ مختلفٌ في توثيقه وتضعيفه كما في ترجمته من «التهذيب»، فهو وسطٌ ليس بذاك القويّ.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٧٥) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، به.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٤٤/ ٤١ بإسناد ضعيف جداً عن ابن أخي الزُّهريّ، عن حمزة ابن عبد الله، عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب.

أمر الشِّعب والصحيفة

قال ابن إسحاق: فلمّا رأت قريشٌ أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قد نَزَلُوا بلداً أصابوا به أَمْناً وقَراراً، وأنّ النَّجاشيَّ قد مَنَعَ من لَجَأَ إليه منهم، وأنّ عمرَ قد أسلم، فكان هو وحمزةُ بن عبد المُطَّلِب مع رسول الله ﷺ وأصحابِه، وجعل الإسلامُ يَفشُو في القبائل، اجتَمَعوا وائتَمَروا[1] أن يَكتُبوا كتاباً يتعاقَدُون فيه على بني هاشم وبني المُطَّلِب: على أن لا يَنكِحوا إليهم ولا يُنكِحوهم[2]، ولا يَبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، فلمّا اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفةٍ ثمّ تَعاهَدُوا وتَواثَقُوا على ذلك، ثم علَّقوا الصحيفة في جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصيّ ـ قال ابن هشام: ويقال: النَّضر بن الحارث[3] ـ فدعا عليه رسول الله ﷺ، فشَلَّ بعضُ أصابعه.

قال ابن إسحاق: فلمّا فَعَلَت ذلك قريشٌ انحازت بنو هاشم وبنو المُطَّلِب إلى أبي طالب بن عبد المُطَّلِب، فدخلوا معه في شِعْبه[4] واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشمٍ أبو لَهَب عبدُ العُزَّى بن عبد المُطَّلِب إلى قريش، فظاهَرَهم[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُسين[6] بن عبد الله: أنّ أبا لهبٍ لَقِيَ هندَ بنت عُتْبة

---

(١) في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): وائتمروا بينهم. ومعنى ائتَمَروا: تشاوَرُوا.

(٢) أي: لا يتزوَّجوا منهم ولا يُزوِّجوهم.

(٣) يعني النَّضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصيّ، وقُتل هذا كافراً في الأَسر بعد بدرٍ.

(٤) الشِّعب: هو الموضع المنفرج بين جبلين.

(٥) أي: أيّدهم وآزرَهم.

(٦) حسين بن عبد الله هذا: هو حسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العباس بن عبد المطّلب، =

ابن رَبيعة حين فارَقَ قومَه وظاهَرَ عليهم قريشاً، فقال: يا ابنة عُتْبة، هل نَصَرتُ اللّاتَ والعُزّى، وفارقتُ من فارَقَهما وظاهَرَ عليهما؟ قالت: نعم، فجزاك الله خيراً يا أبا عُتبة.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثتُ أنّه كان يقول في بعض ما يقول: يَعِدُني محمّدٌ أشياءَ لا أَراها، يَزعُم أنّها كائنةٌ بعد الموت، فماذا وَضَعَ في يديَّ بعد ذلك، ثمّ يَنفُخُ في يديه ويقول: تَبّاً لكما، ما أَرى فيكما شيئاً ممّا يقول محمّد؛ فأنزل الله تعالى فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

قال ابن هشام: تبَّت: خَسِرَت، والتَّبَاب: الخَسَارُ، قال حَبيب بن خُدْرة الخارجيُّ، أحدُ بني هلال بن عامر بن صَعصَعَة:

يـا طَيْـبَ إنّـا في مَعشـرٍ ذَهَبَـت ... مَسـعاتُهم في التَّبَـارِ والتَّبَـبِ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

= توفي سنة إحدى وأربعين ومئة، وهو ضعيف عند جمهور أهل الحديث.

(١) ضعيف لإعضاله، وقد رواه مسنَداً الواقديُّ فيما أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٠٦) من طريقه عن خارجة بن عبد الله، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس. والواقديُّ متروك عند أهل الحديث.

والذي صحَّ في نزول هذه السورة ما رواه عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس قال: صعد النبيُّ ﷺ الصَّفا ذات يوم فقال: «يا صَبَاحاه»، فاجتمعت إليه قريش قالوا: ما لك؟ قال: «أرأيتُم لو أخبرتكم أنّ العدوَّ يصبِّحكم أو يمسِّيكم، أما كنتم تصدِّقوني؟» قالوا: بلى، قال: «فإنّي نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديدٍ» فقال أبو لهب: تبّاً لك، ألِهذا جمعتَنا؟! فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. أخرجه البخاري (٤٧٧٠) و(٤٨٠١) و(٤٩٧٢) ومسلم (٢٠٨).

(٢) التَّبار: الهلاك، يقال: تبَّره اللهُ، أي: أهلكه. وقوله: يا طيبَ، كأنه ينادي طَيْبَةَ فرخّم. ولم نقف على شعره هذا عند غير ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فلمّا اجتَمَعَت على ذلك قريشٌ، وصَنَعوا فيه الذي صَنَعوا، قال أبو طالب:

ألَا أبلِغــا عنّــي علــى ذاتِ بينِنــا لؤيّــاً وخُصّــا مــن لـؤيٍّ بنـي كعـبِ[1]

ألــم تَعلَمــوا أنّــا وَجَــدْنا محمّــداً نبيّــاً كموســى خُــطَّ في أولِ الكُتْــبِ

وأنَّ عليــــه في العبــــادِ مَحبّــــةً ولا خَـــيْرَ ممَّــن خَصَّــه الله بالحُــبِّ[2]

وأنّ الَّـــذي لصَّـــقْتمُ مـــن كتـــابِكُمْ لكــم كــائنٌ نَحســاً كراغِيَــةِ السَّــقْبِ[3]

أَفِيقـوا أَفِيقـوا قبـلَ أن يُحفَـرَ الثَّـرى ويُصبِحَ مَن لم يَجنِ ذَنباً كذِي الذَّنْبِ

ولا تَتبَعُــوا أمــرَ الوُشــاةِ وتَقطَعــوا أواصِــرَنا بعــدَ المَــودّةِ والقُــرْبِ[4]

وتَســتجلِبوا حربــاً عَوانــاً وربَّمــا أمَــرَّ علــى مــن ذاقَــهُ جَلَـبُ الحــربِ[5]

فلســنا وربِّ البيــتِ نُسـلِمُ أحمــداً لِعَــزّاءَ مــن عَـضِّ الزمـانِ ولا كَــرْبِ[6]

ولمّــا تَــبِنْ منّــا ومــنكم ســوالفٌ وأَيــدٍ أُتِــرَّت بالقُسَاسِــيَّة الشُّــهْبِ[7]

(١) قوله: على ذات بيننا، يريد: على ما وصل إليه الحالُ بيننا، فذاتُ بينِنا صفةٌ لمحذوف مؤنَّث، وهي الحال، قاله السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٢٩٩ نقلاً عن قاسم بن ثابت.

(٢) خَيْر: مخفَّف من خيِّر كهَيْنٍ ومَيْتٍ، وممَّن متعلِّق بمحذوف، كأنه قال: لا خيِّرَ أخيرُ ممّن خصَّه الله بالحب. قاله السهيليُّ.

(٣) راغية السقب: هو من الرُّغَاء، وهو أصوات الإبل، والسَّقْب: ولدُ الناقة، وأراد به هاهنا ولد ناقة صالح عليه السلام التي عقرها أشقى ثمود، فرَغَا ولدُها ـ فيما قيل ـ وصاح برغائه كلُّ شيء له صوت، فهَلَكَت ثمود عند ذلك، فضربت العربُ ذلك مثلاً في كل هَلَكة.

(٤) الوُشاة: جمع واشٍ، وهو النَّمّام. والأواصر: جمع آصرةٍ، وهي سبب القَرابة والمودّة.

(٥) حرباً عَواناً، أي: قوتل فيها مِراراً. وجَلَبُ الحرب: استجلابها والقيام بها.

(٦) لعزّاءَ، معناه: لشدّةٍ، وعضُّ الزمان: شدّتُه أيضاً.

(٧) تَبِن، أي: تنفصل. والسوالف: صفحات الأعناق. وأُتِرَّت معناه: قُطِعَت. والقُساسيّة: =

بمُعتَـركٍ ضَـيْقٍ تـرى كِسَـرَ القَنـا   به والنُّسورَ الطُّخمَ يَعكُفنَ كالشَّرْبِ[1]

كـأنَّ مُجَـالَ الخيـلِ في حَجَراتِـهِ   ومَعمَعَـةَ الأبطـالِ مَعركـةُ الجُـرْبِ[2]

ألَـيسَ أبونـا هاشـمٌ شَـدَّ أَزْرَهُ   وأَوصـى بَنيـهِ بالطِّعـانِ وبالضَّـرْبِ[3]

ولسـنا نَمَـلُّ الحـربَ حتّـى تَمَلَّنـا   ولا نَشتَكي ما قدْ[4] يَنُوبُ من النَّكْبِ

ولكنّنـا أهـلُ الحفـائظِ والنُّهـى   إذا طـار أرواحُ الكُمَـاةِ مـن الرُّعـبِ[5]

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً[6] حتى جُهِدوا، لا يصلُ إليهم شيءٌ إلا سرّاً مُستَخفِياً به مَن أراد صِلَتَهم من قريش.

وقد كان أبو جهل بن هشام ـ فيما يَذكُرون ـ لقيَ حَكيمَ بن حِزام بن خُوَيلِد بن أسد، معه غلامٌ يحمل قمحاً يريد به عمّتَه خديجة بنت خُويلِد، وهي عند رسول الله

= سيوف منسوبة إلى قُسَاس، ويقال بالصاد بدل السين كما في «معجم البلدان»، وهو جبل لبني أسد فيه مَعدِن الحديد. والشهب، أي: كالشهب في لمعانها، وهي جمع مفرده: شِهاب، وهو الشعلة من النار.

(١) المُعتَرَك: موضع الحرب. والضَّنك والضيق بمعنى واحد. والقنا: الرِّماح. والطُّخم: جمع أَطخم، وهو الذي في لونه سواد. ويعكفن: يَقُمن ويلازمن. والشَّرب: الجماعة من القوم يشربون في مكان واحد.

(٢) مُجال الخيل، أي: إجالة الفرسان بها. والحَجَرات: النواحي. والمعمعة: الصوت. والجُرب: الإبل التي أصابها جرب، فهي تحكُّ بعضها بعضاً.

(٣) شدَّ أَزْره، أي: شدَّ ظهره.

(٤) لفظ «قد» سقط من نسخنا غير (ش١) و(ق١)، ومنهما أثبتناه على الصواب.

(٥) الحفائظ: جمع حَفِيظة، وهي الغضب في الحرب. والنُّهَى: العقول. والكُماة: الشُّجعان.

(٦) وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري كما في «الدلائل» للبيهقي ٢/ ٣١٢: أن ذلك دام ثلاث سنين.

ﷺ ومعه في الشِّعب، فتعلَّق به وقال: أتذهبُ بالطعام إلى بني هاشم! والله لا تَبْرَحُ أنت وطعامُك حتّى أَفضَحَك بمكّة.

فجاءه أبو البَخترَيِّ بن هشام[1] بن الحارث بن أسد، فقال: ما لك وله؟ فقال: يَحمِلُ الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البَختَريّ: طعامٌ كان لعمّتِه عنده بَعَثَت إليه، أفتَمنَعُه أن يأتيَها بطعامها! خلِّ سبيلَ الرجل، فأَبى أبو جهلٍ حتّى نال أحدُهما من صاحبه، فأخذ له أبو البَختَريّ لَحْيَ[2] بعيرٍ فضربه به فشَجَّه[3] ووَطِئَه وَطْأً شديداً، وحمزةُ بن عبد المُطَّلِب قريباً يرى ذلك، وهم يكرهون أن يَبلُغَ ذلك رسولَ الله ﷺ وأصحابَه فيَشمَتُوا بهم.

ورسولُ الله ﷺ على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجِهاراً، مُبادِياً بأمر الله[4] لا يتَّقي فيه أَحداً من الناس.

فجعلت قريشٌ حين مَنَعَه الله منها، وقام عمُّه وقومُه من بني هاشم وبني المُطَّلِب دونه وحالُوا بينهم وبين ما أرادوا من البَطْش به، يَهمِزونه ويَستهزِؤون به ويخاصمونه، وجعل القرآنُ يَنزِلُ في قريش بأحداثهم وفيمن نَصَبَ لعداوتِه، منهم من سُمِّيَ لنا، ومنهم من نَزَلَ فيه القرآنُ في عامّة من ذَكَرَ اللهُ من الكفّار، فكان مَن سُمِّيَ لنا من قريش ممّن نَزَلَ فيه القرآن:

---

(١) قد سبق في باب مشي قريش إلى أبي طالب ص٣٠٠ اعتراضُ عبد الملك بن هشام على ابن إسحاق في ذكر هشام في نسبه، حيث قال هناك: أبو البختريّ العاص بن هاشم.

(٢) في (ت) و(ص): لحيي.

واللَّحْي: عظم الحنك الذي عليه الأسنان.

(٣) أي: جرحه.

(٤) أي: مُظهِراً لأمر الله ودعوته.

خبر المستهزئين وذكرُ أبي لهب

منهم عمُّه أبو لَهَب بن عبد المُطَّلِب وامرأتُه أمُّ جَميل بنت حرب بن أُميّة حَمّالةُ الحَطَب، وإنّما سمّاها الله حمّالةَ الحطب، لأنها كانت ـ فيما بلغني ـ تَحمِلُ الشَّوك فتَطرَحُه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمرُّ، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[1].

قال ابن هشام: الجِيدُ: العُنُق، قال أَعشى بني قيس بن ثَعلَبة:

يومَ تُبْدي لنا قُتَيلةُ عن جِيـ ـدٍ أَسيلٍ تَزينُه الأطواقُ[2]

وهذا البيت في قصيدةٍ له، وجمعه: أَجيادٌ.

والمَسَد: شجر يُدَقُّ كما يُدَقُّ الكَتّان فتُفتَل منه حبال، قال النابغة الذُّبياني، واسمه زياد بن عَمرو بن معاوية[3]:

مقذوفةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها له صَريفٌ صريفَ القَعْوِ بالمَسَدِ[4]

---

(١) روي هذا عن ابن عباس عند الطبري في «تفسيره» ٢٤/ ٧١٩، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٨٣، بإسناد فيه ضعفٌ.

(٢) أي: يوم تكشف لنا قُتيلة ـ وهو اسم امرأة ـ عن عنق طويل يزيّنه ما التفَّ به من حليّ وأطواق، والأَسيل: الذي فيه طُول. والبيت من قصيدة قالها الأعشى وهو بنَجْران يتشوّق فيها إلى قومه ـ ومساكنهم في أطراف هضبة نجد ـ ويفتخر بهم. انظر «ديوانه» ٢/ ٥٢.

(٣) ذكر ابن السِّكّيت في بداية «ديوان النابغة» في نسبه عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى عن أبي وهب الدقّاق كما ذكر ابن هشام هنا، ونقل عن ابن الأعرابي أنه كان يسمّيه زياد بن معاوية بإسقاط عمرٍو من نسبه، وهو الذي اختاره ابن السِّكّيت.

(٤) مقذوفة، أي: مرميّة باللحم رمياً، وهو يصف إبلاً سِماناً. والدَّخيس: الذي دُخس، =

وهذا البيت في قصيدةٍ له، وواحدته: مَسَدَة.

قال ابن إسحاق: فذُكِر لي: أنّ أمَّ جميل حمّالةَ الحطب حين سمعت ما نَزَلَ فيها وفي زوجها من القرآن، أتَتْ رسولَ الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكرٍ الصِّدّيق، وفي يدها فِهْرٌ[1] من حجارة، فلمّا وَقَفَت عليهما أخَذَ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلّا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبُك، فقد بَلَغَني أنّه يَهجُوني، واللهِ لو وَجَدتُه لضربتُ بهذا الفِهْر فاهُ، أمَا واللهِ إنّي لشاعرةٌ:

مُذمَّماً عَصَينا وأمرَهُ أبَينا

ودينَهُ قَلَينا[2]

ثمّ انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أمَا تُراها رأَتك؟ قال: «ما رَأَتني، لقد أخَذَ اللهُ ببَصَرِها عنّي»[3].

= أي: أُدمج بعضه في بعض، من كثرته وصلابته. والنَّحض: اللحم. وبازلها، أي: سنُّها الذي بَزَلَت به، أي: انشقَّ نابُها، وذلك حين تصير في السنة الثامنة. والصريف: صوت أنيابها إذا حكّت بعضها ببعض، وهذا من نشاطها. والقعو: المحور الذي تدور فيه البَكْرة إذا كان من خشب، فهو يشبّه صوت اصطكاك أنياب هذه الإبل بالصوت الذي تصدره البكرةُ عندما تُدوَّر بالحبل الذي عليها.

وهذا البيت من معلَّقته التي أولها: يا دار مَيّةَ بالعَلياءِ فالسَّنَدِ... وانظر «ديوانه» ص٦.

(١) الفِهر: حجر ملء الكفّ.

(٢) أي: أبغضنا وهَجَرنا.

(٣) حديث صحيح وإن لم يسنده ابن إسحاق.

فقد روي نحو هذا الخبر من حديث أسماء بنت أبي بكر عند الحميدي في «مسنده» (٣٢٥) ـ ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» (٣٤١٦) وصحّحه ـ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٩٦، من وجهين عن أسماء يصحُّ بهما حديثها. =

قال ابن هشام: قولها: ودينَه قَلَينا، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وكانت قريشٌ إنّما تسمِّي رسول الله ﷺ مُذمَّماً ثم يَسُبُّونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: «ألا تعجَبُون لِمَا يَصرِفُ اللهُ عنّي من أَذى قريشٍ، يَسُبُّون ويَهجُون مُذمَّماً، وأنا محمّدٌ»[1].

ذكرٌ لأُميّة بن خلف

وأميّةُ بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، كان إذا رأى رسولَ الله ﷺ هَمَزَه ولَمَزَه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ إلى آخر السّورة كلِّها.

قال ابن هشام: الهُمَزةُ: الذي يَشتِمُ الرّجلَ علانيَةً، ويَكسِرُ عينَه عليه، ويَغمِزُ به[2]، قال حسّان بن ثابت:

هَمَزتُك فاختَضَعتَ لذُلِّ نفسٍ ... بقافيَــةٍ تَــأجَّجُ كالشُّــوَاظِ[3]

= وروي أيضاً من حديث ابن عباس عند ابن حبان (٦٥١١).

وانظر أيضاً حديث زيد بن أرقم في «مستدرك الحاكم» (٣٩٨٩) ـ طبعة دار الرسالة ـ والتعليق عليه هناك.

(١) حديث صحيح.

فقد أخرجه أحمد (٧٣٣٠) و(٨٤٧٨)، والبخاري (٣٥٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (٥٦٠٢)، وابن حبان (٦٥٠٣) من طرق عن أبي هريرة.

(٢) أي: يطعن فيه.

(٣) اختضعت: تذلّلت. وتأجّجُ، أصله: تتأجّج، فحذف إحدى التاءين، أي: تتوقّد. والشُّواظ: لهب النار.

والبيت هكذا وقع لابن هشام، وكذا ذكره غير واحد من أهل التفسير، والذي في «ديوان حسان» برواية محمد بن حبيب ١/ ١٥٣: =

وهذا البيت في قصيدةٍ له، وجمعه: هُمَزاتٌ.

واللُّمَزَة: الّذي يَعِيبُ الناسَ سرّاً ويؤذيهم.

قال رُؤْبة بن العَجّاج:

في ظِلِّ عَصْرَيْ باطِلي ولَمْزي[1]

وجمعه: لُمَزاتٌ. وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

ذكرُ العاص بن وائل السَّهميّ

قال ابن إسحاق: والعاصِ بنُ وائل السَّهْميّ، كان خَبّابُ بن الأرَتِّ صاحبُ رسول الله ﷺ قَيْناً[2] بمكّة يعمل السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً عَمِلَها له حتّى كان له عليه مال، فجاءَه يتقاضاه، فقال له: يا خبّاب، أليس يَزعُمُ محمّدٌ، صاحبُكم هذا الذي أنتَ على دينه، أنَّ في الجنّة ما ابتَغَى أهلُها من ذهب أو فضّة، أو ثياب، أو خَدَم؟ قال خبّاب: بلى، قال: فأَنظِرْني إلى يوم القيامة يا خبّابُ

= مـجلَّـلـةً تعمِّـمُه شَـنَـاراً مُضرَّمةً تأجَّجُ كالشُّواظِ

وهو في هذه القصيدة يهجو أُميّة بن خلف كما في «الديوان»، وكذلك يُفهَم من «الصحاح» (شوظ) للجوهريّ و«الوقف والابتداء» لابن الأنباريّ ١/ ٩٥، ووقع للثعلبيّ والماوَرْديّ في «تفسيريهما» أنه هجا بها أُميّة بن أبي الصَّلت!

(١) هو في «ديوان رؤبة» ص٦٤ من أُرجوزة يمدح بها أبان بن الوليد البَجَليّ، وهو من أشراف بَجِيلة في العراق.

وفي «شرح ديوانه» ١/ ٣٥٧ لعالم لُغويّ مجهولٍ طبعه مجمع اللغة العربية بمصر: قوله: عصرَي باطلي، أراد أوّل النهار وآخره، وهما العَصْران، يقول: كنت في الباطل غُدوةً وعشيّةً، واللمز: يريد اللهو واللعب، وقوله: في ظلٍّ، يقول: فأنا في ظُلّة من الباطل.

(٢) أي: حدّاداً.

حتّى أَرجِعَ إلى تلك الدّار فأَقضِيَك هنالك حقَّك، فوالله لا تكونُ أنت وأصحابُك[1] يا خبّابُ آثَرَ عند الله منّي، ولا أعظمَ حظّاً في ذلك. فأَنزَلَ الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم:٧٧-٨٠][2].

ذكرٌ لأبي جهل بن هشام المخزوميّ

ولَقِيَ أبو جهل بن هشام رسولَ الله ﷺ - فيما بلغني - فقال له: والله يا محمّد، لتَترُكَنَّ سبَّ آلهتنا، أو لنَسُبَّنَّ إلٰهك الذي تَعبُد، فأنزَلَ الله فيه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فذُكِرَ لي أنّ رسول الله ﷺ كَفَّ عن سبِّ آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ[3].

---

(١) في (ص) و(م) و(ي): وصاحبك.

(٢) لم يسنده ابن إسحاق بهذا السياق، وأصحُّ منه سياقاً ما أخرجه أحمد (٢١٠٧٥)، والبخاري (٢٠٩١) و(٤٧٣٢)، ومسلم (٢٧٩٥)، والترمذي (٣١٦٢)، وابن حبان (٤٨٨٥) من حديث مسروق عن خبّاب قال: كنت قَيناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دَيْن، فأتيته أتقاضاه، قال: لا أعطيك حتّى تَكفُر بمحمّدٍ، فقلت: لا أكفرُ حتّى يُميتَك الله ثم تُبعَث، قال: دَعْني حتّى أموتَ وأُبعَثَ، فسأُوتى مالاً وولداً فأَقضيَكَ، فنزلت ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ...﴾ إلى آخر الآيات.

(٣) روي نحو هذا عن ابن عبّاس، فقد أخرج الطبري في «تفسيره» ٩/ ٤٨٠، وكذا ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٦ من طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبّاس نحوه، إلا أنه لم يسمِّ أبا جهل بعينِه.

ورجال إسناده لا بأس بهم إلا أنه منقطع بين عليٍّ وابن عبّاس.

وأخرجا نحوه أيضاً عن السُّدّيِّ مرسلاً في قصّة دخول رجال من قريش على أبي طالب، وذكر منهم أبا جهل. =

ذكرٌ للنَّضر بن الحارث العَبْدريّ

والنَّضْرُ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلقَمة بن عبد مَنَاف بن عبد الدّار بن قُصيٍّ، كان إذا جلس رسول الله ﷺ مَجلِساً فدَعَا فيه إلى الله تعالى وتَلَا فيه القرآن، وحَذَّرَ قريشاً ما أصاب الأُممَ الخالية، خَلَفَه في مجلسِه إذا قام فحدَّثهم عن رُستُم الشديد وعن اسفنديار[١] وملوك فارس، ثم يقول: واللهِ ما محمّدٌ بأحسنَ حديثاً منّي، وما حديثُه إلا أساطيرُ الأوّلين، اكتَتَبها كما اكتَتَبتُها[٢]. فأنزَلَ الله فيه: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٥-٦]، ونزل فيه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم:١٥]، ونزل فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا[٣] فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية:٧-٨].

= وذكر هذين الخبرين بلا إسنادٍ الواحديُّ في «أسباب النزول» (٤٤٤) و(٤٤٦).

(١) في (ت) و(ق١) و(غ): اسبنديار، وفي (ش١) و(ص) و(م) و(ي): اسفندياذ، والمشهور في كتب التاريخ ما أثبتنا، وقد تقدم التنبيه عليه في الكلام على بداية الدعوة ص٣٤٨.

وأما قوله: رستم الشديد، فهكذا وقع في نسخنا الخطية غير النسخة المغربيّة المرموز لها بـ(غ)، ففيها: رستم الشيذ، وكذلك وقع للسهيليِّ كما في «الروض» ٣/ ٣١٧ وقال: بالفارسيّة معناه: ذو الضياء، والياء في الشيذ والألف سواء، ومنه: أرفخشاذ... وعند الخشنيِّ كما في «إملائه» ص١٠٦: السنديذ، وقال: السنديذ بلغة فارس: شعاع الشمس، وهم ينسبون إليه كلَّ جميل، وهو بذال معجمة.

(٢) روى هذا مُسنَداً الطبريُّ في «تفسيره» ١٧/ ٣٩٩-٤٠٠ عن أبي كُريبٍ محمد بن العلاء، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: حدثنا شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس. وهذا إسناد ضعيف لإبهام شيخ ابن إسحاق.

(٣) زاد النساخ هنا في بعض النسخ: ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾، وهو خطأ، فهذه من سورة لقمان.

قال ابن هشام: الأفّاك: الكذّاب، وفي كتاب الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [الصافات:١٥١-١٥٢]، وقال رُؤْبة:

ما لِامرِئٍ أَفَّكَ قولاً إفْكاً

وهذا البيت في أُرجوزةٍ له(١).

قال ابن إسحاق: وجَلَسَ رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النّضرُ بن الحارث حتّى جلس معهم في المَجلِس، وفي المجلسِ غيرُ واحدٍ من رجال قريش، فتكلَّم رسول الله ﷺ فعَرَضَ له النَّضرُ بن الحارث، فكَلَّمه رسولُ الله ﷺ حتّى أفحمَه(٢)، ثمّ تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨-١٠٠].

قال ابن هشام: حَصَبُ جهنَّم: كلُّ ما أُوقِدَت به، قال أبو ذُؤَيب الهُذَليّ، واسمه خُوَيلِد بن خالد:

فأَطفِئْ ولا تُوقِدْ ولا تكُ مُحصِباً — لنارِ العُداةِ أن تَطِيرَ شَكَاتُها(٣)

وهذا البيت في أبياتٍ له. ويروى: ولا تكُ مِحضَأً(٤).

(١) هي في «ديوانه» ص١١٩-١٢٠.

(٢) أي: حتى أسكَتَه.

(٣) تطير شكاتها، أي: تنتشر شدّتها.

وهذا البيت من قصيدة قالها أبو ذؤيب في الإصلاح بين اثنين من قومه وقع بينهما تلاسنٌ بالأشعار. انظر «شرح أشعار الهذليّين» صنعة أبي سعيد السكريّ ١/ ٢٢٣.

(٤) وهكذا هو في «ديوان الهذليّين» بترتيب وتعليق محمّد الشنقيطي ١/ ١٦٣، وفيه بإثره ـ كما وقع في النسخ المطبوعة من السيرة بإثر هذا البيت وليس في شيء من نسخنا الخطية ـ: =

قال ابن إسحاق: ثمَّ قام رسول الله ﷺ، وأقبَلَ عبدُ الله بن الزِّبَعرَى السَّهْميّ حتّى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزِّبَعرَى: واللهِ ما قام النَّضرُ بن الحارث لابن عبد المُطَّلِب آنفاً وما قَعَد، وقد زَعَمَ محمّدٌ أنّا وما نَعبُدُ من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنَّم، فقال عبد الله بن الزِّبَعرَى: أمَا واللهِ لو وجدتُه لخَصَمتُه، فسَلُوا محمّداً: أكلُّ ما يُعبَد من دون الله في جهنَّمَ مع من عَبَدَه؟ فنحن نَعبُد الملائكةَ، واليهودُ تَعبُد عُزيراً، والنَّصارى تَعبُد عيسى ابنَ مريم، فعَجِبَ الوليدُ ومن كان معه في المَجلِس من قول عبدِ الله بن الزِّبَعرَى، ورأَوا أنه قد احتَجَّ وخاصَمَ، فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ من قول ابن الزِّبَعرَى، فقال رسول الله ﷺ: «كلُّ مَن أحَبَّ أن يُعبَدَ من دونِ الله، فهو مع مَن عَبَدَه، إنّهم إنّما يَعبُدون الشياطينَ ومَن أمَرَتْهم بعبادتِه»[1]. فأَنزل الله عليه في ذلك[2]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ

= قال الشاعر:

حَضَأتُ له ناري فأبصرَ ضَوءَها   وما كان لولا حَضْأةُ النارِ يهتدي

قلنا: والمِحضَأ: هو العُود الذي تُحرّك به النار وتلتهب.

(١) قصة النضر بن الحارث وابن الزبعرى لم يسندها ابن إسحاق بهذا السياق، ورواها عنه كذلك سلمةُ بن الفضل عند الطبري في «تفسيره» ١٦/ ٤١٧-٤١٨.

وروى نحوَ هذا الخبر مُسنَداً باختصارٍ دون قوله ﷺ: «كلّ من أحبَّ أن يُعبَد... إلخ» عاصمُ ابن أبي النَّجود، عن أبي رَزين مسعود بن مالك الأسديّ، عن مِصدَع أبي يحيى مولى ابن عفراء، عن ابن عباس. أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٩٨٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (٦١٦) و(٧٤٠)، وإسناده حسن إن شاء الله.

ومعنى هذا الخبر بسياقات متقاربة عن ابن عباسٍ عند أحمد (٢٩١٨)، والطحاوي (٩٨٨)، والحاكم في «مستدركه» (٣٤٩٠)، وليس عند أحد منهم قوله: «كلّ من أحبَّ أن يُعبَد... إلخ».

(٢) قوله: في ذلك، من (ش١) و(ق١).

حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢] أي: عيسى ابن مريم وعزيرٌ ومَن عَبَدُوا من الأحبار والرُّهبان الّذين مَضَوْا على طاعة الله، فاتَّخَذَهم مَن يَعبُدهم من أهل الضَّلالة أرباباً من دون الله.

ونَزَلَ فيما يَذكُرون أنهم يَعبُدون الملائكة وأنّها بناتُ الله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩].

ونَزَلَ فيما ذَكَرَ[1] من أمرِ عيسى ابن مريمَ أنه يُعبَد من دون الله، وعَجَبِ الوليد ومَن حَضَرَه من حُجَّتِه وخصومتِه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ[2]﴾ [الزخرف:٥٧] أي: يَصُدُّون عن أمرِك بذلك من قوله، ثمّ ذَكَرَ عيسى فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: ما وضعتُ على يديه من الآيات من إحياءِ الموتى وإبراءِ الأسقام، فكَفَى به دليلاً على عِلْم السّاعة، يقول: فلا تَمترُنَّ بها[3] ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

ذكر الأخنس بن شَرِيق الثَّقفيّ

والأخنسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثَّقفيّ، حليفُ بني زُهْرة، وكان من

---

(١) يعني عبدَ الله بنَ الزِّبَعرى.

(٢) بضمِّ الصاد من الصُّدود، وهو الإعراض كما يوحي تفسير ابن إسحاق لها، وهذه قراءة نافع وابن عامر والكسائي من السبعة، وقرأ بقيتهم بكسر الصاد بمعنى: يَضِجُّون ويصيحون عجباً. وانظر «السبعة» لابن مجاهد ص٥٨٧.

(٣) أي: فلا تَشكُّنّ فيها وفي مجيئها أيّها الناس.

أشراف القوم وممّن يُستمَع منه، فكان يصيب من رسول الله ﷺ ويردُّ عليه، فأنزل الله تعالى فيه[1]: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝﴾ إلى قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٠-١٣]، ولم يقل: زَنِيمٌ، لعَيبٍ في نسبه، لأنّ الله عزَّ وجلَّ لا يَعِيبُ أحداً بنسب، ولكنّه حقّق بذلك نَعْتَه ليُعرَف، والزَّنِيم: العَدِيد للقوم[2]، وقد قال الخَطِيم التَّميميّ[3] في الجاهليّة:

زَنِـيمٌ تَـداعاهُ الرّجـالُ زيـادةً ... كما زِيدَ في عَرضِ الأَديمِ الأَكارعُ[4]

ذكرُ الوليد بن المغيرة

والوليدُ بن المغيرة، قال: أيُنزَّلُ على محمّد وأُترَك وأنا كبير قريش وسيِّدها، ويُتْرَك أبو مسعود عمرُو بن عُمير الثَّقفيّ سيِّد ثَقِيف، فنحن عظيما القريتَينِ! فأنزل الله تعالى فيه - فيما بلغني -: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

---

(١) ذكر القرطبيُّ في «تفسيره» ٢١/ ١٥٥ أن معظم المفسّرين على أن هذا نزل في الوليد بن المغيرة المخزوميّ. أو أنه النضر بن الحارث من بني عبد الدار، فقد تقدّم عند ابن إسحاق في بداية الدعوة ص٣٤٨ نقلُه عن ابن عباس: أن كل ما ذُكر فيه الأساطيرُ من القرآن فقد نزل في النضر بن الحارث. وممّا يقوِّي هذا أنّ مجاهداً روى عنه فيما أخرجه البخاري (٤٩١٧) أنه قال في تفسير هذه الآيات: هو رجل من قريش؛ لكن لم يسمِّه، والأخنس ليس قرشيّاً.

(٢) العديد من القوم: مَن يُعَدُّ فيهم وليس منهم، تشبيهاً له بالزَّنَمة: وهو شيء يُقطَع من أُذن الشاة ويُترك معلَّقاً بها.

(٣) وقيل: هو لحسان بن ثابت كما في «الروض الأنف» للسهيليّ ٣/ ٣٢١.

(٤) الأديم: الجِلْد. والأكارع: جمع كُرَاع، وهو هنا ساقُ الشاة وغيرها، وإنما أراد ما عليها من الجِلد.

دَرَجَٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣١-٣٢].

ذكرٌ لأُبيّ بن خَلَف وعُقْبة بن أبي مُعَيط

وأُبَيُّ بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح وعُقْبةُ بن أبي مُعَيطٍ، وكانا مُتصافِيَينِ حَسَناً ما بينهما، فكان عُقبةُ قد جَلَسَ إلى رسول الله ﷺ وسَمِعَ منه، فبَلَغَ ذلك أُبيّاً، فأَتى عقبةَ فقال له: ألم يَبلُغْني أنّك جالستَ محمّداً وسمعتَ منه؟! ثم قال: وجهي من وجهك حرامٌ أن أكلِّمَك ـ واستَغلَظَ من اليمين ـ إن أنت جلستَ إليه أو سمعتَ منه، أو لم تأتِه فتتفُلَ[1] في وجهه. ففعل ذلك عدوُّ الله عقبةُ بن أبي مُعَيط، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٩][2].

ومشى أُبيُّ بن خَلَف إلى رسول الله ﷺ بعظمٍ بالٍ قد ارْفَتَّ[3]، فقال: يا محمّد، أنت تَزعُمُ أنّ الله يَبعَثُ هذا بعدَ ما أَرَى[4]؟ ثم فتَّه بيده[5] ثم نَفَخَه في الرِّيح نحوَ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «نَعَم، أنا أقولُ ذلك، يَبعَثُه الله وإيّاكَ بعدَ ما تكونانِ هكذا، ثمّ يُدخِلُك النّارَ»[6]. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ

---

(١) التَّفْل: نفخ معه أدنى بُزاق.

(٢) روي نحوه عن ابن عباس عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣١)، والطبري في «تفسيره» ١٧/ ٤٤٠. وعن السُّدّيِّ أيضاً عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٨/ ٢٦٨٥.

(٣) أي: تحطّم وتكسّر.

(٤) وقع في أكثر الطبعات السابقة: بعد ما أَرَمَّ. وليس في شيء من النسخ. وأرمَّ، أي: بَلِيَ.

(٥) في (ص) و(م): في يده.

(٦) روي هذا مرسلاً عن الزهريِّ عند عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢٥٦ والطبري في =

خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يسٓ].

ذكر قولٍ دار بين رسول الله ﷺ وبين قوم من مشركي قريش أوجَبَ نزولَ ﴿قل يا أيُّها الكافرون﴾

واعتَرَض رسولَ الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة ـ فيما بلغني ـ الأسودُ بن المُطَّلِب بن أَسد بن عبد العُزَّى والوليدُ بن المغيرة وأُميّةُ بن خَلَف والعاصِ بنُ وائل السَّهْميّ، وكانوا ذوي أسنانٍ في قومهم، فقالوا: يا محمّد، هَلُمَّ فلنَعبُدْ ما تَعبدُ، وتَعبُدْ ما نَعبدُ، فنَشترِكَ نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبدُ خيراً ممّا نعبد، كنّا قد أخذنا بحَظِّنا منه، وإن كان ما نعبدُ خيراً ممّا تعبد، كنتَ قد أخذتَ بحَظِّك منه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ السورةَ كلَّها[1]، أي: إن كنتم لا تَعبُدون الله إلّا أن أعبُدَ ما تَعبُدون، فلا حاجةَ لي بذلك منكم، لكم دينُكم جميعاً ولي دِينِ.

ذكرٌ لأبي جهل بن هشام

وأبو جَهْل بن هشام، لمّا ذَكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ شجرة الزَّقُّوم تخويفاً بها لهم، قال: يا معشرَ قريشٍ، هل تدرون ما شجرةُ الزَّقُّوم التي يخوِّفُكم بها محمّد؟ قالوا: لا، قال:

= «تفسيره» ١١/ ٨٧، وعن قتادة عند عبد الرزاق ٢/ ١٤٦ و الطبري ١٩/ ٤٨٦، وأحدهما يشدّ الآخر فيحتمل التحسين إن شاء الله.

وأصحُّ منه ما رواه الحاكم في «مستدركه» (٣٦٤٨) وغيرُه بإسناد صحيح عن ابن عباس بنحو هذا، إلا أنه سمَّى الرجلَ العاصِ بنَ وائل السهمي مكان أُبيّ بن خلف.

(١) روى هذا الخبر إسماعيلُ ابن عُليّة عند الطبري في «تفسيره» ٢٤/ ٧٠٣ عن ابن إسحاق قال: حدثني سعيد بن مِينا مولى البَختَري... فذكره، وسعيدٌ هذا تابعيٌّ ثقة فخبرُه بهذا مرسلٌ.

عَجْوةُ يَثرِبَ بالزُّبْد، والله لَئِن استمكَنّا منها لنَتَزقَّمَنَّها تزقُّماً. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٦] أي: ليس كما يقول(١).

قال ابن هشام: المُهْل: كلُّ شيءٍ أذَبتَه من نحاسٍ أو رصاصٍ أو ما أشبَهَ ذلك، فيما أخبرني أبو عُبيدة.

وبَلَغَنا(٢) عن الحسن بن أبي الحسن البصريِّ أنه قال: كان عبد الله بن مسعودٍ والياً لعمر بن الخَطّاب على بيت مال الكوفة، وأنّه أمَرَ يوماً بفضّة فأُذيبَت، فجعلت تَلوَّنُ ألواناً، فقال: هل بالباب من أَحد؟ قالوا: نعم، قال: أَدخِلوهم، فأُدخلوا، فقال: إنَّ أدنى ما أنتم راؤُون شَبَهاً بالمُهْل، لَهذا(٣).

وقال الشّاعر:

يَسقيهِ ربِّي حَمِيمَ المُهلِ يَجرَعُهُ ... يَشْوي الوجوهَ فَهُوْ في بطنِه صَهِرُ(٤)

---

(١) روي نحو هذا الخبر عن ابن عباس عند البيهقي في «البعث» (٥٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (٥٨٠)، إلا أن فيه من قول أبي جهل عن الزقوم: نتزبّد بالزُّبْد. وإسناده حسن.

وروي عنه من وجه آخر صحيح عند أحمد (٣٥٤٦) والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢٠)؛ قال: قال أبو جهل: أيخوِّفنا محمد بشجرة الزقّوم، هاتوا تمراً وزُبداً فتزقَّموا.

والتزقُّم: التبلُّع والتلقُّم الشديد.

(٢) في (ت) و(ش١) و(غ): وبلغني.

(٣) هذا خبر مرسل، فالحسن البصريّ ليس له سماع من ابن مسعود، لكن يشهد له مرسل قتادة عن ابن مسعود أيضاً بمعناه عند الطبري في «تفسيره» ١٥/ ٢٤٨ و٢١/ ٥٦، ورجاله ثقات.

(٤) الصَّهِر: الذائب. وهذا البيت لم نقف عليه عند غير ابن هشام.

ووقع بعد هذا في بعض الطبعات السابقة زيادة: وقال عبد الله بن الزَّبِير الأَسَدي:

فمَن عاش منهم عاش عبداً وإن يمُتْ ... ففي النارِ يُسقَى مُهلَها وصديدَها

ويقال: إنّ المُهْل: صَديدُ الجسد.

بَلَغَنا: أنّ أبا بكر الصِّدّيق رضي الله عنه لمّا حُضِرَ أمَرَ بثوبَينِ لَبيسَين يُغسَلان فيُكفَّن فيهما، فقالت له عائشة: قد أغناك الله يا أبتِ عنهما، فاشترِ كَفَناً، فقال: إنّما هي ساعةٌ حتّى يصيرَ إلى المُهْل[1].

قال الشّاعر:

شـابَ بالمـاءِ منـه مُهْـلاً كَريهـاً ثـمَّ عَـلَّ المُتُـونَ بعـد النِّهـالِ[2]

قال ابن إسحاق: وأنزل الله فيه: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠].

أمرُ ابن أمّ مكتوم ونزولُ سورة ﴿عَبَسَ﴾

ووَقَفَ الوليدُ بن المغيرةِ مع رسول الله ﷺ ورسولُ الله ﷺ يُكلّمُه، وقد طَمِعَ في إسلامه، فبَيْنا هو في ذلك، إذ مَرَّ به ابنُ أمِّ مَكتومٍ الأعمى، فكَلَّمَ رسولَ الله ﷺ وجعل يستقرئُه القرآنَ، فشَقَّ ذلك منه على رسول الله ﷺ حتّى أضجَرَه، وذلك أنّه شَغَلَه عمّا كان فيه من أمرِ الوليد وما طَمِعَ فيه من إسلامه، فلمّا أكثَرَ عليه انصَرَفَ عنه عابساً وتَرَكَه[3]. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ إلى

(١) أخرج أحمد (٢٤١٨٦) والبخاري (١٣٨٧) من حديث عائشة: أن أبا بكر نظر إلى ثوب عليه، كان يُمرَّض فيه به شيء من زعفران، فقال: اغسِلُوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين، فكفِّنوني فيها، قلت: إنّ هذا خَلَقٌ (أي: قديم)، قال: إنّ الحيَّ أحقُّ بالجديد من الميت، إنما هو للمُهْلةِ.

(٢) شابَ: خَلَطَ. والعَلَلُ: الشُّرب بعد الشّرب. والمُتون: جمع مَتْنٍ، وهو الظَّهر، وأراد بها الدوابَّ التي تُركَب ظهورها. والنِّهال: جمع نَهَلٍ، وهو الشُّرب الأوّل.

وهذا البيت لم نقف عليه عند غير ابن هشام.

(٣) روي هذا الخبر من حديث عروة بن الزُّبير عن خالته عائشة قالت: أُنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ =

قوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾ أي: إنَّما بعثتُك بشيراً ونذيراً، لم أُخُصَّ[1] بك أحداً دون أحدٍ، فلا تَمنَعْه ممّن ابتَغاه، ولا تَتصَدَّ به لمن لا يريدُه.

قال ابن هشام: ابنُ أمِّ مكتومٍ أحدُ بني عامر بن لُؤَيٍّ، واسمُه عبد الله، ويقال: عَمْرو.

ذكرُ مَن عاد من أرض الحبشة لمّا بلغهم إسلامُ أهل مكّة وما جَرَى لهم مع الّذين أجاروهم من المشركين

قال ابن إسحاق: وبَلَغَ أصحابَ رسول الله ﷺ الّذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلامُ أهلِ مكّة، فأقبَلُوا لِمَا بَلَغَهم من ذلك، حتّى إذا دَنَوْا من مكّة، بَلَغَهم أنّ ما كانوا تَحدَّثوا به من إسلام أهل مكّة كان باطلاً، فلم يَدخُلْ منهم أحدٌ إلا بجِوَارٍ أو مُستخفِياً.

فكان مَن قَدِمَ عليه مكّةَ منهم، فأقام بها حتّى هاجَرَ إلى المدينة فشَهِدَ معه بدراً[2]، ومَن حُبِسَ عنه حتى فاته بدرٌ وغيرُه، ومَن مات بمكّة منهم؛ من بني عبد

= في ابن أمّ مكتوم الأعمى، أَتى رسولَ الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشِدْني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عُظماء المشركين ـ ولم تسمِّه ـ فجعل رسول الله ﷺ يُعرِضُ عنه ويُقبِل على الآخر ويقول: «أتَرى بما أقولُ بأساً؟» فيقول: لا، ففي هذا أُنزل. أخرجه الترمذي (٣٣٣١)، وابن حبان (٥٣٥)، والحاكم (٣٩٤٠)، وإسناده صحيح على خلاف في وصله وإرساله، وحسّنه الترمذيُّ، وصحّحه الحاكم.

(١) في (ص) و(ي): مبشراً ونذيراً لم أختص.

(٢) زاد في (ت) و(ش١) و(م) و(ي): وأُحداً، وليست في (ق١) و(غ)، وكانت في (ص) ثم ضبَّب عليها، ولعلّ ذلك من أجل أن بعض من ذُكِر هنا لم يشهدها كعثمان بن مظعون، فإنه توفّي بعد شهوده بدراً بأشهرٍ.

شمس بن عبد مَنَاف بن قُصيٍّ: عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، معه امرأتُه رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ، وأبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس، معه امرأتُه سَهْلةُ بنت سُهَيل، ومن حُلفائهم: عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب.

ومن بني نَوفَل بن عبد مَنَاف: عُتْبة بن غَزْوان، حليفٌ لهم من قيسِ عَيْلان[1].

ومن بني أسَدِ بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ: الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد.

ومن بني عبد الدّار بن قُصيٍّ: مصعبُ بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدّار، وسُوَيبِط بن سعد بن حُرَيمِلة.

ومن بني عبد بن قُصيٍّ: طُلَيبُ بن عُمير بن وهب بن أبي كَبير[2] بن عبدٍ.

ومن بني زُهْرةَ بن كِلَابٍ: عبدُ الرَّحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، والمِقدادُ بن عمرو، حليفٌ لهم، وعبدُ الله بن مسعود، حليفٌ لهم.

ومن بني مَخزُوم بن يَقَظَة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر ابن مخزوم، ومعه امرأتُه أمُّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة، وشَمّاسُ بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْميّ بن عامر بن مخزوم، وسَلَمةُ بن هشام بن المغيرة، حَبَسَه عمُّه[3] بمكّة، فلم يَقدَمْ إلّا بعد بدرٍ وأُحدٍ والخندق، وعيّاشُ بن أبي رَبيعة بن المغيرة،

---

(١) في (ص) و(م) و(ي): قيس بن عيلان. وكلاهما صحيح.

(٢) قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ٣٤٧-٣٤٩: زيادة أبي كَبيرٍ في هذا الموضع لا يُوافَق عليه... وذكره أبو عمر (يعني ابن عبد البر) ونسبه كما نسبه ابنُ إسحاق بزيادة أبي كبير. وانظر أيضاً «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٢٨. وذكر مصعب الزُّبيريّ في «نسب قريش» ص٢٥٦ أن أبا كبير هو مُنهِب بن عبد بن قصيّ أخو وهبٍ، وطُلَيب إنما هو من أبناء وهبٍ.

(٣) يعني الوليدَ بن المغيرة.

هاجر معه[1] إلى المدينة، ولَحِقَ به أخواه لأمِّه أبو جهل بن هشام والحارثُ بن هشام، فرَجَعا به إلى مكّة فحَبَساه بها حتّى مضى بدرٌ وأحدٌ والخندقُ.

ومن حُلفائهم: عمّارُ بن ياسر، يُشَكُّ فيه، أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟!

ومُعتِّبُ بن عوف بن عامر من خُزَاعة.

ومن بني جُمَح بن عَمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: عثمانُ بن مَظعُون بن حَبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح، وابنُه السائب بن عثمان، وقُدَامةُ بن مَظعُون، وعبدُ الله بن مَظعُون.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعبٍ: خُنَيسُ بن حُذَافة بن قيس بن عَديّ، وهشامُ بن العاص بن وائل، حُبِسَ بمكّة بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة حتّى قَدِمَ بعد بدرٍ وأُحدٍ والخندق.

ومن بني عَديِّ بن كعب بن لُؤيّ بن غالبٍ: عامرُ بن رَبيعة، حليفٌ لهم، معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤيٍّ: عبدُ الله بن مَخرَمة بن عبد العُزّى بن أبي قيس، وعبدُ الله ابن سُهيل بن عمرو، وكان حُبِسَ عن رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يومُ بدرٍ فانحازَ من المشركين إلى رسول الله ﷺ فشَهِدَ معه بدراً، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى، معه امرأتُه أمُّ كُلثوم بنت سُهيل بن عمرو، والسَّكْرانُ بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأتُه سَوْدةُ بنت زَمْعة بن قيس، مات بمكّة قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، فخَلَفَ رسولُ الله ﷺ على امرأته سَوْدةَ بنت زَمْعة، ومن حُلفائهم: سعدُ ابن خَوْلة.

---

(١) أي: مع أبي سلمة.

ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: أبو عُبيدة بن الجَرّاح، وهو عامرُ بن عبد الله بن الجرّاح، وعمرُو بن الحارث بن زُهَير بن أبي شدّاد، وسُهَيلُ ابن بَيضاءَ، وهو سُهَيل بن وهب ابن ربيعة بن هلال، وعمرُو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال.

فجميعُ مَن قَدِمَ عليه مكّةَ من أصحابه من أرض الحَبَشة ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً.

فكان مَن دخل منهم بجِوَارٍ، فيمن سُمّي لنا: عثمانُ بن مظعون بن حَبيب الجُمَحيّ، دخل بجِوَارٍ من الوليد بن المغيرة، وأبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال المخزوميّ[1]، دخل بجِوَارٍ من أبي طالب بن عبد المُطَّلِب وكان خالَه؛ أمُّ أبي سَلَمة بَرّةُ بنت عبد المُطَّلِب.

قال ابن إسحاق: فأمّا عثمانُ بن مظعونٍ فإنّ صالح بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن ابن عَوفٍ حدّثني عمَّن حدَّثه عن عثمان؛ قال: لمّا رأى عثمانُ بن مظعونٍ ما فيه أصحابُ رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يَغدُو ويَرُوحُ في أمانٍ من الوليد بن المغيرة، قال: واللهِ إن غُدوِّي ورَوَاحي آمناً بجِوارِ رجلٍ من أهل الشِّرك، وأصحابي وأهلُ ديني يَلقَون من البلاءِ والأذى في الله ما لا يصيبُني، لَنقصٌ كبيرٌ في نفسي، فمَشَى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبدِ شمس، وَفَتْ ذِمّتُك، قد رَدَدتُ إليك جِوارَك، فقال: لِمَ يا ابن أخي، لعلَّه آذاك أحدٌ من قومي، قال: لا، ولكنّي أَرضى بجِوَارِ الله، ولا أريدُ أن أستجيرَ بغيره؟ قال: فانطلِقْ إلى المسجد فارْدُدْ عليَّ جِوَاري علانيَةً كما أجَرتُك علانيَةً، قال: فانطلَقْ، فخرجا حتّى أتيَا المسجدَ، فقال الوليد: هذا عثمانُ قد جاء يَرُدُّ عليَّ جِواري، قال: صَدَق، قد وجدتُه وفيّاً كريمَ الجِوَار، ولكنّي قد أحببتُ أن لا أستجيرَ بغيرِ الله، فقد رَدَدتُ عليه جِوارَه، ثمّ

(١) زاد في (ش١) و(ص) و(م) و(ي): بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

انصَرَفَ عثمانُ ولَبِيدُ بن رَبيعة بن مالك بن جعفر بن كِلَاب في مجلسٍ من قريش يُنشِدُهم، فجلس معهم عثمانُ، فقال لَبِيد:

ألَا كلُّ شيءٍ ما خَلَا اللهَ باطِلُ

قال عثمان: صَدَقتَ، قال لَبِيد:

وكلُّ نَعيمٍ لا مَحالةَ زائِلُ

قال عثمان: كذبتَ، نعيمُ الجنة لا يزولُ، قال لَبِيد بن رَبيعة: يا معشرَ قريش، والله ما كان يُؤذَى جليسُكم، فمتى حَدَثَ هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إنّ هذا سَفيهٌ في سُفهاءَ معه قد فارَقُوا دينَنا، فلا تَجِدَنَّ في نفسك من قوله، فرَدَّ عليه عثمانُ حتّى شَرِيَ أمرُهما[1]، فقام إليه ذلك الرجل فلَطَمَ عينَه فخَضَّرَها[2]، والوليدُ بن المغيرة قريبٌ يرى ما بُلِغَ من عثمان، فقال: أمَا واللهِ يا ابن أخي إن كانت عينُك عمّا أصابها لغَنيّةٌ، ولقد كنتَ في ذِمّة مَنيعة، قال: يقول عثمان: بل واللهِ إنّ عيني الصَّحيحةَ لفقيرةٌ إلى مثلِ ما أصاب أختَها في الله، وإنّي لفي جِوَارِ مَن هو أعزُّ منك وأقدرُ يا أبا عبد شمس، فقال له الوليد: هَلُمَّ يا ابن أخي إن شئتَ إلى جوارِك فعُدْ، فقال: لا[3].

(١) أي: تزايد وتعاظم بينهما.

(٢) أي: اسودَّ ما حولها من الضرب، والعربُ تطلق الخضرةَ على السواد.

(٣) هذا خبر قويٌّ وإن روي مرسلاً لشُهرته عند من روى المغازي كعروة بن الزبير وابن شهاب الزهريّ وموسى بن عقبة كما سيأتي، وصالح بن إبراهيم شيخُ ابن إسحاق فيه ثقةٌ من صغار التابعين.

والخبر في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق في «سيرته» ص١٧٨-١٧٩، ورواه عن ابن إسحاق أيضاً إبراهيمُ بن سعد عند أبي نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ١٠٣-١٠٤.

ورواه أيضاً عروةُ بن الزبير كما في «المعجم الكبير» للطبراني ٩/ ٢٣-٢٤، وابن شهاب كما =

قال ابن إسحاق: وأمّا أبو سَلَمة بن عبد الأسَد، فحدَّثني أبي إسحاقُ بن يَسارٍ، عن سَلَمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سَلَمة أنه حدَّثه: أنّ أبا سَلَمة لمّا استجارَ بأبي طالبٍ، مشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا له: يا أبا طالب، هذا مَنَعتَ منّا ابنَ أخيك محمّداً، فما لك ولصاحبِنا تَمنَعُه منّا؟ قال: إنّه استجارَ بي، وهو ابن أُختي، وإن أنا لم أمنَعِ ابنَ أختي لم أمنَعِ ابنَ أخي، فقام أبو لهبٍ فقال: يا معشرَ قريش، واللهِ لقد أكثَرتُم على هذا الشَّيخ، ما تزالون تَوَثَّبُون عليه في جِوَاره من بين قومه، واللهِ لتَنتَهُنَّ عنه أو لنقومَنَّ معه في كلِّ ما قام فيه، حتّى يَبلُغَ ما أراد، قال: فقالوا: بل ننصرفُ عمّا تكرهُ يا أبا عُتْبة؛ وكان لهم وليّاً وناصراً على رسول الله ﷺ، فأبقَوْا على ذلك، فطَمِعَ فيه أبو طالبٍ حين سمعه يقول ما يقول، ورَجَا أن يقومَ معه في شأن رسول الله ﷺ، فقال أبو طالبٍ يُحرِّضُ أبا لهبٍ على نُصرتِه ونُصرةِ رسول الله ﷺ:

وإنَّ[1] امـرَأً أبـو عُتَيبـةَ عمُّـهُ ... لَفي رَوضةٍ ما إنْ يُسامُ المَظالِما[2]

أقـولُ لـه، وأيـنَ منـه نصـيحتي ... أبـا مُعتِـبٍ ثَبِّـتْ سَـوادَكَ قائمـا[3]

ولا تَقبَلَنَّ الدَّهرَ ما عشتَ خُطّةً ... تُسَـبُّ بهـا إمّـا هَبَطـتَ المَواسِـما[4]

= في «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤٩١٥)، وموسى بن عقبة في كتاب «المغازي» كما في «دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٢٩١-٢٩٣.

(١) الواو من (ي)، وبذلك يستقيم وزن الشِّعر، وسقطت من بقية النسخ فصار فيه ما يُسمَّى بالخَرْم.

(٢) أي: هو في عزٍّ ومَنَعة ـ وعبّر عنها بالروضة ـ إذا أُريد به مَظلِمة.

(٣) السواد هنا: الشخص، ومعنى «ثبِّت سوادك»: كثِّر قومك ولا تقلِّلهم بفراقك لهم.

(٤) الخُطّة: الأمر والحال. والمواسم: جمع المَوسِم، وهو الاجتماع في مواطن الحج =

وولِّ سبيلَ العَجزِ غيرَك منهمُ ... فإنّك لم تُخلَقْ على العَجزِ لازِما

وحارِبْ فإنَّ الحربَ نِصفٌ ولن ترَى ... أخا الحربِ يُعطِي الخَسْفَ حتّى يُسالِما[1]

وكيف ولم يَجْنُوا عليكَ عظيمةً ... ولم يَخذُلوكَ غانماً أو مُغارِما

جَزَى اللهُ عنّا عبدَ شمسٍ ونَوفلاً ... وتَيْماً ومخزوماً عُقوقاً ومَأثَما

بتفريقِهِمْ من بعدِ وُدٍّ وأُلْفةٍ ... جَماعتَنا كَيْما يَنالُوا المَحارِما

كَذَبتُم وبيتِ اللهِ نُبزَى محمَّداً ... ولَمّا تَرَوا يوماً لَدَى الشِّعبِ قاتِما[2]

قال[3] ابن هشام: وبقي منها بيتٌ تَركناه.

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصِّدّيق ـ كما حدّثني محمّد بن مُسلِم الزُّهْريّ، عن عُرْوة، عن عائشة ـ حين ضاقت عليه مكّةُ وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهُرِ قريشٍ على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، قد استأذَنَ رسولَ الله ﷺ في الهجرة فأَذِنَ له.

فخرج أبو بكر مهاجراً، حتّى إذا سارَ من مكّة يوماً أو يومين لَقِيَه ابنُ الدُّغُنّة،

= المشهورة، وقد تكون المواسم عندهم الاجتماع في أسواقهم المشهورة التي يجتمعون فيها كلَّ عام مثل عُكاظ ومَجَنّة وأشباههما. وإمّا هنا هي الشَّرطيّة، وفي الكلام تقديم وتأخير.

(١) النّصف، مثلَّث النون: الإنصاف، أي: أن الحرب سبب لانتصاف الإنسان من أعدائه. والخسف: الذُّل، يريد: من هو صاحب حربٍ يصبر عليها لا يذلُّ ولا يخضع إلّا أن يسالمه خصومه فلا يعتدي عليهم.

(٢) قاتماً، أي: مسوداً من كثرة الغبار الذي ستثيره الحرب إن وقعت. ونُبزَى محمّداً، أي: نُقهَر ونُغلَب عليه.

(٣) قبله في (ش١): قال ابن هشام: نُبزى محمداً: نُسلَب، وفي (ق١): قال ابن هشام: نُبزي: نُسلِم.

أخو بني الحارث بن عبد مَنَاة[1] بن كِنانة، وهو يومئذٍ سيّدُ الأحابيش.

قال ابن إسحاق: والأحابيشُ: بنو الحارث بن عبد مَنَاة بن كِنانة، والهُون بن خُزَيمة بن مُدرِكة، وبنو المُصطلِق من خُزَاعة.

قال ابن هشام: تَحالَفوا جميعاً فسُمُّوا الأحابيشَ للحِلْف[2].

ويقال: ابن الدُّغَيْنة.

قال ابن إسحاق: حدّثني الزُّهْريّ، عن عُرْوة بن الزُّبير، عن عائشة قالت: فقال ابن الدُّغُنّة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرَجَني قومي، وآذَوْني وضيَّقوا عليَّ، قال: ولِمَ؟! فواللهِ إنّك لتَزينُ العَشيرةَ، وتُعِينُ على النَّوائب، وتفعلُ المعروف، وتَكسِبُ

---

(١) في (ت) و(ي): الحارث بن بكر بن عبد مناة، بزيادة بكر، وهو خطأ، فالحارث وبكرٌ أخوان، كلاهما ابنُ عبد مناة بن كنانة.

وقوله هنا في ابن الدُّغُنّة: أخو بني الحارث، تجوُّز وليس على حقيقته، إنما هو حليفٌ لهم، فإنه كان سيّدَ القارَةِ، وهم بطون من الهُوْن بن خُزيمة، والهُون وكِنانة أخوان، كلاهما ابن خزيمة ابن مُدرِكة بن الياس بن مضر.

وقول ابن إسحاق في روايته هنا عن الزهريِّ: حتى إذا سار ـ يعني أبا بكر ـ من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدُّغنّة، مخالفٌ لروايةِ معمر عن الزهريِّ عند أحمد (٢٥٦٢٦) وابن حبان (٦٨٦٨)، وروايةِ عُقيل بن خالد ويونس بن يزيد عنه عند البخاريّ (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥): أن ابن الدُّغنّة هذا لقي أبا بكر في بَرْك الغِماد؛ وهذه الروايات أصحُّ وأثبتُ.

وبَركُ الغِماد هذه تبعد عن مكة ما لا يقلُّ عن مسير سبعة أيام، بما يعادل ٤٥٠ كم تقريباً، وتقع جنوب مكة على ساحل البحر الأحمر، وهي المعروفة اليوم بالبِرْك.

(٢) والتحبُّش: التجمُّع، والحُبَاشة: الجماعة من الناس.

وأما محمد بن حبيب البغدادي فذكر في «المنمَّق في أخبار قريش» ص٢٢٧: أنهم اجتمعوا عند جبل بأسفل مكة اسمه حُبْشيّ، فتحالفوا عنده، بينه وبين مكة ستّة أميال.

المعدومَ[1]، ارجِعْ فأنت في جِواري. فرَجَعَ معه، حتّى إذا دخل مكّةَ قام ابنُ الدُّغُنّة فقال: يا معشرَ قريش، إنّي قد أجَرتُ ابنَ أبي قُحَافة، فلا يَعرِضَنَّ له أحد إلا بخير. قالت: فكَفُّوا عنه.

قالت: وكان لأبي بكرٍ مسجد عند باب داره في بني جُمَح، فكان يصلّي فيه، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآنَ استُبكِيَ[2]، قالت: فيقف عليه الصِّبيان والعبيد والنساء يَعجَبُون لمَا يَرَونَ من هيئته، قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدُّغُنّة فقالوا: يا ابن الدُّغُنّة، إنّك لم تُجِرْ هذا الرجل ليُؤذيَنا! إنّه رجل إذا صلّى وقرأ ما جاء به محمّد يُرِقُّ، وكانت له هيئةٌ ونَحْوٌ، فنحن نتخوَّف على صِبياننا ونسائنا وضَعَفتِنا أن يَفتِنَهم، فأْتِه فمُرْه أن يدخلَ بيته فليَصنَعْ فيه ما يشاء.

قالت: فمشى ابنُ الدُّغُنّة إليه فقال له: يا أبا بكرٍ، إنّي لم أُجِرْك لتُؤذيَ قومك، إنّهم قد كَرِهوا مكانَك الّذي أنت به وتأذَّوْا بذلك منك، فادخُلْ بيتك فاصنَعْ فيه ما أحببت، قال: أَوْ أَرُدَّ عليك جِوارَك وأرضى بجِوارِ الله، قال: فارْدُدْ عليَّ جِواري، قال: قد رَدَدتُه عليك.

قال: فقام ابنُ الدُّغُنّة فقال: يا معشرَ قريش، إنّ ابنَ أبي قُحَافة قد رَدَّ عليَّ

---

(١) في (ش١) و(ق١) و(ي): المُعدِم. والمُعدِم: هو الفقير، أما المعدوم: فهو ما لا يوجد عندك.

قال السهيليُّ في «الروض الأنف» ٣/ ٣٥٢: قوله لأبي بكر: إنك لتَكسِب المعدومَ، يقال: كَسَبتُ الرجلَ مالاً، فتعدِّيه إلى مفعولين، هذا قول الأصمعيّ، وحكى غيره: أَكسَبتُه مالاً، فمعنى تَكسِبُ المعدومَ، أي: تَكسِب غيرَك ما هو معدوم عنده.

والنوائب: جمع نائبة، وهي ما يَنُوب الإنسان، أي: ينزل به من المُهمّات والمصائب.

(٢) هكذا قُيّد في أصولنا، والمعنى: أبكاه القرآن.

جِواري، فشأنَكُم بصاحبكم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدُ الرَّحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمّدٍ قال: لَقِيَه سفيهٌ من سفهاءِ قريشٍ وهو عامدٌ إلى الكعبة، فحَثَا على رأسه تراباً، قال: فمَرَّ بأبي بكرٍ الوليدُ بنُ المغيرة أو العاصِ بنُ وائل، قال: فقال أبو بكر: ألا ترى إلى ما يصنعُ هذا السَّفيهُ؟ قال: أنت فعلتَ ذلك بنفسك؛ وهو يقول: أيْ ربِّ، ما أحلَمَك! أيْ ربِّ، ما أحلَمَك! أيْ ربِّ، ما أحلَمَك![2]

أمرُ نقض الصحيفة وأسماءُ من نَقَضَها

أسماءُ الخمسة الساعِينَ في نقض الصحيفة الظالمة: هشامُ بن عمرو العامريّ، زهيرُ بن أبي أُميّة بن المغيرة المخزوميّ، المُطعِم بن عَدِيّ، أبو البَخترِيِّ بن هشام، زَمْعةُ بن الأسود بن المُطَّلِب بن أسَد[3].

قال ابن إسحاق: وبنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِب في مَنزِلهم الّذي تعاقَدَت فيه قريشٌ عليهم في الصَّحيفة الّتي كتبوها، ثمَّ إنّه قام في نَقْض تلك الصحيفة التي تكاتَبَت فيها

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد (٢٥٦٢٦)، والبخاريّ (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥)، وابن حبان (٦٢٧٧) و(٦٨٦٨) من طرق عن الزهريِّ، به.

(٢) مرسلٌ رجاله ثقاتٌ من آل أبي بكر، فالقاسم: هو ابن محمد بن أبي بكر الصِّدّيق، أحد فقهاء المدينة، ولم يدرك جدَّه أبا بكر، لكن مثل هذا كالموصول إذ يرويه آلُ بيت الرجل، وهم أدرى به وبأخباره.

(٣) سردُ هذه الأسماء الخمسة لم يرد في (غ) و(ق١)، وجاء في بقية النسخ.

وسيأتي في شعر أبي طالب الإشارة إلى سهل ابن بيضاء، فعدَّه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣٠٧ من النفر الذين مشوا في نقض الصحيفة.

قريشٌ على بني هاشم وبني المُطَّلِب نفرٌ من قريش، ولم يُبْلِ فيها أحدٌ أحسنَ من بَلاءِ هشام بن عمرو بن رَبيعة[1] بن الحارث بن حُبيِّب بن جَذِيمة[2] بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر بن لُؤيّ، وذلك أنه كان ابنَ أخي نَضْلة بن هاشم بن عبد مَنافٍ لأمِّه، فكان هشامٌ لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شَرَفٍ في قومه، فكان ـ فيما بلغني ـ يأتي بالبعير ـ وبنو هاشم وبنو المُطَّلِب في الشِّعب ـ ليلاً قد أَوقَرَه[3] طعاماً، حتّى إذا أقبَلَ به فَمَ الشِّعبِ خَلَعَ خِطامَه من رأسه ثمّ ضرب على جنبِه، فيَدخُلُ الشِّعبَ عليهم، ويأتي به قد أَوقَرَه بُرّاً[4]، فيفعلُ به مثلَ ذلك.

قال ابن إسحاق: ثمَّ إنّه مشى إلى زهير بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وكانت أمُّه عاتكةَ بنت عبد المُطَّلِب، فقال: يا زهير، أقد رَضِيتَ

---

(١) «بن ربيعة» سقط من (ت) و(غ) و(ق١)، واستدركناه من (ش١) و(ص) و(ي).

(٢) «بن جذيمة» سقط من نسخنا الخطية غير (م) و(ي)، ومنهما استدركناه، وهو الصواب.

وذكرُ نصرٍ في عمود نسب هشام هذا، مخالفٌ للمشهور في كتب الأنساب والتراجم، إذ نصرٌ وجَذيمةُ أُخوان، كلاهما ابن مالك بن حِسْل، وهشام فمن بني جذيمة بن مالك. وانظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص١٦٦ و١٧٠.

وأمّا حبيب، فقد اختُلف في تقييده، فشدّد الياء منه حسان بن ثابت في شعره كما سيأتي على أنه تصغير حَبِيب، وكذلك قيّده ابن حَبيب البغداديّ كما ذكر الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٢/ ٦٢٣، ونقل عن ابن الكلبيّ أنه عنده: حُبَيْب، مخفَّفاً على أنه تصغير حِبٍّ، وكذلك قيّده السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣٦٣.

(٣) أي: حمّله، والوِقْر: الحِمْل على الدابّة من طعام وغيره.

(٤) هكذا في (ت) و(ش١) و(غ) و(م) و(ي): برّاً، بالراء، وفي (ص) و(ق١): بَزّاً، بالزاي، وفي رواية يونس بن بكير للسيرة ص١٦٥: برّاً أو بزّاً، على الشك. والبُرّ: القمح، والبَزّ: الثِّياب.

أن تأكلَ الطعام، وتَلبَسَ الثِّياب، وتَنكِحَ النساء، وأخوالُك حيث قد عَلِمتَ، لا يُباعُون ولا يُبتاعُ منهم، ولا يَنكِحون ولا يُنكَحُ إليهم؟! أمَا إنّي أحلِفُ بالله أن لو كانوا أخوالَ أبي الحَكَم بن هشام، ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاكَ إليه منهم، ما أجابَك إليه أبداً، قال: وَيحَكَ يا هشام، فماذا أصنَعُ؟ إنّما أنا رجلٌ واحد، واللهِ لو كان معي رجلٌ آخرُ لقمتُ في نَقضِها حتّى أنقُضَها، قال: قد وجدتَ رجلاً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أَبغِنا ثالثاً.

فذهب إلى المُطعِم بن عَديّ، فقال له: يا مُطعِمُ، أقد رَضِيتَ أن يَهلِكَ بطنانِ من بني عبد مَنَاف وأنت شاهدٌ على ذلك، موافقٌ لقريشٍ فيه؟! أمَا واللهِ لئن أمكَنتُموهم من هذه، لتَجِدُنَّهم إليها منكم سِراعاً، قال: وَيحَك، فماذا أصنَعُ؟ إنّما أنا رجلٌ واحد، قال: قد وجدتَ ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: أَبغِنا ثالثاً، قال: قد فعلتُ، قال: من هو؟ قال: زهيرُ بن أبي أُميّة، قال: أَبغِنا رابعاً.

فذهب إلى أبي البَختَريِّ بن هشام، فقال له نحواً ممّا قال للمُطعِم بن عَديّ، فقال: وهل من أحدٍ يُعِينُ على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زهيرُ بن أبي أُميّة، والمُطعِم بن عَديّ، وأنا معك، قال: أَبغِنا خامساً.

فذهب إلى زَمْعة بن الأسود بن المُطَّلِب بن أسَد فكلَّمه وذَكَرَ له قَرَابتَهم وحقَّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الّذي تَدعُوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثمّ سمَّى له القوم.

فاتَّعَدُوا خَطْمَ الحَجُون[1] ليلاً بأعلى مكّة، فاجتمعوا هنالك، فأجمَعُوا أمرَهم وتَعاهَدوا[2] على القيام في الصَّحيفة حتّى يَنقُضوها، وقال زهير: أنا أبدَؤُكم فأكونُ

(١) الحَجُون: جبل مشرف على مكّة من جهة الشمال الشرقيّ، وخَطْمه: مُقدَّمه.

(٢) في (ت) ونسخة على حاشيتَي (ص) و(م): وتعاقدوا. وهما بمعنًى.

أوّلَ من يَتكلَّم.

فلمّا أصبَحُوا غَدَوْا إلى أنديتِهم، وغَدَا زهيرُ بن أبي أُميّة عليه حُلّة، فطاف بالبيت سبعاً، ثمّ أقبل على الناس فقال: يا أهلَ مكّة، أنأكُلُ الطعامَ ونَلبَسُ الثِّياب، وبنو هاشمٍ هَلْكى لا يُباعُون ولا يُبتاعُ منهم، واللهِ لا أقعُدُ حتّى تُشَقَّ هذه الصّحيفة القاطعة الظالمة، قال أبو جهلٍ ـ وكان في ناحية المسجد ـ: كذبتَ واللهِ لا تُشَقُّ، قال زَمْعةُ بن الأسود: أنت واللهِ أكذبُ، ما رَضِينا كِتابَها حيث كُتِبَت، قال أبو البَخترَيّ: صَدَقَ زَمْعةُ، لا نرضى ما كُتِبَ فيها ولا نُقِرُّ به، قال المُطعِم بن عَديّ: صدقتُما وكَذَبَ من قال غيرَ ذلك، نَبْرأُ إلى الله منها وممّا كُتِبَ فيها، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك، قال أبو جهل: هذا أمرٌ قُضِيَ بلَيلٍ، تُشُوورَ فيه بغير هذا المكان، وأبو طالبٍ جالسٌ في ناحية المسجد، فقام المُطعِمُ إلى الصَّحيفة ليَشُقَّها، فوَجَدَ الأَرَضَةَ[1] قد أكلتها إلّا باسمِك اللّهمَّ.

وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عِكْرمة[2]، فشَلَّتْ يدُه فيما يَزعُمون.

قال ابن هشام: وذكر بعضُ أهل العلم: أنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: «يا عمِّ، إنَّ ربِّيَ اللهَ قد سَلَّطَ الأَرَضَةَ على صحيفةِ قريشٍ، فلم تَدَعْ فيها اسماً هو لله إلّا أثبَتَتهُ فيها، ونَفَتْ منها الظُّلمَ والقَطِيعةَ والبُهتان[3]» فقال: أربُّك أخبَرَك بهذا؟ قال:

---

(١) الأَرَضة: دُويبّة كالنمل تتغذّى على مادّة السليلوز في الخشب.

(٢) وهو من بني عبد الدار بن قصيّ كما تقدم في بداية الكلام على أمر الشِّعب والصحيفة.

(٣) هكذا وقع لابن هشام، ووقع لابن إسحاق كما في رواية يونس بن بكير عنه في «السيرة» ص١٦١ ـ ومن طريقه رواه البيهقيُّ في «دلائل النبوة» ٢/ ٣١٥ ـ عكس ذلك، ففيها: أنّ الأرضة لم تدع فيها اسماً هو لله عز وجل إلا أكلته، وبقي فيها الظلمُ والقطيعة والبهتان. قلنا: ولم نقع على هذا الخبر مُسنَداً عند غيرهما، لكن وقعت الإشارة إليه في رواية موسى بن عقبة عن =

«نَعَم» قال: فواللهِ ما يَدخُل عليك أحدٌ. ثمَّ خرج إلى قريش فقال: يا معشرَ قريش، إنَّ ابنَ أخي أخبرني بكذا وكذا، فهَلُمَّ صحيفتَكم، فإن كانت كما قال[1]، فانتَهُوا عن قَطيعتِنا وانزِلُوا عمّا فيها، وإن كان كاذباً، دَفَعتُ إليكم ابنَ أخي، فقال القوم: رَضِينا، فتعاقَدُوا على ذلك، ثمّ نَظَرُوا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شرّاً. فعند ذلك صَنَعَ الرَّهطُ من قريش في نَقْض الصحيفة ما صَنَعوا.

قال ابن إسحاق: فلمّا مُزِّقَت الصحيفةُ وبَطَلَ ما فيها، قال أبو طالبٍ فيما كان من أمر أولئك القوم الّذين قاموا في نقضِها يَمدَحُهم:

ألَا هل أتى بَحرِيَّنا صُنعُ ربِّنا ... على نأْيِهم واللهُ بالنّاسِ أَروَدُ[2]
فيُخبِرُهم أنّ الصحيفةَ مُزِّقَت ... وأنْ كلُّ ما لم يَرضَهُ اللهُ مُفسَدُ
تَراوَحَها إفكٌ وسِحرٌ مُجمَّعٌ ... ولم يُلفَ سحرٌ آخِرَ الدّهرِ يَصعَدُ[3]
تَداعَى لها مَن ليس فيها بقَرْقَرٍ ... فطائرُها في رأسِها يَتَردّدُ[4]
وكانت كِفاءً وَقْعةٌ بأَثِيمةٍ ... ليُقطَعَ منها ساعدٌ ومُقلَّدُ[5]

= الزهري كما في «الدلائل» ٢/ ٣١٢.

(١) في (ق١): كما قال ابن أخي.

(٢) البحريُّ هنا يريد به مَن كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر، نسبهم إلى البحر لركوبهم إيّاه. والنّأي: البُعْد. وأروَدُ معناه: أرفَقُ.

(٣) تراوَحَها، أي: تعاقب عليها، يريد: اجتمع على هذه الصحيفة. وإفك: كذب وبهتان. ويُلفَ: يوجد.

(٤) ليس فيها بقرقر، أي: ليس بذليل، لأن القرقر: الأرض الموطوءة التي لا تُتعِب سالكَها. وطائرها في رأسها يتردد، أي: حظُّها من الشؤم والشر.

(٥) المقلَّد: العنق، لأنه الموضع الذي تُلبَس فيه القلائد.

ويَظعَنُ أهلُ المكَّتَينِ فيَهرُبوا ... فَرائصُهمْ من خَشْيةِ الشَّرِّ تُرعَدُ[(١)]

ويُترَكُ حَرّاثٌ يُقلِّبُ أمرَهُ ... أيُتهِمُ فيهم عند ذاكَ ويُنجِدُ[(٢)]

وتَصعَدُ بينَ الأخشَبَينِ كَتيبةٌ ... لها حَدَجٌ سَهمٌ وقوسٌ ومِرهَدُ[(٣)]

فمَن يَنسَ[(٤)] من حُضّارِ مكّةَ عِزَّهُ ... فعزَّتُنا في بطنِ مكّةَ أَتلَدُ

نَشأنا بها والناسُ فيها قُليِّلٌ ... فلم نَنفكِكْ نزدادُ خَيراً ونُحمَدُ

ونُطعِمُ حتّى يترُكَ الناسُ فَضْلَهمْ ... إذا جَعَلَت أَيدي المُفيضِينَ تُرعَدُ[(٥)]

جَزَى اللهُ رَهْطاً بالحَجُونِ تتابَعوا ... على مَلأٍ يَهدي لحَزْمٍ ويُرشِدُ[(٦)]

قُعوداً لدى خَطْمِ الحَجُونِ كأنّهمْ ... مَقَاوِلةٌ بل هم أعزُّ وأمجَدُ[(٧)]

---

(١) يَظعَن، أي: يرحل. والفرائص: جمع فَريصة، وهي قطعة لحم في الكتف تُرعَد ـ أي: تَضطرِب ـ عندما يفزع الإنسان.

(٢) حرّاث، أي: مُكتسِب. أيُتهِم، معناها: يأتي تِهامة، وهي ما انخفض من أرض الحجاز، ويُنجِد: يأتي نَجْداً، وهو ما ارتفع من أرض الحجاز.

(٣) هذا البيت ليس في (ت) و(ص) و(ق١).

والأخشبان: جبلا مكّة. والكَتيبة: الجيش. وحَدَجٌ، أي: كَثْرة، وأصل الحَدَج: صغار الحنظل، فشَبّه كثرتهم به. ومِرهَد: رمح ليِّن. قاله أبو ذر الخُشنيّ في «إملائه» ص١٠٨، وانظر «الروض الأنف» للسهيليّ ٣/ ٣٥٩-٣٦٠.

(٤) ينس، بالسين المهملة، من النسيان، وفي (ق١): ينشَ، بالشين، وشرح عليها الخُشنيُّ فقال: أراد يَنشَأ، فحذف الهمزة. قلنا: وعلى هذه الرواية بالشين، فالزاي من عزّه مرفوعة. وأتلدُ، معناه: أقدم وأعرق.

(٥) الفضل هنا: ما زاد من طعامهم لكثرته. والمفيضون: الضاربون بقِداح المَيسِر، وكان لا يُفِيض معهم في الميسر إلا سخيٌّ. وتُرعَد: تضطرب. يريد: أنهم يُطعِمون إذا بَخِل الناسُ.

(٦) الملأ: جماعة الناس وأشرافهم.

(٧) المَقاولة: الملوك بلغة أهل اليمن، واحدها: مِقوَل، لأنه يقول ما شاء فيَنفُذ ما يقوله.

أعـانَ عليهـا كـلُّ صـقرٍ كأنّـهُ إذا ما مشى في رَفرَفِ الدِّرعِ أَحرَدُ[1]
جَريءٌ على جُلِّ الخُطُوبِ كأنّهُ شِهابٌ بكَفَّي قابسٍ يَتوقَّدُ[2]
منَ الأكرَمِينَ من لؤيِّ بنِ غالبٍ إذا سِيمَ خسفاً وجهُه يَتَربّدُ[3]
طويلُ النِّجادِ خارجٌ نصفُ ساقِهِ على وَجهِهِ نُسقَى الغَمامَ ونَسعَدُ[4]
عظيمُ الرَّمادِ سيِّدٌ وابنُ سيِّدٍ يَحُضُّ على مَقرَى الضيوفِ ويَحشُدُ[5]
ويَبني لأبناءِ العشيرةِ صالحاً إذا نحنُ طُفْنا في البلادِ ويَمهَدُ
ألَظَّ بهذا الصُّلحِ[6] كلُّ مُبَرَّأٍ عظيمِ اللِّواءِ أمرُه ثَمَّ يُحمَدُ
قَضَوْا ما قَضَوْا في ليلِهم ثمَّ أصبَحُوا على مَهَلٍ وسائرُ الناسِ رُقَّدُ
هُمُ رَجَعُوا سهلَ ابن بَيضاءَ راضياً[7] وسُرَّ أبو بكرٍ بها ومحمَّدُ
متى شَرِكَ الأقوامُ في جُلِّ أمرِنا[8] وكنّا قديماً قبلَها نُتَوَدَّدُ

---

(١) رفرفُ الدرع: ما فَضَلَ من ذيلها. وأحردُ: بطيء المشي لثقل الدِّرع التي عليه.

(٢) جُلّ الخطوب: معظمها، وفي (ت) و(ق١): جُلَّى، وهو الأمر العظيم. وشِهاب: شعلة من نار. والقابس: الذي يوقد النار.

(٣) سِيمَ: أُريدَ به. خسفاً: ذلاًّ. يتربّد: يتغيّر إلى السواد.

(٤) طويل النِّجاد، أي: حمائل سيفه طويلة. وخارج نصف ساقه، أراد أنه مشمِّر جادٌّ، ولم يرد خروجَ الساق بعينها، انظر «تهذيب اللغة» للأزهريّ ٩/ ١٨٤-١٨٥.

(٥) عظيم الرماد: هي كناية عن الكرم. وعلى مَقرَى الضيوف، يعني: على طعامهم، والقِرَى: ما يصنع للضيف من الطعام.

(٦) أي: ألحَّ عليه ولَزِمَه.

(٧) لم يذكر ابن إسحاق سهلاً سابقاً في النفر الذين مشوا في نقض الصحيفة، وقد عدَّه منهم ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣٠٧ بناءً على ما في شعر أبي طالب هذا المنسوبِ إليه.

(٨) أي: متى شاركَنا - يريد ولد قصيٍّ - غيرُنا في معظم أمورنا.

وكنّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً ... ونُدرِكُ ما شِئنا ولا نَتَشَدَّدُ

فيا لَقُصَيٍّ هل لكمْ في نُفوسِكمْ ... وهل لكمْ فيما يجيءُ به غدُ

فإنّي وإيّاكم كما قال قائلٌ ... لَدَيكَ البَيانُ لو تكلَّمتَ أسوَدُ[1]

وقال حسّان بن ثابت يبكي المُطعِمَ بن عَديٍّ حين مات، ويذكرُ قِيامَه في الصحيفة[2]:

أَعَينِي[3] ألَا ابكي سيّدَ الناسِ واسفَحِي ... بدمعٍ وإن أَنزفتِهِ فاسكُبِي الدَّما

وبَكِّي عظيمَ المَشعَرَينِ كِلَيهِما[4] ... على الناسِ معروفاً له ما تَكلَّما

فلو كان مَجدٌ يُخلِدُ الدهرَ واحداً ... من الناسِ، أبقى مَجدُه اليومَ مُطعِما

أجَرْتَ رسولَ الله منهمْ فأصبَحوا ... عَبيدَكَ ما لبَّى مُهِلٌّ وأحرَما

فلو سُئِلَت عنه مَعَدٌّ بأَسرِها ... وقَحْطانُ أو باقي بقيّةِ جُرهُما

لقالوا: هو المُوفِي بخُفْرةِ جارِهِ[5] ... وذِمّتِهِ يوماً إذا ما تَذمَّما

---

(١) أسود: اسم جبل كان قد قُتِل فيه قتيل، فلم يُعرَف قاتله، فقال أولياءُ المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلاً.

(٢) في (ق١): في نقض الصحيفة.

وانظر «ديوان حسان» ١/ ١٩٩ بتحقيق وليد عرفات.

(٣) هكذا في (غ)، وفي (ت) و(ش١) و(ص) و(م) و(ي): عيني، بلا ألف، وفيه خَرْم، وفي (ق١): أيا عين فابكي سيّد القوم.

ومعنى اسفحي: أَسيلي. وأنزفتِه، أي: أنفدتِه.

(٤) المشعران: مِنى ومُزدلِفة.

(٥) أي: بعهده.

فما تَطلُعُ الشمسُ المُنِيرةُ فوقَهمْ ... على مِثلِه فيهمْ أعزَّ وأعظَما[1]

وآبَى[2] إذا يَأبَى وألْيَنَ شِيمةً ... وأنْوَمَ عن جارٍ إذا اللّيلُ أظلَما

قال ابن هشام: قوله: كِلَيهما، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وأمّا قوله: أجَرْتَ رسولَ الله منهم؛ فإنّ رسول الله ﷺ لمّا انصَرَفَ عن أهل الطائف ولم يُجِيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقِه ونُصرتِه، صار إلى حِراءٍ ثم بَعَثَ إلى الأخنس بن شَرِيق ليُجِيرَه، فقال: أنا حَلِيف، والحليفُ لا يُجِير، فبَعَثَ إلى سُهيل بن عمرو، فقال: إنّ بني عامرٍ لا تُجِير على بني كعب، فبعث إلى المُطعِم ابن عَديٍّ فأجابه إلى ذلك، ثم تَسلَّح المُطعِمُ وأهلُ بيته وخرجوا حتّى أتَوا المسجدَ، ثم بَعَثَ إلى رسول الله ﷺ: أنِ ادخُلْ، فدَخَلَ رسول الله ﷺ فطافَ بالبيت وصلّى عنده، ثمّ انصَرَفَ إلى منزله[3]؛ فذلك يعني حسّانُ.

---

(١) في (ت): وأكرما. وكذا هو في «الديوان».

(٢) في (ش١) و(ص) و(م): وأنأى. وفي «الديوان»: إباءً.

والشِّيمة: الطبيعة والجِبلّة التي خُلق عليها الإنسان. وقوله: أنوم عن جار، يريد: أنه يستر على جاره في ليله إذا رأى منه ما يَعِيب ولا يفضحه.

(٣) هذا الخبر الذي أورده ابن هشام في قصة جِوار المُطعِم للنبيّ ﷺ من غير سندٍ، ذكره سعيد بن يحيى الأُمويّ في «مغازيه» ـ كما في «الرِّقّة والبكاء» لابن قُدامة المقدسي ص١١٨ ـ عن أبيه، عن معروف بن خرَّبُوذ، عن جعفر بن عبد الرَّحمن بن محيصن بن أبي وَدَاعة السَّهميّ مرسلاً.

وكذلك أورده الفاكهيُّ بإسناد حسن مرسل كما قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٩٧.

ولأجل هذه السابقة للمُطعِم بن عديٍّ قال رسول الله ﷺ في أُسارى بدر ـ فيما أخرجه البخاري (٣١٣٩) و(٤٠٢٤) من حديث جُبير بن مُطعِم رضي الله عنه ـ: «لو كان المُطعِمُ بن عَديٍّ حيّاً ثمّ كلَّمَني في هؤلاء النَّتْنى، لتركتُهم له».

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت الأنصاريُّ أيضاً يَمدَحُ هشامَ بن عمرو[1] لقيامِه في الصَّحيفة:

هل يُوفِيَنَّ بنو أُميّةَ ذِمّةً ... عَقْداً كما أَوْفى جِوارُ هشامِ

مِن مَعشَرٍ لا يَغدِرونَ بجارِهِمْ ... لِلحارثِ بن حُبيِّبِ بن سُحَامِ[2]

وإذا بنو حِسْلٍ أَجاروا ذِمَّةً ... أَوفَوْا وأَدَّوْا جارَهمْ بسلامِ

وكان هشامٌ أحدَ سُحَامٍ.

قال ابن هشام: سُخَام.

أمرُ الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسيّ

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ على ما يَرَى من قومه، يَبذُلُ لهم النَّصيحة، ويَدعُوهم إلى النَّجاة ممّا هم فيه، وجَعَلَت قريشٌ - حين مَنَعَه اللهُ منهم - يُحذِّرونَه الناسَ ومن قَدِمَ عليهم من العرب.

فكان الطُّفيلُ بن عمرو الدَّوسيّ يحدِّث: أنّه قَدِمَ مكّة ورسولُ الله ﷺ بها، فمشى إليه رجالٌ من قريش، وكان الطُّفيل رجلاً شريفاً شاعراً لَبيباً، فقالوا له: يا طُفَيل،

---

(١) وقد أسلم هشام بن عمرو هذا، وهو معدود في المؤلَّفة قلوبهم. وانظر «ديوان حسان» ١/ ٥١٤.

(٢) هكذا في (ت) و(غ) و(ق١)، وفي (ص) و(م): شُحَام، بالشين المعجمة، وكذا في (ي) لكن بكسر الشين.

وقد اختُلف في تقييد هذا الاسم ألواناً، فانظر بيانَ ذلك في تعليق الشيخ عبد الرَّحمن المُعلِّميّ اليماني على كتاب «الإكمال» لأبي نصر ابن ماكولا ٢/ ٢٩٥-٢٩٦، وهو لقب لجَذيمة بن مالك جدّ هشام بن عمرو كما ذكر مصعب الزبيريّ في «نسب قريش» ص٤٣٢، وليست أمَّه كما قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ٣٦٣.

إنّك قَدِمتَ بلادَنا، وهذا الرجل الّذي بين أظهُرِنا قد أَعضَلَ بنا[1]، قد فَرَّقَ جماعتَنا، وشَتَّتَ أمرَنا، وإنّما قوله كالسِّحر يُفرِّق بين الرَّجل وبين أبيه، وبين الرّجل وبين أخيه، وبين الرّجل وبين زوجته، وإنّا نخشى عليك وعلى قومِك ما قد دَخَلَ علينا، فلا تُكلِّمَنَّه ولا تَسمَعنَّ منه شيئاً، قال: فوالله ما زالوا بي حتّى أجمَعتُ أن لا أسمعَ منه شيئاً ولا أكلِّمَه، حتّى حَشَوتُ في أُذنَيَّ حين غَدَوتُ إلى المسجد كُرسُفاً[2] فَرَقاً من أن يَبلُغَني شيءٌ من قوله، وأنا لا أريد أن أسمَعَه.

قال: فغَدَوتُ إلى المسجد، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي عند الكعبة، قال: فقمتُ منه قريباً، فأَبى اللهُ إلا أن يُسمِعَني بعضَ قوله، قال: فسمعتُ كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: وا ثُكْلَ أمّي، واللهِ إنّي لرجلٌ لَبيبٌ شاعرٌ، وما يَخفَى عليَّ الحَسَنُ من القبيح، فما يَمنعُني أن أسمعَ من هذا الرّجل ما يقول! فإن كان الّذي يأتي به حسناً قَبِلتُه، وإن كان قبيحاً تركتُه.

قال: فمَكَثتُ حتّى انصَرَفَ رسول الله ﷺ إلى بيته فاتَّبعتُه، حتّى إذا دخل بيتَه دخلتُ عليه، فقلت: يا محمّد، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا؛ لِلّذي قالوا، فوالله ما بَرِحُوا يُخوِّفونني أمرَك حتّى سَدَدتُ أُذنَيَّ بكُرسُفٍ لئلّا أسمعَ قولك، ثمّ أَبى اللهُ إلا أن يُسمِعَني قولك، فسمعتُ قولاً حسناً، فاعرِضْ عليَّ أمرَك، قال: فعَرَضَ عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فلا واللهِ ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه، ولا أمراً أعدلَ منه، قال: فأسلمتُ وشَهِدتُ شهادةَ الحقّ، وقلت: يا نبيَّ الله، إنّي امرُؤٌ مُطاعٌ في قومي، وأنا راجع إليهم فداعِيهِم إلى الإسلام، فادعُ اللهَ أن يجعلَ لي

(١) أي: اشتدَّ أمره فينا وضاقت علينا فيه الحيلة.

(٢) الكُرسف: القطن.

آيةً تكون لي عَوناً عليهم فيما أدعُوهم إليه، فقال: «اللهمَّ اجعَلْ له آيةً».

قال: فخرجتُ إلى قومي، حتّى إذا كنت بثَنِيّةٍ تُطلِعُني على الحاضرِ[1] وَقَعَ نورٌ بين عينيَّ مثلُ المِصباح، قال: فقلت: اللهمَّ في غير وجهي، إنّي أخشى أن يَظنُّوا أنّها مُثْلةٌ وَقَعَت في وجهي لفِراقي دينهم، قال: فتحوَّل فوقع في رأس سَوْطي، قال: فجعل الحاضرُ[2] يَتراءَونَ ذلك النّورَ في سَوطي كالقِنْديل المعلَّق وأنا أَهبِطُ إليهم من الثَّنيّة، قال: حتّى جئتُهم فأصبحتُ فيهم.

قال: فلمّا نزلتُ أتاني أَبي، وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إليك عنّي يا أبتِ، فلستُ منك ولستَ منّي، قال: فلِمَ يا بنيّ؟ قال: قلت: أسلمتُ وتابعتُ دين محمّد، قال: أيْ بنيّ، فدِيني دينُك، قال: فقلت: فاذهبْ فاغتسِلْ وطهِّرْ ثيابك، ثمّ تعالَ حتّى أعلِّمَك ما عُلِّمتُ. قال: فذهب فاغتسل وطهَّر ثيابه، قال: ثمّ جاء فعَرَضتُ عليه الإسلام، فأسلَم.

قال: ثمّ أتَتْني صاحبتي، فقلت: إليكِ عنّي، فلستُ منكِ ولستِ منّي، قالت: لِمَ بأبي أنت وأُمّي؟ قال: قلت: فَرَّقَ بيني وبينكِ الإسلامُ، وتابعتُ دينَ محمّد، قالت: فدِيني دينُك، قال: قلت: فاذهبي إلى حِنَا ذي الشَّرَى - قال ابن هشام: ويقال: حِمَى ذي الشَّرَى - فتطهَّري منه.

قال: وكان ذو الشَّرَى صنماً لدَوْس، وكان الحِنَا حِمًى حَمَوْه له، به وَشَلٌ[3] من ماءٍ يَهبِطُ من جبل.

(١) الحاضر: هم القوم النازلون المقيمون على الماء. والثَّنيّة: الفُرجة بين جبلين، أو الطريق في الجبل.

(٢) في (ت) و(ش١): الحاضرون، وفي (غ): أهل الحاضر.

(٣) الوَشَل: الماء القليل. والحِنَا: الظاهر من كلامه أنه اسم موضع.

قال: قالت: بأبي أنت وأُمّي، أتَخشَى عليَّ الصِّيبةَ[1] من ذي الشَّرَى شيئاً، قال: قلت: لا، أنا ضامنٌ لذلك، قال: فذَهَبَت فاغتَسَلَت، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلامَ، فأسلمَت.

ثم دعوتُ دَوساً إلى الإسلام، فأبطَؤُوا عليَّ، ثم جئتُ رسول الله ﷺ بمكّة، فقلت له: يا نبيَّ الله، إنّه قد غَلَبَني على دَوسٍ الزِّنى[2]، فادعُ الله عليهم، فقال: «اللهمَّ اهدِ دَوساً، ارجِعْ إلى قومِك فادْعُهم وارفُقْ بهم».

قال: فلم أَزَلْ بأرض دوسٍ أدعوهم إلى الإسلام حتّى هاجَرَ رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدرٌ وأحدٌ والخندقُ، ثمّ قَدِمتُ على رسول الله ﷺ بمن أسلمَ معي من قومي، ورسولُ الله ﷺ بخيبر، حتّى نَزَلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثمّ لَحِقْنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهَمَ لنا مع المسلمين، ثمّ لم أَزَلْ مع رسول الله ﷺ حتّى إذا فَتَحَ اللهُ عليه مكّةَ؛ قال: قلت: يا رسول الله، ابعَثْني إلى ذي الكَفَّينِ، صنمِ عمرو بن حُمَمةَ، حتّى أُحرقَه.

قال ابن إسحاق: فخرج إليه، فجعل طُفيلٌ وهو يُوقِدُ عليه النارَ يقول:

---

(١) هكذا في أكثر نسخنا الخطية، بتقديم المثنّاة على الموحَّدة، وأرادت ـ والله أعلم ـ المُصِيبة، وقد جاء في معاجم اللغة: الصابَةُ بمعنى المصيبة، وبعض العرب كانت تُمِيل الألف نحو الياء، فلعلّه من هذا الباب.

وما وقع في بعض النسخ ومطبوعات السيرة وبعض المصادر التي ساقت الخبر بتقديم الباء على الياء، أي: الصبية، فهو تصحيف، والسياق يأباه، والله تعالى أعلم.

(٢) هكذا وقع في نسخنا الخطية غير (ق١)، بالزّاي، وفي (ق١): الرّنا، بالراء، والرَّنا كالرُّنُوّ: وهو لهوٌ مع شغل قلب وبصر وغَلَبة هوى، كما في «القاموس» للفيروزآباديّ، وفي (ش١): الربا.

يا ذا الكَفَينِ[1] لستُ من عُبّادِكا   مِيلادُنـا أقـدَمُ مـن مِيلادِكـا
إنِّـي حَشَـوتُ النّـارَ في فُؤادِكـا

قال: ثمّ رجع إلى رسول الله ﷺ، فكان معه بالمدينة حتّى قَبَضَ اللهُ رسولَه ﷺ.

فلمّا ارتدَّتِ العربُ خرج مع المسلمين، فسار معهم حتّى فَرَغُوا من طُلَيحة[2] ومن أرض نجدٍ كلِّها، ثمّ سار مع المسلمين إلى اليَمَامة، ومعه ابنُه عمرُو بن الطُّفيل، فرأى رُؤْيا وهو موجَّهٌ إلى اليَمَامة، فقال لأصحابه: إنّي قد رأيت رؤيا فاعبُروها لي، رأيتُ أنّ رأسي حُلِقَ، وأنّه خرج من فمي طائر، وأنّه لَقِيَتني امرأة فأدخلتني في فَرْجها، وأرى ابني يَطلُبني طلباً حَثيثاً ثمّ رأيته حُبِسَ عنّي، قالوا: خيراً، قال: أمّا أنا واللهِ فقد أوّلتُها، قالوا: ماذا؟ قال: أمّا حلقُ رأسي فوَضْعُه، وأمّا الطائرُ الذي خرج من فمي فرُوحِي، وأمّا المرأة التي أدخلتني في فَرْجها فالأرضُ تُحفَر لي فأُغيَّبُ فيها، وأمّا طلبُ ابني إيّاي ثمّ حبسُه عنّي، فإنّي أُراه سيَجهَدُ أن يُصيبَه ما أصابني[3].

---

(١) قال السهيليّ في «الروض» ٣/ ٣٧٦: أراد: الكفَّين بالتشديد، فخفّف للضرورة. ثم ذكر أن الشيخ أبا بحر الأسديّ كان يرى التخفيف في غير الشِّعر أيضاً.

(٢) يعني طُليحة بن خُوَيلد الأسديّ، أسد خُزيمة، وكان ارتدَّ ثم رجع إلى الإسلام بعد وفاة أبي بكر، واستُشهد بنهاوند في خلافة عمر، انظر «سير أعلام النبلاء» ١/ ٣١٦-٣١٧.

(٣) خبر الطفيل بطوله لم يسنده ابن إسحاق فيما رواه عنه زياد البكّائيُّ هنا، ولا فيما رواه عنه إبراهيمُ بن سعد الزهريّ عند أبي نعيم في «دلائل النبوة» (١٩١) و«معرفة الصحابة» (٣٩٥٢)، وسلمةُ بن الفضل الأبرش عند البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٦٠-٣٦٣ وقوام السنّة الأصبهاني في «الدلائل» أيضاً (٢٩٥).

وانفرد ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٣٦٤-٣٦٦ فذكر لابن إسحاق فيه إسناداً مرسلاً، فقال: ذكره ابن إسحاق عن عثمان بن الحويرث عن صالح بن كَيسان عن الطفيل بن عمرو، =

فقُتِل رحمه الله شهيداً باليَمَامة، وجُرِحَ ابنُه جِراحةً شديدة، ثم استَبَلَّ[1] منها، ثم قُتِل عامَ اليرموك في زمن عمر شهيداً.

أمرُ أعشى بني قيس بن ثَعلَبة

قال ابن هشام: حدّثني خَلّاد بن قُرَّة بن خالدٍ السَّدُوسيّ وغيرُه من مشايخ بَكْر ابن وائلٍ من أهل العِلم: أنّ أعشى بني قيس بن ثَعلَبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ ابن بكر بن وائلٍ خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يَمدَحُ رسولَ الله ﷺ:

ألـم تغـتَمِضْ عَينـاكَ ليلـةَ أرمَـدَا وبِـتَّ كمـا بـاتَ السَّـليمُ مُسـهَّدا[2]

= وساقه بطوله. وعثمان هذا لم نقف له على ترجمة، وأمّا صالح فتابعيٌّ ثقة من موالي دَوسٍ، إلا أنه لم يدرك الطفيل.

وقد أورد نحو هذا الخبر محمد بن سعد في «الطبقات» ٤/ ٢٢٣-٢٢٦ عن عبد الواحد بن أبي عون الدَّوسي قال: كان الطفيل بن عمرو الدَّوسي رجلاً شريفاً شاعراً، وذكر الخبر بتمامه. وعبد الواحد هذا لا بأس به، إلا أنه من أتباع التابعين، فخبره مُعضَل، وفي الإسناد إليه محمد بن عمر الواقديُّ، وفيه عند المحدّثين مقال كثير.

وقد أُسند من الخبر دعاءُ النبيّ ﷺ لدوسٍ بالهداية، فقد أخرج البخاري (٢٩٣٧) و(٤٣٩٢) و(٦٣٩٧) ومسلم (٢٥٢٤) من حديث أبي هريرة قال: قدم الطُّفيل بن عمرو على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن دَوساً قد عَصَت وأبَتْ، فادعُ الله عليها، فظنَّ الناس أنه يدعو عليهم، فقال: «اللهمَّ اهدِ دوساً وأْتِ بهم».

(١) أي: أفاق وشُفِي.

(٢) الأرمد: من تهيّجت عينُه وانتفخت. والسليم: اللَّديغ. والمسهَّد: من جافى النومُ عينيه.

وقوله: ليلةَ أرمدا، قال السهليّ في «الروض» ٣/ ٣٨٠: لم ينصب ليلة على الظرف؛ لأن ذلك يُفسِد معنى البيت، ولكن أراد المصدرَ فحذفه، والمعنى: اغتماضَ ليلةِ أرمدَ، فحذف المضاف إلى الليلة وأقامها مقامَه، فصار إعرابها كإعرابه. وانظر «الخصائص» لابن جِنّي ٣/ ٣٢٣، فقد =

ومـا ذاكَ مـن عِشـقِ النِّسـاءِ وإنّمـا تناسَيتَ قبلَ اليومِ خُلّةَ[1] مَهْدَدا

ولكنْ أَرى الدَّهرَ الذي هو خائنٌ[2] إذا أصلحَتْ كفَّايَ عادَ فأفسَدا

كُهـولاً وشُـبّاناً فَقَـدتُ وثـروةً فللّـهِ هـذا الـدّهرُ كيـف تَـردَّدا

ومـا زلـتُ أَبغـي المـالَ مُـذْ أنـا يـافعٌ وَليـداً وكَهـلاً حيـن شِـبتُ وأمـرَدا[3]

وأبتَـذِلُ العِـيسَ المَراقيـلَ تَغتَلـي مسـافةَ مـا بـينَ النُّجَيـرِ فصَـرْخَدا[4]

ألا أيُّهـذا السـائلِي أيـن يَمَّمَـت[5] فـإنّ لهـا في أهـلِ يَثْـرِبَ مَوعِـدا

فـإنْ تَسـأَلي عنّـي فيـا رُبَّ سـائلٍ حَفِيٍّ عن الأَعشى به حيثُ أَصعَدا[6]

= نقل هذا الإعراب عن شيخه أبي عليٍّ الفارسيِّ وأقرَّه.

(١) هكذا في (ت) والنسخ الحاضرة عند السهيليّ والخُشنيّ، وهي كذلك في «ديوان الأعشى» ١/ ٣٣٥، وفي سائر نسخنا الخطية: صحبةَ، وهما بمعنًى.

ومَهدَدُ: اسم امرأة، وهي معشوقة الأعشى.

(٢) يقول: لم يكن سهرك من عشق النساء، ولكنّما كان لطوارق الدهر الخَؤون ونوائبه.

(٣) اليافع من الفِتيان: الذي قارب زمن الاحتلام، والأمرد: الذي لم تنبت لحيته.

(٤) العِيس: الإبل. والمراقيل: من الإرقال، وهو السرعة في السَّير. وتغتلي، أي: يزيد بعضها على بعض في السير.

والنجير: حصن بحضرموت من اليمن، وهو اليوم بقايا أطلال. وصرخد: مدينة بالشام تقع شرق بُصرَى وجنوب السُّويداء في جبل الدروز، وتدعى اليوم صلخد بإبدال الراء لاماً، حظيت بأهمّيَّة في عصر الإمبراطوريّة الرومانيّة، وفيها الكثير من آثارهم وآثار مهمّة تعود إلى عصور مختلفة منها العهد الأيُّوبيّ. والأعشى يدلّل ببعد المسافة بين حضرموت والشام في هذا البيت على كثرة سفراته.

(٥) أي: قَصَدَت، يعني العِيسَ.

(٦) حفيّ، أي: مبالِغ في السؤال. وأَصعَد: ذهبَ.

أجـدَّتْ بـرِجلَيهـا النَّجَـاءَ وراجَعَـت	يـداها خِنافـاً لَيِّنـاً غيـرَ أَحـرَدا[1]
وفيهـا إذا مـا هجَّـرَت عَجرَفيّـةٌ	إذا خِلـتَ حِربـاءَ الظَّهيـرةِ أصْـيَدا[2]
وأمّـا إذا مـا أدلَجَـت فتَـرَى لهـا	رَقِيبَـينِ جَـدْياً مـا يَغيـبُ وفَرقَـدا[3]
وآليـتُ لا آوِي لهـا مـن كَلالـةٍ	ولا من حَفًى حتّى تُلاقِي محمَّـدا[4]
متى ما تُناخِي عندَ بابِ ابنِ هاشمٍ	تُراحِـي وتَلقَـيْ مـن فواضِلِه نَـدَى[5]
نبيّـاً يَـرى مـا لا تَـرَونَ وذِكـرُه	أغـارَ لَعَمـري في الـبلادِ وأَنجَـدا[6]
لـه صَـدَقاتٌ مـا تُغِـبُّ ونائـلٌ	ولـيس عطـاءُ اليـومِ مانِعَـه غَـدا[7]

(١) النَّجاء: السرعة. والخِناف: أن تلوي يديها في السير من النشاط. والأحرد: الذي لا ينبعث في المشي كأنّه مربوط.

(٢) هجَّرت: مشت في الهاجرة، وهو وقت اشتداد الحرّ نصف النهار. وعجرفية، معناه: جفاء وتخليط في المشي. والحِرباء: دُوَيبّة أكبر من العَظاءة تعلو أعلى الشجر وتستقبل الشمس بوجهها حيث دارت. والأصْيَد: الذي لا يلوي عنقه تكبُّراً أو من داء أصابه.

(٣) هذا البيت ليس في (ت) و(ق١)، وهو ثابت في سائر نسخنا الخطية، وكذلك هو ثابت في «الديوان».

والإدلاج: السير في الليل. والجَدْي: نجم إلى جنب القطب الشمالي يدور مع بنات نعش وتُعرَف به القِبلة، والفرقد: نجم قريب من القطب يُهتَدى به.

(٤) آليتُ: حلفتُ. وقوله: لا آوي لها من كلالة، أي: لا أَرِقُّ لها من تعب، يقال: آويتُ للضعيف إيّةً ومَأوِيَةً، أي: أَرثي له وأَرِق. وفي «الديوان» و«جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشيّ ص٨٠: وآليتُ لا أَرثي لها. والحَفَا: رقّة القدم والحافر والخف من كثرة المشي.

(٥) تُراحي، أي: تُريحي. والندى: الجود.

(٦) أغار، أي: بلغ الغَور، وهو ما انخفض من الأرض، وأَنجد: بلغ النَّجْد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٧) ما تُغِب، أي: لا تقلّ ولا تنقص. والنائل: العطاء. وقوله: وليس عطاء اليوم مانعه غدا، =

أجِـدَّكَ[1] لـم تَسـمعْ وَصـاةَ محمّـدٍ نبـيِّ الإلـهِ حيـث أَوصـى وأشـهَدَا

إذا أنـت لـم تَرحَـلْ بـزادٍ مـن التُّقـى ولاقَيتَ بعـد المـوتِ مـن قـد تَـزوَّدا

نَـدِمتَ علـى أن لا تكـونَ كمِثلِـهِ فتُرصِـدَ للأمـرِ الّـذي كـان أرصَـدا[2]

فإيّـاكَ والمَيْتـاتِ لا تَقرَبَنَّهـا ولا تأخُـذَنْ سـهماً حَديـداً لتَفصِـدا[3]

وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنسُكَنَّهُ[4] ولا تَعبُـدِ الأوثـانَ واللهَ فاعبُـدا

ولا تَقـرَبنَّ جـارةً[5] كـان سِـرُّها عليـكَ حرامـاً فـانكِحَنْ أو تأبَّـدا

وذا الـرَّحِمِ القُربَـى فـلا تَقطَعنَّـهُ لعاقبـةٍ ولا الأسـيرَ المُقيَّـدا

وسبِّحْ على حينِ العَشيّاتِ والضُّحى ولا تَحمَـدِ الشـيطانَ واللهَ فاحمَـدا

ولا تَسخَرنْ من بائسٍ ذي ضَرارةٍ[6] ولا تَحسَـبَنَّ المـالَ للمَـرءِ مُخلِـدا

فلمّا كان بمكّة أو قريباً منها، اعترضه بعضُ المشركين من قريش فسأله عن أمره، فأخبره أنّه جاء يريدُ رسولَ الله ﷺ ليُسلِم، فقال له: يا أبا بَصِير، إنّه يحرِّم الزِّنى، فقال الأعشى: واللهِ إنّ ذلك لأمرٌ ما لي فيه من أَرَبٍ[7]، فقال له: يا أبا بَصِير، فإنّه

= أي: ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعاً له غداً من أن يُعطيَه.

(١) أي: أحقّاً تقول.

(٢) أرصد: أعدَّ.

(٣) الفَصْد: شقُّ الجلد لاستخراج الدم، وكأنه يريد استخراجه من بعض البهائم وهي حيّة ثم شربه، وهذا من الدم المسفوح الذي حرّمه الله تعالى.

(٤) أي: وهذا النُّصب، وهو الصنم. لا تنسكنّه، أي: لا تذبح عنده، والنَّسيكة: الذّبيحة.

(٥) في (ت) و(ش١) و(غ) و(ق١): حُرّة.

والسرّ هنا: فرج المرأة. وقوله: تأبّدا، أي: ابتعد عنها ولا تقربها، ومنه قيل للوحوش: أوابد.

(٦) أي: مسّه الضُّر.

(٧) أي: حاجة.

يحرِّم الخمر، فقال الأعشى: أمّا هذه فواللهِ إنّ في النفس منها لعُلَالات[1]، ولكنّي منصرفٌ فأتروَّى منها عامي هذا، ثم آتيه فأُسلِم. فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يَعُدْ إلى رسول الله ﷺ[2].

قال ابن إسحاق: وقد كان عدوُّ الله أبو جهلٍ مع عداوته رسولَ الله ﷺ وبُغضِه إيّاه وشدَّتِه عليه، يُذِلُّه اللهُ له إذا رآه.

أمرُ الإراشيّ الذي باع أبا جهل إبلَه والمُعجِزُ في ذلك

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثَّقَفيّ، وكان واعيةً، قال: قَدِمَ رجل من إرَاش[3] ـ قال ابن هشام: ويقال: إراشة ـ بإبلٍ له مكّة، فابتاعها منه أبو جهل فمَطَلَه بأثمانها، فأقبل الإراشيُّ حتّى وَقَفَ على نادٍ من قريش، ورسولُ الله ﷺ في ناحية المسجد جالسٌ فقال: يا معشرَ قريش، مَن رجلٌ يُؤْدِيني[4]

---

(١) جمع عُلالة: وهي البقيّة من قوّة كل شيء.

(٢) تعقّب السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣٧٨-٣٨٠ هذه الحكاية فقال: هذه غفلةٌ من ابن هشام ومَن قال بقوله، فإنّ الناس مُجمِعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدرٌ وأُحد، وحُرِّمت في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل.

ثم قال: فإن صحَّ خبر الأعشى وما ذُكر له في الخمر، فلم يكن هذا بمكّة، وإنّما كان بالمدينة، ويكون القائل له: أما علمتَ أنه يحرِّم الخمر، من المنافقين أو من اليهود، فالله أعلم، وفي القصيدة ما يدلّ على هذا قولُه: فإن لها في أهل يثرب مَوعِدا، وقد ألفيتُ للقالي روايةً عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة قال: لقي الأعشى عامرُ بن الطُّفيل في بلاد قيسٍ وهو مُقبِلٌ إلى رسول الله ﷺ، فذكر له أنه يحرِّم الخمر، فرجع، فهذا أَولى بالصواب.

(٣) وإراش هذا أبو أنمار الذي ولدَ خثعم وبجيلة، وهو إراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهلان بن سبأ، من اليمن. انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص٣٨٧.

(٤) أي: يعينني، يقال: آداه على كذا يُؤْديه إيداءً، إذا قوّاه عليه وأعانه.

على أبي الحَكَم بن هشام؟ فإنّي رجلٌ غريبٌ ابنُ سَبيل، وقد غَلَبَني على حقّي، قال: فقال له أهلُ ذلك المَجلِس: أترى ذلك الرجلَ الجالسَ ـ لرسول الله ﷺ، وهم يَهزَؤُون به لِمَا يعلمون بينه وبين أبي جهلٍ من العَدَاوة ـ اذهَبْ إليه فإنّه يُؤْدِيك عليه.

فأقبَلَ الإراشيُّ حتّى وَقَفَ على رسول الله ﷺ فقال: يا عبدَ الله، إنّ أبا الحَكَم ابنَ هشام قد غَلَبَني على حقٍّ لي قِبَلَه، وأنا غريبٌ ابنُ سبيل، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجل يُؤْدِيني عليه يأخذُ لي حقِّي منه، فأشاروا لي إليك، فخُذْ لي حقِّي منه يرحمُك الله، قال: «انطَلِقْ إليه»، وقامَ معه رسول الله ﷺ، فلمّا رأَوه قام معه قالوا لرجل ممّن معهم: اتبَعْه فانظُرْ ما يَصنَع.

قال: وخرج رسول الله ﷺ حتّى جاءه فضَرَبَ عليه بابَه، فقال: مَن هذا؟ قال: «مُحمَّدٌ، فاخرُجْ إليّ»، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة[1] قد انتُقِعَ لونُه، فقال: «أَعطِ هذا الرّجلَ حَقَّه»، قال: نعم، لا تَبْرَحْ حتى أُعطيَه الّذي له، قال: فدخل فخرج إليه بحقِّه فدَفَعَه إليه، قال: ثمّ انصرف رسولُ الله ﷺ وقال للإراشيِّ: «الحَقْ بشَأْنِك»، فأقبَلَ الإراشيُّ حتّى وقف على ذلك المجلس، فقال: جَزَاه الله خيراً، فقد واللهِ أَخذ لي حقِّي.

قال: وجاء الرجل الذي بَعَثُوا معه، فقالوا: وَيحَك، ماذا رأيتَ؟ قال: عَجَباً من العَجَب، واللهِ ما هو إلّا أن ضَرَبَ عليه بابه، فخرج إليه وما معه رُوحُه، فقال له: «أَعطِ هذا حَقَّه»، فقال: نعم، لا تَبرحْ حتّى أُخرجَ إليه حقَّه، فدخل فخرج إليه بحقِّه

(١) أي: بقيّة رُوح، فكأنّ معناه: روح باقية، فلذلك جاء به على وزن فاعِلة. وقوله: انتُقِع لونه، أي: تغيَّر وصار كلون النَّقْع، وهو الغُبار.

فأعطاه إياه. قال: ثمّ لم يَلبَثْ أبو جهل أن جاء، فقالوا له: وَيلَك، ما لك؟ واللهِ ما رأَينا مثلَ ما صنعتَ قطُّ! قال: وَيحَكم، واللهِ ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي وسمعتُ صوتَه، فمُلِئتُ رُعباً، ثمّ خرجتُ إليه وإنَّ فوق رأسه لفَحْلاً من الإبل، ما رأيتُ مثل هامَتِه ولا قَصَرَتِه[1] ولا أنيابِه لفحلٍ قطُّ، واللهِ لو أَبَيتُ لأَكَلَني[2].

أمرُ رُكَانة المُطَّلِبيّ ومصارعته

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يسارٍ قال: كان رُكَانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المُطَّلِب بن عبد مَنَافٍ أشدَّ قريشٍ، فخَلَا يوماً برسول الله ﷺ في بعض

(١) الهامَة: الرأس، والقَصَرة: أصل العُنق.

(٢) إسناده ضعيف لإعضاله، فإن عبد الملك الثقفيّ راويه من أتباع التابعين.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص١٩٥-١٩٦، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٩٢-١٩٤.

وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٦١) من رواية إبراهيم بن سعد الزهريّ وسلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق. ووقع في المطبوع منه بين إبراهيم وسلمة وبين ابن إسحاق زيادة ذكر الأعمش، وهو خطأ.

وأخرجه مختصراً جداً أبو نعيم أيضاً ـ كما ذكر السيوطيُّ في «الخصائص الكبرى» ١/ ٢١٢ ـ من طريق سلّام بن مِسكين قال: حدثني أبو يزيد المدني وأبو قَزَعة الباهليّ: أن رجلاً كان له على أبي جهل دينٌ فلم يعطه، فقيل له: ألا ندلّك على من يستخرج حقَّك؟ قال: بلى، قالوا: عليك بمحمّد بن عبد الله، فأتاه فجاء معه إلى أبي جهل فقال: «أعطه حقَّه» قال: نعم، فدخل البيت فأخرج دراهمه فأعطاه، فقالوا لأبي جهل: فَرِقتَ من محمّد كلَّ هذا؟! قال: والذي نفسي بيده، لقد رأيت معه رجالاً معهم حِراب تَلمَع، لو لم أُعطه لخِفتُ أن يُبعَج بها بطني. وإسناده ضعيف أيضاً لإرساله، فأبو يزيد وأبو قزعة كلاهما من صغار التابعين.

فهذان الخبران يشهد كلٌّ منهما للآخر فيتقوّى وُرود أصل القصة مع الخلاف في الشيء الذي رآه أبو جهل، والله تعالى أعلم.

شِعَاب مكّة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا رُكَانةُ، ألَا تتَّقي اللهَ وتَقبَلُ ما أدعُوكَ إليه؟» قال: إنّي لو أعلمُ أنَّ الّذي تقول حقٌّ لاتَّبعتُك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتَ إنْ صَرَعتُك، أتعلَمُ أنَّ ما أقولُ حقٌّ؟» قال: نعم، قال: «فقُمْ حتّى أُصارِعَك» قال: فقام رُكَانةُ إليه فصارعه، فلمّا بَطَشَ به رسولُ الله ﷺ أضجَعَه لا يَملِكُ[1] من نفسه شيئاً، ثم قال: عُدْ يا محمّد، فعادَ فصَرَعَه، قال: فقال: يا محمّد، واللهِ إنَّ هذا لَلعَجَبُ، أتصرَعُني؟! قال رسول الله ﷺ: «وأعجَبُ من ذلك إنْ شئتَ أن أُرِيَكَهُ إنِ اتَّقَيتَ اللهَ واتَّبعتَ أَمري» قال: ما هو؟ قال: «أَدعُو لك هذه الشَّجرةَ الّتي تَرى فتَأتِيني» قال: ادعُها، فدعاها، فأقبلَت حتّى وَقَفَت بين يَدَي رسول الله ﷺ، فقال لها: «ارجِعي إلى مكانِكِ» قال: فرَجَعَت إلى مكانها، قال: فذهب رُكَانةُ إلى قومه فقال: يا بني عبد مَنَاف، ساحِرُوا[2] بصاحبكم أهلَ الأرض، فواللهِ ما رأيتُ أسحرَ منه قطُّ؛ ثمّ أخبرهم بالّذي رأَى والّذي صَنَعَ[3].

---

(١) في (ش١) و(غ) و(ق١): وهو لا يملك.

(٢) أي: غالِبوهم به في السِّحر.

(٣) إسناده ضعيف بهذا السياق لإرساله أو إعضاله، فإسحاق بن يسار من صغار التابعين، ولم يبيّن عمّن رواه، لكن أصل القصة في مصارعة النبيّ ﷺ لرُكانة صحيح من غير هذا الوجه.

ورواه عن ابن إسحاق كما هو هنا سلمةُ (وتحرف في المطبوع إلى: صدقة) بن الفضل عند قوام السنّة الأصبهاني في «دلائل النبوة» (٢٤٥).

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٧٦ ـ ومن طريقه ابن منده في «معرفة الصحابة» ٢/ ٦٥٠ والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٢٥٠ ـ دون قصة الشجرة.

وقد روي نحو هذه القصة مع رُكانة من غير وجهٍ بسياقات مختلفة بأسانيد فيها ضعف، كما في «مصنف عبد الرزاق» (٢٠٩٠٩)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢٣٢٦)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٨٠٧)، و«الدلائل» له (٢٩٩)، و«الدلائل» للبيهقي ٦/ ٢٥١ و٢٥٢. =

أمرُ الوفد النصارى الّذين أسلموا

قال ابن إسحاق: ثمّ قَدِمَ على رسول الله ﷺ وهو بمكّة عشرون رجلاً أو قريبٌ من ذلك من النَّصارى، حين بَلَغَهم خبره من الحَبَشة، فوجدوه في المسجد، فجَلَسوا إليه وكَلَّموه وسأَلوه، ورجالٌ من قريش في أنديَتِهم حولَ الكعبة، فلمّا فَرَغُوا من مَسألةِ رسول الله ﷺ عمّا أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عزَّ وجلَّ وتلا عليهم القرآن، فلمّا سمعوا القرآن فاضَتْ أعينُهم من الدَّمع، ثمّ استجابوا لله وآمنوا به وصدَّقوه، وعَرَفُوا منه ما كان يُوصَف لهم في كتابهم من أمره، فلمّا قاموا عنه اعتَرَضَهم أبو جهل بن هشام في نفرٍ من قريش، فقالوا لهم: خيَّبَكم اللهُ من رَكْبٍ! بَعَثَكم مَن وراءَكم من أهل دينكم تَرتادُون لهم لتأتوهم بخَبَرِ الرَّجل، فلم تَطمَئنَّ مجالسُكم

= وأصحُّ شيء فيها ما رواه أبو بكر الشافعي في «أحاديثه» وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «السبق» ـ كما في «التلخيص الحبير» لابن حجر ٤/ ١٦٢ ـ من رواية عبد الله بن يزيد المقرئ، عن حماد ابن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس، ولم يسق لفظه. قال ابن القيّم: وهذا إسناد جيّد متّصل.

وقد ساق لفظه أبو داود في «المراسيل» (٣٠٨)، وابن منده ٢/ ٦٤٩ ـ وهو أحسن سياق وأصحّه في هذا الخبر ـ فروياه من طريقين آخرين عن حماد، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، مرسلاً: أن رسول الله ﷺ كان بالبطحاء، فأتى عليه رُكَانة ـ أو قال: يزيد بن رُكانة، والصواب رُكَانة ـ ومعه أعنُزٌ له، فقال له: يا محمّد، هل لك أن تصارعني؟ قال: «ما تُسبِّقُني؟» قال: شاةً من غنمي، فصارعه النبي ﷺ فصرعه؛ يعني فأخذ شاة، فقام ركانة فقال: هل لك في العَوْدة؟ قال: «ما تُسبِّقُني؟» قال: أُخرى، فصارعه النبي ﷺ فصرعه، فقال له مثلَها، فقال: «ما تُسبِّقُني؟» قال: أُخرى، فصارعه النبي ﷺ فصرعه؛ ذكر ذلك مِراراً، فقال: يا محمد، واللهِ ما وَضَعَ جَنْبي أحدٌ إلى الأرض، وما أنت الذي صَرَعني؛ يعني فأسلَمَ ودعا له رسول الله ﷺ. وليس فيه قصة الشجرة، ورواه من طريقه البيهقيُّ في «السنن» ١٠/ ١٨ وقال: هو مرسل جيّد.

عنده حتى فارَقتُم دينَكم وصدَّقتُموه بما قال، ما نَعلمُ رَكْباً أحمقَ منكم ـ أو كما قالوا لهم ـ فقالوا لهم: سلامٌ عليكم، لا نُجاهِلُكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نَألُ أنفسَنا خيراً[1].

ويقال: إنّ النَّفر من النّصارى من أهل نَجْرانَ، فاللهُ أعلم أيُّ ذلك كان.

فيقال ـ والله أعلم ـ: فيهم نزلت هؤلاءِ الآياتُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص:٥٢-٥٥].

قال ابن إسحاق: وقد سألتُ ابنَ شِهابٍ الزُّهْريَّ عن هؤلاءِ الآيات فيمن نَزَلنَ، فقال لي: ما زلتُ أسمعُ من علمائنا: أنّهنَّ أُنزلن في النَّجَاشيِّ وأصحابه[2]، والآياتُ من المائدة، قولُ الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

---

(١) أي: لم نقصّر بها عن بلوغ الخير، يقال: ما ألَوتُ أن فعلتُ كذا وكذا، أي: ما قصَّرتُ.

وهذا الخبر لم يسنده ابن إسحاق، كذلك رواه عنه يونس بن بكير كما في المطبوع من «سيرة ابن إسحاق» بروايته ص٢١٨، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٠٦. فالله أعلم بصحّة ذلك.

(٢) كذا قال الزهريُّ، وقد روى عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن علي بن رِفاعة القُرَظيّ: أن الآيات السابقة التي من سورة القصص نزلت في عشرة رهط أبوه رفاعةُ منهم، كما أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٨/ ٢٧٧، وروى نحوه البخاري في «التاريخ الكبير» ٦/ ٢٧٥ من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن علي بن رفاعة قال: كان أَبي من الذين آمنوا بالنبي ﷺ من أهل الكتاب وكانوا عشرة، فلما جاؤوا جعل الناس يستهزؤون بهم ويضحكون منهم، فأنزل الله، وذكر شيئاً من هذه الآيات. ورجاله لا بأس بهم، فعلى هذا، فهذه الآيات نزلت في نفر من اليهود.

نزولُ ذكرِ قولهم: أهؤلاء منَّ اللهُ عليهم من بيننا

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد فجلس إليه المُستضعَفون من أصحابه: خبّابٌ، وعمّارٌ، وأبو فُكَيهة يَسارٌ مولى صفوان بن أُميّة بن مُحرِّث، وصهيبٌ، وأشباهُهم من المسلمين، هَزِئَت بهم قريش، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابُه كما تَرَون، أهؤلاءِ مَنَّ اللهُ عليهم من بيننا بالهدى والحقّ؟! لو كان ما جاء به محمّدٌ خيراً ما سَبَقَنا هؤلاء به، وما خَصَّهم اللهُ به دوننا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٢-٥٤][1].

نزولُ ﴿لسانُ الذي يُلحِدونَ إليه أعجميٌّ﴾

وكان رسول الله ﷺ ـ فيما بَلَغني ـ كثيراً ما يَجلِسُ عند المَرْوة إلى مَبيعَةِ[2] غلامٍ

---

(١) أَسند هذا البلاذُريُّ في «أنساب الأشراف» ١/ ١٥٦ عن يزيد بن رُومان عن عُروة مرسلاً.

وأصحُّ منه ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقّاص قال: كنّا مع النبي ﷺ ستةُ نفرٍ، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يَجترِئُون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هُذيل وبلال، ورجلان لست أُسمِّيهما (أي: نسيت اسميهما) فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّثَ نفسَه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

(٢) قال السهيليُّ في «الروض» ٣/ ٣٩٢: المَبِيعة: مَفعِلة مثل المَعِيشة، وقد يجوز أن يكون =

نصرانـيٍّ يقال له: جَبْر، عبدٍ لبَني الحَضرميِّ، فكانوا يقولون: واللهِ ما يُعلِّمُ محمّداً كثيراً ممّا يأتي به إلا جَبْرٌ النَّصراني، غلامُ بني الحضرميّ. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: إنّما يعلِّمُه بشرٌ، ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣][1].

قال ابن هشام: ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يَميلون إليه؛ الإلحادُ: المَيْل عن الحقّ، قال رُؤْبة:

إذْ تَبِـعَ الضَّـحّاكَ كـلُّ مُلحِـدِ

يعني الضحّاكَ الخارجيَّ[2]، وهذا البيت في أُرجوزةٍ له.

نزولُ سورة الكَوثَر

قال ابن إسحاق: وكان العاصِ بنُ وائلٍ السَّهميُّ ـ فيما بَلَغَني ـ إذا ذُكِرَ رسولُ الله

= مَفعُلة بضمّ العين، وهو قول الأخفش.

وعلى حاشية نسخة (ص): المبيعة موضع البيع والشّراء.

(١) أسند هذا آدمُ بن أبي إياس في «تفسيره» المطبوع باسم «تفسير مجاهد» ١/ ٣٥٢ ـ ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٦) ـ والطبري في «تفسيره» ١٤/ ٣٦٧ و٣٦٨، والواحدي في «أسباب النزول» (٥٦٦) من طرق عن حُصين بن عبد الرَّحمن السُّلميّ، عن عبد الله بن مسلم الحضرميّ قال: كان لنا غلامان نصرانيّان... وذكر نحوه.

وابن مسلم الحضرميُّ قد اختُلف في اسمه وصُحْبته، وحُصَينٌ ثقة مأمون من كبار أصحاب الحديث، وهو من صغار التابعين.

ورُوي هذا أيضاً عن مجاهدٍ كما في «تفسير ابن أبي إياس» ١/ ٣٥٢، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (١٣٥).

(٢) سلف بيانه وتخريج بيت رؤبة هذا فيما تقدّم عند قصة تحيّر الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن ص٣٠٩.

ﷺ قال: دَعُوه، فإنّما هو رجل أبتَرُ لا عَقِبَ له، لو قد مات لانقَطَعَ[1] ذِكرُه واستَرحتُم منه، فأنزل اللهُ في ذلك من قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ ما هو خيرٌ لك من الدُّنيا وما فيها، والكَوثرُ: العظيم[2].

قال ابن إسحاق: قال لَبِيدُ بن رَبيعة الكِلابيُّ:

وصاحبُ مَلحُوبٍ فُجِعْنا بيَومِهِ ... وعندَ الرِّدَاعِ بيتُ آخَرَ كَوثَرِ[3]

يقول: عظيمٌ[4].

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وصاحبُ ملحوبٍ: عوفُ بن الأحوَص بن جعفر بن كِلاب، مات بملحوب.

وقوله: وعند الرِّداع بيتُ آخرَ كَوثرِ، يعني شُرَيحَ بن الأحوَص بن جعفر بن كِلاب[5] مات بالرِّدَاع، وكَوثَرٌ: أراد الكَثير، ولفظه مشتقٌّ من لفظ الكثير، قال الكُمَيت بن زيد يَمدَحُ هشامَ بن عبد المَلِك بن مروان:

وأنتَ كثيرٌ يا ابنَ مروانَ طيِّبٌ ... وكان أبوكَ ابنُ العَقائلِ كَوثَرا[6]

---

(١) في (ت) و(ق١) و(م): لقد انقطع.

(٢) وروى هذا الخبر يونس بن بكير في «سيرة ابن إسحاق» ص٢٧٢ عن ابن إسحاق عن يزيد ابن رُومان، وهو مرسل.

وروى الطبري في «تفسيره» ٢٤/ ٦٩٨-٦٩٩ عن غير واحدٍ: أن المراد بها العاص بن وائل.

(٣) ملحوب والرِّداع موضعان في اليمامة بنَجْد. والمراد بالبيت في قوله: بيتُ آخرَ، القبرُ.

(٤) كذا فسّره ابن إسحاق في هذا البيت، وذكر غيرُه ـ كابن هشام ـ أنه بمعنى الكثير، وذهب بعضهم كأبي عبيد في «الغريب المصنَّف» ١/ ٧٥ إلى أنه بمعنى السيِّد.

(٥) وهذان المذكوران عوف وشريح، من سادات بني عامر بن صعصعة قوم لبيدٍ، من هوازنَ.

(٦) العقائل: جمع عَقِيلة، وهي المُحصَنة الكريمة من النساء. =

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

وقال أُميّة بن أبي عائذٍ الهُذَليُّ يَصِفُ حمارَ وَحْشٍ:

يَحمِـي الحَقِيـقَ إذا مـا احتَدَمْـ ـنَ حَمحَـمَ في كَـوثرٍ كـالجِلَالِ[1]

يعني بالكوثر: الغُبارَ الكثير، شبَّهَه لكثرته عليه بالجِلَال. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن عمرو ـ قال ابن هشام: جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ ـ عن عبد الله بن مُسلِم أَخي محمّد بن مُسلِم بن شِهابٍ الزُّهْريّ، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ وقيل له: يا رسولَ الله، ما الكوثرُ الّذي أعطاك اللهُ؟ قال: «نَهرٌ كما بينَ صَنْعاءَ إلى أَيْلةَ، آنيَتُه كعَدَدِ نجومِ السماءِ، تَرِدُه طيرٌ لها أعناقٌ كأعناقِ الإبلِ»، قال: يقول عمر بن الخطّاب: إنَّها يا رسول الله لناعمةٌ! قال: «آكِلُها أنعَمُ منها»[2].

= وانظر هذا البيت في «ديوان الكميت» ص١٧٧، وليس فيه سواه.

(١) أول البيت هنا فيه خَرْم ـ وهو سقط من أول التفعيلة في علم العَرُوض ـ وهو صحيح في «أشعار الهذليِّين» صنعة أبي سعيد السكَّريّ ٢/ ٥٠٤ بلفظ: يحامي الحقيق، ومعناه: يحمي حَقِيقتَه، وهو ما يَحِقُّ عليه أن يحميَه. واحتدمن: اشتدَّ جريُهنَّ، والاحتدام: شدّة غليان القِدْر على النار. والحمحمة: صوت هذه الحُمُر الوحشيّة وهو دون الصهيل. والجِلال: جمع جَلٍّ ـ وتُضمّ الجيم أيضاً ـ وهو للدّابَّة كالثوب للإنسان.

(٢) إسناده صحيح. ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري: هو الحافظ الإمام صاحب الروايات الشهيرة في المغازي وغيرها.

وهو في «سيرة ابن إسحاق» برواية يونس بن بكير عنه ص٢٧٢، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (١٢٣).

وأخرجه أحمد (١٣٤٨٠) و(١٣٤٨٤)، والحاكم (٤٠٢٢) من طريق محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، والترمذي (٢٥٤٢) من طريق ابن أخيه محمد بن عبد الله بن مسلم الزهريّ، =

قال ابن إسحاق: وقد سمعتُ في هذا الحديث أو غيره: أنه قال ﷺ: «مَن شَرِبَ منه لا يَظمَأُ أبداً»(١).

نزولُ ﴿وقالوا لولا أُنزِلَ عليه مَلَكٌ﴾

قال ابن إسحاق: ودعا رسولُ الله ﷺ قومَه إلى الإسلام، وكلَّمهم فأبلَغَ إليهم، فقال له زَمْعةُ بن الأسود والنَّضرُ بن الحارث والأسودُ بن عبد يَغُوثَ وأُبيٌّ بن خَلَف والعاصِ بنُ وائل: لو جُعِلَ معك يا محمّدُ مَلَكٌ يُحدِّث عنك الناس ويُرَى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٨-٩](٢).

= كلاهما عن عبد الله بن مسلم الزهريّ، عن أنس. إلا أنه وقع في رواية الحاكم أبو بكرٍ مكان عمرَ.

ورواه عبد الوهاب بن أبي بكر عند أحمد (١٣٣٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٣٩) عن عبد الله بن مسلم، عن أخيه محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، عن أنس. فقلبه، وعبد الوهّاب ثقة إلا أنّ روايته هذه شاذّة، فالمحفوظ فيه أنه من رواية عبد الله بن مسلم عن أنس، وعبدُ الله ومحمدٌ كلاهما يروي عن أنس.

وأَيْلة: مدينة قديمة كانت قائمة على خليج العَقَبة جنوب الأردنّ، وهي اليوم أطلال تقع شمال غرب مدينة العقبة.

(١) حديث صحيح، رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص عن النبي ﷺ قال: «حَوْضي مَسِيرة شهر، ماؤه أبيض من اللَّبَن، وريحُه أطيب من المِسك، وكِيزانُه كنجوم السماء، من شَرِبَ منه فلا يَظمَأُ أبداً».

الكِيزان: جمع كُوزٍ، وهي الآنية، والظَّمأ: العطش.

(٢) ورواه من طريق ابن إسحاق ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٥ و١٢٦٦.

نزولُ ﴿ولقدِ استُهزِئَ برُسُلٍ من قَبلِكَ﴾

قال ابن إسحاق: ومرَّ رسولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغَنا ـ بالوليد بن المغيرة وأُميّة بن خَلَف وبأبي جهل بن هشام، فهَمَزُوه[1] واستَهزَؤُوا به، فغاظَه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرِهم: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠][2].

[يليه في الجزء الثاني:

أمر الإسراء والمعراج]

(١) الهمز: الغِيبة والوقيعة في الناس وذكرُ عيوبهم.

(٢) ورواه من طريق ابن إسحاق ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٧.



الفهرس